

أبي
العلاء
المعري

دراسات



شرح لزوم ما لا يلزم

للأبي العلاء المعري

طه حسين - إبراهيم الأبياري

رحم الله أبا العلاء ! لقد كان شديد التواضع ، قليل الاعتداد بنفسه ، شديد الأزدراء لها ، يرى أن الذين دعوه بكنيته هذه قد أخطئوا وأسرفوا على أنفسهم وعلى الناس . وكان الحق عليهم أن يدعوه « أبا النزول » :

دُعِيْتُ « أبا العلاء » وذاك مَيِّنٌ ولكنَّ الصَّحِيحَ « أبو النزولِ »

وكان شديد الزهد في نباهة الذكر وبعده الصوت ، يرى أنه ليس لشيء من ذلك أهلاً ، ويرى أن الرغبة فيه لون من العيب وفن من الغرور ، ينبغى لدى اللب أن يرتفع بنفسه عنه .

وكان ربما أنكر ما أتيح له من الشهرة ، فحمل الناس على زيارته والاستماع له . فالناس إنما يقصدون إلى ذي المال يلتمسون عنده العطاء ، ويسعون إلى ذي العلم يلتمسون عنده المعرفة .

وكان أبو العلاء مقتراً عليه في الرزق ، وكان يرى أن حظه من العلم قليل لا يرضيه هو ، فكيف بالساعين إليه من أقطار الأرض القريبة والبعيدة ، يبتغون عنده غنى العقول وذكاء القلوب . وكان يرى بعد ذلك أن علمه ليس من شأنه أن يرضي الناس ، لأنه إن صدقهم آذاهم ، فقال لهم ما لا يحبون ؛ وإن أرضاهم آذى نفسه بالكذب عليهم والمخالفة عما يؤمن به عقله ويطمئن إليه ضميره . فكان مرة يقول :

خُذِي رَأْيِي وَحَسْبُكَ ذَاكَ مِنِّي
عَلَى مَا فِيَّ مِنْ عِوَجٍ وَأَمْتٍ
وَمَاذَا يَبْتَغِي الْجُلَسَاءُ عِنْدِي
أَرَادُوا مَنْطِقِي وَأَرَدْتُ صَمْتِي
وَيُوجَدُ بَيْنَنَا أَمْدٌ قَصِيٌّ
فَأَمَّا سَمْتُهُمْ وَأَمْتُ سَمْتِي

ومرة أخرى يقول :

يُرُونِي الْقَوْمُ هَذَا أَرْضَهُ يَمَنُّ^١ قَالُوا سَمِعْنَا حَدِيثًا عَنْكَ قُلْتُ لَهُمْ
يَبْغُونَ مِنِّي مِثْلًا لَسْتُ أَحْسِنُهُ أَعَانَا اللَّهُ كُلُّ فِي مَعِيشَتِهِ
مِنْ الْبِلَادِ وَهَذَا دَارُهُ الطَّبَسُ لَا يُبْعَدُ اللَّهُ إِلَّا مَعْشَرًا لَبَسُوا
فَإِنْ صَدَقْتُ عَرَّتْهُمْ أَوْجُهُ عُبْسُ يَلْقَى الْعَنَاءَ فَدَرَّتِي فَوْقَنَا دُبْسُ
فَيُسْتَمَاحُ وَلَا عِلْمُ فَيُقْتَبَسُ مَاذَا تُرِيدُونَ لَا مَالٌ نَيْسَرَ لِي
وَتَحْلُبُونَ سَفِيًّا ضَرَعُهَا يَبْسُ أَنْسَأُونَ جَهْلًا أَنْ يُفِيدَ كَمْ
كَانَ قَوْمًا إِذَا مَا شَرَّفُوا أُبْسُوا مَا يُعْجِبُ النَّاسَ إِلَّا قَوْلُ مُخْتَدِعٍ
فَكَانَ مِثْلَ جِلَالِ الْبُدْنِ مَا لَدِسُوا قَدْ أَنْفَدُوا فِي ضِيَاعِ كُلِّ مَا عَمَرُوا
مُعُونَةً وَصُرُوفَ الدَّهْرِ تَحْتَبِسُ أَنَا الشَّقِيُّ بَأْسِي لَا أُطِيقُ لَكُمْ

فقد كان الصوتُ يطير عن أبي العلاء بما لا يرى في نفسه أنه الحقُّ ، وكان الناسُ يسمعون عنه الأحاديث فيشتاقون إلى لقائه ثم يسعون إلى هذا اللقاء ، وكان هو يَضيق بذلك أشدَّ الضيق : يرى أن الذين وصفوه بسعة العلم وجزارة المعرفة قد لبسوا أمره على الناس ، وقالوا عليه غير الحق ، ووصفوه بما ليس فيه . وهو على ذلك يعرف الناسَ حقَّ المعرفة ، ويبلو سرائرهم أحسنَ البلاء ، ويعلم أنهم يُؤثرون ما يُرضيهم ، وإن كان كذبًا ، على ما يُؤذيهم وإن كان حقًا وصدقًا . وهو لا يُحسن الكذب ولا يُحب إلا الصدق ، وهو يجهر بأنه لا مالَ له فيُستجدي ، ولا عِلْمَ عنده فتُبغى عنده المعرفة . وليس من خِصاله الكذبُ فيخدع الناسَ عن حقائق نفوسهم ، وليس من خِصال الناس حُبُّ الصِّدْقِ فيرضوا عما يمكن أن يسوق إليهم من حديث . وهو يستعين الله لنفسه على الصِّدْقِ ، ويستعينه للناس على ما يألون من خِدَاعِ ، ويستعينه له ولهم على هذه الحياة التي يلقى الناسُ فيها جميعاً ألوانَ المحنِّ وضروب العناء . وربما ضاق

أبو العلاء يُبغض الناس للحقّ وحبّهم للباطل ، فقال في أبياته تلك المشهورة :

إِذَا قُلْتُ الْمَحَالَ رَفَعْتُ صَوْتِي وَإِنْ قُلْتُ الْبَاقِينَ أَطَلْتُ هَمْسِي

ومهما يكن من شيء فقد نبّه ذِكْرُ أَبِي الْعَلَاءِ وَبَعْدَ صَوْتِهِ فِي حَيَاتِهِ ، عَلَى ضَيْقٍ مِنْهُ بِذَلِكَ وَزُهْدٍ مِنْهُ فِيهِ . وَقَدْ أَخَذَ النَّاسُ يُسْعَوْنَ إِلَيْهِ مِنْ أَدْنَى الْأَرْضِ وَمِنْ أَقْصَاهَا ، يُطَلَّبُونَ عِنْدَهُ الْعِلْمَ وَيَرُؤُونَ عَنْهُ اللُّغَةَ وَالْأَدَبَ ، وَيَكْتَبُونَ عَنْهُ مَا كَانَ يُنْشِئُ مِنْ شَعْرٍ وَنَثْرٍ حِينَ كَانَ يَخْلُو إِلَى نَفْسِهِ .

وَحَمَلَ عَنْهُ شَعْرُهُ وَنَثْرُهُ إِلَى أَدْنَى الْأَرْضِ وَأَقْصَاهَا فِي حَيَاتِهِ ، فَرَضِيَ عَنْهُ مَنْ رَضِيَ وَسَخَطَ عَلَيْهِ مَنْ سَخَطَ ، وَجَادَلَهُ فِي بَعْضِ آرَائِهِ الْمُجَادِلُونَ ، وَعَارَضَهُ فِي بَعْضِ آثَارِهِ الْمَعَارِضُونَ .

وَمَا أَشْكَّ فِي أَنْ أَبَا الْعَلَاءِ قَدْ أَطْمَأَنَّنَ إِلَى شَهْرَتِهِ وَبَعْدَ صَوْتِهِ ، عَلَى ضَيْقِهِ بِهِمَا وَبُغْضِهِ لهما . وَمَا أَكْثَرَ مَا كَانَ أَبُو الْعَلَاءِ يَطْمئنُّ إِلَى الضَّيْقِ وَيَرُوضُ نَفْسَهُ عَلَى مَا تَكَرَّرَ .

أَلَمْ يَكُنْ يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِأَحْتِمَالِ الْبَرْدِ وَالْأَغْتَسَالِ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ حِينَ يَقْسُو الشِّتَاءَ ، وَيَقُولُ :

أُجَاهِدُ بِالظَّهَارَةِ حِينَ أَشْتُو وَذَلِكَ جِهَادٌ مِثْلِي وَالرَّبَّاطُ
مَضَى كَأَنُونَ مَا اسْتَعْمَلْتُ فِيهِ حَمِيمَ الْمَاءِ فَاقْدَمُ يَا شُبَّاطُ

وَإِذَا كَانَ يَأْخُذُ نَفْسَهُ رَاضِيًا بِمَا لَا تُحِبُّ ، فَمَا لَهُ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْأَمْرِ مَا لَيْسَ لَهُ فِيهِ اخْتِيَارٌ ! وَهُوَ الَّذِي يَرَى الْجَبْرَ وَيُؤْمِنُ بِأَنْ حَظَّ الْإِنْسَانُ مِنَ الْحَرِيَةِ ضَيْلٌ . فَلْيَطْمئنَّ إِذْنًا إِلَى الشَّهْرَةِ ، وَلْيُذْعَنْ لِمَا لَيْسَ لَهُ عَنْهُ مُنْصَرَفٌ ، وَلْيُيسَّرْ عَلَى النَّاسِ أَمْرَهُمْ بِالْقِيَاسِ إِلَى مَا يُحْمَلُ عَنْهُ مِنْ شَعْرٍ وَنَثْرٍ . فَهُوَ يَقُولُ مَرَّةً :

أَقْرَأُ كَلَامِي إِذَا ضَمَّ الثَّرَى جَسَدِي فَإِنَّهُ لَكَ يَمْنٌ قَالَهُ خَلْفُ

ويقول مرة أخرى ناصحاً لنفسه ولقرّائه :

لَا تُقَيِّدْ عَلَيَّ لَفْظِي فَإِنِّي مِثْلُ غَيْرِي تَكَلَّمِي بِالْمَجَازِ

كان أبو العلاء إذن بعيد الصوت في حياته ، وظلّ صوته بعيداً بعد وفاته عرفته الأجيال على اختلاف الأقطار والعصور ، وتحدثت عنه مُثَنِّيةً عليه أو عابئةً له ، يحسُن فيه رأى قوم ويسوء فيه رأى آخريّن .

وقلما كان الناس في عصورهم المختلفة يُعنون بتحصيل كل ما حفظ عن أبي العلاء من آثار ، وإنما كان هذا الكتاب أو ذاك من كتبه يقع إلى هذا القارئ أو ذاك ، فينظر فيه عَجلاً أو مُستأنياً ، ويقضى فيه مُتنبّئاً أو غير مُتنبّئ ، حتى كان العصر الحديث ، أو هذا القرن الذي نعيش فيه ، فأشدت العناية بأبي العلاء حين كان العلم بفلسفة المُتسامنين الأوربيين . كأن العرب أحسوا أنّ هذه الفلسفة ليست جديدةً ولا مُبتكرةً ، وأنّ القرب لا يستأثر بها من دونهم ، وأنهم قد سبقوا إليها وشاركوا فيها مشاركة حسنة .

ولأمر ما عنى العرب في هذه الأعوام الأخيرة بشاعريّن من شعرائهم القُدماء ، هما أبو الطيب المتنبي وتلميذه في الأدب والشعر أبو العلاء ، فلم يكتبوا بتأليف الكُتب عن هذا وذاك ، وإنما رأوا الأوربيين يذكرون عُظاءهم ، ويحتفلون بالأعياد المثوية والألفية لهؤلاء العُظاء ، فقلدوهم في هذا أيضاً ، وأحتفلوا في أقطارهم المختلفة بالعيد الألفي لأبي الطيب . ثم دعت سوريا منذ عشر سنين إلى مؤتمر يُعقد في دمشق للاحتفال بالعيد الألفي لأبي العلاء ، وأرادت مصر أن تُشارك في هذا المؤتمر ، وأن تُسهم في إحياء ذِكرى هذا الشاعر الفيلسوف العظيم ، فرأت أنّ الاحتفال بمثل هذا العيد شيء له خطرُه من غير شك ، ولكنه أجماع لا يكاد ينعقد حتى ينفذ ، وكلام لا يكاد يُقال حتى تمرّ به رياح الصيف أو رياح الشتاء . فأثرت فيما أثرت أن تنشر ما يجتمع لها من آثار أبي العلاء ،

لُتَيْحِ القَارِئِينَ عَامَّةً ، وللباحثين والعلماء خاصة ، أن يعرفوه حقَّ معرفته ، وأن يُعَاشِرَهُ مِنْهُمْ مَنْ أَحَبَّ عِشْرَتَهُ أَطْوَلَ وَقْتٍ مُمْكِنًا ، وَأَنْ يَفْرُغَ لِدَرَسِهِ مِنْهُمْ مَنْ أَحَبَّ الْفَرَاغَ لِدَرَسِهِ ، وَقَدْ تَوَفَّرَتْ لَهُ وَسَائِلُ الْبَحْثِ وَالْأَسْتِقْصَاءِ .

ولم تكدم مصرُ تتخذ هذا القرارَ حتى جدَّت في إنفاذه ، فنشرت ما أُجْتَمِعَ لَهَا مِنْ أَحَادِيثِ الْقَدَمَاءِ عَنْ أَبِي الْعَلَاءِ ، ثُمَّ نَشَرَتْ « سَقَطَ الزَّيْدُ » وَهَمَّتْ بِنَشْرِ « اللَّزُومِيَّاتِ » . وَلَكِنَّ الظُّرُوفَ وَقَفَتْ هَذَا الْعَمَلَ الْخَطِيرَ ، وَخَفِنَا أَنْ تَشْغَلَ هَذِهِ الظُّرُوفُ مِصْرَ الرَّسْمِيَّةِ عَنِ الرَّجُوعِ إِلَى مَا بَدَأَتْ مِنْ إِحْيَاءِ التَّرَاثِ الْعَلَائِيِّ ، فَحَاوَلْنَا أَنْ نَمْضِيَ فِي هَذَا الْإِحْيَاءِ حَسْبَ مَا يُتَيْحُ لَنَا جَهْدُنَا الْمُتَوَاضِعِ الضَّئِيلِ ، وَأَقْبَلْنَا عَلَى كِتَابِ « اللَّزُومِيَّاتِ » نَحْقُقُ نَصَّهُ ، وَنَشْرَحُ الْفَاطَهَ شَرْحًا لُغَوِيًّا مَفْصَلًا تَفْصِيلًا مَا ، ثُمَّ نُتَرْجِمُ هَذَا النَّصَّ بَعْدَ ذَلِكَ أَوْ نُحَلِّهُ إِلَى النَّثْرِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاوَرِ ، كَمَا كَانَ الْقَدَمَاءُ يَقُولُونَ .

وقد فرغنا لذلك ، ونرجو أن نكون قد وفَّقنا فيه إلى ما يُرِضِي أَبَا الْعَلَاءِ ، وَإِنْ كَانَ إِرْضَاؤُهُ عَسِيرًا .

ونرجو على كل حال ألا نكون قد ظلمناه فأذينا ، فهو ينهانا عن ظلم الموتى ، وَيُحَدِّثُنَا مِنْ ذَلِكَ فِي بَيْتِهِ الْمَشْهُورِ :

لَا تَظْلِمُوا الْمَوْتَى وَإِنْ طَالَ الْمَدَى إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَلْتَقُوا

ثم نرجو بعد ذلك أن نكون قد أتممنا للذين يُريدون أن يدرِّسوا أبا العلاء درسًا لُغَوِيًّا مَا يُحِبُّونَ مِنْ تَعَمُّقِ الدَّرْسِ ، وَلِلَّذِينَ يَكْتَفُونَ بِقِرَاءَةِ فِلْسَافَةِ أَبِي الْعَلَاءِ ، فِي غَيْرِ جَهْدٍ وَلَا مَشَقَّةٍ ، أَنْ يَقْرَءُوا هَذِهِ الْفِلْسَافَةَ دُونَ أَنْ يَجِدُوا فِي قِرَاءَتِهَا عَنَاءً .

وارجو قبل كل شيء وبعد كل شيء أن يتاح لنا المضي في هذا العمل حتى لا نُقصر مضراً في النهوض بما أُحتملت من أعبائه .

وللصديق الزميل « إبراهيم الأبياري » أعظم الفضل في هذا الجهد ، فهو الذي أُحتمل عناء التنقيب والمراجعات على اختلافها ، كما أُحتمل عناء الشرح اللغوي . وأنا على ذلك شريكه في تبعات ما بذل من جهد ، مُستأثر بشُكره على ما أتى من عناء ، وما أُحتمل من أعباء .

طه حسين

سيكون للكتاب ، بعد أن يعين الله تعالى على تمامه ،
جزء مستقل بفهرس ينتظم قصائده ، ويجمع ألفاظه ، ويضم
أغراضه ، ويشمل الأعلام والأماكن والأسماء ، وما تردد
في الشرح من أبيات .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[مقدمة أبي العلاء]

قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان الضرير، رَهْنُ الْمُحْبِسِينَ،
وإنما قال بقضاء لا يشعر كيف هو :

كان من سَوَالف الأفضية أنى أنشأتُ أبنيةَ أوراق ، توخيتُ فيها
صدقَ الكلمة ، ونزّهتها عن الكذب والميِّط^(١) ، ولا أزعُمها كالسَّمَط
المُتَّخَذ وأرجو ألاّ تحسب من السَّمِيْط^(٢) ؛ فمنها ما هو تَمجيد لله الذى
شَرَف عن التَّمجيد ، ووَضَعَ المِنَّن فى كلِّ جيد ؛ وبعضها تذكير للنَّاسين ،
وتنبيه للرَّقدة الغافلين ؛ وتَحذير من الدنيا الكُبرى التى عبثت بالأوّل ،
واستُجيت فيها دعوة جَرُول^(٣) ؛ إذ قال لأُمَّه :

جَزَاكَ اللهُ شَرًّا مِنْ عَجُوزٍ وَلَقَاكَ الْعُقُوقُ مِنَ الْبَنِينَا

فهى لا تسمح لهم بالحقوق ، وهم يُباكرونها بالعقوق . وإنما
وصفتُ أشياء من العِظة وأفانين ، على حسب ما تسمح به الغريزة ؛

(١) الميِّط : الجور والحنف والبعد عن القصد .

(٢) السميِّط ، بفتح فكسر ، أو بضم ففتح ، على صورة التصغير ، وهذه عن كراع :

الآجر القائم بعضه فوق بعض .

(٣) الجرول : الحجر ، وبه لقب الخطيئة ، أبو مليكة بن أوس بن مالك العبسى ، شاعر

مخضرم من الهجائين . توفى حوالى سنة ثلاثين من الهجرة .

فإن جاوزتُ المُشترطَ إلى سواه ، فإنّ الذي جاوزتُ إليه قولُهُ عَرِيَ
من المَين^(١) . وجمعتُ ذلكَ كلَّهُ في كتاب لِقَبْتُهُ « لزوم ما لا يلزم » .
ومعنى هذا اللقب أن القافية تلزم لها لوازمُ لا يفتقر إليها حَشْوُ البيت ،
ولها أسماء تُعرف ، وسأذكر منها شيئاً مخافة أن يقع هذا الكتاب إلى
قليل المعرفة بتلك الأسماء .

والذي سمّاه المتقدمون من لوازم القافية^(٢) خمسة أحرف وست
حركات :

فالأحرف : الرويِّ والرّدْف والتأسيس والوصل والخروج^(٣) .

-
- (١) المين : الكذب . والجمع : ميون . والفعل منه : مان يمين ، فهو مائن .
(٢) القافية ، تكون من آخر البيت إلى أول متحرك قبل ساكن بينهما . وقد تكون بعض
كلمة ، وشاهده قول امرئ القيس :
وقوقاً بها صحبي على مطيمهم يقولون لا تهلك أسي وتحمل
فالقافية من الحاء في « تحمل » - على رواية - إلى آخر البيت . وقد تكون كلمة ، كقوله :
ففاضت دموع العين منى صباية على النحر حتى بل دمعى محملى
فالقافية « محملى » . وقد تكون كلمة وبعض أخرى ، كقول الشاعر :
دمن عفت ومحا معالمها هطل أجش وبارح ترب
فالقافية من الحاء في « بارح » إلى آخر البيت . وقد تكون كلمتين ، كقول امرئ القيس :
مكر مفر مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من عل
فالقافية من قوله « من » إلى آخر البيت . وقد تكون كلمتين وبعض أخرى ، كقول الشاعر :
* قد جبر الدين الإله فجبر *

فالقافية من اللام الثانية في « الإله » . فهذا بعض كلمة ، ثم « الفاء » ثم « جبر » .
(٣) وهكذا هي عند الخليل ، إلا أنه جعل مكان « الروي » القافية . ومكان « الوصل » الصلة .
وكان الخليل يسمي الكلمة التي فيها القافية الضرب والروي . (انظر كتاب تلقيب القوافي والحركات
لأبي الحسن محمد بن أحمد بن كيسان . ص ٤٨ و ٥٤ طبعة ليدن ١٨٥٩) .

فأما الروي^(١) فأثبت حروف البيت ، وعليه تُبنى المنظومات ، وهو يكون من أى حروف المعجم وَقَعَ ، إِلَّا حُرُوفًا تَضَعُفٌ وَلَا تَثْبُتُ ، كَألف التَرْنَمِ وواوهِ وِيَاءهِ وهَاءِ الوَقْفِ وهَا آتِ التَّأْنِيثِ ، إِذَا كَانَ مَا قَبْلَهَا مَتَحَرِّكًا ، وَالْألفِ الَّتِي تَلْحَقُ لِلتَّثْنِيَةِ فِي مِثْلِ « ضَرْبًا » وَ« ذَهَبًا » ، وَالواوِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى الْجَمْعِ إِذَا كَانَ مَضْمُومًا مَا قَبْلَهَا فِي مِثَالِ « ضَرْبُوا » وَ« قَتَلُوا » ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْحُرُوفِ . فَإِنْ اتَّفَقَ غَيْرُ مَا ذَكَرْتَ فَهُوَ شَاذٌّ مَرْفُوضٌ^(٢) .

(١) قيل إنه من الروية ، وهى الفكرة ، لأن الشاعر يتفكر فيه ، فهو فاعيل بمعنى مفعول . كما قيل إنه من الرواء ، بالكسر والمدة ، وهو الحبل الذى يضم به شئ إلى شئ ، إذ هو يضم أجزاء البيت ويصل بعضها ببعض ، فهو فاعيل بمعنى فاعل .
(٢) جميع حروف المعجم يصح أن تكون رويًا إلا سبعة أحرف فى مواضع : الحرف الأول : الألف فى خمسة مواضع ، أولها أن تكون ضمير التثنية نحو : قاما ، وأضربا ، فهى وصل لا روى ، والروى ما قبلها . وجوز بعضهم أن تكون ألف التثنية رويًا . قال ابن جنى : وهو شاذ فى الاستعمال . وثانيتها أن تكون لبيان حركة الكلمة ، كما فى قول الشاعر :

فَقَالَتْ صَدَقْتَ وَلَكِنِّي أَرَدْتُ أَعْرِفَهَا مِنْ أَنَا

وِثَالِهَا : أَنْ تَكُونَ لِلإِطْلَاقِ ، وَتَسْمَى أَلْفَ التَّرْنَمِ وَالْفِ إِشْبَاعِ ، كَقَوْلِ جَرِيرِ :

أَقْلَى اللُّومِ عَاذِلٌ وَالْعَتَابَا وَقَوْلِي إِنْ أَصَبْتُ لَقَدْ أَصَابَا

عَلَى رِوَايَتِهِ بِالْأَلْفِ لَا بِالنُّونِ :

وَرَابِعُهَا : الْمِبْدَلَةُ مِنْ تَنْوِينِ الْمَنْصُوبِ وَقَفًّا ، وَعَنْ نُونِ التَّوَكِيدِ الْخَفِيفَةِ ، نَحْوُ : رَأَيْتُ زَيْدًا .

وَنَحْوُ : * وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهَ فَاعْبُدَا *

وَخَامِسُهَا : أَنْ تَكُونَ لِاحْتِقَاقِ لُضْمِيرِ الْغَائِبِ ، كَقَوْلِ أُمِيَّةِ بِنِ أَبِي الصَّلْتِ :

يُوشِكُ مِنْ فَرٍّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غَرَاتِهِ يُوَافِقُهَا

فَالْأَلْفُ هُنَا خُرُوجُ وَالْهَاءِ وَصَلِ .

وَأَمَّا الْأَلْفُ الْأَصْلِيَّةُ وَتَسْمَى الْمَقْصُورَةَ ، كَأَلْفِ : إِذَا مَتَى وَالْعَصَا وَالرِّضَى وَرَمَى ، وَالْأَلْفُ الزَّائِدَةُ

لِلتَّأْنِيثِ ، نَحْوُ : ذَكَرِي ، أَوْ لِلإِحْلَاقِ نَحْوُ : أَرَطِي ، فَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَهَا وَصَلًا وَلَزِمْتَ الْحَرْفَ الَّذِي قَبْلَهَا رُويًا ، وَإِنْ شِئْتَ جَعَلْتَهَا رُويًا .

والروى له ثلاث منازل : يكون آخر حرف في الشعر المقيّد ،

وثاني الحروف الياء ، ولها ثلاثة مواضع : أوها أن تكون للإطلاق ، وتسمى ياء الترم والإشباع ،
وحيث لا يكون ما قبلها إلا مكسوراً ، كقول امرئ القيس :

* كما زلت الصفواء بالمتنزل *

وثانيها أن تكون ضمير المتكلم ، أو ياء المخاطبة مكسوراً ما قبلها ، نحو : غلامى واضربى .
وثالثها أن تكون لاحقة للضمير وهو مكسور ، نحو : مررت بهى . وهى هنا خروج ، والضمير
قبلها وصل .

وأما ياء النسب فإن كانت ثقيلة لم تكن إلا روياء ، وتكون بمنزلة حرف واحد ، وإن كانت
خفيفة تخيرت فيما بين جعلها وصلاً ولزمت ما قبلها ، وبين جعلها روياء .

وثالث الحروف الواو ، ولا يصح أن تكون روياء في ثلاثة مواضع : أوها أن تكون للإطلاق ، وتسمى
واو الترم وواو الإشباع . ولا يكون ما قبلها حيث لا مضموماً ، كما في قول جرير :

* سقيت الغيث أيتها الحيامو *

فهذه الواو وصل .

وثانيها أن تكون ضمير جمع مضموماً ما قبلها ، كما في نحو : ضربوا ، واضربوا . فهى
وصل . وقال ابن السراج : قد تجعل واو نحو : « اضربوا » روياء . واستدل على ذلك بقول
مروان بن الحكم :

وهل نحن إلا مثل من كان قبلنا نموت كما ماتوا ونحيا كما حيوا

وينقص منا كل يوم وليسلة ولا بد أن نلقى من الأمر ما لقوا

وثالثها أن تكون لاحقة للضمير ، نحو : ضربتهمو ، وكلهمو . فهى وصل لا روى .

ورابع الحروف وخاسمها : التنوين ونون التوكيد الخفيفة ، فهذان لا يكونان رويين بل ولا وصلين .

الحرف السادس : الهاء ، ولها ثلاثة مواضع :

أحدها أن تكون للسكت ، وهى التى تتبين بها الحركة ، نحو : ارمه ، وأغزه ، وفيمه ، وله ، كقول الشاعر :

بالمفاضلين أولى النهى فى كل أمر فاقته

فهذه الهاء وصل .

الثانى أن تكون ضميراً متحركاً ما قبلها ، مخففاً كان أو مثقلاً ، سواء تحركت أو سكت ، كقول

زهير :

صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله وعرى أفراس الصبسا ورواحله

فهذه الهاء وصل .

والثالث أن تكون منقلبة عن تاء التأنيث محركاً ما قبلها ، ويقال لها هاء التأنيث ، كقول الشاعر :

ولا ينكسر هذا القياس في رأى المتقدمين^(١)، ويكون بينه وبين اتقضاء الييت حرفٌ أو حرفان، وذلك في الشعر المطلق .

والذى بين رويته وبين اتقضاء وزنه حرف واحد فإنما تجيء بعد رويته الصلة لا غير ؛ وهى تكون أحد أربعة أحرف : الألف والواو والياء والهاء^(٢)، و [لا] تكون الأحرف الأخرى .

وأما الذى يقع بعد رويته حرفان فهو ما تحرّكت هاء وصله فلزمها الخروج ، كقوله :

ثلاثة ليس لها رابع الماء والبستان والحمره

فالها ، هنا وصل .

وسابع الحروف همز الوقف ، أى الهمز الذى يبدل فى لغة من الألف وقفاً ، نحو : رأيت رجلاً . فهى ليست روياء ولا وصلاً .

(١) ومنه قول طرفة :

أصحوت اليوم أم شأقتك هر ومن الحب جنون مستعمر

(٢) فما صلته الواو قول زهير :

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا وزودوك اشتياقاً أية سلكوا

فالروى الكاف والواو صلة .

وما صلته الألف قول زهير أيضاً :

إن الخليط أجد البين فانفرقا وعلق القلب من أسماء ما علقا

فالروى القاف والألف صلة .

وما صلته الياء قول عنتره :

يا دار عبلة يا لجواء تكلمى وعمى صباحاً دار عبلة واسلمى

فالروى الميم والياء صلة .

وما صلته الهاء قول لبيد :

نحن بنو أم البنين الأربعة والضاربون الهام تحت الخيضمه

فالعين روى والهاء صلة .

في ليلة لا ترى بها أحداً يَحْكِي علينا إلا كواكبها

فالباء هي الروى، والهاء وصل، والألف خروج.

وأما التأسيس فألف بينها وبين حرف الروى حرف يسمى الدخيل

ولا تلزم إعادته^(١) كما تلزم إعادة الروى. والتأسيس كقول القائل:

ألا يا ديار الحى بالأخضر أسامى وليس على الأيام والدهر سالم

فألف «سالم» تأسيس، واللام دخيل، والميم روى.

وألف التأسيس على ضربين: أحدهما أن تكون هي والروى من

نفس الكلمة، كألف «عالم» و«مالك». أو يكون الروى ضميراً

متصلاً فيجرى مجرى حرف الكلمة الأصلية، كالكاف في «دارك»

و«غلامك»؛ والآخر أن تكون الألف من كلمة والروى من

كلمة أخرى.

فإذا اختلف الروى والتأسيس وكانا من كلمتين، فإن الثانية التي فيها

الروى لا تخلو من أحد أمرين: إما أن تكون مضمراً منفصلاً مثل:

هما، وهو، وهي؛ وإما أن تكون مبنية من ضمير متصل وحرف.

فالأول كقول زهير:

فأين الذين يحضرون جفانه إذا وضعت القوا عليها المراسيا

ثم قال:

(١) يعنى أنه لا يكون حرفاً واحداً كالروى.

رَأَيْتَهُمْ لَمْ يَدْفَعُوا^(١) بِنَفْسِهِمْ مَنِئْتَهُ لَمَّا رَأَوْا أَنَّهَا هِيَ
فَأَلْف «أنها» تَأْسِيسٌ ، وَالْهَاءُ مِنْ « هِيَ » دَخِيلٌ ، «وَالْيَاءُ» رَوَى .
وَالثَّانِي كَقَوْلِ زَهِيرٍ أَيْضًا :

بَدَا لِي أَنْ اللهُ حَقٌّ فَزَادَنِي إِلَى الْحَقِّ تَقْوَى اللهُ مَا قَدْ بَدَا لِيَا
وَفِي الْقَصِيدَةِ : « جَائِيَا » وَ « نَاجِيَا » .

وَإِذَا كَانَ التَّأْسِيسُ مَنْفَصِلًا جَازًا أَنْ تُجْعَلَ لَعْوًا . فَلَوْ بَنَيْتَ قَصِيدَةَ
قَوَافِيهَا « مَعْطِيَا » وَ « مُؤَلِيَا » ثُمَّ جَاءَ فِيهَا « بَدَا لِيَا » لَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ
أَهْلِ الْعِلْمِ جَازِيًا ، وَذَلِكَ قَلِيلٌ فِي الْإِسْتِعْمَالِ . وَكَذَلِكَ لَوْ بَنَيْتَ أُخْرَى
قَوَافِيهَا « مَنَعَا » وَ « مَكْرَمَا » لَجَازَ أَنْ يَجِيءَ فِيهَا « كَمَا هُمَا » عَلَى أَنْ
تُجْعَلَ الْأَلْفُ فِي « كَمَا » لَعْوًا . فَإِذَا كَانَتْ الْأَلْفُ فِي كَلِمَةٍ وَبَعْدَهَا كَلِمَةٌ ،
لَيْسَتْ كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ ، فَإِنَّهَا لَا تُجْعَلُ تَأْسِيسًا ، كَمَا قَالَ الْعَجَّاجُ :

فَهِنَّ يَمَكْفَنُ بِهِ إِذَا حَجَا عَكْفَ النَّبِيْطِ يَلْعَبُونَ الْفَنَزَجَا^(٢)

فَأَلْف « إِذَا » لَيْسَتْ أَلْفُ تَأْسِيسٍ ، لِأَنَّ « حَجَا » لَيْسَتْ كَلِمَةٌ
مُضْمَرَةٌ وَلَا فِيهَا حَرْفٌ إِضْمَارٌ . فَهَذَا رَأْيُ الْمُتَقَدِّمِينَ . وَلَا يَمْتَنِعُ فِي حِكْمِ

(١) فِي الدِّيَوَانِ : « لَمْ يَشْرِكُوا »

(٢) الْفَنَزَجُ : الزَّوَانُ . قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ : وَقِيلَ : هُوَ اللَّعْبُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ : الدِّسْتَبَنْدُ ،
يَعْنَى بِهِ رَقْصُ الْمَجْرِسِ . وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : هُوَ رَقْصُ الْعَجْمِ إِذَا أَخَذَ بَعْضُهُمْ يَدَ بَعْضٍ وَهُمْ يَرْقُصُونَ :
وَعَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ : أَنَّ الْفَنَزَجَ هُوَ لَعْبُ النَّبِيْطِ إِذَا بَطَرُوا .

الغريزة أن تكون الألف تأسيساً وبعدها كلمة ليس فيها إضمار، مثل: «شِم» و «طِر» .

ومن الأبيات الموضوعات للمعاني :

أقولُ لعبد الله لما سيقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس وهاشم
فهذا الغز قوله « وهى شِم » « وهى » ، من الوهى ؛ و « شِم » من
شيم البرق ، عن قوله « وهاشم » إذا كان هاشم اسم رجل . فلو جاءت
بعد ذلك « الخضارم » و « الأكارم » و « دائم » ونحوها لكان عندى
غير قبيح ، ويقويه أن شين « شِم » مكسورة .

والغالب على ألفات التأسيس أن يكون ما بعدها مكسوراً ، فقد
ألف فيها هذا النوع حتى صار كأنه لازم ، وقلمما توجد قصيدة مؤسسة
يكون ما بعد تأسيسها مضموماً أو مفتوحاً ، إلا أن تكون قد بُنيت
على المضمر ، مثل قولك « رأهما » و « أتاهما » كما قال :

ألم تر أئني وأبن أسودَ لَيْلَةً لَنَسْرِي إِلَى نَارَيْنِ يَبْدُو سَنَاهُمَا
ومن عاداتهم إذا بنوا القصيدة على هذا القَرِي^(١) أن يلزموا فيها
المُضْمَر ، إلا أن يشدَّ شيء فيجىء على غير الإضمار . أو تكون القصيدة
المؤسسة التي بعد تأسيسها فتحة مبنية على كاف إضمار ، مثل أن تبني
على « أصابك » و « أشابك » ونحو ذلك .

(١) القرى : السنن والنهج . قال ابن الأعرابي : تمنح عن سنن الطريق وقرية وقرقه ، بمعنى واحد .

والتأسيس له ثلاث منازل ، فالأولى أن يكون بينه وبين اقتضاء البيت حرفان ، وذلك في الشعر المقيد كقوله :

نَهْنَهُ دُمُوعَكَ إِنَّ مَن يَبْسُكِي مِنَ الْخَدَّانِ عَاجِزٌ

والثانية أن يكون بين التأسيس وبين اقتضاء البيت ثلاثة أحرف ، وذلك في الشعر المطلق الذي لا يلزمه خروج ، كقوله :

يُدِيرُونَنِي عَنْ سَالِمٍ وَأَدِيرُهُمْ وَجِلْدَةٌ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ سَالِمٌ^(١)

فألف « سالم » تأسيس ، واللام دخيل ، والميم روى ، والواو التي بعد الميم وصل .

والثالثة أن يكون بين حرف التأسيس وبين اقتضاء البيت أربعة أحرف ، وذلك في الشعر الذي يلزمه الخروج كقوله :

يُوشِكُ مِنْ فَرٍّ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَافِقُهَا^(٢)

وأما الردف فألف ، أو واو أو ياء ساكتتان تكونان قبل الروى ، ولا حاجز بينهما وبينه . فأما الألف فلا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً . وأما الواو والياء فيجوز أن تختلف حركات ما قبلهما ، وهما في ذلك رِدْفَانِ .

(١) البيت لعبد الله بن عمر في ابنه سالم . ويزوى : « وأرينهم » مكان « وأديرهم » . ويقال للجلدة التي بين العين والأنف « سالم » . جعل ابنه لهبته إياه بمنزلة هذه الجلدة .
(٢) البيت لأمية بن أبي الصلت .

وللردف ثلاث منازل، إما أن يكون بينه وبين اقتضاء البيت حرف واحد، وذلك في الشعر المقيّد، كقول طرفة:

وجاملٍ خَوَّعَ من نِيبِهِ زَجْرُ المَعْلَى أَصْلاً والمَنِيعِ^(١)

فالياء في « المنيع » ردف . وكذلك الواو في قول الراجز^(٢) :

هل تعرف الدار بأعلى ذى القُورِ قد درست غيرَ رماد مكفُورِ^(٣)

(١) الجامل : الجمال . وقيل : هى قطع من الإبل معها رعيانها وأربابها ، كالبقر والباقر .

قال الخطيئة :

فإن تك ذا مال كثير فإنهم لهم جامل ما يهدأ الليل سائره
أراد بالسامر: الرعاة لكثرتهم لا ينامون . وقيل: الجامل جماعة من الإبل تقع على الذكور والإناث،
فإذا قلت : الجمال والجمالة ، فى الذكور خاصة . وروى أبو الهيثم عن أعرابي أن الجامل الحى
العظيم ، وأنكر أن يكون الجامل الجمال ، وأنشد :

* وجامل حوم يروح عكره *

ثم قال : ولم يصنع الأعرابي شيئاً فى إنكاره أن الجامل: الجمال . وقال الأزهري ، وأما قول طرفة :

وجامل خوع (البيت)

فإنه دل على أن الجامل يجمع الجمال والنوق ، لأن النيب إناث ، وأحدتها ناب .

وخوع : نقص ، لازم ومتعد ، والمراد هنا على الثانى . ويروى : « وخوف » والمعنى واحد ،
كما يروى « من نيبته » مكان « من نيبه » أى من نسله . والمعلى ، بفتح اللام : القدح السابع فى الميسر ،
وهو أفضلها ، إذا فاز حاز سبعة أنصباء من الجزور . والمنيع : القدح المستعار ، وقيل هو
الثامن من قداح الميسر . وقال اللحياني : هو الثالث من القداح الغفل التى ليست لها فرض
ولا أنصباء ولا عليها غرم ، وإنما تشغل بها القداح كراهية التهمة ، وهى أربعة : المصدر ثم المضعف
ثم المنيع ثم السفيح . ويروى بيت طرفة أيضاً « بالسفيع » مكان « المنيع » . يعنى ما ينحرف فى
الميسر منها .

(٢) هو منظور بن مرثد الأسدى .

(٣) كذا فى اللسان « قور » . والقور : جمع قارة ، وتجمع أيضاً على قار وقيران .

وهى الصخرة السوداء ، وقيل : العظيمة أصغر من الجبل . كما قيل هى الجبيل الصغير الأسود
المنفرد شبه الأكمة . وقوله : بأعلى ذى القور ، أى بأعلى المكان الذى بالقور . « ودرست =

فالواو في « قور » و « مكفور » ردف ، وليس بعدهما من بناء البيت إلا حرف واحد . وكذلك يجوز أن يقع ما قبل الياء والواو الفتحة في الشعر المقيد ، « فالواو » كقول الراجز :

مالك لا تنبج يا كلب الدوم^(١) بعد هُدوء الحى أصوات القوم
قد كنت نبأحا فما لك اليوم

والياء كقول الآخر :

يمنها شيخٌ بجدَّيه الشيب لا يحذر الريب إذا خيف الريب

والألف في المقيد كقوله :

ما هاج حسنَ رؤومِ المقامِ ومظعن الحى ومبنى الخيامِ

وإمّا أن يكون بين الردف وبين اقتضاء البيت حرفان ، وذلك في الشعر المطلق الذى لا خروج له ، كقوله :

.. إلخ » أى قد درست معالم الدار إلا رماداً مكفوراً ، وهو الذى سفت عليه الريح التراب فغطاه وكفّره .

(١) الدوم : شجر المقل ، وهو من ضخام الشجر ، الواحدة دومة . وقال أبو حنيفة : الدومة تعبل وتسمو ولها خوص كخوص النخل وتخرج أقتاء كأقتاء النخلة . وقال أبو زياد الأعرابي : إن من العرب من يسمى النبق دوماً . وقال ابن الأعرابي : الدوم : ضخام الشجر ما كان . ومنه قول الشاعر :

تَّقُوهُ أَيُّهَا الْفِتْيَانُ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ غَلَبَ الْجُدُودَا^(١)

وكقوله في الواو المفتوح ما قبلها :

وَمَشِيهِنَّ بِالْخَيْبِ مَوْزٌ كَمَا تَهَادَى الْفِتْيَاتُ الزَّوْرَ^(٢)

وكقوله في الألف :

أَقَلَّ اللَّوْمُ حَاذِلَ وَالْعِتَابَا^(٣)

وكقوله في الياء المكسور ما قبلها :

بَصَبَصْنِ بِالْأَذْنَابِ إِذْ حُدِينَا^(٤)

وكقوله في الياء المفتوح ما قبلها :

(١) تقاه يتقيه ، مثل اتقاه يتقيه . وتقول في الأمر : تق ، وللمرأة تقى . قال عبد الله

ابن همام السلولى :

زيادتنا نمان لا تنسينها تق الله فينا والكتاب الذى تتلو

(٢) الخيب : جمع خيبة ، وهى من الرمل كهيئة الفالق والطريقة غير أنها أوسع وأشد انتشاراً وليست لها جرفة . وقيل : الخيب والخبيبة ، واحد : بطن الوادى والحد فى الأرض . والمور : الذهب والحجر فى تردد . والزور : الذى يزورك ، رجل زور ، وقوم زور ، وامرأة زور ، ونساء زور ، يكون للواحد والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحداً ؛ لأنه مصدر . وروى ابن منظور البيت مادة زور :

« ومشين بالكثيب . . . »

(٣) البيت بحرير - وعجزه : « وقولى إن أصبت لقد أصابا »

(٤) البصبصة : تحريك الذنب . قال الأصمى : ومن أمثالهم : فى فرار الجبان وخضوعه :

بصبصن إذ حدين بالأذنان .

أَيَّا سَحَابٍ طَرَّقِي بِخَيْرٍ^(١)

وإمَّا أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اتَّقْضَاءِ الْبَيْتِ ثَلَاثَةٌ أَحْرَفٌ، وَذَلِكَ فِي الشَّعْرِ الَّذِي لَهُ خُرُوجٌ، وَلَا بُدَّ قَبْلَ خُرُوجِهِ مِنَ الْمَاءِ الْمُتَحَرِّكَةِ، كَقَوْلِ كَثِيرٍ :

فَلَمْ تُبَدِّلِي يَأْسًا فِي الْيَأْسِ رَحْمَةً^٢ وَلَمْ تُبَدِّلِي جُودًا فَيَنْفَعِ جُودَهَا

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الرَّدْفُ وَالرَّوْيُ مِنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلِمَتَيْنِ، لَا اخْتِلَافَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ. فَكُونُهُمَا مِنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، كَقَوْلِ الرَّاجِزِ :

إِنَّ الْقُبُورَ تُنَكِّحُ الْأَيَّامِي^(٢) وَتُشَكِّلُ الْأَصَاغِرَ الْيَتَامَى

والمراء لا يبقى له سلامي^(٣)

فَالْأَلْفُ الْأُولَى فِي « الْأَيَّامِي » وَ « الْيَتَامَى » وَ « السَّلَامِي » رَدْفٌ. وَالْمِيمُ رَوِي. وَالْأَلْفُ الثَّانِيَّةُ، الَّتِي هِيَ فِي الْفِظِ أَلْفٌ، وَبَعْضُ الْكِتَابِ

(١) سحاب : مرخم « سحابة » اسم امرأة . وتطريق المرأة وكل حامل : إذا خرج من الولد نصفه ثم نشب . فيقال : طرقت ثم خلصت . ومنه في الداوية :
* قد طرقت ببيكرها أم طبق *

(٢) الإنكاح : التزويج .

(٣) السلامي : جمع سلامية ، وهي الأتملة من الأصابع ، وقيل : واحده وجمعه سواء . وقيل :

السلامي : كل عظم مجوف .

يصورها ياء، تكون في هذا الشعر وصلا . ويجوز أن تجيء معها بمثل قولك : « إذا ما » و « على ما » فيكون الردف والروى من كلمتين . ولا يمتنع أن يكون معها « سلاما » و « غلاما » فتكون ألف الوصل بدلا من التنوين ، والتنوين ليس من نفس البنية . قال بشر بن أبي خازم :

فَسَعَدًا فَسَائِلُهُمُ وَالرَّبَابَ وَسَائِلُ هَوَاظِنَ عَنَا إِذَا مَا

لَقَيْنَاهُمْ كَيْفَ نُعَلِّمُهُمْ بَوَاتِرَ يَفْرِينِ يَمِضًا وَهَامَا

وكذلك يجوز في المرفوعات أن تجيء بقافية على قولك « يا دُو » أى يحتل ، وتكون الهمزة مخففة لتكون ردفا ، ثم تقول : « أَلَا دُوَا » ، تريد : « دُوا » من الدية . ثم يجوز مع ذلك « يعاد » من العيادة ، على أن تلحقه واو الترتيم .

والوصل يكون واوًا أو ياء أو ألفا أو هاء . فالياء والواو والألف لهن منزلة واحدة يكنن في آخر البيت ، وطالما حُذفن في الوقف . فالواو كقول الشاعر^(١) :

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ قَارَبُوا قَيْدَ فَحْلِهِمْ وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهُوَ سَارِبٌ^(٢)

(١) هو الأخنس بن شهاب التقي .

(٢) السارب : الذى اتجه للمرعى . وقال الأصمعى في هذا البيت : هذا مثل ، يريد أن الناس أقاموا في مريض واحد لا يجترئون على النقلة إلى غيره . وقاربا قيد فحلهم ، أى حبسوا فحلهم عن أن يتقدم ، فتتبعه إبلمهم ، خوفاً أن يغار عليها . ونحن أعزاء نقتري الأرض نذهب فيها حيث شئنا ، فنحن قد خلعنا قيد فحلنا ليذهب حيث شاء ، فحيثما نزع إلى غيث تبعناه .

والياء كقوله :

إِذَا قُلْتُ يَا قَدْ حَلَّ دَيْنِي قَضَيْتَنِي أَمَانِي عِنْدَ الزَّاهِرَاتِ الْعَوَاتِمِ^(١)
والألف كقول لييد :

لَعِبْتُ عَلَى أَكْتافِهِمْ وَحُجُورِهِمْ وَلِيداً وَسَمَوْنِي مُفِيداً وَعَاصِمَا
والهاء إذا كانت ساكنةً فنزلتها كمنزلة هذه الحروف . وذلك
كقول جرير :

لَنَا كُلُّ مَشْبُوبٍ يُرَوَّى بِكَفِّهِ غِرَارًا سِنَانٍ دَيْلَمِيٍّ وَعَامِلِهِ^(٢)
فالهاء وصل .

وإذا كان الوصل متحركاً فينبه وبين أن تقضاء البيت حرف ساكن ،
وهو الذي يسمّى الخروج ، يكون واواً أو ياء أو ألفاً . فالواو
كقول الشاعر :

يَنْزُو عَلَيْهَا بِمَجْزَجٍ لَقِحَتْ مِنْهُ وَشَرُّ الْخَلْقِ بِمَجْزَجِهِ^(٣)
والياء كقول أبي النجم :

فَاتَّقِضْ مِثْلَ النَّجْمِ مِنْ سَمَائِهِ رَجْمٌ بِهِ الشَّيْطَانُ فِي ظَلَمَائِهِ

(١) الزاهرات العواتم ، هي نجوم الشتاء ، التي تظلم من الغبرة التي في السماء ، وذلك في الجذب .
أى إنه غير موقٍ دينه إذ كان الجذب أجله .

(٢) رجل مشبوب : جميل حسن الوجه ، وقيل هو الذكي الفؤاد الشهم . وغرار السنان :
حده . وفي اللديان : « جناحا سنان » . وعامل السنان : صدره .

(٣) البجرج : من الناس القصير العظيم البطن .

والألف كقول عدى :

لم أَرِ مِثْلَ الْفِتْيَانِ فِي غَيْرِ الْـ أَيَّامٍ يَدْرُونَ مَا عَوَّاقِبُهَا
ولا يكون الخروج آخر حرف في البيت .

فهذه خمسة أحرف لهن اثنتا عشرة منزلةً : للروى ثلاث ،
وللتأسيس ثلاث ، وللردف ثلاث ، وللوصل اثنتان ، وللخروج
واحدة . فإذا جاء بيت مؤسس وبيت غير مؤسس فذلك عيبٌ ،
يزعمون أنه يسمى « السناد » ، وهو قليل . وقد زعموا أن
العجاج قال :

يا دارَ ساميَ يا أسلمى ثمَّ اسلمى بسمسمٍ أو عن عيين سسم^(١)
وقال فيها :

نخندفُ هامةٌ هذا العالم

ورووا أن رُوْبَةَ كان يَمِيب هذا من كلام أبيه . وحكى يونس
أنَّ العجاج كان يهجز « العالم » ، فإن صحَّ هذا فلا سناد في البيت .
ويحسن من السناد، الذي يجي في المطلق المؤسس ، أن تكون حركة
الدخيل فتحة ، لأنه يقربُ بذلك من المجرد . والمجرد : الذي لا يلزمه
إلا الروى والوصل إذا كان مُطلقاً ، والروى وحده إذا كان مقيداً .

(١) سسم : اسم موضع . ونخندف : امرأة إلياس بن مضر بن نزار واسمها ليلى ، وإليها

نسب ولد إلياس .

وفي مجيء الفتحة بعد التأسيس ما يُخرج السامعَ عن العادة ، لأنَّ
أكثر ما أُسس من أشعار العرب إنّما يكون بعد ألفه كسرة ،
كـ « حامل » و « راسم » .
وفي قصيدة العجاج :

مُـكْرَمٌ لِلأَنْبِيَاءِ خَاتِمِ

فإن روى بكسر التاء فهو أشنع ، وإن روى بفتحها فهو أسهل ،
وإن هُهمز فقد خرج من علة السناد .

وإذا جاء بيت بردفٍ وبيت لاردفٍ فيه ، فذلك سناد أيضاً ،
مثل أن يجيء « الصَّرْف » مع « الطَّوْف » و « القَيْل » مع « القَوْل » .
وقد روى أَنَّ الحُطَيْبَةَ قال :

إلى الرُّومِ والأحبوشِ حتى تناولا بأيديهما مالَ المرازبةِ الغُلفِ^(١)
وبالطَّوْفِ نالا خيراً ما ناله الفتى وما المرءُ إلا بالتقلُّبِ والطَّوْفِ^(٢)

فجاء : « الطوف » مع « الغلف » . وإنما يستعملون هذا في الواو
التي قبلها فتحة ، أو الياء التي ما قبلها مفتوح أيضاً . فإذا انضمَّ ما قبل
الواو وانكسر ما قبل الياء كَمَل فيهما اللين . واستقبحوا أن يجيئوا

(١) المرازبة ، معرب ، الواحد مرزبان ، بضم الزاي ، من الفرس ، وهو الفارس الشجاع
المقدم على القوم دون الملك . وفي الحديث : أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم . والغلف :
جمع أغلف ، وهو الذي لم تقطع غرلته ، أي لم يختن .
(٢) الطوف : المصدر من طاف يطوف ، إذ جال وسمى .

بهما مع الحروف المُصمّتة ، مثل أن يجيئوا بـ «عود» مع «جُند»
و «زَند» ، أو بـ «هَير» مع «سَتر» و «فَتر» .

فأمّا الأبيات التي تُنسَب إلى الكاهنة التي لها حديث مع
عبد الله بن عبد المُطلب ، أعنى قولها :

إِنِّي رَأَيْتُ نَعْمَةً بَرَقَتْ بِيضَاءَ بَيْنِ حَنَاتِمِ الْقَطْرِ^(١)
وظننته شرفاً لصاحبه ما كلُّ قاذح زنده يُورِي
فإن الواو قويت لأنّ بعد الراء ياء أصلية يجوز أن تُجعل رويًا ،
ولا يمتنع أن تكون لغة الكاهنة الهمز ، على لغة من قال «مُوسَى»
فهمز الواو لمجاورة الضمة ، كما يهمزها إذا كانت الضمة فيها موجودة .
وقد يجوز أن تكون من باب السناد . فإن صحّ فهو أشنع
ما يكون .

وإذا اختلف الروى فكان مرةً دالا ، ومرة ذالا أو سينا وشينا ،
أو نحو ذلك من الحروف المتقاربة ، فهو الذي يُسمى الإكفاء .
قال الراجز :

قد علمت بيضٌ يَمِسْنَ مَيْسًا أَلَا أزالُ قَقَّةً ورَيْشًا
حتى قتلت بالكريم جَيْشًا

وأما الوصل فإذا اختلف ، فكان مرة واوا ومرة ياء ، فذلك الإقواء .

(١) الحناتم : صحائب سود ، الواحدة حنتمة .

وأما هاء الوصل إذا كانت ساكنة فإنها لا تحتل أن تُغيّر ،
وإذا كانت متحركة فقاما يلحقها التغيير .

وزعم أبو عمر الجرمي أنه لم يسمعه ، وإن جاء فهو نحو الإقواء .
وأما الخروج فتغيره متعلق بتغير هاء الوصل ، لأنه لا يوجد إلا
وهي متحركة ، فإن جاء فهو نحو الإقواء .

وأما الحركات ، فمنها « الرس » وهي فتحة ما قبل التأسيس ، وقد
ذكرها الخليل وابن مسعدة . وكان الجرمي يقول : لا حاجة إلى ذكر
الرس ، لأن ما قبل الألف لا يكون إلا مفتوحاً . وهذا قول حسن ،
إذا كانوا إنما أوقعوا التسمية على ما تلزم إعادته ، فإذا فقد أخل .
وهذه حركة لا يجوز عندهم أن تكون غير الفتحة ، ولا حاجة إلى ذكرها
فيما يلزم .

ومن الحركات « الإشباع » وهو حركة الحرف الذي بين ألف
التأسيس وحرف الروي في الشعر المطلق ، وذلك الحرف يسمى
« الدّخيل » . ويقال إن الخليل لم يذكر الإشباع ، وإن سعيد بن مسعدة
ذكره ، فيجوز أن يكون أسماً وضعه ويجوز أن يكون تلقاه عن
قبله من أهل العلم .

وقد رُئي في القوافي كتاب للفراء ، وكتاب لخلف بن حيان ،
فإن لم يخلوا من ذكر الإشباع فهذا يدل على أن سعيد بن مسعدة أخذ
هذا الأسم عن غيره ، إذ كان هذان الرجلان في القدم نظيره ، ويجب

أن يكون « خلف » مات قبله بمدة طويلة ، فأما موته وموت الفراء فهُم تقاربان . وهذه الأسماء الموضوعة لا يعقل مثلها سُكَّانُ العَمَد . فإن كانت تُلقِّيت عن العرب فيجب أن يكون من أخذ عنه ذلك يعرف حروف المعجم ، ويقرأ الصحف . وقد كان فيهم رجال يقرءون ويكتبون ، ويعرفون مواقع الحروف .

وقد ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام في المصنّف ، باباً للقوافي ، وأسند بعض ألقابها عن الشيوخ . فهذا يدل على أنه كان يعتقد أنها مأخوذة عن العرب كما تُؤخذ عنهم اللغة . فإن كان الأمر على ما ذهب إليه فيحق أن يكون المأخوذُ عنه متميّزاً من الطَّغَام ، لا يجهل منزلة الميم من النون ، ولا الباء من الفاء .

وقد توسع الذين وضعوا كتب القوافي في الإشباع حتى جعلوه حركة ما قبل الروي في الشعر المطلق ، وإن كان غير مؤسس ، فقالوا في قول الأخطل :

عفا واسط من آل رضوى فنبتل فمجتمع الحرين فالصبر أجمل^(١)

فتحة التاء في « نبتل » ، والميم في « أجمل » إشباع . ولا يحسن أن يكون الأمر كذلك ، لأن هذه الحركة ليست لازمة ، ولا يُنكر

(١) واسط : قرية بالخابور . ورضوى ونبتل : بالشام . والحران : واديان .

تَغْيِرُهَا السَّمْعَ ، وَإِنَّمَا تُنْكَرُ الْفَرِيزَةُ تَغْيِيرَ حَرَكَةِ الدَّخِيلِ ، وَإِذَا أَصَابَهَا التَّغْيِيرُ فَهُوَ سِنَادٌ .

وَأَكْثَرُ مَا جَاءَتْ حَرَكَةُ الدَّخِيلِ كَسْرَةً ، فَإِذَا جَاءَتْ الضَّمَّةُ أَوْ الْفَتْحَةُ فَذَلِكَ هُوَ الْمَكْرُوهُ ، وَالضَّمَّةُ مَعَ الْكَسْرِ أَيْسَرُ ؛ لِأَنَّهَا أَخْتَانُ ، وَالْفَتْحَةُ مَعَهُمَا أَشْنَعُ . وَيَدُلُّكَ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ مَجِيئَهُمْ بِالضَّمَّةِ مَعَ الْكَسْرِ أَكْثَرُ مِنْ مَجِيئِهِمْ بِالْفَتْحَةِ مَعَ إِحْدَى الْحَرَكَتَيْنِ . وَقَدْ جَاءَ النَّابِغَةُ بِالضَّمَّةِ مَعَ الْكَسْرِ ، فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ شِعْرِهِ ، فَقَالَ فِي الْعَيْنِيَّةِ :

* يُرِيدُنْ إِلَّا سِيرُهُنَّ تَدَافِعُ *

فَضَمَّ الْفَاءَ ، وَحَرَكَةُ الدَّخِيلِ مَكْسُورَةٌ فِي كُلِّ آيَاتِ الْقَصِيدَةِ ، سِوَى هَذَا الْبَيْتِ . وَقَالَ فِي اللَّامِيَةِ الَّتِي أَوْلَاهَا « دَعَاكَ الْهُوَى وَاسْتَجْهَلْتِكَ الْمَنَازِلُ

وَكَيْفَ تَصَابِي الْمَرْءَ وَالشَّيْبُ شَامِلٌ » :

مُجُودًا لَهُ غَسَّانُ يَرْجُونَ فَضْلَهُ
وَتُرْكُ وَرَهْطُ الْأَعْجَمِيِّينَ وَكَأْبُلُ

وَقَالَ أَيْضًا فِي أُخْرَى :

لَقَدْ قَلْتُ لِلنُّعْمَانِ لَمَّا رَأَيْتُهُ يُرِيدُ بَنِي حُنَّ بِشُعْرَةٍ صَادِرِ
تَجَنَّبَ بَنِي حُنَّ فَإِنَّ لِقَاءَهُمْ كَرِيهٌ وَإِنْ لَمْ تُتْلَقَ إِلَّا بِصَابِرِ

ثم قال فيها :

هُمْ مَنَعُوهَا مِنْ قُضَاءِ كُلِّهَا وَمِنْ مُضِرِّ الْحَمْرَاءِ عِنْدَ التَّغَاوُرِ
وقال الهذلي :

لَعَمْرُ أَبِي عَمْرٍو لَقَدْ سَاقَهُ الْمَنَى إِلَى جَدِّثِ يُوزَى لَهُ بِالْأَهَاضِبِ^(١)
وقال فيها :

فَلَمْ يَرَهَا الْقَرْخَانَ بَعْدَ مَسَائِهَا وَلَمْ يَهْدَأْ فِي عُشِّهَا مِنْ تَجَاوُبِ
وهو كثير . والفتحة في مثل هذا النحو أقل .

وقد زعموا أن ورقاء بن زهير قال :

دَعَانِي زُهَيْرٌ تَحْتَ كَلْكَلِ خَالِدِ

فَجِئْتُ إِلَيْهِ كَالْمَجْبُولِ أَبَادِرُ^(٢)

إِلَى بَطَلَيْنِ يَنْهَضَانِ كِلَاهِمَا

يُحَاوِلُ نَصْلَ السَّيْفِ وَالتَّصْلُ نَادِرُ^(٣)

فَشَلَّتْ يَمِينِي يَوْمَ أَضْرِبُ خَالِدًا

وَيَمْنَعُهُ مَنَى الْحَدِيدِ الْمَظَاهِرِ^(٤)

(١) المنى : القدر . ويوزى : ينصب . تقول : أوزيت الشيء ، إذا أشخصته ونصبته ،

والرواية في بعض الأصول : « إلى قدر يوزى » .

(٢) الكلكل : الصدر ، وخالد ، هو ابن جعفر الذي قتل زهيراً سيد بني عيس .

(٣) نادر : ساقط .

(٤) عنى بالحديد هنا : الدرع ، فسمى النوع الذي هو الدرع ، باسم الجنس الذي هو

الحديد . والمظاهر ، من التظاهر . وهو أن يلبس إحدى الدرعين فوق الأخرى .

وقد جاءت أشياء من هذا النحو إلا أنها أقل من النوع الأول .

ومن الحركات : « الحدو » ، وهو حركة ما قبل الـرَدْف ، فإذا كان ألفاً ، فالألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً ، ويلزم أبا عمرو الجرْمُ ألا يجعل [حركة ما قبل] الألف حذواً ، كما لم يجعل [حركة ما قبل] التأسيس رَسًا . وإذا كان الـرَدْف واواً فأكثر ما استعمل ما قبله [مضموماً . وإذا كان ياءاً فأكثر ما استعمل ما قبله] مكسوراً . ويجوز الواو المضموم ما قبلها مع الياء المكسور ما قبلها ، ولا يجتنب ذلك أحدٌ منهم . قال عمرو بن كلثوم :

ألا هبِّي بصَحْنِكِ فأصْبَحِينَا ولا تُبْقِي خُمُورَ الأندرينَا^(١)
ثم قال فيها :

ذراعِي عَيْطَلِ أدماءِ بَكْرِ تربَّعتِ الأجارِعَ والمُتونَا^(٢)

(١) الصحن : القدح لا بالكبير ولا بالصغير . والجمع أصحن وصحان . وقال ابن الأعرابي : أول الأقداح العنبر ، وهو الذي لا يروى الواحد ، ثم القعب يروى الرجل . ثم العس يروى الرَدْف ، ثم الصحن ، ثم التبن . واصبحينا : اسقيننا الصبوح ، وهو ما يشرب بالغداة مما دون القائلة . وأندرين : قرية في جنوبي حلب بينهما مسيرة يوم للراكب في طرف البرية ليس بعدها عمارة . قال ياقوت : رهي الآن خراب ليس بها إلا بقية الجدران ، وإياها عنى عمرو بن كلثوم بقوله ، ثم ذكر البيت وقال : وهذا مما لا شك فيه . وقد سألت عنه أهل المعرفة من أهل حلب فكل وافق عليه . وقد تكلف جماعة اللغويين لما لم يعرفوا حقيقة اسم هذه القرية وأجأتهم الحيرة إلى أن شرحوا هذه اللفظة من هذا البيت بضر وب من الشرح .

(٢) ذراعى ، مفعول للفعل « تريك » في بيت سابق . والعيطل : الطويلة . يريد ظبية . وقيل هي الطويلة العنق . والأدماء : البيضاء . والبكر : التي لم تلد : ، وقيل : التي ولدت ولداً واحداً . وتربعت : رعت نبت الربيع . والأجارع : جمع أجرع وجرعاء ، وهو من الرمل ما لم يبلغ أن يكون جبلاً ، والمتون : جمع متن ، وهو ما غلظ من الأرض .

وجاء بالواو في غير موضع من القصيدة ، والياء عليها أغلب . وقال

المجيمح الأسدي :

أَمَّا إِذَا حَرَدَتْ حَرْدَى فَمُجْرِيَةٌ ضَبَّاءُ تَمْنَعُ غِيلاً غَيْرَ مَقْرُوبٍ^(١)
وَإِنْ يَكُنْ حَادِثٌ يُخْشَى فِدْوَعَلِقٍ تَظَلُّ تَزْبِرُهُ مِنْ خَشْيَةِ الذَّيْبِ^(٢)

فضمة راء « مقروب » حذو ، وكذلك كسرة ذال « ذيب » ،

ومثل هذا كثير موجود لا يُهجر ولا يعاب .

وإذا انفتح ما قبل الواو حُسُنْ عندهم أن تجيء مع الياء المفتوح

ما قبلها ، ولم يروا ذلك عيباً ، كما قال بعض اللُصوص :

أَقْلَى عَلَى اللَّوْمِ سَاحِبَةَ الذَّيْلِ فَلَا بُدَّ أَنْ تُسْتَطْرِدَ الْخَيْلُ بِالْخَيْلِ

ثم قال فيها :

أَصْدَقَ وَعَدَى وَالْوَعِيدَ كَلَيْهِمَا وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يُرَى صَادِقَ الْقَوْلِ

ولم يفرّقوا بين المُقَيَّدِ والمطلق في مجيء الواو المضموم ما قبلها مع

الياء المكسور ما قبلها ، والياء التي قبلها فتحة مع الواو التي ما قبلها

مفتوح . وأنا أفرّق بين المطلق والمقيد ، وأعدّه في المقيد أشدّ ؛ لأنّ

(١) حردت حردى : قصدت قصدى . والمجرية : ذات الجراء ، وهو جمع جرو . والجرداء :

المتساقطة الشعر . والغيل : الأجمة والشجر الملتف . شبه امرأته إذا واثبتته باللبؤة التي تمنع غيلها وفيه جرائها فلا يقربه أحد ، وهي حين تكون ذات جراء أشرس وأقوى .

(٢) علق : جمع علقة ، بالكسر ، وهو قميص لا كمين له يتخذ للصغير ، وتزبره : تزجره .

الروي لا يكون بعده ما يُعتمد عليه . قال الراجز في الواو المضموم
ما قبلها مع الياء التي قبلها كسرة :

إنْ تَشْرَبِي اليَوْمَ بِحَوْضٍ مَكْسُورٍ فَرَبَّ حَوْضٍ لِكَ مَلَانَ السُّورِ
مَدَوَّرٍ تَدْوِيرَ عَشِّ العُصْفُورِ خَيْرُ حِيَاضِ الإِبِلِ الدَّعَاثِيرِ^(١)
فهذا عندي أقبح منه إذا استعمل في الشعر المطلق .

وقال الراجز في الفتحة مع الواو والياء ، والقافية مقيّدة ، في
صفة الحرباء :

ملعونَةٌ تَسْلُخُ عَن لَوْنِ لَوْنٍ كَأَنَّهَا مَلْتَفَةٌ فِي بَرْدَيْنِ
وإذا جاءوا بالضمّة والكسرة مع الفتحة فذلك عندهم عيب ، وهو من
السناد ، ويجب أن يكون في المقيد أشنع . قال عمرو بن معدى كرب :
تَقُولُ ظَعِينَتِي لِمَا رَأَتْهُ شَرِيحًا بَيْنَ مُبْيِضٍ وَجَوْنٍ^(٢)
تَرَاهُ كَالثَّغَامِ يُعَلِّ مِسْكًَ يَسُوءُ الفَالِيَاتِ إِذَا فَالَيْتَنِي^(٣)

(١) الدعائير : ما تهدم من الحياض والجوابي والمراكي ؛ الواحد دعشور . وقيل : الدعشور :
يحفز حفراً ولا يبني وإنما يحفره صاحب الأول يوم ورده .

(٢) الظعينة : المرأة تكون في هرجها . ثم كثر ذلك حتى سماها زوجة الرجل ظعينة . وقيل :
أكثر ما يقال ، «الظعينة» للمرأة الراكبة . والهاء في «رأته» لشعره . وشريحاً ، أي قد قسم قسمين .
والجون : الأسود .

(٣) الثغام : نبت على شكل الحلى ، من مراتع أهل البادية إلا أنه أغلظ منه وأجل عوداً ،
يكون في الجبل ينبت أخضر ثم يبيض إذا يبس . وقال الأزهري : هو نبات ذو ساق ، جاحته مثل
هامة الشيخ . وقال أبو عبيد : هو نبت أبيض الثمر والزهر ، يشبه بياض الشيب به ، ويعل ، أي
يطيب مرة بعد مرة ، والفاليات : النساء يبحثن الرأس عن القمل . وفليتي ، أراد «فليتي» بنونين ،
فحذف لإحداهن استثقالا للجمع بينهما . وقال الأخفش : حذفت النون الأخيرة لأن هذه النون وقاية
للفعل وليست باسم .

فهذا لا يكره ، لأن ما قبل الياء والواو فتحة . وقال أيضاً فيها :

لصاصلة اللّجامِ برأسٍ مُهرٍ أحبُّ إلىَّ من أن تنكحيني
فكسرة الحاء في «تنكحيني» سناد .

وأما الألف فلا يشرّكها غيرها في المطلق ولا المقيد .

ومن الحركات « التوجيه » ، وهو حركة ما قبل الروى في الشعر المقيد . وكان الخليل يرى الضمة مع الكسرة جائزة ، وينكر معها .

الفتحة . وزعموا أنه كان يجعله من السناد . وكان سعيد بن مسعدة^(١) لا يرى ذلك عيباً ، لكثرة ما استعمله الفصحاء . قال أبو ذؤيب :

عرفتُ الديارَ لأُمِّ الرّهينِ بين الطّبّاءِ فَوادِي العُشْرِ^(٢)
أقامت به وابتنت خيمةً على قصبٍ وفُراتِ النَّهرِ

ثم قال فيها :

نجاء وقد فصلّته الجنو بـُ عذّب المذاقة بسراً خَصِر^(٣)

ومثل هذا كثير .

(١) هو الأخفش الأوسط أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي الباهلي . ويقال إنه هو الذي زاد في العروض بحر الحجب ، وكان الخليل قد جعل البحور خمسة عشر فأصبحت ستة عشر . وكانت وفاته سنة ٢١٥ من الهجرة .

(٢) قال ابن منظور : « رهين والرهين : اسمان » ثم أورد بيت أبي ذؤيب هذا . والطباء ، بالضم : واد بهامة . وعشر : شعب لهذيل يصب من داءة ، وهو جبل يحجز بين نخلتين .

(٣) البسر ، بالضم والفتح : الماء الطرى الحديث العهد بالمطر ساعة ينزل من المزن ، والجمع بسار . والخصر : البارد من كل شيء .

ولم يفرقوا بين المقيد المجرد والمقيد المؤسس ، وهو عندي في
المؤسس أقبح ، لأنه يختلف الحرف بالحركات بين حرفين لازمين .
وإذا كان المقيد مجردا لم يكن قبل التوجيه حرف لازم .

ومن المؤسس المقيد الذي اختلفت فيه الحركة قولُ الخطيئة :

هاجَتِكَ أَظْعَانٌ لِيَلِي يَوْمَ نَازِرَةٍ بِوَاكِرٍ^(١)

ثم قال فيها :

الواهب المائة الصفا يافوقها وبر مظهر^(٢)

ومن الحركات « المَجْرِي » وهي حركة حرف الروى ، فإذا اختلفت
فهو الإقواء . وأكثر ما يجيء في المرفوع والمنخفض . ويقال : إنهم
اجتروا على ذلك ، لأنهم يقفون على الروى بالسكون . وإنما أجازوا
ذلك في المرفوع والمنخفض ، وكرهوا الفتحة أن تجيء مع الكسرة
أو الضمة . فأما الخليل وابن مسعدة فلم يذكرها .

وقد جاءت أشياء في الشعر القديم بعضها منصوب وبعضها مرفوع
أو منخفض ، وإنما يحمل ذلك على الوقف ، لأنه يبعد أن يقول عربي
فصيح له علم بالشعر :

(١) نازرة : جبل من أعلى الشقيق . وقال ابن دريد : موضع أو جبل . وبواكر :

مبكرات .

(٢) الصفايا : النوق الكثيرة اللبن ؛ الواحدة صفي . قال سيبويه : ولا يجمع بالألف والتاء .

لأن الهاء لم تدخله في حد الإفراد . والوبر المظاهر : الكث ، كأنه طبقة فوق طبقة .

ألم تغمض عينك ليلة أرمداء وبت كما بات السليم مسهداً^(١)

فيجىء بالألف ثم يجىء بيت مرفوع أو مخفوض ، إذ كانت الألف منافية للواو والياء .

وإذا حكم بالوقف على القافية فلا فرق بين الحركات الثلاث ، على أن تعاقب الحركتين الكسرة والضمة أكثر من معاقبة الفتحة لإحدى هاتين . وإنما يكثر الإقواء إذا كان الوصل غير هاء ، فأما إذا كانت الهاء بعد الروى ، وكانت متحركة أو ساكنة ، فإنهم يلزمون في الروى حالاً واحدة . وقد جاءت أشياء في شعر الإسلاميين على اختلاف الروى في الحركة وبعده الهاء ، كقول عمران الخارجي :

الحمد لله الذى يعفو ويشدد انتقامه

وقال فيها :

فهناك مجزأة بن ثور ر كان أشجع من أسامه^(٢)

(١) السليم : اللدينغ ، فعيل من السلم ، وهو لدغ الحية . والجمع سلمى ؛ وقيل : هو من السلامة . وإنما ذلك على التفاضل له بها ، خلافاً لما يخدر عليه منه .

(٢) هو مجزأة بن ثور بن زهير بن كعب . ذكر ابن الأثير أن البخارى ذكره في الصحابة ، قال : ولم يثبت . وقال المبرد في الكامل : جعل له عمر رأسه بكر ، فلما أسن فعل عثمان بن عفان ذلك مع ابنه شقيق بن مجزأة . وقتل رحمه الله على تستر هو والبراء بن مالك ، وكانا من أبطال المسلمين . وأسامة : الأسد . وحدث المبرد أن امرأة عمران بن حطان قالت له : أما حلفت أنك لا تكذب فى شعر ؟ فقال لها : أو كان ذلك ؟ قالت : نعم ، قلت ، ثم ذكرت البيت ، وقالت : أياكون رجل أشجع من أسد ؟ فقال لها : ما رأيت أسداً فتح مدينة قط ، ومجزأة بن ثور قد فتح مدينة .

وأشياء نحو هذا كثيرة .

وروى أن أبا عمرو بن العلاء كان يُنشد قولَ الأعشى :

هذا النهارُ بدا لها من همِّها ما بالها بالليل زال زوالها^(١)

فيرفع اللام من « زوالها » والقصيدة معروفة ، واللام فيها كلها

مفتوحة .

ومن الحركات : النَّفَازُ ، وهى حركة الوصل ، كقول لبيد :

عفت الديار محلها فقامها^(٢)

وقلما يغيرون هاء الوصل ، وإن جاء من تغييرها شئ فهو نحو

الإقواء . ومنازل الحركات اثنتا عشرة منزلة : للرسّ ثلاث : إحداها

أن يكون بينها وبين اتقضاء البيت ثلاثة أحرف : التأسيس ، والدخيل ،

والروى ؛ وذلك فى الشعر المقيّد .

والثانية أن يكون بينها وبين اتقضاء البيت أربعة أحرف :

التأسيس ، والدخيل ، والروى ، والوصل ؛ وذلك فى الشعر المطلق الذى

لا تتحرك فيه هاء الصلة .

والثالثة أن يكون بينها وبين اتقضاء البيت خمسة أحرف :

التأسيس ، والدخيل ، والروى ، وهاء الوصل ، والخروج .

(١) البيت من قصيدة فى مدح قيس بن معد يكرب مطلعها :

رحلت سمية غدوة أجمالها غضبى عليك فا تقول بداها

(٢) عجزه : * بمنى تأبد غولها فرجامها *

وللحذو ثلاث منازل : إحداهما أن يكون بينها وبين اتقضاء البيت حرفان : الرِّدْفُ ، والروىّ ، وذلك في الشعر المقيد .
والثانية : أن يكون بينها وبين اتقضائه ثلاثة أحرف : الرِّدْفُ ، والروىّ ، والوصل ، وذلك في الشعر المطلق الذي ليست فيه هاء وصل متحركة .

والثالثة : أن يكون بينها وبين اتقضائه أربعة أحرف : الرِّدْفُ ، والروىّ ، وهاء الوصل ، والخروج ، وذلك في الشعر الذي تتحرك هاء وصله .

وللإشباع منزلتان : إحداهما أن يكون بينها وبين اتقضاء البيت حرفان : الروىّ ، والوصل ، وذلك في الشعر الذي ليس فيه وصل متحرك .

والثانية : أن يكون بينها وبين اتقضائه ثلاثة أحرف : الروىّ ، والوصل ، والخروج .

والحركة عند النحويين بعد الحرف ، فلذلك لم أذكر أن الدخيل فيها يحجز بينها وبين اتقضاء البيت .

والتوجيه ، له منزلة واحدة ، وهى أن تكون قبل اتقضاء البيت بحرف ، لأنها لا تكون إلا في المقيد .

والمجرى ، لها منزلتان : إحداهما أن تكون قبل اتقضاء البيت بحرف ، وذلك في الشعر الذي ليس فيه هاء وصل متحركة .

والثانية : أن يكون بينها وبين أقتضائه حرفان ، وهما هاء الوصل
والخروج ، وذلك في الشعر الذي ليس تتحرك هاء صلته .

والنفاذ ، لها منزلة واحدة ، لأنها لا يكون بعدها إلا خروج .

فذلك اثنتا عشرة منزلة . فإذا جاء في الشعر شيء قد اتفق أن يلزم
قائله شيئاً غير هذه اللوازم فهو متبرّع بذلك . كقول كثير :

خِليّ هَذَا رِيعُ عَزَّةَ فاعِقِلا قَلُوصِيكَا ثم أَبكِيا حيثُ حَلَّتِ (١)

فلزم اللام المشددة قبل التاء ، إلى آخر القصيدة . وقال كثير أيضاً :

أداراً لسامى بالنياع فحمة سألته فلهما استعجبت ثم صمت (٢)

فلزم الميم كما فعل باللام . وقد اختلفوا في بيت من القصيدة الأولى ،

فروى باللام وبالنون ، وهو قوله :

« وَجُنَّ اللواتي قُلْنَ عَزَّةَ جُنَّتْ »

ويروى « جلت » .

وقد فعل الأعشى مثل ذلك في اللام فقال :

فِدَى لَبْنِي ذَهْلُ بِنِ شَيْبانِ ناقِتي وراكِبُها يَوْمَ اللِّقاءِ وقلَّت (٣)

(١) القلوص : الفتية من الإبل ، بمنزلة الجارية الفتاة من النساء . وقيل : هي الثنية . وقيل :
هي ابنة الخاض . وقيل هي كل أنثى من الإبل حين تتركب وإن كانت بنت لبون أو حقة ، إلى
أن تصير بكرة أو تبرك . والرواية في الديوان : « ثم انظرا » مكان « ثم ابكيا » . (٢) النياع :
موضع . ويروى « النباع » بالباء . لم يزد على ذلك ياقوت ، وقال : حمة : موضع أيضاً . والرواية
في الديوان : « أطلال دار بالنباع » . واستعجبت : سكتت .

(٢) صدره : * أصاب الردى من كان يهوى لك الردى * .

ورواه الديوان بيتاً مفرداً ولم يالحقه بالقصيدة الملتزم فيها اللام . ورواه الأغاني بينها .

(٣) راكمها ، يعنى نفسه . وقلت : علت وسمت ، دعاه لبنى ذهل .

هُمُ ضَرَبُوا بِالْحِنُوِّ حِنُوَ قَرَاقِرٍ مُقَدِّمَةَ الْهَامُرِزِ حَتَّى تَوَلَّتْ^(١)
وهذا إنما يفعله الشاعر لقوته ، ولو تركه لم يدخل عليه ضعف .
قال الشنفرى الأزدي^(٢) :

❖ أرى أمَّ عمرو أزمعت فاستقلت^(٣) ❖

وجاء في قوافيها : « سرتى » و « اقشعرت » وغير ذلك .

وأكثر ما اتفق للعرب أن يلزموا حرفاً لا يلزم مع التاء التي
للتأنيث ، أو الكاف التي للإضرار ، لأنها ضعيفتان ، وكتاهما من
حروف الهمس . فأمَّا الهاء فخفيت وشابهت حروف اللين ، وأما التاء
والكاف فمحسوبتان من الحروف الشديدة . وهما قويتان ، إلا أنَّهما
ضارعتا الهاء ، وكذلك ضارعتا الواو التي تكون علامة الجمع في قولك
« ضربوا » والألف في « ضربا » . قال عمرو بن معدى يكرب :

لما رأيت الخيلَ زوراً كأنها جداولُ زرعٍ أرسلت فاسبطرت^(٤)

فلزم الراء المشددة قبل التاء ، ولو جاء فيها : « شلت » . و « جمت »

لم يعب عليه .

(١) الحنو : كل منرج . وحنو قراقير : قرب مكة حيث كانت الواقعة بين الفرس
وبكر بن وائل . والهامرز : من قادة الفرس .

(٢) الشنفرى : شاعر جاهلى من بنى الحارث بن ربيعة . والشنفرى ، اسمه ، وقيل لقب له .
ومعناه : عظم الشفة . وهو ابن أخت تأبط شرا . وكان أحد الثلاثة المدائين ، هو وتأبط شرا وعمرو
ابن براق .

(٣) الرواية في المفضليات : « ألا أم عمرو أجمعت » . وأجمعت وأزمعت ، بمعنى . واستقلت :
ارتحلت . وعجز البيت :

* وما ودعت جيرانها إذ تولت *

(٤) زور : جمع أزور ، من الزور ، وهو الميل . واسبطرت : استقامت .

والمحدثون أشدُّ تحفظاً في هذه الأشياء من المتقدمين ، وقلما يلزمون مثل هذه الحروف . وقد عمل الطائيُّ على قرى كلمة الشنفرى وكلمة الأعشى فلم يلزم شيئاً قبل التاء .

ولو بنيت قواف على « ضربت » و « كتبت » ثم جىء فيها بـ « وزنت » ، لكان ذلك جائزاً بلا اختلاف ، إلا أن القائل إذا قواها بلزوم الباء كان أحسن .

ومن تدبَّر ما ذكر ممن له أيسر غريزة علم أن « وزنت » مع « ضربت » في القوافي أضعف من « خبت » مع « سمت » ، لأن هذه التاء من السنخ . وربما لزمو اللام أو غيرها من الحروف في مثل « فعالك » . و « جمالك » مع تذكير الكاف أو التأنيث ، كقول أبي الأسود :

زهير بن مسعود أحقُّ بما أتى وأنت بما تأتي حقيق بذلك
وخبرني من كنت أرسلت أنما أخذت كتابي معرضاً بشمالكا
نظرت إلى عنوانه ونبذته كنبذك نعلًا أخلقت من نعالكا
فلزم اللام . وقد يجيئون بها على غير لزوم ، كما قال طرفة :

قفي قبل وشك البين يا بنة مالك وعوجي علينا من صدور جمالك
وقال فيها :

ظلمت بذات الطلح عند مُثَقَّب بكينة سوء هالكاً أو كهالك^(١)

(١) ذات الطلح : موضع . ومثقب ، بتشديد القاف وفتحها : أربعة مواضع ذكرها ياقوت . ثم قال : ولا أدري أحد هذه أراد طرفة أم موضعاً آخر . وكينة : فعلة التي للهيئة ، من الكون .

تلف على الرِّيحِ ثوبِي قاعداً لَدَى صَدَفِي كَالْحَنِيَّةِ بَارِكِ (١)
وقد يلزمون التشديد في الروي كما قال النابغة:

عرفت منازلًا بُعْرَيْنَاتٍ فَأَعْلَى الْجَزَعِ لِلْحَقِّ الْمُبِينِ (٢)
فلزم التشديد إلى آخر القصيدة . وكذلك قول الآخر :

إِنَّ بِالشَّعْبِ الَّذِي دُونَ سَلْعٍ لِقَتِيلًا دُمُهُ مَا يُطَلُّ (٣)

شدّد الروي في كل الأبيات، والأكثر ألا يلزمه، كما قال الحطيئة:

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البنى وإن وعدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا
فشدد في أبياتٍ وتركه في غيرها . وأول القصيدة :

ألا طرقتنا بعد ما هجموا هندُ وقد سرن خمساً واتلابٌ بنا نجدُ (٤)
وقال المُتَمَعِّعُ الكِنْدِيُّ ، فجمع بين التشديد وغيره :

وإن الذي بيني وبين بين أبي وبين بني عمي لمختلفٌ جداً
إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجداً

وقد كان بعض المتأخرين من أهل العلم يجعل تاء التأنيث وصلاً ،

وكذلك كاف الإضمار ، لِمَا وجدته من لزوم الشعراء إيتاها في بعض

الأشعار ، وذلك ينتقض عند العلماء بأحكام القوافي . وأصحاب هذا

القول يعتقدون في قول الراجز :

(١) الصدفي : ضرب من الإبل . قال ابن سيده : أراه نسب إلى الصدف ، قبيلة من عرب اليمن . وقال ابن بري : الصدف : بطن من كندة . والنسبة إليه صدفي . والحنية : القوس .

(٢) عريتنا : واد . والجزع : منعطفه . والمبين : المقيم ، فعله : أبين .

(٣) سلع : جبل بسوق المدينة . وقيل : موضع بقرب المدينة . وظل دمه : أهدر . وهو

ألا يثار به ولا تقبل ديبته .

(٤) اتلاب : امتد واستوى .

سَلَّتْ يدا فاريةٍ فَرَّتْها وَسَخِنَتْ عَيْنُ التي أَرَّتْها^(١)
 مَسَكَ شَبُوبٍ ثَمَّ وَفَرَّتْها لو خافت النَّزْعَ لَأَصْغَرَتْها
 أَنَّ الروى التَّاء ، وهى ساكنة ؛ والهاء وصل ، وهى متحركة . ولو
 جاء على مذهبهم فى هذه القوافى « خذها » أو « منها » لكان عيباً ،
 والغريزة تشهد بما زعموه .

وقياس أقوال المتقدمين يوجب أَنَّ الروىَّ الهاء ، وَأَنَّ الراجز لو
 جاء فى مثل هذه القوافى بـ « عنها » و « منها » ونحو ذلك لكان
 ما فعله غيرَ معيب .

* * *

وقد بنيتُ هذا الكتابَ على بنيةِ حروفِ المعجمِ المعروفة ما بين
 العامة ، لا التى رتبها العلماء بمجارى الحروف . وأقدّم بين يديّ
 ما أذكره على جهة الاعتذار ، أَنَّ الناظر فى الدواوين ربّما قرأ منها
 الشئ الكثير لا يجد فيها أيباتاً لزم فيها مالا يلزم من الحروف ،
 فإنَّ وجده فهو نادر . فأما المتقدمون فقلّما ينتظمون بالروى حروف
 المعجم ، لأنَّ ما روى من شعر أمرى القيس لا نعلم فيه شيئاً على

(١) الفارية : القاطعة للإصلاح . تقول : فريت الشئ أفريه ، أى قطعته لأصلحه .
 وفرتها : عملتها . يصف مزادة . والمسك : الجلد . والشبوب : الشاب من الثيران والغنم . ورواية البيت
 الأخير فى اللسان : * لو كانت الساقى أصغرتها *
 وفى رواية أخرى : * لو كانت النازع *
 يصف إشبى تخرز بها .

الطاء ولا الظاء ، ولا الشين ولا الخاء ، ونحو ذلك من حروف المعجم . وكذلك ديوان النابغة ، ليس فيه روى بُنى على الصاد ولا الضاد ولا الطاء ، ولا كثيرٍ من نظائرهن . وهذا شيءٌ ليس بخفى . والمُحدثون أكثر تحقُّقًا بالنظام ، لأنَّ فيهم قوماً مستبحرين ، يكون ديوانُ أحدهم في العِدَّة كدواوين كثيرة من أشعار العرب .

وهذا أبو عبادة ، وله شعر جمٌّ ، ولا أعلم — فيما روى له — شيئاً على الخاء ولا الفين ولا الثاء ، إلَّا أن يكون شاذاً لم يثبت في أكثر النسخ .

وإذا اتفق لهم أن يجيئوا بالحرف ، وحركته ضمة أو غيرُها ، فقلماً يستوعبون محيئه على كلِّ الحركات . وإن استعملوه في حال الحركة جاز أن يُلغوه من حال الإسكان ، مثال ذلك : أنَّ أبا الطيب استعمل الهمزة المضمومة والمكسورة ، ولم يستعمل المفتوحة ولا الساكنة ، واستعمل السين المكسورة دون المفتوحة والمضمومة والساكنة . وكذلك جرى أمر الشعراء المتقدمين والمُحدثين ، يتبعون الخاطر كأنَّه هادى الركبان ، أيما سلك فهم له تابعون .

* * *

وقد تكلفت في هذا التأليف ثلاث كُلف :

الأولى أنَّه ينتظم حروف المعجم عن آخرها .

والثانية أن يحىء رويّه بالحركات الثلاث وبالسكون بعد ذلك .

والثالثة أنه لُزِمَ مع كل روىٍ فيه شيءٌ لا يلزم، من ياءٍ أو تاءٍ أو غير ذلك من الحروف .

ولو أن قائلًا نظم قوافيَ على مثل « مشوق » و « وسوق » ولم يأت بالياء لكان قد لزم ما لا يلزم ، لأنَّ العادة في مثل هذا المبنى أن تشارك فيه الواو والياء . وكذلك لو لزم الياء وحدها في مثل « قطين » و « معين » وليس في هذا من هذا النحو إلا شيء يسير .

وقد وجدت الذين ألفوا دواوينَ المحدثين على حروف المعجم خالفوا فيما وضعوه مذهبَ الخليل وأصحابه . وما أحصل ذلك منهم إلا على قلة حفَلٍ بتلك الأشياء . فمن ذلك أنَّهم يجعلون ما قافيته « هدية » و « بلية » في باب الهاء . وهذا وهم ، لأنَّ أولى الحروفِ بأنَّ تُنسب إليه القصيدة هو الروى ، وهو في هذا النحو الياء . وكذلك يجعلون ما قافيته « ثناياها » و « عطاياها » في جملة الألف ، وإنما ينبغي أن تكون في باب الهاء ، لأنَّها الروى . ويجعلون ما قافيته مثل « يديه » و « عليه » في باب الياء ، وكذلك ما يبنى على « محيها » و « فيها » . وإنما ينبغي أن يكون النسب في هذا كله إلى الهاء .

ودلَّ كلامُ أبي بكر بن السراج^(١) في الأصول على أنَّ الروى الياء في قول الشاعر^(٢) :

(١) ابن السراج ، هو أبو بكر محمد بن السرى بن السهل ، أحد أئمة الأدب والعربية . ويقال : ما زال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج . وله من الكتب : الأصول في اللغة ، وشرح كتاب سيبويه ، وغيرهما . وكان عارفاً بالموسيقى . توفي سنة ٣١٦ هـ .
(٢) هو أبو كاهل البشكري .

لها أشارير من لحمٍ تُتمره من الثعالي ووخر من أرائنها^(١) وهذا يشبه مذاهب المؤلفين، ويجوز أن يكون مذهباً لابن السراج، أو وهماً منه، لقلة عنايته بهذا النوع.

وقد روى أبو الحسن العروصي الذي كان في صحبة الرازي^(٢)، أن أبا أسحاق الزجاج^(٣) سئل عن الروي في قول الشاعر:

* ميلوا إلى الدار من ليلي نُحِيها *

فزعم أنه الياء، فروجع في ذلك فلم ينتقل عنه. وإنما ذكّر أبو الحسن ذلك يعييه عليه؛ لأن مذهب الخليل والطبقة الذين بعده أن الروي الهاء.

وقد شاهدتُ بعض المتحققين بالأدب ببغداد يجعل الروي الياء في قول الشاعر:

يأبها الراكبان السائران معاً قولاً لسنبس فلتقطف قوافيها^(٤) وما أحسب هذا ممن قاله إلا وهماً، لأن الروي الساكن لا يكون بعده وصل، وإنما يقع الإشكال في الهاء والواو والياء والألف. فأما الهاء فقد مر طرفٌ من حكمها، والأصل فيه أنه إذا سكن ما قبلها

(١) أشارير : يجوز أن تكون جمعاً لإشارة القديد ، أو بمعنى الخصفة أو الشقة التي يشر عليها الأقط . وتتمره : تقدهه . والثعالي : الثعالب . وأرائنها ، أي أرائنها . ووخر ، أي معدودة . والأصل في الوخر الخطيئة بعد الخطيئة والشئ بعد الشئ .

(٢) هو الرازي بالله أحمد بن جعفر بن المعتضد الخليفة العباسي . توفي سنة ٣٢٩ هـ .

(٣) الزجاج ، هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل ، عالم بالنحو واللغة . توفي ببغداد

سنة ٣١١ هـ .

(٤) سنبس : أبو حي من طيء .

كانت رويًا ، ولا يُنظر من السنخ كانت أم من غيره ، وإذا كان ما قبلها متحركاً وكانت من السنخ ، مثل « الشَّبه » و « المشابه » فإنَّها تكون رويًا ، كما قال رؤبة :

قالت أَيْبَى لى ولم أسبَّه ما السنُّ إِلَّا غَفْلَةُ المُدَلِّه

وربما بُنيت الأبيات على أن تكون موصولة بهاء الإضمار ، ثم جعلت معها الهاء الأصلية وصلًا ، أو بدىء بالهاء الأصلية ثم دخلت عليها هاء الإضمار ، مثل أن تُبْنَى القصيدة على « المسكاره » و « المداره » جمع مدره ، من قولك : هو مدره القوم . ثم يجاء بعد هذا بـ « ناره » و « جداره » . أو تبني القصيدة على مثل قولك « غلابه » و « كتابه » ، ثم يجىء فيها « التشابه » . وربما اتفق ذلك في الساكنة والمتحركة ، وليس هو بعيبٍ ، إلا أنى أجعله ضعفًا في البنية .

وإذا تحرك ما قبل الهاء ، وهى للإضمار أو للتأنيث أو للوقف ، مثل قولك « يديه » و « غلاميه » و « ذاكيه » و « ضاريه » فهى وصل لا غير ولا يجوز أن تجعل رويًا .

وأما الواو إذا كانت من السنخ مثل واو « جرو » و « دلو » فلا مرية فى أنها تُجَعَل رويًا للبيت .

وإذا كانت للإضمار فى مثل « فعلوا » و « قتلوا » وكان ما قبلها مضمومًا ، ولم تكن فى مثل « عصوا » و « رموا » فإنَّها تكون وصلًا

(١) أَيْبَى : امرأة . والمسبه : المدله العقل .

لاغير . فإن جاء غير ذلك حُسِبَ من عُيوب الشعر التي تسمى الإكفاء والإجازة ونحو ذلك .

وقد وجدتُ في أشعار قريشٍ شعراً منسوباً إلى مروان بن الحكم قد جعل الواو فيه رويّاً، في مثل « دُعُوا » و« لِقُوا » فإن صح ذلك فليس بأبعد مما بُني على الألف، وذلك قليلٌ نادر . وإنما معظم كلامهم أن تكون الواو في مثل هذا وصلاً، كما قال زهير :

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا وزودوك اشتياقاً أيةً سلكوا

ثم جاء في القوافي بـ « الملك » و « الحشك » وأتبعها واو الترنم التي لا تجعل رويّاً بحال .

والآيات المنسوبة إلى مروان بن الحكم هي قوله :

هل نحنُ إلا مثلُ من كان قبلنا
وَيَنْقُصُ منا كلَّ يومٍ وليلةٍ
نؤمّل أن نبقى وكيف بقاؤنا
فَنُوتُوا وهمُ يرجونَ مثلَ رجائنا
لنا ولهم يوم القيامةِ موعدُ
وَيُحْبَسُ منّا من مضى لاجتماعنا
فَنُوتُوا ومنهم بالذي قدّموا شقوا
رآه وقرنٌ قد خلا قبلهم عموا
فَنُوتُوا ومنهم بالذي قدّموا شقوا

فهذا نادر قليل .

فإذا انفتح ما قبل الواو في مثل «عصوا» و «غزوا» و «قضوا» فالجماعة يجعلونها رويًا ولا يميزون أن تكون وصلًا . وذلك مفقود في أشعار الفصحاء ، إنما يحجى منه الشيء النادر ، ولعله مصنوع . ولو أن قائلًا بنى شعرًا على مثل «قضوا» لآثرت له أن يلزم الضاد ، لأن ذلك أقوى للنظم ، وإن لم يفعل فليس بأبعد من تصييرهم الألف رويًا ، ألا ترى أنك لو بنيت القواصل على «دجى» و «حجى» و «رجا» لكان الأقوى أن تجعل الجيم رويًا والألف وصلًا . فإن جعلت الألف رويًا فلا بأس . غير أن ما رويته ألف أضعف مما رويه دال أو حاء أو غيرها من الحروف الصراح ، ولو أن الراعى^(١) جعل الروى الحاء في قوله :
عجبت من السارين والريح قرّةً إلى ضوء نار بين فرّدة فالرحى^(٢)
ثم أتى معها «بالضحى» و «للحى» لكان أقوى للنظم . ولو أتى آت في مثل أبيات مروان بواو مفتوح ما قبلها ، مثل «عصوا» و «رموا» ، لكان قد أخلّ ؛ إذ كانت الواو المفتوح ما قبلها لا تكون إلا رويًا ، والواو المضموم ما قبلها في مثل «فعلوا» لا تكون إلا وصلًا . وليس على الشذوذ تعويل . ولا أعرف لأحد من أهل الفصاحة مثل أبيات مروان . فأما واو «يفزو» و «يخلو» إذا كانت ساكنة فإنهم يستعملونها وصلًا ، وعلى ذلك سمعت أشعار المتقدمين ، كما قال زهير :

(١) الراعى : هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل النخيري . عاصر جريرا والغرزق .

وتوفى سنة ٩٠ هـ .

(٢) فرّدة : جبل بالبادية ، وقيل : ماء بالتلبوت لبني نعام . والرحا : جبل بين كاظمة

والسيدان عن يمين الطريق من ايمامة إلى البصرة .

صحا القلبُ عن سامي وقد كاد لا يسلو

وأقفر من سامي التعانيقُ والثقل^(١)

وقد كنتُ من سامي سِنين ثمانياً

على صيرِ أمرٍ ما يمرُّ وما يحلُّ^(٢)

ففيها قواف كثيرة قد أتبعها واو الترزم التي ليست للسنخ، كقوله:

بلادُ بها نادمتهم وعرقتهم فإن أقفرت منهم فإنهم بسَل

والقياس لا يمنع أن تجعل هذه الواو رويًا، لأنها سنخ وهي قوية،

ويجوز أن تلحقها الحركة في حال النصب، وهي أقوى من الواو التي

للضمير في مثل قولك «لم يألوا» و«لم يفعلوا». وإذا خففت الواو من

«عدو» و«غدو» في القافية فلا يمنع أن تجعل رويًا، وكونها وصلًا

أكثر. وما بنى على الواو قليل جدًا؛ لأن العرب إنما كانت تتبع

أشرف الكلم في السمع. وقلما تجد قافية لها قوة إلا وقد عمل عليها

المتقدمون.

وأما الياء، فلا تخلو من أحد شيئين: إما أن تكون متحركة،

وإما ساكنة. فالمتحركة روى لاغير. والساكنة تضعف كضعف

الواو. فإذا كانت للترزم لم يجز أن تجعل رويًا، وإذا كانت ساكنة

(١) التعانيق والثقل: مكانان. ويروى «والشجل» بضم أوله: موضع في شق العالية،

ذكره ياقوت واستشهد بالبيت.

(٢) صير أمره: منتهاه وضرورته. مصدر صار يصير صيرًا وصيرورة. تقول: أنا

من حاجتي على صير أمر وعلى صيرورة، إذا كنت على شرف منها.

وقبلها ساكن فهي روى . وذلك أن تُبنى القافية في التقييد على مثل «عصاي» و«هواي». وإذا كان ما قبلها متحركا وهي ساكنة فإن الأحسن فيها أن تجيء وصلًا على أى الحالات وجدت من كونها في سنخ الكلمة، أو للضمير، أو مخففة من ياءى النسب . فالتى من السنخ كقول النابغة :
 زعم الهُمّـام ولم أذقه بأنّه يُشقى يبرد لثاتها العَطشُ الصدى
 فجاء بها مع « غد » ونحوها فجعلها وصلًا . وياء الإضافة كقول الآخر :

ألا أيها الركبُ المخبُون هل لكم بأخت بنى نهد بُهيةً من عهد
 أألقت عصاها واستقرت بها النوى بأرض بنى قابوس أم ضُعت بعدى
 والمخففة من ياءى النسب كقول الراجز :

تقول هند والذى يُحبي أبى لقد سمعتُ صوت حاد عربى

ليس من التمر ولا من تغلب

وكذلك إذا خففت مثل « عدى » و« شقى » فإنها تجعل وصلًا فى الأكثر . وربما جعلت هذه الياءات كلها رويًا وذلك فى أشعار تضعف . وليست هذه الياءات بأضعف من الألفات التى بنيت عليها القصائد . وهذه الأبيات تنسب إلى غير واحد من العرب :

أشاب الصغير وأفنى الكبير مرّ الليالى وكره العشى

إذا ليلةً هرمت يومها أتى بعد ذلك يوم فتى

نروح ونغدو لحاجتنا حاجة من عاش لا تنقضى

تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ
 وَقَدْرُوتِ هَذِهِ الْأَيَّاتِ لِلصَّلْتَانِ الْعَبْدِيِّ وَلُقَسَّ بْنِ سَاعِدَةَ الْإِيَادِي
 وَلغِيرهَا ، وَيُرْوَى لِلصَّلْتَانِ فِيهَا :

بَنَجْدِيَّةٌ وَحَرُورِيَّةٌ وَأَزْرَقٌ يَدْعُو إِلَى أَزْرَقِي
 فَلْتَنَا أَنَا الْمَسَامُونَ عَلَى دِينِ صَدِيقِنَا وَالنَّبِيِّ
 وَقَالَ الرَّاجِزُ :

إِذَا تَعَدَّيْتُ وَطَابَتْ نَفْسِي فَلَيْسَ فِي الْحَيِّ غَلَامٌ مِثْلِي
 إِلَّا غَلَامٌ قَدْ تَعَدَّيْتُ قَبْلِي

فَجَعَلَ يَاءَ الْإِضَافَةِ رَوِيًّا ، إِلَّا أَنْ يُحْمَلَ عَلَى مَخَالَفَةِ الْقَوَافِي فِي الَّذِي هُوَ
 عَيْبٌ . وَإِذَا كَانَ مَا قَبْلَ الْيَاءِ مَفْتُوحًا وَهِيَ سَاكِنَةٌ فَإِنَّهَا تُجْعَلُ رَوِيًّا عِنْدَ
 الْمُتَقَدِّمِينَ ، وَذَلِكَ قَلِيلٌ جَدًّا . وَلَوْ بَنِيَتْ قَافِيَةٌ عَلَى «أَخْشَى» وَ «أَعْشَى»
 لَكَانَ لَزُومُ الشَّيْنِ أَقْوَى لَهَا مِنْ أَنْ يَجِيءَ مَعَهَا مِثْلُ «أَغْنَى» وَ «أَحْنَى» .
 فَأَمَّا الْأَلْفُ ، إِذَا كَانَتْ لِلتَّرْنَمِ أَوْ بَدَلًا مِنَ التَّنْوِينِ أَوْ لِلتَّثْنِيَةِ أَوْ مَعَ
 هَاءِ التَّأْنِيثِ ، فَلَا يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ رَوِيًّا . وَإِذَا كَانَتْ مِنَ السَّنَخِ أَوْ زَائِدَةٍ
 لِلتَّأْنِيثِ أَوْ لِلإِلْحَاقِ ، مَا كَانَتْ مِنْ ذَلِكَ ؛ فَإِنْ كَوْنَهَا رَوِيًّا جَائِزٌ ، وَعَلَى
 ذَلِكَ جَاءَتْ قِصَائِدُ الْعَرَبِ الْمُتَقَدِّمِينَ ، لَا يَفْرُقُونَ بَيْنَ الزَّائِدِ وَالْأَصْلِيِّ .
 فَيَجُوزُ أَنْ تُبْنَى الْقِصِيدَةُ عَلَى «كِرَى» وَ «بَكِي» وَ «غَضَى» وَ «الشَّنْفَرَى»
 وَ «حَبُوكِرَى» وَهِيَ الَّتِي تُسَمِّيهَا النَّاسُ الْيَوْمَ مَقْصُورَةً . وَأَقْوَى مِنْ
 ذَلِكَ أَنْ تَجْعَلَ الرَّاءَ فِي «الْكِرَى» رَوِيًّا وَتَجْعَلَ الْأَلْفَ وَصَلًا . وَكَذَلِكَ

ألف « مغنى » أو « معزى » يجوز أن يجيء معها ألف « جلندى » و « حبرى » . إلا أن الأحسن أن تجعل الزاى فى « معزى » رويًا ، وتكون القصيدة على الزاى .

فهذه جملة من أحكام الحروف الأربعة اللواتى يجوز أن يكن وصلا ورويًا . ثم حروف المعجم بعد ذلك متساويات فى القوة إلا ما ذكر من التاء والكاف . فأما النون الخفيفة فلا يجوز أن تجعل رويًا ؛ لأن القافية موضع وقف ، وهذه النون تصير فى الوقف ألفًا ، فإن أريد بها الثقيلة ، إلا أنها خفت للقافية كما تخفف لام « أضل » ودال « أشد » فلا بأس أن تجعل رويًا ، لأنها فى نية المثقلة .

والقوافى تنقسم ثلاثة أقسام : الدُّلُّ ، والنُّفْرُ ، والحوُشُ .

فالدُّلُّ : ما كثر على الألسن ، وهى عليه فى القديم والحديث .

والنُّفْرُ : ما هو أقل استعمالاً من غيره ، كالجيم والزاى ونحو ذلك .

والحوُشُ : اللواتى تهجر فلا تستعمل ، وذلك أن يتفق ألا تخلو

القافية على كل الأوزان ، كأننا نقول إنهم استحسِنوا التقييد فى الطويل

الثانى فاستعمل وكثر ، كما قال امرؤ القيس :

لممرك ما قلبى إلى أهله بِحُرِّهٖ ولا مُقْصِرٍ يوماً فِياتينى بِقُرِّهٖ^(١)

(١) بحر ، أى بكرىم ، لأنه لا يصبر ولا يكف عن هواه . والمعنى أن قلبه ينبو عن أهله ويصبو إلى غير أهله . فليس هو بكرىم فى فعله . ومقصر ، أى فازع ومنته . وبقر ، أى بمسقر .

وكما قال طرفة :

لِخَوْلَةٍ بِالْأَجْزَاعِ مِنْ إِضْمٍ طَلَلٌ وبالسَّفْحِ مِنْ قَوِّ مَقَامٍ وَمُرْتَحِلٍ^(١)
ولا يُعْلَمُ شَيْءٌ مِنَ الشَّعْرِ الْقَدِيمِ جَاءَ فِيهِ الطَّوِيلُ الْأَوَّلُ مَقِيدًا إِلَّا أَنْ
يَكُونَ شَاذًا مَرْفُوضًا ، وَذَلِكَ فِي التَّمْثِيلِ ، كَقَوْلِهِ :

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلذِّقِّ ولم أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا زَانِهًا انْخَلَجُلُ
ولم أَسْبَأِ الزَّقَّ الرُّوِيَّ وَلَمْ أَقُلْ خَلِيْلِي كَرِّي كَرَّةً بَعْدَ مَا تُخْذَلُ

فمثل هذا لم يأت في الشعر القديم ولا يوجد في دواوين الفحول من
أهل الإسلام ، إلا أن يجيء نادرًا أو متكلفًا . وقد جاء في أشعار المحدثين
شئ من الطويل الأول مبنيًا على الألف ، وهو الذي يسميه الناس
المقصور ، فيقولون مقصورة فلان ، يعنون ما رويته ألف ، قال الشاعر :

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِنْ أَهْلِهَا فَمَا نَحْنُ بِالْأَحْيَاءِ فِيهَا وَلَا الْمَوْتَى
إِذَا مَا أَتَانَا زَائِرٌ مَتَفَقَّدُ فَرَحْنَا وَقَلْنَا جَاءَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا

وهذا الشعر لرجل في السجن كان على عهد ملوك بني العباس ، أو
يقال إنه لرجل من ولد صالح بن عبد القدوس . وقد بنى أبو عبادة
قصيدة على الطويل الأول وجعل قوافيها على «أروي» و«جدوى» ونحو
ذلك ، فلزم الواو إلى آخر القصيدة ولم يجعلها مقصورة ، فهذه إن جعل
رويها الألف فقد لزم فيها ما لا يلزم ، وإن جعل رويها الواو فالألف
وصل ، وبنائها على الواو أحسن وأقوى في النظم .

(١) إضم : ماء بين مكة واليمامة . وقو : منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة .

وفي هذا الكتاب أشياء تجرى هذا المجرى، وقد بينتها في مواضعها. وقد يمكن أن يلزم القائلُ حرفين وأكثر. ولو بنيت قافية على «دارهم» و«مُزدارهم» و«صدارهم» لكان القائل قد لزم فيها أربعة أحرف: الدال، والألف، والراء، والهاء، لأن الرويَّ الميم، والألف ليست للتأسيس، لأن بينها وبين الروي حرفين. ولو بُنيت قافية على «ضرائهم» و«حرائهم» وما أشبه ذلك لكانت قد لُزمت فيها خمسة أحرف: الراء الأولى، والألف، والهمزة التي بعدها وهي في الصورة ياء، والراء الثانية، والهاء. وقد كنت قلت في كلام لي قديم: إني رفضت الشعر رفض السُّقْبِ غِرْسِه^(١)، والرأل^(٢) تريكته؛ والغرضُ ما أُستجيز فيه الكذب، واستعين على نظامه بالشبهات.

فأما الكائنُ عظةً للسامع، وإيقاظاً للمتوسِّن، وأمرًا بالتحرز من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جُبِلوا على الغش والماكر، فهو إن شاء الله مما يُلتمس به الثواب.

وأضيفُ إلى ما سلف من الاعتذار أن من سلك في هذا الأسلوب ضَعْف ما ينطق به من النظام، لأنه يتوخى الصادقة ويطلب من الكلام البرَّة؛ ولذلك ضَعْف كثير من شعر أمية بن أبي الصَّلْتِ الثَّقَفِي، ومن أخذ في قَرِيْبِهِ من أهل الإسلام.

(١) السقْب : ولد الناقة، وقيل : الذكر، وهو سقْب ساعة تضعه أمه . والغرس : الجلدة التي تخرج على رأس الولد والفصيل ساعة يولد ، فإن تركت قتلته .
(٢) الرأل : ولد النعام . وخص بعضهم به الحولى . والتريكة : بيضة النعام التي يتركها بعد خلوها مما فيها .

ويُروى عن الأصمعيّ كلام معناه : إن الشعر باب من أبواب الباطل ، فإذا أريد به غير وجهه ضَعُف .

وقد وجدنا الشعراء توصلوا إلى تحسين المنطق بالكذب ، وهو من القبائح ، وزينوا ما نظموه بالغزل ، وصفة النساء ، ونعوت الخيل والإبل ، وأوصاف الحجر .

وتسببوا إلى الجزالة بذكر الحرب ، واحتلبوا أخلاف الفكر ، وهم أهل مقام وخفض ، في معنى ما يدعون أنهم يعانون من حث الرّكائب ، وقطع المفاوز ، ومراس الشقاء .

وهذا حين بدأ بترتيب النظم ، وهو مائة وثلاثة عشر فصلا ، لكل حرف أربعة فصول ، وهي على حسب حالات الروي ، من ضمّ وفتح وكسر وسكون ، [إلا] الألف وحدها فلها فصل واحد ، لأنها لا تكون إلا ساكنة .

وربما جئت في الفصل بالقطعة الواحدة ، أو القطعتين ، ليكون قضاء حق للتأليف ، وبالله التوفيق .

فصل الهمزة

الهمزة المضمومة

اللزومية الأولى

قال الضعيف العاجز أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي الضرير ،
رَهْنُ الْمُحْبَسِينَ ، في الهمزة المضمومة مع الباء ، والطويل الثالث (١) :

- ١ (أُولُو الْفَضْلِ فِي أَوْطَانِهِمْ غُرَبَاءُ تَشِدُّ وَتَنَأَى عَنْهُمْ الْقُرَبَاءُ)
٢ (فَمَا سَبَبُوا الرَّاحَ الْكُمَيْتَ لِلذَّةِ وَلَا كَانَ مِنْهُمْ لِلْخِرَادِ سِبَاءُ)
٣ (وَحَسَبُ الْفَتَى مِنْ ذِلَّةِ الْعَيْشِ أَنَّهُ يَرُوحُ بِأَذْنَى الْقُوْتِ وَهُوَ حِبَاءُ)

الرَّاحُ : الخمر ، اسم لها . وَسَبَأَ الخمر يسبؤها سَبَأً وَمَسْبَأً .

وَاسْتَبَأَهَا : شَرَّأَهَا . وَقِيلَ : اشترها ليشربها ، ولا يقال ذلك إلا في الخمر

خاصة . وَالاسْمُ : السبَاءُ ، عَلَى فِعَالٍ .

وَالْكُمَيْتُ : لَوْنٌ لَيْسَ بِأَشَقَرَ وَلَا أَدْمَمَ . وَهُوَ أَيْضًا مِنْ أَسْمَاءِ الخمر لَوْنِهَا .

وَالْخَرِيدَةُ مِنَ النِّسَاءِ : الْحَيِيَّةُ الطَّوِيلَةُ السَّكُوتِ الْخَافِضَةُ الصَّوْتِ الْخَفِيرَةُ الْمُدْتَمِرَةُ ،

قَدْ جَاوَزَتْ الْإِعْصَارَ وَلَمْ تُعْغِضْ ؛ وَقِيلَ : هِيَ الْبَكْرُ الَّتِي لَمْ تُتَمَسَّسْ ، تَشْبِيهَا لَهَا بِاللُّوْلُوَّةِ

قَبْلَ ثَقَبِهَا ، وَتُجْمَعُ عَلَى خِرَائِدٍ وَخُرْدٍ وَخُرْدٍ ، عَلَى نُدْرَةِ الْآخِرَةِ ، لِأَنَّ فِعْلِيَّةَ

لَا تُجْمَعُ عَلَى فُعْلَلٍ ، وَلَمْ يَرِدْ مِنْ بَيْنِ جُمُوعِ « الْخَرِيدَةُ » خِرَادٌ ، فِي الْمَعْجَمِ .

وَالسَّبَاءُ وَالسَّبِيُّ بِمَعْنَى ، وَهُوَ الْأَسْرُ . يُقَالُ : سَبَاهُ يَسْبِيهِ ، إِذَا أَسْرَهُ ، فَهُوَ

سَبِيٌّ ؛ وَكَذَلِكَ الْأُنثَى بِغَيْرِهَا . وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ : السَّبِيَّةُ : الْمَرْأَةُ تُسَبَى .

(١) هو ذو العروض المقبوضة والضرب المحذوف .

والحباء ، بالكسر ويضم : ما يحب به الرجلُ صاحبه ويكرمه به . والاسم : الحبوة . وقيل : الحباء : العطاء بلا منٍّ ولا جزاء . وحباه محبوبه : أعطاه ؛ وما حوله : حماه ومنعه .

يقول : لله أهلُ الفضل والعلم ، ما أجدرهم بالرحمة وأخلقهم بالثناء ، إني لأراهم غرباءً مجفوفين من أقاربهم ، منبوذين من ذوى معرفتهم ، وإني لأرى الفقر قد ضرب عليهم رواقه وألقى عليهم كسلكه ، فحرمهم لذة الأغنياء بسبب الخمر وسبب النساء ، وبالغ في إذلالهم والغض من أقدارهم ، حتى إن أحدهم لينال أقل القوت وأدنى العيش فيحسبه عطاءً موفوراً ، أو نعمةً مُسبغةً عليه .

- ٤ (إذا ما خبت نارُ الشبيبةِ ساءَ نبي ولو نص لي بين النجومِ خبَاء)
 ٥ (أرايبك في الودِّ الذي قد بدلتَه فأضعفُ إن أجدى لَدَيْكَ رِبَاء)
 ٦ (وما بعد مرِّ الخمسِ عشرةً من صبا ولا بعد مرِّ الأربعينِ صبَاء)

خبت النارُ والحرب والحدة ، تحبو خبواً وخبواً : سكنت وطفئت وخمد لها ، فهي خايبة ، وأخيتها أنا . والشبية والشباب : الفتاة والحدأة . والشباب أيضاً : جمع شاب ، وكذلك الشبان . والنص : الرفع ؛ ومنه نص العروس ، أى إقعادها على المنصة ، وهى سريرها . والحباء : البيت من بيوت العرب يكون من وبر أو صوف . وقد يستعمل فى المنازل والمسكن . وأصله الهمز ، لأنه يختبأ فيه . وأخبيت خبَاء ، وخبينته ، وتخبينته : عملته ونصبتَه ؛ واستخبينته : نصبتَه ودخلت فيه .

ورابى فاعل ، من « ربا » بمعنى ، زاد أو علا . والمصدر منه رباة ومراباة . وأجدى : أغنى ونفع .

والصبأ : الصغَر ، ومثله الصبُو والصبُو والصبَاء . والفعل لذلك كله صبا يصبو .

وَصَبِيَّ صَبِيٍّ ، بالكسر والقصر : فَعَلَ فَعَلَ الصَّبِيانَ ، وَصَبَاءٌ بِالْفَتْحِ وَالْمَدِّ :
لَعِبَ مَعَهُمْ . وَصَبَاءٌ ، الثَّانِيَةُ ، أَصْلُهُ الْقَصْرُ ، مِنْ صَبَأَ إِلَى اللُّهُوِّ وَالْجَهْلِ وَالْفَتْوَةِ ،
صَبًّا وَصُبُوًّا وَصَبُوءًا : مَالٌ وَحَنٌّ .

يقول : وَاَسْفَاهُ لِنَارِ شَيْبَتِي حِينَ تَحْبُو ، فَلَنْ أَجِدَ عَنْهَا سَلْوَةً وَلَا عِزَاءَ مَهْمَا
تَرْتَفِعُ بِي مِنَ الْمَنْزَلَةِ ، وَلَوْ نُصِّ لِي خِيبَاءٌ بَيْنَ النُّجُومِ . ذَلِكَ أَنَّ الشَّيْبَةَ وَحَدَّهَا هِيَ
الَّتِي تُتَبَّحُّ لِي لِإِقْتِضَاءِ لَذَائِقِي وَكَتْسَابِ حَاجَاتِي ، فَإِذَا انْقَضَتْ فَلَا أَمَلٌ فِي لَذَّةٍ
وَلَا مَطْمَعٍ فِي قِضَاءِ حَاجَةٍ . أَلَيْسَ لِكُلِّ عَمَلٍ قَدْرٌ قَدْرٌ بِهِ ، وَوَقْتُهِ أُتَبَّحُّ فِيهِ .
فَلَيْسَ بَعْدَ الْخَامِسَةِ عَشْرَةَ طِفْوَةٌ وَلَا صَبِيٌّ ، وَلَيْسَ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ مَرْحٌ وَلَا مُجُونٌ .

٧) (أَجْدَكَ لَا تَرْضَى الْعِبَاءَةَ مَلْبَسًا وَلَوْ بَانَ مَا تُسَدِّدِيهِ قِيلَ عِبَاءً)

أَجْدَكَ ، بَفَتْحِ الْجِيمِ وَكسرها ، وَمَعْنَاهَا : مَالِكٌ ؟ أَجْدًا مِنْكَ ؟ وَنَصَبَهُمَا عَلَى
الْمَصْدَرِ وَلَا يُتَكَلَّمُ بِهِ إِلَّا مِضَافًا . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : مَعْنَاهُ : أَجْدَكَ هَذَا مِنْكَ ؟
وَنَصَبَهُمَا بِطَرَحِ الْبَاءِ . وَقَالَ اللَّيْثُ : مَنْ قَالَ : أَجْدَكَ ، بِكسْرِ الْجِيمِ فَإِنَّهُ يَسْتَحْلِفُهُ
بِجِدِّهِ وَحَقِيقَتِهِ ، وَإِذَا فَتَحَ الْجِيمَ اسْتَحْلَفَهُ بِجِدِّهِ ، وَهُوَ بِمَجْتَهٍ . وَقَالَ ثَعَالِبٌ : مَا أَتَاكَ
فِي الشَّعْرِ مِنْ قَوْلِكَ أَجْدَكَ ، فَهُوَ بِالْكَسْرِ ؛ فَإِذَا أَتَاكَ بِالْوَاوِ فَهُوَ مَفْتُوحٌ .

والعباءة . لغة في العباية . قال سيديويه : إنما همزت ، ولم يكن حرف العلة فيها
طرفًا ، لأنهم جاءوا بالواحد على قولهم في الجمع : عباة .

وقال ابن جنى : وقالوا : عباة . وقد كان ينبغي ، لَمَّا لَحِقَتْ الْمَاءُ أَخِيرًا وَجَرَى
الإعراب عليها وقويت الياء لبعدها عن الطرف ، ألاّ تهمز ، وألا يقال إلا عباية .
فيقتصر على التصحيح دون الإعلال ، وألا يجوز فيه الأمران ، كما اقتصر في «نهاية»
و «غباوة» و «شقاوة» و «سعادة» على التصحيح دون الإعلال .

وأسدى ، وأولى ، وأعطى ، بمعنى . قال أبو عمرو : أزدى ، إذا اصطنع
 معروفاً ؛ وأسدى ، إذا أصلح بين اثنين ، وأصدى ، إذ مات . وعباء : أحق .
 يقول : أجدك لا يُقنعك ما يتاح لك في هذه الدنيا من حظ ! رقه عليك
 وأقصد في أطعامك ، ووازن بين ما تسدى وما يُسدى إليك . فلو قد فعلت لتبينت
 أنك لا تسدى شيئاً ، وأن الذى يُسدى إليك كثير .

٨ (وفي هذه الأرض الرِّكودِ منابتٌ فَمِنْهَا عَلَنَدَى ساطِعٌ وَكِبَاءٌ)

الرِّكود : الثقيلة الثابتة . والعَلَنَدَى : ضربٌ من شجر الرمل وليس بجمض ،
 يهيج له ودخان شديد ؛ والواحدة : علنداة ؛ ومنه : دخان العَلَنَدَى دون بيتى ،
 أى منابت العَلَنَدَى بينى وبينكم . والساطع : المنتشر من غبار ودخان وريح ونور .
 والكِبَاء ، ممدود : ضَرْبٌ من العود والدُّخْنة . وقال أبو حنيفة : هو العود المتبخّر
 به . قال امرؤ القيس :

وَبَانًا وَأُلُويًا من الهِنْدِ ذاكِياً وَرَنَدًا وَلُبْنَى والكِبَاءِ المُقْتَرَا
 ومثل الكِبَاء : الكَبْة . وكبّى ثوبه ، بالتشديد ، أى بخره . وتكبّت المرأة
 على المِجْمَر : أكَبَتْ عليه بثوبها . واكتبى : تبخر بالعود .

يقول : إنما مثل ما يُصيب الناس من حسن الحظ وسُوئِهِ ، مثل الأرض التى
 يتاح لبعضها أن يُنبت ذكى النبات ورائعه ، ولا يُتاح لبعضها الآخر إلا أن
 يُنبت غليظ النَّبْتِ وَفَجْه ، ولا يُعطى منه إلا الردىء الممقوت .

٩ (تَوَاصَلَ حَبْلُ النَّسْلِ مَا بَيْنَ آدَمَ وَيَنِّي وَلَمْ يُوَصَلْ بِلَامِي بَاءً)

تواصل : أتصل . والتواصل : ضد التصارم ، يكون في عفاف الحب ودعائه .
والنسل : الولد والذرية . واللام : الشخص والسهم ، والمراد هنا الأول ، وهي أيضاً :
جمع لأمة ، وهي الدرع . وأصله الهمز ثم يخفف . وأما اللام التي بمعنى الشخص
والسهم فلا أصل لهما في الهمز .

والباء والباءة : النكاح . وقيل : الباء الجمع ؛ والباءة الواحدة . ويجمع على
الباآت أيضاً . وسُمي النكاح بباءة وباء ؛ لأن الرجل يتبوء من أهله ، أي يستمكن
منهم ، كما يتبوء من داره . وقيل : الأصل في الباء المنزلة ، ثم قيل لعقد التزويج بباءة ،
لأن من تزوج امرأة بوأها منزلاً .

وقريب من قول أبي العلاء قول أبي الطيب :

هَبَّتِ النَّكَاحَ حِدَارَ نَسْلِ مِثْلِنَا حَتَّى وَفَرَتْ عَلَى النِّسَاءِ بِنَاتِهَا
وَقَوْلُهُ :

وما الدهرُ أهلٌ أن تُؤمَّلَ عنده حياةٌ وأن يُشتاقَ فيه إلى نَسْلِ

يقول : تواصل حبل النسل ما بين آدم وبينى ، وكان ذلك حمماً تجنبتة وغياً
برمت منه ، فقطعت هذا الحبل ولم أصله ، وأعرضت عن الزواج فلم أعقب في
هذه الأرض نسلاً .

١٠ (تَتَأَبَّ عَمْرُو إِذْ تَشَابَ خَالِدٌ بَعْدَوَى فَمَا أَعَدَّتْنِي الثُّوبَاءُ)

خص «التشاب» لأن الإنسان إذا رأى من يتشاب تشاب بتثاؤبه . ويقال
في المثل : أعدى من الثوباء . قال الشاعر :

أعدى من الثوباء صداقة الشفهاء

ولم يُرد بعمر وخالد شخصين بعينيهما ، ولعله قصد إلى ما يحمل أصلاها

من التعمير والخلود ، التفاتاً منه إلى المعنى الذى هو آخذ فيه . والعدوى ، اسم من : أعدى يعدى ، أى أجاز الذى به إلى غيره ، أو أجاز ما بغيره إليه . وأصله من : عدا يعدو ، إذا جاوز الحد . وتعادى القوم ، أى أصاب هذا مثل داء هذا . والعدوى أيضاً : طلبك إلى وال ليعُدِّيك على من ظلمك ، أى أن ينتقم منه . والثوباء ، من الثاؤب ، مثل المطوأة من التخطى .

يقول : إن اتصال النسب عدوى شاعت في الناس ، كما يُعدى المتثائب جاره ، أمّا أنا فقد برئت من هذه العدوى ، وعُصمت من آثارها ، فلم أتثاب حين تثاب جليسى .

١١ (وَزَهَّدَنِي فِي الْخَلْقِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ وَعِلْمِي أَنَّ الْعَالَمِينَ هَبَاءٌ)

زَهَّدهُ في الأمر : رَغِبَهُ عنه . وفي حديث الزهد : وسُئِلَ عن الزهد في الدنيا فقال : هذا ألاَّ يَغْلِبُ الحلالُ شُكْرَهُ ولا الحرامُ صَبْرَهُ . أراد ألاَّ يعجز ويقصر شُكْرُهُ على ما رزقه الله من الحلال ، ولا صبره عن ترك الحرام .

زَهَّدَ في الشيء وعنه : رَغِبَ عنه . والشيء : عدّه زهيداً قليلاً . وأزهد الرجل ، إذا كان لا يُرْغِبُ في ماله لقلته . والعالم : الخلق كله ، اسم بنى على فاعل ، كما قالوا : خاتم وطابع ودافق . لا واحد له من لفظه ؛ لأنه جمع أشياء مختلفة ، وإن جعل اسماً لواحد منها صار جمعاً لأشياء متفقة .

والهباء . ما تُطَيَّرُهُ الرياح فتراه على وجوه الناس وجلودهم وثيابهم يلزق لزوقاً . وتقول : أرى في السماء هبَاءً ، ولا تقول : يومئذ هبَاءً . والهباء أيضاً : ما يظهر في الكُوْى من ضوء الشمس ، ومن الناس من لا عُقول لهم . وأهبي الفرس وغيره ، إذا أثار الهبَاءَ .

يقول : إياه للناس ! لقد عرفتهم حقَّ المعرفة ، وبلوتهم أحسن البلاء ، فرأيتهم كلهم هباء ، ورأيت أمرهم كله باطلا . أفتراني زهدتُ فيهم إلا لأني بهم عليهم !

١٢ (وَكَيْفَ تَلَا فِي الَّذِي فَاتَ بَعْدَمَا تَلْفَعُ نِيرَانَ الْحَرِيقِ أَبَاءَ)

التلافي : أفتقاد الشيء وتداركه . وأنشد ابن الأعرابي :

يُخَبِّرُنِي أُنِّي بِهِ ذُو قَرَابَةِ وَأُنْبَأْتُهُ أُنِّي بِهِ مُتَلَا فِي

أى إني لأدرك به ثأرى . والتلفع : الاشتغال . يقال : تلفعت النار ، إذا شملته من نواحيه وأصابه لهيبها ؛ والشيبُ رأسه : شمله . وتلفعت النار ، فتلفعها ؛ والأهوالُ الشيبَ رأسه ، فتلفعه ؛ أفاده التضعيف جديد تعديّة وردّته المطاوعة إلى أحد المعمولين . وشاهده قول أبي العلاء « تلفع نيران الحريق أباء » . . أما التلفع بمعنى التغطية فليس له ثلاثي متعد . ورباعيته المضعف من ذوى المعمول الواحد ، ومطاوعه لا يصل إلى معموّله إلا بالحرف . وشاهده قول جرير :

لَمْ تَتَلْفَعْ بِفَضْلِ مِئْزَرِهَا دَعْدٌ وَلَمْ تُفَدِّ دَعْدٌ بِالْعَلَبِ

وتقول : لقع رأسه ، أى غطّاه ، ولم يُسمع فيه « لقع » مخففاً متعدياً ، كما سُمع في معنى الشمول ، وإن كان منه .

والأبَاءُ ، بالفتح والمد : القصب . وقيل : هو أجمة الخلفاء وانقصب خاصة .

الواحدة أَبَاءَةٌ . قال كعب بن مالك الأنصارى يوم حفر الخندق :

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبُ يُرْعَبِلُ بَعْضُهُ بَعْضًا كَمَعْمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمُحْرَقِ
فَلَيَاتُ مَأْسِدَةً تُسَنُّ سِيُوفَهَا بَيْنَ الْمَزَادِ وَبَيْنَ جَزَعِ الْخَنْدِقِ

قال ابن برّى : وربما ذكر هذا الحرف في المعتلّ من الصحاح ، وأن الهمزة أصلها ياء . قال : وليس ذلك بمذهب سيبويه ، بل يحملها على ظاهرها حتى يقوم

دليل أنها من الواو أو من الياء ، نحو الرداء ، لأنه من الرَّذِيَّة ، والكسَاء ؛ لأنه من الكسُوة .

يقول : ليتنى أستطعت أن أستدرك ماضى وأتلافى مافات ، إذاً لأنكرت من أمرى بعض ما عرفت ، ولغيرت من مواصلى القديمة للناس نفوراً منهم وانقطاعاً عنهم . ولكن أين السبيلُ إلى ذلك ؛ وقد اشتعل الرأس شيباً كأنه النار تأخذ أطراف القصب .

١٣ (إِذَا نَزَلَ الْمِقْدَارُ لَمْ يَكُ لِلْقَطَا نُهُوضٌ وَلَا لِلْمُخْدِرَاتِ إِبَاءٌ)

١٤ (وَقَدْ نَطِحَتْ بِالْجَيْشِ رَضْوَى فَلَمْ تُبَلِّ)

وَلَزَّ بِرَايَاتِ الْخَمِيسِ قُبَاءٌ)

المقدار ، هنا : الموت . وقال اللَّيْثُ : المقدار : اسم القدر ، بمعنى المبلغ ، إذا بلغ العبد المقدمات . وأنشد :

لو كان خَلْفَكَ أو أَمَامَكَ هَائِبًا بَشْرًا سِوَاكَ لَهَا بَكَ الْمِقْدَارُ

يعنى الموت . والقطا : جمع قطة من الطيور ، سُمي بذلك لثقل مَشْيِهِ ، وقيل لصوته . ومنه بيت النابغة :

تَدْعُو قَطَاً وَبِهِ تُدْعَى إِذَا نُسِبَتْ يَا صِدْقَهَا حِينَ تَدْعُوهَا فَتَنْتَسِبُ

وفى المثل : إنه لأدَلّ من قطة ؛ لأنها ترد الماء ليلاً من الفلاة البعيدة . وفيه : وإنه لأحذق من قطة ؛ لأنها تقول : قَطَاً قَطَاً . وفيه أيضاً : لو تُرِكَ القطا ليلاً نام . يُضْرَبُ لِمَنْ يَهِيجُ إِذَا هِيَجَ . والمُخْدِرُ ، على صيغة اسم الفاعل ، من : أَخْدَرُ يُخْدِرُ ، إذا اتَّخَذَ الْأَجْمَةَ خَدْرًا . ويريد بـ « المخدرات » صنوفَ الحيوان الممتنع بالأجمات .

وأقام «القطا» و«المخدرات» مثلين للطير والحیوان . وخص «القطا» إذ أنه أهدى ، و«المخدرات» لأنها أقوى . والإباء : الامتناع ، فعله أبى يأبى ، بالفتح فيهما . وخص «القطا» بالنهوض ، وهو الطيران ، إذ هو مفزعها مع الحدثان . و«المخدرات» بالإباء ، لأن بالأجمات أهدارها تمتنع فيها .

والنَّطْح ، للكباش ونحوها ، وَيَقْتاس من ذلك تناطح الأمواج والسيول والرجال في الحرب . ورضوى ، بفتح أوله وسكون ثانية : جبل على مسيرة يوم من ينبع ، وعلى سبع مراحل من المدينة . وهو الجبل الذي يزعم الكيسانية أن محمد ابن الحنيفة به مقيم حتى يرزق . ولم تُبل : لم تكثر ، على القصر ، والأصل : لم تبال ؛ وقيل : حذفت الألف تخفيفاً لكثرة الاستعمال كما حذفوا الياء من قولهم : لا أدر . وكذلك يفعلون بالمصدر فيقولون : ما أباله بالة ، والأصل فيه : بالية . وقال ابن بَرى : لم تحذف الألف من قولهم «لم أبال» تخفيفاً وإنما حذفت لالتقاء الساكنين . وقال الخليل : هي من باليت . ولكنهم لما أسكنوا اللام حذفوا الألف لثلاثي يلتقي ساكنان ، وإنما فعلوا ذلك بالجزم لأنه موضع حذف ، فلما حذفوا الياء ، التي هي من نفس الحرف بعد اللام ، صارت عندهم بمنزلة نون «يكن» حيث أسكنت ؛ فإسكان اللام هنا بمنزلة حذف النون من «يكن» . وإنما فعلوا هذا بهذين حيث كثرت في كلامهم حذف النون والحركات ، وذلك نحو : مُد ، ولدٌ ، وقد علم . وإنما الأصل : منذ ، ولدن ، وقد علم . وهذا من الشواذ ، وليس مما يقاس عليه ويترد . والاز : لزوم الشيء بالشيء . والخميس : الجيش ؛ وقيل : الجرار ، أو الخشن . وقال ابن سيده : هو الجيش يخمس ما وجدته ، وسُمي بذلك لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساق . وقُبَاء بالضم ، وألفه واو ، يمد ويقصر ولا يصرف : قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة . وقباء أيضاً : مدينة كبيرة من ناحية فرغانة قرب الشاش . ضرب رَضْوَى وقباء مثلين للجبل والسهل .

يقول : إنما هو القضاء يجب الإذعان له والرضا به . فالقضاء إذا حُمِ
قص جناح القطا فلا تنهض ، وقلّم أظفار السباع فلا تَصُول . وأنت عن فهم هذا
القضاء عاجز ، ومن الوصول إلى سرّه ممنوع . ألا تراه يكف بأس ذى البأس
فيمنعه من البطش حين يريد البطش ، ويحتفظ للسهم بسهولة وللحزن بحزنته ،
مهما تتعاقب عليهما الأحداث . انظر إلى جبل رَضْوَى ما زال قائماً على كثرة
ما اختلف عليها من الرايات والأعلام . أذعن إذن واستسلم ، ولا تحاول فهماً
ولا تأويلاً ، فإن القضاء لا يخضع لفهم ولا تأويل .

- ١٥ (عَلَى الْوَلَدِ يَجْنِي وَالِدٌ وَلَوْ أَنَّهُمْ
وَلَاةٌ عَلَى أَمْصَارِهِمْ خُطَبَاءُ)
١٦ (وَزَادَكَ بَعْدًا مِنْ بَيْنِكَ وَزَادَهُمْ
عَلَيْكَ حُقُودًا أَنَّهُمْ نُحَسَاءُ)
١٧ (يَرَوْنَ أَبَا أَلْقَاهُمْ فِي مُورَبٍ
مِنْ الْعَقْدِ ضَلَّتْ حَلَّةَ الْأَرْبَاءِ)

الولد ، بالضم وبتحتين : ما وُلد أبياً كان ، وهو يقع على الواحد والجمع والذكر
والأنثى ويجوز أن يكون «الولد» بالضم ، جمع ولد ؛ والولد ، بالكسر ، كالوُلد بالضم
لغة ، وليس بجمع ؛ لأن فَعَلَ بالتحريك ليس مما يُكسّر على فِعْل . والحقود والأحقاد :
جمعاً حقد ، وهو الضغن . والعقد : نقيض الحل . وتأريب العقد : إحكامه .
يقال : أرّبت عقدتك ، أى أحكمتها ، ومنه قول كَنَازِ بْنِ نُفَيْعٍ يَخَاطِبُ جَرِيْرًا :
غَضِبْتُ عَلَيْنَا أَنْ عَلَاكَ ابْنُ غَالِبٍ فَهَلَّا عَلَى جَدِّكَ فِي ذَاكَ تَغَضِبُ
هَذَا حِينَ يَسْعَى الْمَرْءُ مَسَاعِدَ جَدِّهِ أَنَاخَا فَشَدَّكَ الْعَقَالَ الْمُورَبَّ
والأرباء : جمع أريب . وهو الداهية البصير بالأمور .

يقول : إنما الحياة شر فلننصرف عن هذا الشر ؛ وإنما الوجود بؤس
فلنقطع أسباب هذا البؤس ؛ وإنما الآباء جناة على أبنائهم مهما يبلغوا من علو
المرتلة وارتفاع المكانة ، أو مهما يُتَّح لها من التفوق والسلطان . ويزيد جنابة

الآباء على أبنائهم جدّة ، ويزيد بُعد الآباء من أبنائهم شدة ، أن يُتاح لهؤلاء الأبناء من الذكاء والنجابة ما يكشف لهم عن هذا الشر العظيم الذي دفعهم آباؤهم إليه حين منحهم الوجود ، واضطروهم إلى الحياة ، فورّطوهم في مآزق لا تخرج لهم منها ، ومصاعب لاسبيل إلى اجتيازها ، ومشكلات لا أمل في حلّها.

١٨ (وما أدب الأقوام في كلِّ بلدةٍ إلى المينِ إلا معشرُ أدباءِ)

أدب يأدب ، بالكسر أدباً : دعا ، هذا أصله ، ثم استعمل في الدّعوة إلى الطعام ، كما قيل لما يأدب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح : أدباً . وقد يوجّه هنا على الأصل كما قد يوجّه إلى هذا المعنى الأخير لئسكتة . .

والمين : الكذب . ويجمع على ميون . والفعل منه مان يمين . والمائن : الكاذب . وإذا أردت المبالغة قلت : ميون وميآن . وتقول : ود فلان متاين ، وفلان متاين الود ، إذا كان غير صادق الخُة . والمعشر : كل جماعة أمرهم واحد ، نحو : معشر المسلمين ، ومعشر الفقهاء .

يقول : مُخذ حذرِكَ ولا تسمع لكل ما يُقال ، ولا تستجِب لكل ما تُدعى إليه . أسىء ظنّك بأدب الأدباء ، فإنهم لا يدعون إلا إلى المين ، ولا يرغبون إلا في الباطل ، ولا يهدون إلا إلى الضلال .

١٩ (تتبعنا في سُكُلٍ نَقَبٍ ومُخْرَمٍ مَنايا لها مِن جنسها نُقباءِ)

تتبعنا ، أى تتبعنا . والنقب ، بالفتح والضم : الطريق ؛ وقيل : هو الطريق الضيق في الجبل . والجمع : أنقاب ونقاب . وقال الأزهري في جمعه : نَقَبَة . قال : ومثله : الجُرف ، وجمعه جِرْفَة . والمخرم ، بكسر الراء ، والجمع المخارم ، وهى أفواه الفجاج

والطرق في الغلظ . وقيل : الطرق في الجبال أو الرمل . وفي حديث الهجرة : مرّا بأوس الأسلمي فحملهما على جمل وبعث معهما دليلاً وقال : اسلك بهما حيث تعلم من مخارم الطرق . ونقباء : جمع نقيب ، وهو الضمين والكفيل .

يقول : أتريد أن تعرف الحق ؟ فاستمع إليّ : إنما نحن صيد يطلبنا الموت حيثما اتجهنا ، ويظفر بنا حيثما اعتصمنا ، فلا تفرق ولا تجبُن ، وأقدم على ما ترى الإقدام عليه ؛ فلن يمنحك الفرقُ خلوداً ، ولن يُجَنِّبكَ الجبنُ موتاً .

٢٠ (إِذَا خَافَتِ الْأَسَدُ الْخِمَاصُ مِنَ الظُّبَا)

فَكَيْفَ تَعَدَّى حُكْمَهُنَّ ظِبَاءً

الخِماص : جمع خمصان ، بالفتح والضم ، وهو الضامر البطن جوعاً . والأسد إذا جاع كان أشرى . ولم يجمعه بالواو والنون ، وإن دخلت الهاء في مؤنثه حملاً له على فعلان ، الذي أتناه فعلى ؛ لأنه مثله في العدة والحركة والسكون . وحكى ابن الأعرابي : امرأة خصى ، وأنشد للأصم عبد الله بن ربِيعِ الثيبريّ :

لكن فتاة طفلة خَمَصَى الحشأً عزيزة تنام نوماتِ الصَّحِي

مثل المهاة خذلت عن المهأ

والظُّبَا ، كهُدَى : من جموع ظُبة ، أهمله ابن منظور وذكره الفيروزبادي : وهو حد السيف ، ومثله : ذُبابه . وتعدى ، أى تعدّى ، حذف منه حرف المضارعة . والتعدى : التجاوز .

يقول : فكّر أى فرّق بين القوى إذا أدركه الخوف ، وبين الضعيف إذا مسّه الهم . فكّر ما خطب الظُّبَى إن أشفق من الموت ، وفيهم تُنكر عليه هذا الإشفاق ، إذا لم يكن الأسد المصور بمأمن من الخوف والإشفاق ؟

اللزومية الثانية

وقال أيضاً في الهدزة المضمومة مع الباء :

١ (تُكْرِمُ أَوْصَالَ الْفَتَى بَعْدَ مَوْتِهِ وَهُنَّ إِذَا طَالَ الزَّمَانُ هَبَاءً)

الأوصال : مجتمع العظام والمفاصل . وفي صفته صلى الله عليه وسلم : إنه كان فَعَمَ الأوصال ، أى ممتلىء الأعضاء . الواحد وُصِلَ ، بالكسر والضم . وقيل : الوصل : كل عظم على حدة لا يكسر ولا يخلط بغيره ولا يوصل به غيره ، وهو الكِسر والجِدَل .

وقد مر الحديث على « الهباء ^(١) » .

يقول : دع ما أستقر في طباع الناس من إهمال الحق وإيثار الباطل ، اغتراراً بالظاهر الكاذب : من لفظ خادع ، أو وهم شائع ، أو خرافة باطلة . فإنما حياة الناس ألوان من تلك الأباطيل المحترمة كأنها حق ، منها ما أجمع الناس عليه في كل جيل وفي كل موطن من تكريم الجثة بعد الموت ، مع أنها صائرة إلى التغير والاستحالة وصائرة هباء بعد حين ، وحرصهم على الحياة واغترارهم بها وانخداعهم بلذاتها واندفاعهم خلف الآمال والأمانى ، كأنهم خالدون ، مع أن الموت لا بد منه ولا مندوحة عنه .

٢ (وَأَرَوْا حُنَا كَالرَّاحِ إِنْ طَالَ حَبْسُهَا فَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ يَكُونَ سِبَاءً)

الراح : الخمر ، اسم له ، والسبأ : مصدر سبى الخمر يسبئها ، أو سبأ الخمر يسبؤها . وهو على الأول بمعنى : حملها من بلد إلى بلد وجاء بها من أرض إلى أرض . قال أبو ذؤيب :

(١) انظر شرح البيت ١١ من اللزومية الأولى ص ٥٨ من هذا الجزء .

فما إن رحيق سببها التجا رُ من أذرعات فوادي جدَرُ

وعلى الثانى فالمعنى : اشتراها ، أو اشتراها ليشربها ، فإن لم تهمز كان المعنى فيه الجلب ، وإن هزمت كان المعنى فيه الشراء . والمعنى على التوجيهين مستقيم ، فكلاهما يفيد الاحتياز .

يقول : وما الروح فى الجسم إلا كالراح فى الدن ، لكل منها مقتضى يتبغيا وطالب يرغب فيها . فطالب الراح الإنسان ، وطالب الروح الموت .

٣ (يُعِيرْنَا لَفْظَ الْمَعْرَةِ أَنَّهَا مِنْ الْعَرِّ قَوْمٌ فِي الْعَلَاءِ غَرْبَاءُ)

٤ (فَإِنَّ إِبَاءَ اللَّيْثِ مَا حَلَّ أَنْفَهُ بَأَنَّ مَحَلَّاتِ اللَّيْثِ أَبَاءُ)

٥ (وَهَلْ لِحِقِّ التَّثْرِبِ سُكَّانٌ يَثْرِبُ)

مِنَ النَّاسِ لَا بَلْ فِي الرَّجَالِ غَبَاءُ)

٦ (هُمْ ضَارِبُوا أَوْلَادَ فِهْرٍ وَجَالِدُوا عَلَى الدِّينِ إِذْ وَشَى الْمُلُوكَ عَبَاءُ)

٧ (ضَرَابًا يُطِيرُ الْفَرَّخَ عَنْ وَكْرِ أُمِّهِ وَيَتْرُكُ دِرْعَ الْمَرْءِ وَهِيَ قَبَاءُ)

٨ (وَذُو نَجَبٍ إِنْ كَانَ مَا قِيلَ صَادِقًا فَا فِيهِ إِلَّا مَعْشَرٌ مُجْبَاءُ)

التعير: التعاب والتساب . والعامه تقول : عيره بكذا . والصواب : عيره كذا . قال النابغة :

وعيرتني بنو ذبيان خشيته وهل على بآن أخشاك من عارٍ

والمعرة ، هى معرة النعمان ؛ منها كان أبو العلاء . وأما معنى المعرة لغة ، فالجرب والشدة ، وتلون الوجه من الغضب ، والغرم والدية ، وقتال الجيش دون إذن الأمير . وهى أيضاً كوكب فى السماء دون المجرة ، سميت بذلك لكثرة النجوم فيها ،

تشديهاً بالجرب . والنعمان التي نسبت إليه هو ابن بشير ، صحابي اجتاز بها فمات له بها ولد فدفنه وأقام عليه فسميت به .

وقال ياقوت : وهذا في رأيي سبب ضعيف لا تسمى بمثله مدينة . والذي أظنه : أنها مسماة بالنعمان ، وهو الملقب بالساطع بن عدى بن غطفان بن عمرو بن بريح ابن خزيمة بن تيم الله ، وهو تنوخ بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وهي مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حِمْص بين حلب وحماة .

والعرب ، بالفتح والضم : الجرب . وقيل العر ، بالفتح : الجذب . وبالضم : قروح بأعناق الفُصلان .

والإباء : الامتناع : وأنفه : أشده ؛ تقول : جاء يعدو أنف العدو ، أى أشده . وما حلّ ، أى ما نقص ونقض من مرتته .

ومحلات : جمع محلة ، وهي المنزل يُنزل فيه . والأبء : جمع أباءة ، وهي أجمة القصب . وقدمر عنها مزيد^(١) . ومحل « الباء » وما اتصلت به من « أن » ومعمولها الرفع على الفاعلية للفعل « حل » .

والثريب : التوييح . وقيل : ثرب عليه : لامة وعيره بذنبه وذكره به . وفي التنزيل العزيز : (قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ) قال الزجاج : معناه لا إفساد عليكم . وقال ثعلب : معناه لا تذكروا ذنوبكم . وفي الحديث : « إذا زنت أمة أحدم فليضربها الحد ولا يثرب » . قال الأزهرى : معناه : ولا يبيكتها ولا يقرعها بعد الضرب : وقيل : أراد : لا يقنع في عقوبتها بالثريب بل يضرها الحد ، فإن زنى الإمام لم يكن عند العرب مكروهاً ولا منكراً ، فأمرهم بحدّ الإمام كما أمرهم بحد الحرائر . وثرّب عليه وعربّ عليه ، بمعنى ، إذا قبح عليه فعله . ويثرب :

(١) انظر شرح البيت ١٢ من اللزومية الأولى : ص ٥٩ من هذا الجزء .

مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . سمّاها طيبة وطابة كراهيةً للتثريب . وقيل : إن يثرب ناحية من مدينة النبي صلى الله عليه وسلم . والنسبة إليها يثربيّ وأثريّ وأثريّ ، فتحوا الرّاء استنقاعاً لتوالي الكسرات . والغباء ، أصله غباً ، فمدّ للشعر . يقال : غبي الشيء ، وغبي عنه ، غباً وغباًوة : لم يفتن له . كما يقال : غبي الأمر عني ، أى خفي فلم أعرفه . وفي حديث الصوم : « فإن غبي عليكم » أى خفي . ورواه بعضهم « غبي » بضم الغين وتشديد الباء المكسورة ، لما لم يُسمّ فاعله . وأما الغباء ، بالمد ، فهو شبه العبرة في السماء ، وكذلك الخفاء من الأرض .

والمضاربة والمجالدة ، بمعنى . وفي اختياره لصيغة « فاعل » في الفعلين إشارة لما نالوا من خصومهم ونال منهم خصومهم ، وهو أمدح . وفهر ، أبو قبيلة ، وهى أصل قریش ، وهو فهر بن غالب بن النضر بن كنانة . وقریش كلهم ينسبون إليه . والشوى من الثياب ، هو أن يكون من كل لون . وقيل : ما أختلط فيه لون بلون والجمع : وشاء .

والعباء : جمع عباية ، وهى صرّب من الأكسية واسع فيه خيوط سود كبار . يُشير إلى ما كانوا عليها حينذاك من بدآوة ، فى ظلها الحمية أشد ، والحفاظ ألد . والوكر : عَش الطائر وإن لم يكن فيه . وقال الأزهرى : موضع الطائر الذى يبيض فيه ويفرخ . وزاد أبو عمرو : هو العُشّ حيثما كان ، فى جبل أو شجر . والجمع القليل : أوكر ، وأوكر ؛ والكثير : وُكور ، ووُكر .

والدرع : كَبوس الحديد : تذكَر وتؤنث . يقال : درع سابغة وسابغ ، والجمع فى القليل : أدرع وأدراع . وفى الكثير : دُرُوع . وتَصغير درع : دُرِيع ، بغير هاء على غير قياس ، لأن قياسه بالهاء ، وهو أحد ما شد من هذا الضرب .

والدرع كذلك : قميص المرأة ، وهو أيضاً الثوب الصغير تلبسه الجارية الصغيرة فى بيتها ، وكلاهما يذكّر ، وقد يؤنثان . وقال اللحيانى : درع المرأة مذكر لا غير . والقباء ، ممدود : من الثياب ، سمى بذلك لاجتماع أطرافه .

وذو نجب ، محرّكة : واد لمحارب ، كانت فيه وقعة لبني تميم على بني عامر ابن صعصعة . دعت بنو عامر حسان بن معاوية بن آكل المرار الكندي ، وهو ابن كبشة ، امرأة من بني عامر بن صعصعة ، بعد وقعة جيلة بحول ، إلى غزو بني حنظلة ، وهو نوا أمرهم عليه . فساروا إليهم في جمع وثروة ، ووقعت الحرب ، فقتل ابن كبشة الملك ، وأسر يزيد بن الصعق وغيره من وجوه بني عامر ومن تبعهم . فقال سُحيم بن وُثَيْل الرّياحى :

ونحن ضربنا هامة ابن خوَيْلد يَزِيدُ وَضَرَجْنَا عُبَيْدَةَ بِالْدَمِّ
بذى نجب إذ نحن دون حريمنا على كل جِيَّاش الأجارى مَرِجَمِ

يقول : إن بعض الأدياء ليعيروننا لفظ المعرة ، يزعمون أنها مشتقة من العر ، وهو الجرب . فانظر إلى سخف الناس وما يتورطون فيه من الانخداع بالأسماء ، والاندفاع فيما تدعو إليه من رغبة أو رهبة ، غير حافلين بالحق ، ولا ناظرين فيه . لو أن للأسماء أثراً في الوجود والحس ، لكانت الأسود إنما تستمد إباءها من أجماتها التي تسكنها ، ولكان أهل يثرب قد أصابهم التثريب والعيب . مع أنهم أحقّ الناس بالمدح والثبوة ، لما جالدوا عن الدين وزادوا عن حوضه ، بضرب يطير الفرخ عن وكر أمه ، ويبطل مزية الدرع فيردّها كالقميص لا تغنى غناء ، ولا تدفع بلاء . لو كان ذلك حقاً لكان اسم ذى نجب ، علة لنجابة سكانه ، وسبباً لنُبوغ أبنائه . أجل ، إن ذلك باطل ، مصدره فساد العقول ، ومرض القلوب ، وانحراف الأمزجة .

٩ (هَلِ الدِّينُ إِلَّا كَاعِبٍ دُونَ وَصَلِهَا حِجَابٌ وَمَهْرٌ مُعَوِّزٌ وَحِبَابٌ)
١٠ (وَمَا قَبِلْتُ نَفْسٌ مِنَ الْخَيْرِ لَفْظَهُ وَإِنْ طَالَ مَا فَاهَتْ بِهِ أَلْخَطْبَاءُ)

الكاعب : الجارية حين يبدو نذيتها للتهود ، والجمع : كواعب . قال تعالى :

(وَكَوَاعِبَ أَثْرَابًا) . ومُعَوِّزٌ ، أى يُعَوِّزُ صاحبه . يقال : أعوزه هذا الأمر ، إذا اشتد عليه وعسر ، أو قَلَّ عنده مع حاجته إليه .
والجباء والعطاء : ما يجبو به الرجل صاحبه ويكرمه به .

يقول : وإنك لترى لفظ الدين والخير أشيع الألفاظ بين الناس ، يتخذونهما طريقاً إلى الحياة والغنى ، وجنة من الموت والفاقة . مع أن معنى الدين عزيز لا ينال إلا بالكد ، ولا يدرك إلا بالمحاولة ، ولا يسمو إليه إلا من أعد له العدة من جهاد بالنفس والقوة والمال . وما كنت لآخذ بلفظ الخير فأزعم بعد ذلك أئى خير .
وطالما ردّد الخطباء هذا اللفظ ولا كتته أفواههم ، إنما الخير معنى يؤثر في القلوب والعقول ، وتظهر آثاره في الأعمال ، لا لفظ تلوكه الأفواه وتذهب به الرياح .

١١ (تَفَرَّعُ أَعْرَابِيَّةٌ أَنْ جَرَتْ لَهَا نَوَاعِبُ يَسْتَعْرِضْنَهَا وَظِبَاءُ)
١٢ (وما الأربى للحى إلا مُسْفَةٌ على أنهم في أمرهم أرباء)

تفرّع ، أى تفرّغ ، مع حذف تاء المضارعة . وجرت لها : وقعت وحدثت . والنواعب . الغربان تنعب . والنعيب للغراب ، ويقال لغيره على الاستعارة . وهو مما يُتَطَيَّرُ به ، إذ لا يرى إلا على آثار الديار بعد أن يخلفها أهلها . ويستعرضنها ، أى يبحثها من جانبها عرضاً ، يُشير إلى تطير العرب بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرها . فكانوا يُثيرونها ، فإذا مرت شمالاً فهى البارحة ، فنشاء مواهبها . وإذا أتتهم عن اليمين فهى السانحة ، وتيمنوا بها . وفى الحديث : « ثلاثة لا يسلم منها أحد : الطيرة والحسد والظن . قيل فما نضع ؟ قال : إذا تطيرت فأمض ، وإذا حسدت فلا تنبع ، وإذا ظننت فلا تصحّح » .

والأرَبِي ، بضم الهمزة : الداهية . قال ابنُ أحرر :
 فلما غَسَى لَيْلِي وأيقنتُ أنها هي الأَرَبِي جاءت بأم حَبَو كَرِي
 قال الزَّيْدِي : وهي كَشْعَبِي رَأْرُنِي ولا رابع لها . ومُسَفَّة ، أى مؤذيه ضارَّة
 تردُّ لها الوجوه وتتغير وتكمدُّ . وفي الحديث : « أتى برجل فقيل إنه سرق » .
 فكأنما أُسِفَّ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أى تغير وجهه واكمدَّ ، كأنما
 ذُرَّ عليه شيء غيره . من قولهم : أسففتُ الوشم ، وهو أن يُغرز الجلد بإبرة ، ثم
 تحشى المغازر كحلا . أو لعلها من « الإسفاف » ، وهو الدنو ، يريد أنها نازلة بهم .
 وأرباء : جمع أريب ، وهو البصير العاقل .

يقول : وهل رأيت أضعف عقلا أو أسخف رأياً أو أضل حلماً أو أسفه
 نفساً ممن يتفزع ويتشام ، أو يستبشر ويتفأل بالألفاظ الخادعة أو الأمور التي
 لا أثر لها في عمل الطبيعة . تلك الأعرابية تفزع وترتاع حين تعرض لها نواعب
 الغربان أو أسراب الطباء . مع أن الداهية قد تلم بالحي البصير الحازم ، تفأل
 أو تشام . لا يؤثر ذلك في قدر ، ولا يدفع ذلك شيئاً من البلاء .

- ١٣) تَعَادَتْ بَنُو قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ بِالْغَنَى فَثَابُوا كَأَنَّ الْعَسَجَدَ الثَّوْبَاءَ)
 ١٤) (وَلَوْلَا الْقَضَاءُ الْحُتْمُ أَخِي وَاقِدٌ وَلَمْ يُبْنَ حَوْلَ الرَّاقِدِينَ خِبَاءً)
 ١٥) (وَعَادُوا إِلَى مَا كَانُوا إِذَا جَادَعَارَضُوا رَأَوْا أَنَّ رَعِيًّا فِي الْبِلَادِ رِبَاءً)
 ١٦) (يُبِيئُونَ قَتْلَهُمْ بِأَكْثَرِ مِنْهُمْ وَإِنْ قَتَلُوا حُرًّا فَلَيْسَ يُبَاءَ)

تعادى القوم ، أى أصاب هذا مثل ما أصاب هذا . وعيلان أبو قيس ، هو
 الياس بن مُضر بن نزار . وقيل : الصواب قيس عيلان ، مضافاً . وقال الجوهري :
 وليس في العرب « عيلان » غيره . واستدرك عليه الزَّيْدِي فقال : وعيلان ، يطن
 من باهلة . وعيلان ، هو في الأصل اسم فرسه فأضيف إليه . وقيل : إنما عيلان

عبد مضر، فَحَضَنَ إلياسَ فغلب عليه ونسب إليه . وقال السهيلي في الروض الأنف :
 قيس بن عيلان . هو المشهور عند أهل النسب . وبعضهم يقول : قيس هو عيلان
 لا أبنة . قال : وعرف قيس عيلان بفرس له يسمى عيلان ، كما عرف قيس كُبَّة
 في بجيلة بفرس له اسمه كبة . وكان هو وقيس عيلان متجاورين ، فإذا ذكر أحدهما
 وقيل : أى القيسين هو ؟ قيل قيس عيلان ، أو قيس كُبَّة . كما قيل : إن عيلان
 كان اسم كلب له . وقيل : اسم جبل وُلد عنده . وقيل : كان قيس عيلان
 جواداً أتلف ماله فأدر كته عيلة ، فسمى عيلان .

وثابوا ، أى امتلأت به أيديهم ، من ثاب الحوض ، إذا امتلأ . والمسجد :
 الذهب ، وقيل : هو اسم جامع للجوهر كله من الدر والياقوت . والثؤباء ، من
 الثؤأب . وقد مر (١) .

والحتم : اللزوم الواجب الذى لا بد من فعله . وخبت النار : سكنت وطفئت
 وخذ لها . وأخيتها أنا . قال الكميت :

ومنا ضرار وابئماه وحاجبٌ مؤججٌ نيران المكارم لا المخبي

والواقد : المتقد المشتعل . والخباء : واحد الأخبية ، وهو ما كان من وبر
 أو صوف ، ولا يكون من شعر . وهو على عمودين أو ثلاثة ، وما فوق ذلك فهو
 بيت . وقد يستعمل فى المنازل والمسكن ، ومنه الحديث : « أتى خباء فاطمة وهى
 فى المدينة » . يريد منزلها . وأصله الهمز ، لأنه يختبأ فيه .

والعارض : السحاب المثل يعترض فى الأفق . والرِّبَا : الزيادة والنمو . فعله :

ربا يربو .

ويقال : أبأت فلاناً بفلان ، إذا قتلته به . وباء فلان بفلان ، إذا قُتل به

وصار دمه بدمه .

(١) انظر شرح البيت ١٠ من اللزومية الأولى : ص ٥٧ من هذا الجزء .

يقول : أولئك قيس بن عيلان أعدام الغنى والثروة ، فعادوا من أثرياء الناس وأهل الغنى منهم . ولولا أن سبق بذلك قضاء محتوم وقَدَر مكتوب لما وَرَيْت لهم زَنْدٌ ، ولا كان لهم رَفْدٌ ، ولعادوا إلى ما كانوا فيه من الفقر المدقع ؛ يُضنّونهم رعى الكلاء ، ويضعفهم الحصول على أدنى القوت ، مختلفين فيما بينهم لا يجمعهم نظام ، ولا يُلمّ شعْثهم قانون ، وإنما هو الغلب والقهر ، وهو السلطان والاستبداد .

اللزومية الثالثة

وقال في الهمزة المضمومة مع الباء ، والطويل الثاني (١) :

١ (أَرَأَيْكَ فَلْيَغْفِرْ لِي اللَّهُ زَلَّتِي بِذَلِكَ وَدَيْنُ الْعَالَمِينَ رِثَاءً)

راءيتُ الرجل مُرَاةَ ورثاء : أَرَيْتُهُ أُنَى عَلَى خِلاَفِ مَا أَنَا عَلَيْهِ .

يقول : شيئاً من الفطنة ونفاذ البصيرة ، فإنما الأمر بينك و بيني يقوم على الرياء والنفاق ؛ إني لأظهر لك غير ما أضمر ، وأبدي لك غير ما أخفي ، فليغفر الله لي هذه الزلة ، وليتجاوز لي عن هذه السيئة .

٢ (وَقَدْ يُخْلِِفُ الْإِنْسَانُ ظَنَّ عَشِيرِهِ وَإِنْ رَاقَ مِنْهُ مَنَظَرٌ وَرُوءًا)

الإخلاف : أن يَعِدَ الرجل العدةَ فلا يُنجزها ، أو أن يطلب الرجل الحاجة فلا يجد ما طلب . يقال : رُجِيَ فلان فأخلف . والعشير : القبيلة ، والمعاشر ، والقريب والصديق . والرؤاء ، بالضم : حُسْنُ المنظر في البهاء والجمال . يقول : ما أكره ما ينكر الإنسان أمرَ عشيره ! يَرَى منه ما يرضيه ويخدعه ، ولو قد تكشّف له ما وراء ذلك لرأى شراً ونكراً .

٣ (إِذَا قَوْمًا لَمْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَحَدَهُ بِنُصْحٍ فَإِنَّا مِنْهُمْ بُرَاءً)

يقال : أنا بريءٌ من ذلك ؛ والجمع براء ، مثل كريم وكرام ؛ وبُراء ، مثل فقيه وفقهاء ؛ وأبراء ، مثل شريف وأشراف ؛ وأبرياء . مثل نصيب وأنصباء . يقول : برئتُ إلى الله من الذين لا يعبدونه وحده ناصحين مخلصين ، لا يشوب دينهم رياء ولا نفاق .

(١) أى ذو العروض المقبوضة ، وضربها مثلها .

اللزومية الرابعة

وقال في الهمزة المضمومة مع الباء ، والطويل الثاني^(١) :

- ١ (سَأَلْتُ رَجُلًا عَنْ مَعَدٍّ وَرَهْطِهِ وَعَنْ سَبَأٍ مَا كَانَ يَسْبِي وَيَسْبَأُ)
 ٢ (فَقَالُوا هِيَ الْأَيَّامُ لَمْ يُخْلِ صَرْفُهَا مَلِيكًا يُفَدِّي أَوْ تَقِيًّا يُذَبِّأُ)

معد ، هو ابن عَدْنَانَ أبو العرب العدنانية ، والميم زائدة . وأصلية ، لقولهم :
 تَمَعَدَد ، لقلّة « تمفعّل » في الكلام . وعن النُّحَاة : أن الأغلِب على معدٍّ وقريش
 وثقيف التذكير والصرف ، وقد تَوَثَّ ولا تُصْرَف . والرَّهْط : قوم الرجل وقبيلته
 وَعَشِيرَه . وقيل : هم من الرجال مادون العشرة . وقيل : إلى الأربعين ، ولا يكون
 فيهم امرأة . وسبأ : لقب ابن يَشْجَب بن يَعْرَب بن قحطان ، واسمه عبد شمس ،
 يَجْمَع قبائل اليمن عامة . ومرَّ الكلام على السبي والسبَاء^(٢) . وصرف الأيام :
 حَدَّثَانِهَا ونَوَائِبِهَا . وَيُنَبِّأُ ، أى تَدْعَى له النبوة .

يقول : سألت رجلاً من أهل العلم وأصحاب الفلسفة والبصر بمحقات الأشياء
 عن معدٍّ أو رهطه ، ماذا أعدوا لانتقاء الخطوب ، وماذا دبروا لتجنب الأحداث ؟
 وسألتهم عن سبأ ماذا كان يسبي إذا حارب ، وماذا كان يسبأ إذا فرغ للهوه ،
 وإلآم صار أمره بعد هذا كله ؟ فقالوا : إنما هي الأيام قد أنزل الناس على حُكْمِهَا ،
 لم يُعْفَ من صُروفِهَا مَلِيكٌ يُفَدِّي بالأنفس والأموال ، ولا تَقِيٌّ يدين الناس له
 بالكرامة أو بالنبوة .

(١) أى ذو العروض المقبوضة ، وضربها مثلها .

(٢) انظر شرح البيت ٢ من اللزومية الأولى ص ٥٣ من هذا الجزء .

٣ (أَرَى فَلَكًا مَازَالَ بِأَخْلُقِ دَائِرًا لَهُ خَبْرٌ عَنَّا يُصَانُ وَيُحْبَبُ)

الفلك : مدار النجوم . ويُجمع على أفلاك ، ويجوز أن يجمع على فُلكٍ ، مثل أسد وأُسُد .

يقول : أرى فلكا يدور بما فيه ومن فيه ؛ وإن لهذا الفلك لسراً موصوناً وخبراً مكتوماً .

٤ (فَلَا تَطْلُبُ الدُّنْيَا وَإِنْ كُنْتَ نَاشِئًا فَإِنِّي عَنْهَا بِالْأَخْلَاءِ أَرَبًا)

الناشيء : فويق المحتلم . وقيل : هو الحدث الذي جاوز حد الصغر . وكذلك الأثنى ناشيء ، بغيرهاء أيضاً . والجمع نشأ ، مثل طالب وطلب ، وكذلك النشء ، مثل صاحب وصحب . وفي الحديث : «نشأ يتخذون القرآن مزامير» . وربأ به عن كذا ، أى رفعه عنه .

يقول : فأعرض عن الدنيا ولا تغررك عن نفسك ، لافى شيبية ولا فى شيخوخة ؛ إنما هى نصيحة أسديها إليك مخلصاً ، لأنى أو ترك بالحب ، وأنا أربأ بالذين أحبهم عن طلب الدنيا والتورط فى آثامها .

٥ (وَمَا نُوبُ الأَيَّامِ إِلَّا كِتَابٌ ثُبْتُ سَرَايَا أَوْ جِيُوشُ تَعَبًا)

النوب : النازلات . جمع نادر لنائبة ؛ والأعراف نواب . قال ابن جنى : مجيء فعلة على فعل يُريك كأنها إنما جاءت عندهم من فعلة ، فكان نوبة نوبة ، وإنما ذلك لأن الواو مما سبيله أن يأتى تابعا للضمة . قال : وهذا يؤكد عندك ضعف حروف اللين الثلاثة . والكتائب : جمع كتيبة ، وهى القطعة العظيمة من الجيش . وفى حديث السقيفة : «نحن أنصار الله وكتيبة الإسلام» . وبثته : نشره وفرقه .

والسرايا : جمع سرية ، وهي طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمائة ؛ قيل : سُموا بذلك لأنهم يُنفذون سرا وخفية ، وليس بوجه ؛ لأن لام « السر » راء ، وهذه ياء . وعَبَّأت الجيش وعَبَّأته : رتبتهُم في مواضعهم للحرب ، وقد يترك الهمز .

يقول : اصبر نفسك على أحداث الدنيا وكوارثها ، وأقم فيها إقامة المجاهد المرابط ، فإن ما يُلمّ بأهلها من النوائب ليست إلا كتائب ييشها القضاء ، مفرقة حيناً ومجمعة حيناً آخر ، ولا مرد لها على كل حال .

اللزومية الخامسة

وقال في الهمزة المضمومة مع الدال ، والطويل الثاني (١) :

١ (بَنِي الدَّهْرِ مَهْلًا إِنْ ذَمَّتْ فِعَالِكُمْ فَإِنِّي بِنَفْسِي لَا مَحَالَةَ أَبَدًا)

المهل ، بالإسكان : الرفق ؛ وبالتحريك : التقدم ، ومنه حديث علي لأصحابه لما لقي الشّرة : أَقْلُوا البُطْنَةَ وَأَعْذِبُوا . وإذا سرتم إلى العدو فمهلاً مهلاً — أى رِفْقًا رِفْقًا — وإذا وقعت العين على العين فمهلاً مهلاً ، أى تقدّمًا تقدّمًا . قال ابن منظور : الساكن : الرفق . والمتحرك : التقدم ، أى إذا سرتم فتأنّوا ، وإذا لقيتم فاحملوا . وقال الجوهري : المهل ، بالتحريك : التؤدة والتباطؤ .

ولا محالة ، هى فى موضع : لأبد ، ولا حيلة ؛ مفعلة من الحول والقوة . وأكثر ما تستعمل بمعنى اليقين والحقيقة ، أو بمعنى لا بد ، والميم زائدة .

يقول : بنى زمنى ، لا تجذوا على ، ولا تنقموا منى أن أنكر حالكم ، وأذم فعالكم . فإنى أنكر من نفسى مثل ما أنكر منكم ، وأعيب من فعلى مثل ما أعيب من فعلكم . أشاركم فى الحياة فأشاركم فى الإنم وفى اللوم .

٢ (مَتَى يَتَقَضَى الوَقْتُ وَاللهُ قَادِرٌ فَنَسْكُنَ فِي هَذَا التُّرَابِ وَنَهْدًا)

يتقاضى الوقت : ينفى وينصرم . والسكون هنا : ضد الحركة . وأما السكون بمعنى الإقامة ، فهو من ذوات المفعول ، وقد يجوز إليه بالباء .

يقول : ما أقدر الله على أن يرُدّنا إلى هذا التراب ، فنسكن بعد حركة ، ونهدأ بعد عناء .

(١) أى ذو العروض المقبرضة ، وضرها مثلها .

٣ (تَجَاوَرَ هَذَا الْجِسْمُ وَالرُّوحُ بِرُهْمَةٍ فَمَا بَرِحَتْ تَأْذَى بِذَلِكَ وَتَصَدَأُ)

أذَى به يأذى أذَى وأذاة وأذية، تأذَى، فهو أذٍ . قال الشاعر :

لقد أذوا بك ودوا لو تُفارقهم أذى المهراسة بين النعل والقدم

وصدئت تصدأ ، أى ركبها الرين وعلاها الطبع . ومثلها أصدأ يصدى .

يقول : لقد جاورت نفسى هذا الجسم النكد ، فما أصابها من جواره

إلا الأذى ، والصدأ الذى يفسد معدنها ، ويجلب لها كدرأ بعد صفاء .

اللزومية السادسة

وقال في الهمزة المضمومة مع السين ، والبسيط الثاني^(١) :

١ (يَأْتِي عَلَى الْخَلْقِ إِصْبَاحٌ وَإِمْسَاءٌ وَكُنَّا لَصُرُوفِ الدَّهْرِ نَسَاءً)

الإصباح : الصباح ، وهو نقيض المساء . أما الصبح ، فهو أول النهار والفجر .
وإيمساء : نقيض الإصباح . وصرُوف الدهر : حَدَثَانُهُ ونوائبه ؛ الواحد : صرف ،
اسم للدهر ؛ لأنه يَصْرِفُ الأشياءَ عن وُجُوهِهَا . ونساء : كثير النسيان ، وفعله :
نسى الشيء نسياناً ؛ ونسيّاً بالفتح والكسر . ونساوة ونِسوة . قال الشاعر :

فلستُ بصرّامٍ ولا ذى ملالةٍ ولا نسوةٍ للعهد يا أمّ جعفر

يقول : ما أكثر ما يستقبل الناسُ الصُّبْحُ ! وما أكثر ما يستقبلون المساء !
ولكنهم جميعاً يَنسُونُ ما يكون بينهما من الأحداث .

٢ (وَكَمْ مَضَى هَجْرِيٌّ أَوْ مُشَاكِلُهُ مِنْ الْمَقَاوِلِ سَرُّوا النَّاسَ أَمْ سَاءُوا)

هجريّ : نسبة إلى هجر ، بفتحتين ، مدينة ، وهي قاعدة البحرين . وقيل :
ناحية بها . والنسبة إليها : هجريّ على القياس ، وهاجريّ على غير القياس . والغالب
عليها التذكير والصرّف . وربما أنثوها ولم يصرّفوها . وقد فُتحت في أيام النبي
صلى الله عليه وسلم ، قيل : في سنة ثمان ؛ وقيل : في سنة عشر على يد العلاء بن الحضرمي .
والمقاول : جمع مقول ، وهو كالمقيل ، الملك من ملوك حمير ، وقيل هو دون الملك
الأعلى . ويُجمع على مقاوله أيضاً . دخلت الماء فيه على حدّ دخولها
في القشاعة .

(١) أي ذو العروض المحبوبة ، وضربها مقطوع .

يقول : ما أكثر من يمضى من الساسة والقادة ! وقد سرُّوا الناس بسياستهم وقيادتهم ، أو ساءوهم بما دبُّروا وقدرُوا .

٣ (تَتَوَى الْمُلُوكُ وَمِصْرٌ فِي تَغْيِرِهِمْ مِصْرٌ عَلَى الْعَهْدِ وَالْأَحْسَاءُ أَحْسَاءُ)

التَّوَى ، مقصور : الهلاك : وقيل هو هلاك المال خاصة . وفعله من باب فرح . والأحساء : مدينة بالبحرين . أوّل من عمرّها وحصنّها وجعلها قصبَةً « هجر » أبو طاهر الحسن بن أبي سعيد الجنّابى القرّمطى .

يقول : إن الملوك والرؤساء ليتتابعون فيما يردُّون من الهلك ، ولكن بلادهم تبقى على عهدّها لا تتغيّر ولا تبدّل . فمِصْرُ هى مصر ، والأحساء هى الأحساء ، وما أكثر من هلك من ملوك مصر وأمراء الأحساء .

٤ (خَسِيسَتْ يَا أُمَّنَا الدُّنْيَا فَأَفَّ لَنَا بَنُو الْخَسِيسَةِ أَوْ بَاشُ أَحْسَاءِ)
٥ (وَقَدَنْطَقَتْ بِأَصْنَافِ الْعِظَاتِ لَنَا وَأَنْتِ فِيمَا يَظُنُّ الْقَوْمُ خَرَسَاءِ)

خس يخس ، من بابى فرح وضرب : صار خسيسا ، وهو الرذّل الدنى . وأف : كلمة تضجر . وفيها عشرة أوجه جمعها ابن مالك فى بيت واحد وهو قوله :

فَأَفَّ ثَلَثٌ وَنَوْنٌ إِنْ أُرِدَتْ وَقُلْ أَفَى وَأُفَى وَأَفٌ وَأُفَةٌ تُصِيبُ

والأوباش : الأخطا من الناس ، مثل الأوشاب .

يقول : أى أُمَّنَا الدنيا ، إنك لخسيسة حقيرة . فأف لنا نحن أبناءك من أوباش أحساء ! ورثنا عنك الخسة وضعة القدر . إنك لتعطيننا أصناف العظا ، وتقدمين لنا ألوان النصح ، بما تتكشفين لنا عنه من السوء والشر ، والناس على ذلك يروّونك خرساء لا تنطقين .

٦ (وَمَنْ لِيَصْخَرِ بْنِ عَمْرٍو أَنْ جَسَّتْهُ صَخْرٌ وَخِنْسَاءٌ فِي السَّرْبِ خِنْسَاءٌ)

صخر بن عمرو، هو ابن الشريد السلمي، أخو الخنساء الشاعرة، طعن يوم ذى الأثل، طعنه رجل من بني أسد فأدخل جوفه حلقاً من الدرع فاندمل عليه، حتى شق عنه بعد سنين، فكان ذلك سبب موته. ولأخته الخنساء فيه مرث كثيرة. ويُريد بالخنساء الثانية بقرة أو ظبية، وأصل الخنس في البقر والظباء، وهو قصر الأنف ولزوقه بالوجه، ثم انتقل إلى غيرها. والسرب: القطيع. يقول: من الصخر بن عمرو أن يكون جسمه صخرًا لآحياة فيه! ومن لأخته الخنساء أن تكون ظبية ترعى مع الظباء، لاحظ لها من عقل! إذن لتجنبنا ما أصابهما من القتل والشكل والحزن.

٧ (يَمُوجُ بِمُحْرِكٍ وَالْأَهْوَاءُ غَالِبَةٌ لِرَاكِبِيهِ فَهَلْ لِّلسُّفْنِ إِرْسَاءٌ)

يقول: إنَّ بِمُحْرِكٍ لهاج شديد الهياج، مضطرب عظيم الاضطراب، تعصف به الشهوات الجاحمة، والأهواء العنيفة، ونحن في سفن يكتنفها الهول من كل وجه، فمتى يُتَّاح لها الإرساء، ومتى تُتَّاح لأهلها العافية!

٨ (إِذَا تَعَطَّفْتَ يَوْمًا كُنْتَ قَاسِيَةً وَإِنْ نَظَرْتَ بَعَيْنٍ فَهِيَ شَوْسَاءٌ)

الشَّوْسَاءُ: التي تنظر بمؤخر العين تكبراً أو تعيظاً، وقيل التي تنظر بإحدى عينيها وتميل وجهها في شق العين التي تنظر بها؛ يكون ذلك خلقة، ويكون من الكبر والتبهي والغضب. والفعل منه شَوْسَ يَشْوَسُ، من باب فرح.

يقول: إنك لتعطفين علينا وترفقين بنا، وما أرى عطفك إلا قسوة، وما أرى

رفقك إلا غنفاً . وإنك لتنظرين إلينا فنرى في نظرك إلينا رحمةً وليناً ، وإنه مع ذلك للنظر الشرُّ لا يُصوِّر إلا الغلظة والجفاء .

٩ (إِنْسٌ عَلَى الْأَرْضِ تُدْمِي هَامَهَا إِحْنٌ مِنْهَا إِذَا دَمِيَتْ لِلوَحْشِ أَنْسَاءُ)

الهام : جمع هامة ، وهي الرأس . ويقال : الهامة هي ما بين حرفي الرأس ؛ وقيل هي وسطه ومعظمه ، والإحن : الأحقاد ؛ الواحدة : إحنة . والحنة ، لغة فيها . والأنسا : جمع نسا ، بوزن العصا ، عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذين ثم يمرُّ بالعرقوب حتى يبلغ الخاصر ؛ فإذا سمت الدابة انفلقت فحذاها بلحمتين عظيمتين ، وجرى النسا بينهما واستبان ؛ وإذا هزلت الدابة اضطربت الفخذان وماجت الرُّكبتان وخفى النسا . والأفصح أن يقال : النسا ، لا عرق النسا . قال أبو ذؤيب :

مُتَفَلَّقٌ أَنْسَاؤُهَا عَنْ قَافِيءٍ كَالْقُرْطِ صَاوٍ غُبْرُهُ لَا يُرْضَعُ

قال ابن منظور : والنسا لا يتفلق وإنما يتفلق موضعه .

يقول : إنما الناس على الأرض في إحن مستمرة ويحن متصلة ، يذوق بعضهم بأس بعض ، يتساقون الموت كما يتعاطون الشر ، على حين لا يُصيب الوحش على الأرض من الشر إلا أيسره وأهونه .

١٠ (فَلَا تَعْرَنُكَ شُمٌّ مِنْ جِبَالِهِمْ وَعِزَّةٌ فِي زَمَانِ الْمَلِكِ قَعْسَاءُ)

عزة قعساء : ثابتة . ورجل أقعس : ثابت عزيز منيع . وتقاعس العز : ثبت وأمتنع ولم يطأطأ رأسه .

يقول : فلا تنخدع بما ترى من جبالهم الشماء ، وعزتهم القعساء ، ومجدهم التلديد والطريف ، فإنما هذا كله باطل وغرور .

١١ (نَامُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّذَاتِ وَأُرتَحَلُوا بِرَنِّعْمِهِمْ فَإِذَا النِّعْمَاءُ بِأَسَاءَ)

النِّعْمَاءُ والنِّعِيمُ والنُّعْمَى والنِّعْمَةُ ، كلها انخفض والدَّعَّةُ . وهى ضد البأساء والبؤس .

يقول : إنما أُتِيحَ لَهُمْ حَظٌّ قَلِيلٌ مِنَ لَذَّةٍ ، وَنَصِيبٌ ضئِيلٌ مِنَ نِعْمَةٍ ؛ ثُمَّ ارْتَحَلُوا إِذَا اللَّذَّةُ أَلَمَ ، وَإِذَا النِّعْمَاءُ بِأَسَاءَ .

اللزومية السابعة

وقال في الهمزة المضمومة مع الباء :

١ (إِنَّ الْأَعْلَاءَ إِنْ كَانُوا ذَوِي رَشَدٍ بِمَا يُعَانُونَ مِنْ دَاءٍ أَطْبَاءٌ)
 الأَعْلَاءُ : جمع لعليل . والرَّشَدُ ، بفتحين : نقيض العَيِّ . كالرَّشَدُ بالضم ،
 والرَّشَادُ .

يقول : إنما العليل المعنى طبيب إذا عرف علته ، واستقصى حقيقة الداء
 الذي يعانیه . فاعرف علتك في هذه الحياة ، وأستقص حقيقة ما يُصيبك فيها من
 أذى ، وما يُلم بك من مكروه .

٢ (وَمَا شَفَاكَ مِنَ الْأَشْيَاءِ تَطَلُّبُهَا إِلَّا الْأَلْبَاءُ لَوْ تُتْلَفَى الْأَلْبَاءُ)
 الألباء : جمع لبيب ، وهو العاقل ذو اللب . قال سيبويه : لا يكسر على غير
 ذلك . والأثنى لبيبة . وألني الشيء : وجدده وصادفه ولقيه .
 يقول : إن أصل هذا كله حاجتك التي لا تنقضي ، وتتبعك لتحقيق ما تُثير
 الحياة في نفسك من رغبات . والرجل اللبيب هو الذي يشفي نفسه من الحاجة ،
 ويكفها عن تتبع المآرب .

٣ (نَفَرٌ مِنْ شُرْبِ كَأْسٍ وَهِيَ تَتَّبِعُنَا كَأَنَّآ لِمَنِيَا نَا أَحِبَّاءُ)
 يقول : يا ويحنا ! إننا نفر من الموت ، وليس لنا ملجأ من الموت ، ونحن مع
 ذلك نمضي في الفرار ، . وهو مع ذلك يُبلح في اقتفاء آثارنا ؛ كأنما نحن
 الأحباء قد شطت بهم نوى بعيدة ، والموت عاشق مُلح ، يأبى إلا أن تتصل
 أسبابه بأسبابنا .

اللزومية الثامنة

وقال في الهمزة المضمومة مع الواو :

١ (إِنْ مَازَتْ النَّاسَ أَخْلَاقُهُ يُعَاشُ بِهَا فَإِنَّهُمْ عِنْدَ سُوءِ الطَّبْعِ أَسْوَاءٌ)

ماز الشيء يميزه ميذا وميزةً : عزله وفرزه وفصل بعضه عن بعض ، وكذلك ميّزه تمييزاً . وقد تميّز وأماز وأستأز ، كانه بمعنى ؛ إلا أنهم إذا قالوا : مزته فلم يَنَمِز . لم يتكلموا بهما جميعاً إلا على هاتين الصيغتين ، كما أنهم إذا قالوا : زلته فلم ينزل . لم يتكلموا به إلا على هاتين الصيغتين . لا يقولون : ميّزته فتميّز ، ولا زيّلته فلم يزيّل . وهذا قول اللحياني . وأسواء : جمع سواء . وسواء الشيء : مثله . قال الشاعر :

تَرَى الْقَوْمَ أَسْوَاءً إِذَا جَلَسُوا مَعًا وَفِي الْقَوْمِ زَيْفٌ مِثْلُ زَيْفِ الدَّرَاهِمِ

يقول : إذا تمايز الناس في أخلاقهم وخصالهم ، وافترقوا في أقوالهم وأعمالهم ، فهم سواء في فساد الطبع وسوء الغريزة .

٢ (أَوْ كَانَ كُلُّ بَنِي حَوَاءَ يُشْبِهُنِي فَبِئْسَ مَا وُلِدَتْ فِي الْخَلْقِ حَوَاءٌ)

بئس : كلمة ذم . ونعم : كلمة مدح . وهما فعلان ماضيان لا يتصرفان ، لأنهما أزيلتا عن موضعهما . فنعم ، من قولك : نعم فلان ، إذا أصاب نعمة . وبئس ، منقول من : بئس فلان ، إذا أصاب بؤسا . فُنُقِلَا إِلَى الْمَدْحِ وَالذَّمِّ ، فَشَابَهَا الْحُرُوفُ فَلَمْ يَتَصَرَّفَا .

يقول : وإذا كان كل الذين ولدتهم حواء يشبهونني في الطبع واخلق
والسيرة ، فبئس من ولدت حواء للناس !

٣ (يُعَدِي مِنَ النَّاسِ بُرْءٌ مِنْ سَقَامِهِمْ وَقُرْبُهُمْ لِلْحِجَا وَالذِّينَ أَدْوَاءُ)
٤ (كَالْبَيْتِ أَفْرِدٍ لَا إِيْطَاءَ يُدْرِكُهُ وَلَا سِنَادَ وَلَا فِي اللَّفْظِ إِقْوَاءَ)

الحِجَا ، مقصور : العقل والفتنة ، والجمع أحجاء . وأدواء : جمع داء .
والإيْطَاء : أن تتفق في الشعر قافيتان على كلمة واحدة معناها واحد ، فإن أتفق
اللفظ واختلف المعنى فليس بإيْطَاء . والسِّنَاد في الشعر : هو أن تخالف بين
الحركات التي تلي الأرداف في الرّوى ، كقول الشاعر :

شَرِبْنَا مِنْ دِمَاءِ بَنِي تَمِيمٍ بِأَطْرَافِ الْقَنَا حَتَّى رَوَيْنَا

ثم قوله بعد :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ تَغْلِبَ بَيْتُ عَزِّ جِبَالُ مَعَاقِلِ مَا يُرْتَقِينَا

فكسر ما قبل الياء في « روينَا » . وفتح ما قبلها في « يرتقينا » .
والإقْوَاء : اختلاف إعراب القوافي . وقال الأَخْفَش : هو رفع بيت وجر آخر .
يقول : إنما أوتر العزلة وأتجنب الناس ، لأبرأ من أدوائهم ، وأعتصم من
شروهم ، وأطهر من آثامهم . إنما أريد أن أكون كبيت الشعر يقوله الشاعر
مفرداً لا سابق له ولا لاحق ، فهو بذلك آمنٌ عُيُوبِ الْقَافِيَةِ . إنما يأتينا السوء
من الحياة الاجتماعية التي يجاور فيها بعضنا بعضاً ، فيشقي فيها بعضنا بجوار بعض .

٥ (نُودِيْتُ أَلْوَيْتَ فَاَنْزِلْ لَآ يَرَادُ أَتَى

سَيْرِى لَوَى الرَّمْلِ بَلْ لِلنَّبْتِ إِلْوَاءِ)

٦ (وَذَاكَ أَنَّ سَوَادَ الْفَوْدِ غَيْرَهُ

فِي غِرَّةٍ مِنْ بِيَاضِ الشَّيْبِ أَضْوَاءِ)

ألويت ، أى قد جفّ عودك وبيس وذُبل . وأصل هذا المعنى فى النبت . وألوى أيضاً ، إذا صار إلى اللوى ، وهو مسترق الرمل . وهذا المعنى هو الذى دفع توهّمه بقوله : « لا يراد أنى سىرى لوى الرمل » .

والفؤد : معظم شعر الرأس مما يلى الأذن . وفودا الرأس : جانباه . وفى الحديث : « كان أكثر شيبه فى فودى رأسه » . والغرة ، بالكسر : الغرور .

يقول : لقد نادانى المُنَادى : ألويت فانزل . فلأفهم عن المُنَادى نداءه ، فهو لا يريد أنى قد بلغت اللوى ، وإنما يريد أن نبتى قد ألوى ، وأن زهرى قد ذوى ، وأنى قد أدركت الشيب ؛ فأن لى أن أرعوى وأثوب إلى الرشد .

٧ (إِذَا نَجُومٌ قَتِيرٍ فِي الدَّجَى طَلَعَتْ فَلِلْجُفُونِ مِنَ الْإِشْفَاقِ أَنْوَاءِ)

القَتِير : الشَّيْب ؛ وقيل هو أول ما يظهر منه . وأصل القَتِير : رُءوس مسامير حَلَقِ الدُّرُوعِ تلوح فيها ، شُبّه بها الشيب إذا نعب فى سواد الشعر . وفى الحديث : « إن رجلاً سأله عن امرأة أراد نكاحها . قال : وبقدر أى النساء هى ؟ قال : قد رأيت القتير . قال : دَعَمَهَا » . والدَّجَى : سواد الليل مع غيم ، وألّا ترى نجمًا ، ولا قرأ . وقيل : هو إذا ألبس كل شىء وليس هو من الظلمة . وقالوا : ليلة دَجى ، وليال دجى ؛ لا يجمع لأنه مصدر وُصف به . وقد دجا الليل يدجو .

وذهب ابن جنّي إلى أن الدجا: الظلمة ، واحدتها دجية . قال : وليس من دجا يدجو ، لكنه في معناه .

والإشفاق : الخوف والجزع . والإشفاق أيضاً : الدخول في الشفق ، وهو من الأضداد ، يقع على الحُمْرة التي تُرى بعد مغيب الشمس ، وبه أخذ الشافعي . وعلى البياض الباقي في الأفق الغربي بعد الحُمْرة المذكورة ، وبه أخذ أبو حنيفة . وعلى هذا الوجه الثاني فالمعنى ظاهر .

والأنواء : جمع نوء ، وهو النجم إذا مال للمغيب . ويجمع أيضاً على نُوآن ، مثل عَبْد وَعُبدان ، وِبطن وِبُطنان . قال حسان ثابت :

ويثربُ تعلمُ أنا بها إذا قحط الغيثُ نُوآنُها

وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إليها ، فيقولون : مُطِرْنَا بنوء كذا . والأنواء ثمانية وعشرون نجماً ، معروفة المطالع في أزمئة السنة كلها ، يسقط منها في كل ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر ، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته . وانقضاء هذه الثمانية والعشرين كلها مع انقضاء السنة ، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المقبلة .

يقول : إنما الشيب كهذه النجوم التي لا تكاد تظهر في الدجى حتى يتبعها المطر الواكف ، كذلك الشيب لا تكاد تظهر نجومه في سواد الشعر حتى تنهل العبرات حزناً وخوفاً وإشفاقاً .

اللزومية التاسعة

وقال في الهمزة المضمومة مع الفاء ، والبسيط الأول^(١) :

- ١ (أَكْفِي سَوَامَكَ فِي الدُّنْيَا مِيَاْسَرَةً
وَأَعْرِضَنَّ عَنِّي قَوَافِي الشُّعْرِ تُكْفِيهَا)
٢ (إِنَّ الشَّبِيْبَةَ نَارٌ إِنْ أَرَدْتَ بِهَا
أَمْرًا فَبَادِرْهُ إِنَّ الدَّهْرَ مُطْفِئُهَا)

السَّوَامُ والسَّائِمَةُ ، بمعنى ، وهي كل إبل خَلِيَّت في الغلوات ترعى حيث تشاء .
وإكفاؤها : هو أن يُعطى نتاجها سنةً ، لبَنها ووَبرها وأولادها . يقال :
استكفأت فلاناً إبله ، أى سألتُهُ نتاج إبله سنةً ، فأكفأَنيها . والإكفاء أيضاً :
أن يجعل إبله كفاتين ، أى نصفين ، يَنْتِجُ كلَّ عام نصفاً ويدع نصفاً ، كما
يصنع بالأرض بالزراعة . فإذا كان العامُ المقبل أرسل الفحل في النصف الذي لم
يُرسله فيه من العام الفارط ؛ لأنَّ أجود الأوقات عند العرب في نتاج الإبل أن
تُترك الناقة بعد نتاجها سنة لا يحمل عليها الفحل ، ثم تُضرب إذا أرادت الفحل .

والمعنى على الوجهين مستقيم . والميأسرة : المُلاينة والمساهلة . قال الشاعر :
قومٌ إذا شومِسُوا جدَّ الشَّماسُ بهم ذاتَ العِنَادِ وإن يأسرْتهم يَسرُّوا
والإكفاء في الشعر : المخالفة بين ضُروب إعراب قوافيه . وقيل هي المخالفة
بين هجاء قوافيه إذا تقاربتُ مخارج الحروف أو تباعدت . وقال بعضهم : هو
المُعاقبة بين الراء واللام والنون والميم .

يقول : أسرع إلى ما يخلق بك من نفع الناس ، مُعْرِضاً عمَّا لا خير فيه .

(١) أى ذو العروض المخبونة ، وضربها مثلها .

وبادر بذلك أحسن الأوقات ، وأشدّها ملاءمةً له ، وهو وقت الشباب ؛ فإن الشباب أوفقُ وقتٌ لأستيفاء الحاجات وأقتضاء اللذات ، وهو لا يدوم بل الدهر ماحيه ومُحِبِّي جَدْوَتِهِ . وما الشباب إلا كالنار يجدرُ بمن يُريد الانتفاع بها أن يتهمز فرصة ذكائها وتلظّيها .

٣ (أَصَابَ جَجْرِيَّ قُرٌّ فَأَنْتَبَهَتْ لَهُ وَالنَّارُ تُدْفِي ضَيْفِي حِينَ أَذْفِئُهَا)

جَجْرِي ، أي جذوة شبّابي . والجرفى الأصل : النار المتقدمة ، واحدته ججرة . فإذا برَدَ فهو فخم . والقرّ ، بالضم : البرد عامّة . وأدْفِئُهَا ، أي أذكيها وأهيجها . يقول : لقد أصاب قوة شبّابي وهنُ الشَّيبِ ، فلم أستطع أن أردّ ذلك الضعفَ قوةً ، ولا أن أحوّل هذا الخمود أستعاراً . ولئن كان الشباب كالنار ، إنَّ من اليسير عليك إذكاء النار الخاملة بعد خُمودها ؛ وليس من الممكن ولا من المتأاح أن تستردّ شباباً مضى ، أو تستأنف قوةً فاتت .

٤ (الَّتِي عَلَيَّهَا جَلِيسِي فِي الدُّجَى حُمَمًا فَقَامَ عَنْهَا بِأَثْوَابٍ يُرَفِّئُهَا)

الحُمَمُ : الرماد والفحم البارد وكل ما احترق من النار ، الواحدة حُمَّة . ورؤى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنَّ رجلاً أَوْصَى بِنِيهِ عِنْدَ مَوْتِهِ فَقَالَ : إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي بِالنَّارِ ، حَتَّى إِذَا صُرْتُ حُمَا فَاسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُّوْنِي فِي الرِّيحِ لَعَلِّي أَضِلُّ » . ورفأُ الثوب يرفؤه ، مهموز : لأَمْ خَرَقَهُ وَضَمَّ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ وَأَصْلَحَ مَا وَهَى مِنْهُ ، وَرَبَّمَا لَمْ يُهَمَز . ولعله قصد بالتضعيف إلى المُبالغة .

يقول : لستُ آمنَ عليك ، حين تخبو نار شبابك فتريد إذكاءها ، أن يعودَ عليك ما تحاول من نفعها ضرراً ، وما تطلب من خيرها شراً . فكل قوة يبذلها الأَشْيَبُ أَسْتِنَافاً لِحَيَاةِ الشَّبَابِ لَا تَزِيدُهُ إِلَّا ضَعْفًا وَلَا تُقِيدُهُ إِلَّا وَهْنًا .

اللزومية العاشرة

وقال أيضاً في الهمزة المضمومة مع الياء ، والبسيط السادس^(١) :

- ١ (قد حُجِبَ النُّورُ والضِّيَاءُ وَإِنَّمَا دِينُنَا رِيَاءٌ)
 ٢ (وَهَلْ يَجُودُ الْحَيَاءُ أَنَسًا مُنْطَوِيًا عَنْهُمْ الْحَيَاءُ)

الحيا، مقصور ، وقد جاء ممدوداً : المطر والحِصْبُ ؛ وإذا تَنَبَّهْتُ قلت :
 حَيَّانٌ ، فثَبَّتِي الياء ، لأن الحركة غير لازمة . وجادهم الحيا ، أى مَطَرَهُمْ .
 يقول : أجل ، قد دُخِمَتْ على القلوب وأظلمت البصائر ، حين حُجِبَ عنها
 نور الحق . فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُمْ عَلَى دِينٍ صَادِقٍ ، وَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ نِفَاقٍ وَرِيَاءٍ ، لَيْسَ
 إِلَى إِصْلَاحِهِمْ مِنْ سَبِيلٍ . فَقَدْ فَتَدُوا أَمْرَ شَرْطٍ لِلِإِصْلَاحِ وَهُوَ الْحَيَاءُ . وَكَيْفَ
 يُمْكِنُ أَنْ يَمِيلَ إِلَى الْخَيْرِ مَنْ لَا يَسْتَحْيِ مِنَ الشَّرِّ !

- ٣ (يَا عَالَمَ السَّوِّءِ مَا عَلِمْنَا أَنَّ مُصَلِّيكَ أَتْقِيَاءَ)

السوء ، بالضم : الفجور والمنكر ؛ وبالفتح : المصدر من ساءه يسوءه ،
 إذا فعل به ما يكره ، نقيض سرّه . وإذا أضفت أضفت إلى الثانى فتقول : هذا
 رجل سَوٌّ ، بالفتح ؛ ولا تقول : رجل سوء ، بالضم ؛ لأنه إنما يُضَافُ إِلَى الْمَصْدَرِ
 الذى هو فعله ، كما يقال : رجل الضَّرْبِ والطَّعْنِ ، فيقوم مقام قولك : رجل
 ضَرَّابٍ وطَّعَّانٍ . وتقول فى النكرة : رجل سَوٌّ . وإذا عرَّفت قلت : هذا
 الرجل السَّوُّ ، ولم تضيف . وتقول : هذا عمل سَوٌّ ، ولا تقل : السَّوُّ ؛ لأن
 « السَّوُّ » يكون نعتاً للرجل ولا يكون « السَّوُّ » نعتاً للعمل ؛ لأنَّ الفعل
 من الرجل وليس الفعل من السَّوِّ ، كما تقول : قول صدق ، والقول الصدق ،

(١) أى ذو العروض المجزوءة المقطوعة ، وضرها مثلها .

ورجل صدق ؛ ولا تقول : رجل الصدق ، لأن الرجل ليس من الصدق .
يقول : أبهذا العالم السيء والمنزل الموبوء ، لقد رأينا فيك المصلدين ، ولكننا
لم نر فيك الأتقياء .

٤ (لا يَكْذِبَنَّ أَمْرُؤُهُ جَهْلًا مَّا فِيكَ لِلَّهِ أَوْلِيَاءُ)
يقول : ألا لا يكذب الجاهلون ، فقد خلع الناس ولاية الله من أعناقهم ،
فليس فيهم له ولي ولا صادق أمين .

٥ (وَيَا بِلَادًا مَشَى عَلَيْهَا أُولُو أْفْتِقَارٍ وَأَغْنِيَاءُ)
٦ (إِذَا قَضَى اللَّهُ بِالْمَخَازِي فَكُلُّ أَهْلِيكَ أَشْقِيَاءُ)
٧ (كَمْ وَعَظَ الوَاعِظُونَ مِنَّا وَقَامَ فِي الْأَرْضِ أَنْبِيَاءُ)
٨ (فَأَنْصَرَفُوا وَالبَلَاءُ بَاقٍ وَلَمْ يَزَلْ دَاوُكِ العِيَاءُ)
٩ (حُكْمٌ جَرَى لِلْمَلِيكِ فِينَا وَمَحْنٌ فِي الْأَصْلِ أَغْنِيَاءُ)

الافتقار: الفقر . والفعل : افتقر يفتقر . وعليهما أقتصر دون الثلاثي . فلا
يقال : فقّر ، ولكن أفتقر . والداء العيَاء : الصعب الذي لا دواء له ، كأنه أعيأ
على الأطباء . وفي حديث علي كرم الله وجهه : فَعَلُّهُمُ الدَاءُ العِيَاءُ .

يقول : أيتها البلاد التي أشتملت السعادة والشقاء ، وأحتوت الفقر والثراء .
لقد حقت عليك الكرامة ، ومضى فيك القضاء المحتوم بالخزي والتعس . فأهلك
أشقياء ليس لهم من شقائهم منفذ ولا لهم عنه صارف ، لا ينفعهم وعظ ولا يحكمهم
إرشاد . لقد طالما عَنِينَا أَنفُسَنَا بالنصح والهداية ، فوعظ الواعظون وقام الأنبياء .
ولمّا يُجِدْ ذلك نفعاً ، ولمّا يَأْتِ ذلك بخير . البلاء باقٍ لازوال له ، والداء عيَاء
لاشفاء له ، وحكم الله فينا نافذٌ لا صارفَ عنه ، ولكننا بفطرتنا أغنياء لا نفهم ،
وحنق لا نعقل .

اللزومية الحادية عشرة

وقال أيضاً في الهزمة المضمومة مع الياء ، والوافر الأول^(١) :

١ (تَعَالَى رَازِقُ الْأَحْيَاءِ طُرًّا لَقَدْ وَهَتِ الْمُرُوءَةُ وَالْحَيَاءُ)

٢ (وَإِنَّ الْمَوْتَ رَاحَةً هُبْرِيٍّ أَضْرَّ بَلْبَهُ دَاءِ عِيَاءِ)

تعالى ، أى جلّ ونبأ عن كل ثناء ، فهو أعظم وأجلّ وأعلى مما يثنى عليه . وطُرًّا ، أى جميعاً ، وهو منصوب على المصدر أو الحال . وقال سيديويه : لا تُستعمل إلا حالاً . واستعملها خَصِيب النَّصْرَانِي المتطبّب في غير الحال ، وقيل له : كيف أنت ؟ فقال : أَحَدُ اللَّهِ إِلَى طُرٍّ خَلَقَهُ . وفي نوادر الأعراب : رأيت بني فلان بَطْرًا ، إذا رأيتهم بأجمعهم . ووهت : ضعفت وفترت .

والهُبْرِيّ : الإِسْوَار من أساورة فارس ، وكُلُّ جَمِيلٍ وَسِيمٍ عند العرب هُبْرِيّ ، مثل هُبْرُق ، وكذلك كُلُّ مَقْدَامٍ . والداء العِيَاءُ : الذى أعيا الأطباء ولم ينجح فيه الدواء .

يقول : تعالى الله الذى شَمِلَ النَّاسَ بِنِعْمَتِهِ ، وَعَمَّهُمْ بِرِزْقِهِ ، لم يُفَرِّقْ بين فاضل وعاطل ، ولا بين ناقص وكامل . لقد وهت المرُوءة وأخلق أدِيمها ، ومضى الحياء وعَفَت آثاره ؛ حتى بُعِضَت الحياة إلى البصير ذى اللب ، وكُرِّه العيش إلى الخَصِيف ذى العقل ، وأصبح الموت له راحة والعدم له نعيماً .

٣ (وَمَالِي لَا أَكُونُ وَصِيًّا نَفْسِي وَلَا تَعْصِي أُمُورِي الْأَوْصِيَاءِ)

الوصي : الذى يُوصَى ، والذى يوصى له ، من الأضداد ، والأثنى وصى . وجمعها جميعاً أوصياء . ومن العرب من لا يثنى الوصى ولا يجمعه .

(١) أى ذو العروض المقطوفة ، وضرها مثلها .

يقول : أجل، لقد أصبح الموت خيراً من حياةٍ مملوؤها الشر ، وأحبّ إلى النفس من عيشٍ مُفعمٍ بالذل والاستبداد ، فقام على الناس، ومنهم الألباء الأذكياء، ظلمة معتدون ، يحملونهم على ما يكرهون ، ويسوسونهم بما لا يحبون . وهم بعد ذلك أولى أن يحملوا نفوسهم على الخير ، وأجدر أن يأخذوها بالمعروف .

- ٤ (وَقَدْ فَتَشْتُ عَنْ أَصْحَابِ دِينٍ لَهُمْ نُسْكٌ وَلَيْسَ لَهُمْ رِيَاءٌ)
 ٥ (فَأَلْفَيْتُ الْبِهَائِمَ لَا عَقُولَ تُقِيمُ لَهَا الدَّلِيلَ وَلَا ضِيَاءَ)
 ٦ (وَإِخْوَانَ الْفَطَانَةِ فِي أُخْتِيَالٍ كَانَهُمْ لِقَوْمٍ أَنْبِيَاءُ)
 ٧ (فَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَأَهْلُ مَكْرٍ وَأَمَّا الْآوُونَ فَأَعْيَاءُ)

النسك ، بالضم وبضمتين : العبادة والطاعة وكل ما يتقرب به إلى الله تعالى .
 وقيل لثعلب : هل يُسمى الصوم نسكاً؟ فقال : كل حق لله عز وجل يُسمى نسكاً .
 والفرق بين النسك والورع ، أن النسك فيما أمرت به الشريعة ، والورع عما نهت عنه .
 وألغى الشيء : وجده وصادفه ولقيه . والبهائم : جمع بهيمة . وهي كل ذات أربع قوائم من دواب البرّ والماء . وقال الزجاج في قوله عز وجل (وَأَحَلَّتْ لَكُمْ بِهَيْمَةَ الْأَنْعَامِ) إنما قيل لها بهيمة الأنعام ، لأنّ كلّ حي لا يميّز فهو بهيمة ، لأنه أبهم عن أن يميز . ولا ضياء ، أي ولا شعاع من عقل ، فقد سلبها العقل طراً .
 والفتانة : ضدّ الغباوة . يقال : فطن لهذا الأمر ، بالفتح ، يفتن ، بالضم ، فطنة . وفطن ، بالضم فطنا وفطنا وفطنا وفطونة وفطانية وفطانية ، فهو فاطن وفطون وفطن وفطين وفطن وفطن وفطون . وفطن ، بالكسر ، فطنة وفطانة وفطانية . والجمع فطن ؛ والأنثى فطنة .

يقول : لقد فتشت في هذه الدنيا عن أهل الدين الصادق والأعتقاد الصحيح . الذين لا يشوب صفاء دينهم كدرُ الرياء ولا صدأ النفاق ، ولا دَس الخديعة ؛ فإذا الناس في الدين رجالان ، أما أولها فأبله لا يعقل أو محمق لا يفقه .

هو البهيمة لا يهديها إلى الحق عقل ، ولا يرشدها إلى الخير ضياء . وأما الثاني ، فذكى فطن ، ولكنه مُحتال مَرَح . فأنت من أهل الدين بين ما كر خادع ، وجاهل غبي .

- ٨ (فَإِنْ كَانَ التَّقَى بَلَهًا وَعِيًّا فَأَعْيَارُ المَذَلَّةِ أَتَقِيَاءَ)
 ٩ (وَأَرشُدُ مِنْكَ أَجْرَبُ تَحْتِ عِبٍّ تَهَبُّ عَلَيْهِ رِيحٌ جَرِيْبَاءُ)

الأعيار : جمع عير ، وهو الحمار أيّا كان ، أهلياً أو وحشياً . وقد غلب على الوحشى . والأنثى عيرة . ومن أمثالهم : فلان أذل من العير . وقال شمر :

لو كنتَ عيراً كنتَ عيرَ مَذَلَّةٍ أو كنتَ عظماً كنتَ كسراً قَبِيحِـ
 وكسر القبيح : طرف عظم المرفق الذى لا لحم عليه .

والجربياء : الريح التى تهب بين الجنوب والصبأ . وقيل : هى النكباء التى تجرى بين الشمال والذبور ، وهى ريح تقشع السحاب . وجعل الأجرَب تحت عِبٍّ ، ليكون مشغول اليدين به لا يستطيع بهما حِكَّةً . وهو على هذه الحال أشغل بالألّا لا يُرجى لديه رأى .

يقول : ولعمري لو أن الدين والتقى كان عيًّا وبَلَهًا أو غفلةً ومُحماً ، لقد كانت الأعيار التى ضربت عليها الذلّة ، والحُمُر التى أخذت بالنزق والمسكنة ، أحقّ بالدين وأدنى إليه ، ولكان ذلك الأجرَب الذى أكله العِبُّ الثقيل ، وهبت عليه الريح الباردة ، فزادته تأذياً بدائه وتألماً لعلته ، أهدى إلى الدين سبيلاً وأكثر فيه رشداً .

١٠ (وَجَدْتُ النَّاسَ كُلَّهُمْ فَقِيرٌ وَيُعَدُّمُ فِي الْأَنَامِ الْأَغْنِيَاءُ)

١١ (نُحِبُّ الْعَيْشَ بُغْضًا لِلْمَنِيَا وَنُحْنُ بِمَا هَوَيْنَا الْأَشْقِيَاءُ)

يُعَدُّمُ ، على ما لم يُسَمَّ فاعله : يُفْقَدُ . عَدِمَ الشَّيْءَ يَعْدِمُهُ عُدْمًا وَعَدَمًا : فقده . وقد غلب على فقد المال وقلته . إذا ضَمَّتْ أَوْلَاهُ خَفَّتْ ، فقلت : العُدْمُ . وإذا فَتَحَتْ أَوْلَاهُ ثَقَلَتْ ، فقلت : العَدَمُ . وكذلك الجُحْدُ والجَحْدُ ، والصَّلْبُ والصَّلَبُ ، والرُّشْدُ والرَّشْدُ ، والحَزْنُ والحَزَنُ .

وهوِي . بالكسر : أَحَبَّ . ورجل هَوِيَّ : ذُو هَوِيٍّ . وامرأة هَوِيَّةٌ . ومتى تَكَلَّمَ بِالهُوِيِّ مَطْلَقًا لم يكن إلا مذمومًا حتى يُنْعَتَ بِمَا يُخْرِجُ مَعْنَاهُ ، كقولهم : هَوِيٌّ حَسَنٌ ، وهَوِيٌّ مُوَافِقٌ لِلصَّوَابِ .

يقول : أَجَلٌ ، لَقَدْ عَظُمَ الشَّرُّ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ ، وَاشْتَدَّ حِرْصُ النَّاسِ عَلَيْهَا . فليس فيهم إلا مُحِبُّ لَهَا وَمَشْغُوفٌ بِهَا . حتى جعلهم الحِرْصُ كُلَّهُمْ فَقَرَاءً ، لا يَعْرِفُونَ الْغِنَى ، وَلا يَذُوقُونَ النِّعْمَةَ ؛ وَحَتَّى كَانَ مَا فِيهَا مِنْ شِقَاءٍ يُغَيِّرُهُمْ بِهَا ، وَمَا فِي الْمَوْتِ مِنْ رَاحَةٍ تَصْرِفُهُمْ عَنْهُ .

١٢ (يَمُوتُ الْمَرْءُ لَيْسَ لَهُ صَنِيٌّ وَقَبْلَ الْيَوْمِ عَزَّ الْأَصْفِيَاءُ)

١٣ (أَتَدْرِي الشَّمْسُ أَنْ لَهَا بَهَاءٌ فَتَأْسَفُ أَنْ يُفَارِقَهَا الْأَيَاءُ)

الصنِيٌّ : الخَالِصُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَصَفِي الْإِنْسَانِ : أَخُوهُ الَّذِي يُصَافِيهِ الْإِخَاءُ . وفي الحديث : « إِنْ اللَّهُ لَا يَرْضَى لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ ، إِذَا ذَهَبَ بِصَفِيَّتِهِ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَصَبْرٌ وَأَحْتِسَابٌ ، بِثَوَابٍ دُونَ الْجَنَّةِ » .

والبهَاءُ : الْمَنْظَرُ الْحَسَنُ الرَّائِعُ الْمَالِي لِلْعَيْنِ . وَأَيَاءُ الشَّمْسِ وَإِيَاهَا : نُورُهَا وَضَوْوُهَا وَحُسْنُهَا . وَكَذَلِكَ إِيَاتُهَا وَأَيَاتُهَا . وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ : يُقَالُ : الْأَيَاءُ ، مَفْتُوحٌ

الأول بالمد ؛ والإييا ، مكسور الأول بالقصر ، وإيابة : كله شعاع الشمس وضوءها . قال : ولم أسمع لها فعلا .

يقول : لقد عظم في نفوسهم أثر الحرص على الحياة ، حتى ما تجدل لأحد من أصحابه صفيًا ولا صديقًا . وكذلك باعدت الحياة بين الناس قديمًا ، إنهم أعداء منذ كانوا ، وقد خلقوا ليكونوا أصدقاء . إيه أيها المحمقون ! لقد أخطأتم العبرة وأضلتكم الموعظة ، فففلتم عما كان يخلق بكم أن تحفلوا به وتتنبهوا إليه . علام تأسفون إن دهمكم الموت وفارقتكم الحياة ! أفتعتقدون أن الشمس ، وهي أذكى منكم ناراً وأجمل بهاء ، تُحسّ ما لها من نباهة الشأن وحسن الطلعة فتأسف إن فارقتها جمالها ، وتأسى إن باعدها ضياؤها ! أما إن في العالم لغيراً نافعة ، ومواعظ صالحة ، ولكن الناس أكثرهم لا يعقلون .

اللزومية الثانية عشرة

وقال أيضاً في الهمزة المضمومة مع الظاء :

١ (أَرَاهُمْ يَضْحَكُونَ إِلَى غَشًّا وَتَغَشَانِي الْمَشَاقِصُ وَالْحِطَاءُ)

تَغَشَاهُ : تزدحم عليه وتكثر . وَالْمَشَاقِصُ : جمع مَشَقِصٍ ، بالكسر ، وهو السهم القريض النَّصْل . وقيل : المشقص : نصل السهم إذا كان طويلاً غير عريض . فإذا كان عريضاً فهو المِعْبَلَة . وَالْحِطَاءُ : جمع حَطْوَة ، وهي سهم صغير قَدَّر ذراع . وقيل : الحظوة من المراعى : الذى لا قُدُّ له .

يقول : حِدُّوا أيها الناس فيما أنتم بسبيله من تقرُّبٍ إِلَىَّ وتلطُّفٍ بى ، ومن رفق تظهورونه وَغَشَّ تضرورونه ، ومن لفظ حَلُّوا تَهْدُونَهُ إِلَىَّ ، وَلَوْمْ مُرِّ تَرْمُونِي به ؛ فلقد كثر ما أظهرتم الحبَّ لى ، وَأَصَابَنِي مِنْ بَعْضِكُمْ طَوَالُ السَّهَامِ وَقِصَارُهَا ، وعظام الأمور وصغارها .

٢ (فَلَسْتُ لَهُمْ وَإِنْ قَرَّبُوا أَلَيْفًا كَمَا لَمْ تَأْتَلِفْ ذَالٌ وَظَاءٌ)

الذال : حرف مجهور . والظاء : حرف مُطْبِقٌ مُسْتَعْلٍ . وقد حال التنافر دون اجتماعهما في كلمة .

يقول : حِدُّوا فى ذلك كُله ، فلم يكن تقرُّبكم إِلَىَّ لِيؤلَّفَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، إِلَّا إِنْ صَحَّ اتِّتْلَافُ الذَّالِ وَالظَّاءِ .

اللزومية الثالثة عشرة

وقال أيضاً في الهمزة المضمومة مع القاف :

- ١ (أَسَيْتُ عَلَى الذُّوَابِ أَنْ عَلَاهَا نَهَارِي الْقَمِيصِ لَهُ أَرْتَقَاءُ)
 ٢ (لَعَلَّ سَوَادَهَا دَنَسٌ عَلَيْهَا وَإِنْقَاءُ الْمِسِّ لَهُ تَقَاءُ)

أَسَى يَأْسَى ، من باب فرح ، أَسَى ، بالقصر : حَزِنَ ، فهو آسٍ وَأَسِيَانٌ وَأَسْوَانٌ .

والذوَاب : جمع دُوَابَةٍ . وهي منبت الناصية من الرأس .

والدَّنَس : لَطَخَ الوَسَخَ فِي الثِيَابِ وَنَحْوَهَا ، وَحَتَّى فِي الْأَخْلَاقِ ؛ وَالْجَمْعُ :

أَدْنَسٌ . وَنَقِيَ الشَّيْءُ ، بِالْكَسْرِ يَنْقِي ، بِالْفَتْحِ ، تَقَاوَةٌ وَتَقَاءٌ ، فَهُوَ نَقِيٌّ ، أَيْ نَظِيفٌ . وَأَنْقَاهُ هُوَ إِنْقَاءٌ .

يقول : ويلى على تلك الذوَاب السُّود قد أغار عليها ذلك الشَّيب نَهَارِيَّ

الثَّوبِ ، يَمْحُو ظُلْمَتَهَا بِضِيَائِهِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيْهَا . أَفِينَعِي أَنْ آسَى عَلَى الشَّبَابِ ، أَمْ يَنْبَغِي أَنْ أَفْرَحَ بِالشَّيبِ ! أَفَلَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أَتَلَقِيَ الشَّيبَ فَرِحًا مَسْرُورًا مَعْلَلًا نَفْسِي بِمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَقًّا مِنَ الْأَمَانِيِّ ! فَعَلَّ هَذَا السَّوَادَ الزَّائِلَ قَدْ كَانَ دَنَسًا أَصَابَ تِلْكَ الذُّوَابِ ، ثُمَّ عُنِيَ الشَّيبُ بِإِزَالَتِهِ وَحَرَصَ عَلَى تَمْحُوهُ وَإِحَالَتِهِ إِلَى نِقَاءٍ .

- ٣ (وَدُنْيَانَا الَّتِي عُشِقَتْ وَأَشَقَّتْ كَذَلِكَ الْعِشْقُ مَعْرُوفًا شَقَاءُ)

يقول : إِيهِ أَيْتَهَا الدُّنْيَا ، لَقَدْ عَشَقْنَاكَ رَاغِبِينَ ، ثُمَّ أَشَقِينَا كَارِهِينَ ؛ وَكَذَلِكَ

العشْقُ شَقَاءٌ ، وَالْحُبُّ تَعْسٌ ، وَالهُوَى هَوَانٌ .

٤ (سَأَلْنَاهَا الْبَقَاءَ عَلَىٰ أَذَاهَا فَقَالَتْ عَنْكُمْ حُظْرَ الْبَقَاءِ)

الحظْر: الحَجْر، وهو خلاف الإباحة. حَظَرَ الشيءَ يَحْظُرُهُ عليه حَظْرًا: منعه. وكل ما حال بينك وبين شيء، فقد حَظَرَهُ عليك.

يقول: إِيه أَيْتَهَا الدنْيَا! لقد سألناك البقاء، وطلبنا إليك الأُلُود، على ما فيك من أَدَى، وعلى ما تشتملين من أَلْم. فأبَيْتِ ذلكَ عَلَيْنَا، وصرفته عَنَّا، إذ كان الفناء لنا مَقْدُورًا، والبقاء عَلَيْنَا مَحْظُورًا.

٥ (بِعَادًا وَقَعْتُ التَّدَانِي وَيَبْنُ شَاسِعُهُ فَمَتَى اللَّقَاءُ)

الْبَيْنُ: الفُرْقَة، ويكون الوَصْل، فهو من الأَضْدَاد. وشاهد البين والوصل قول قيس بن ذَرِيح:

لَعَمْرُكَ لَوْلَا الْبَيْنُ لَا يُقْطَعُ الْهَوَىٰ وَلَوْلَا الْهَوَىٰ مَا حَنَّ لِلْبَيْنِ آلَفُ

يقول: إِيه أَيُّهَا الرَّاعِبُ فِي الدنْيَا الحَرِيصُ عَلَيهَا، الَّذِي كَذَّبَ فِيهَا ظُنُونُ الْحِكْمَاءِ، وَأَتَمَّهُمْ فِي حُبِّهَا رَأْيَ الْفَلَاسِفَةِ! لقد خدعتك نفسك، وأضلتك آمالك، فَإِنَّمَا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ إِلَىٰ بَعَادٍ لَا دُنُوَّ بَعْدَهُ، وفراق لا لقاء معه، إِنَّمَا أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ عُرْضَةٌ لِمَوْتٍ وَقَعٌ غَيْرُ مَدْفُوعٍ، وَحِمَامٌ نَازِلٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ.

٦ (وَدِرْعُكَ إِنِ وَقَتَكَ سِهَامَ قَوْمٍ فَمَا هِيَ مِنْ رَدَى يَوْمٍ وَقَاءُ)

الدِّرْعُ: كِبُوسُ الْحَدِيدِ. تُذَكَّرُ وَتَوَثَّثُ. وَالْجَمْعُ فِي الْقَلِيلِ أَدْرُعٌ وَأَدْرَاعٌ. وَفِي الْكَثِيرِ دُرُوعٌ. وَتَصْغِيرُ دِرْعٍ دُرْبَعٌ، بغير هاء على غير قياس؛ لأن قياسها بالهاء. وهو أحد ما شَدَّ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ.

وَوَقَتُكَ: صَانَتُكَ وَسَتْرَتُكَ. وَفِي الْحَدِيثِ: «فَوْقَ أَحَدِكُمْ وَجْهَهُ النَّارُ».

والوفاء ، بالكسر والفتح : كل ما وقيت به شيئاً . ومثله الوفاية ، بالكسر والفتح والضم ، والواقية . وقال اللحياني : كل ذلك مصدر وقيته الشيء . والردي : الهلاك .

يقول : دونك ما شئت من ذُرُوع ضافية وحُصُون واقية ، ومعاقل وبرُوج ، ومن أسلحة وقوة ؛ فإن ذلك إن أستطاع أن يدفع عنك شيئاً من أذاة عدو ، فلن يستطيع أن يرُدَّ عنك ما تحمله إليك الأيام من ردى لا بُدَّ منه ولا مندوحة عنه .

٧ (وَأَلَسْتُ كَمَنْ يَقُولُ بغيرِ عِلْمٍ سَوَاءٌ مِنْكَ فَتْكٌ وَأَتَقَاءٌ)

الفتك : ركوب ما هم من الأمور ودعت إليه النفس . والاتقاء : التحرز والخشية والإحجام .

يقول : لا أحمذرك بغير علم ، ولا أنهاك عن غير بصيرة ؛ وإنما أُصدِر في نصيحتي لك عن تجربة صادقة وبحث صحيح : الموت واقع لا شك فيه ، قد رهنته الطبيعة لوقت معين ، وجعلت له كتاباً ثابتاً وأجلاً محتوماً .

٨ (فَقَدْ وَجَبَتْ عَلَيْكَ صَلَاةُ ظُهْرٍ إِذَا وَافَاكَ بِالْمَاءِ السَّقَاءُ)

٩ (لَقَدْ أَفْنَتْ عَزَائِمَكَ الدِّيَابِي وَأَفْرَادُ الْكَوَاكِبِ أَرْقِيَاءُ)

١٠ (فِيَا سِرْنِي لِتُدْرِكْنَا الْمَنِيَا وَنَحْنُ عَلَى السَّجِيَّةِ أَصْدِقَاءُ)

١١ (أَرَى جُرْعَ الْحَيَاةِ أَمْرَ شَيْءٍ فَشَاهِدُ صِدْقِ ذَلِكَ إِذْ تُقَاءُ)

وجبت عليك : لزمك . والواجب والفرض عند الشافعي سواء ، وهو كل ما يُعاقب على تركه . وفرق بينهما أبو حنيفة ، فالفرض عنده أكد من الواجب ووافاك : جاءك في المعاد .

والسَّقاء : جلد السَّخْلَة إذا أُجذع ، ولا يكون إلّا للماء : والجمع أسقية ،
وأسقيات ؛ وأساقٍ ، جمع الجمع . وقال ابنُ السَّكَيْت : السَّقاء يكون
للبن والماء .

ولعله خَصَّ الظُّهر ، إذ المرء فيه إلى الدَّعة أميل ، وإلى إطفاء غُلته بالماء
أشوق . فيكون القُعود عن الصلاة أغلب ، أو لعله ألتفت إلى ما في معنى الظهر من
الزوال ، فجعلها صلاة مودَّع أُجبل بالماء في ميعاده .

والدِّياجى : حنادِس الليل ؛ كأنه جمع دَيْجاة . وأرفقاء : جمع رفيق ، وهو
المُرافق .

وياسرَه : لاينه وساهلَه . والسَّجِيَّة : الطبيعةُ والأُلُحِق . وفي الحديث : « كان
خُلُقُه سَجِيَّةً » أى طبيعة من غير تكلف . والجُرْع : جمع جُرْعَة ، وهى مِلٌّ
الغَم يُبتلع . وقاءُ فلان ما أكل ، إذا ألقاه .

يقول : قد زالت الشمسُ والماء بين يديك . وأنت تَنْتحل الإسلامَ ، فدُونك
الظُّهر فأدِّ فريضته وأقمِ صلاتَه ؛ وقد أنحلَّ جِسْمُك ومضى أجلك ، وأدبرت
عنك الحياةُ ، وأنت إنسان ليس من طبيعتك الأُلُود . فدُونك الموتَ فَرِدْ حوضَه
وأحتسِ كأسه . أقدمْ أو أحجمْ فإنك مَيِّت من غير رَيْب . لِمَ تكره الموت ؟
ولِمَ تعافُ كأسه ؟ وأنت لم تذوقها ، ولم تَبُلْ منها حلاوة ولا مرارةً ؟ هل
وجدت الحياةَ عَذبةَ المذاق لذينة الجنى ؟ كلاً ، ما أراها إلّا كأساً تَحْتسِمها
غافلين عن مرارتها وما فيها من غضاضة ؛ فإذا أقبل الموت ، وقئنا ما استقر في
أمعائنا من هذه الكأس ، عرفنا مرارة العلقم والصاب ، وتبيننا أننا لم نكن
إلّا مخدوعين .

ألا إنك مخدوع فأفِق من غَفَلتكَ ، ودَع ما تُجسِّمُكَ الحياةُ من المكروه ،
وما تُصيبك به من الأذى ، وما تَحْمِلُكَ عليه من إثارة البَغْضَةِ على المحبَّة ، فكل
ذلك باطل لا خير منه . دونك الحبَّ والمودَّة والإخلاص والإخاء ، فاعتنم
نصيبك منها قبل أن يُدرِكَكَ الموتُ فتمضَى وقد خَسِرْتَ الحقَّ والباطل معاً .

اللزومية الرابعة عشرة

وقال أيضاً في الهمزة المضمومة مع الراء ، والكامل الأول^(١) :

١ (مَالِي غَدَوْتُ كَقَافِ رُوْبَةٍ قِيَدْتُ فِي الدَّهْرِ لَمْ يُقَدِّرْ لَهَا إِجْرَاوَهَا)

القاف ، حرف هجاء مجهور ، يكون أصلاً ، لا بدلاً ولا زائداً . ورُوْبَةٌ : هو ابن العجاج بن رُوْبَةَ بن لبيد بن صخر ، سُمِّيَ رُوْبَةَ الخشب ، وهي القطعة يُرَأَبُ بها الإناء ، أي يُشْعَبُ ويُصَلَحُ وتُسدُّ بها ثلمة الجفنة ، هذا على رأى من يهمز ؛ وعند من لا يهمز ، فقد جُمِلَ من « الرُّوبَةِ » بمعنى القطعة من الليل أو اللّحم ، أو بمعنى الكرمة من الأرض الكثيرة النبات . وقاف رُوْبَةٍ ، يريد أرجوزته المقيدة التي على حرف القاف وأولها :

وقَاتِمِ الأعماقِ خاوى الخترقِ

والمُقَيَّدُ من الشعر : الساكن ، وهو خِلاف المطلق . وهو على وجهين : إمَّا مقيَّدٌ قد تمَّ ، وشاهده بيت رُوْبَةَ السالف . فإن زدت فيه حركة كان فضلاً على البيت . وإمَّا مقيَّدٌ قد مُدَّ على ما هو أقصر منه ، نحو « فَعُولٌ » في آخر المتقارب ، مُدَّ عن « فَعُلٌ » . فزيادته على « فَعُلٌ » عوض له من الوصل . وإجراء القافية أن يكون لها مجرى . والمَجْرَى في الشعر : حركة حرف الروى ، فَتَحَّتْهُ وضمته وكسرتة . وليس في الروى المقيَّد مجرى ، لأنه لا حركة فيه فتسمَّى مجرى . وهكذا يقصر العروضيون المَجْرَى في القافية على حركة حرف الروى دون سكونه . ولكن صاحب الكتاب يريد بالمجارى أحوال أواخر الكلم وأحكامها والصُّور التي تتشكل لها .

(١) أى ذو العروض التامة ، وضربها مثلها .

يقول : أفّ لهذه الحياة ! وأفّ لهذا العالم ! لقد أحتبساني فيهما أسيراً ، وأرتهناني عندهما بحيث لا أوئمل من أسرهما فككاً ، ولا أرجو من سجنهما أنطلاقاً ؛ فكأنتي ، وقد وقفتُ على حال سيئة من الحياة ليس لي عنها مزحل ولا مندوحة ، قافُ روبة أرسلها ساكنة ليس لها إلى الحركة سبيل ، ونطق بها مقيدة ليس لها من الإطلاق حظّ .

٢ (أَعْلَلْتُ عِلَّةً « قَالَ » وَهِيَ قَدِيمَةٌ أَعْيَا الْأَطِبَّةَ كُلَّهُمْ إِبْرَاؤُهَا)

الإعلال ، عند الصّرفيين : كلُّ ما يمسّ حروفَ العلة : الألف والواو والياء ، من قلب أو حذف أو تسكين . وساق الفعل « قال » مثلاً لما كان أحدُ أصوله حرف علة تتعاوره هذه العلل .

يقول : أفّ لهذه الحياة وأفّ لهذا العالم ! لقد أنهلاني الهُموم ، وعلاّني الخُطوب ، وأصاباني من أحداثهما بعلل ليس لها شفاء ، وأدواء ليس لها دواء ؛ فكأتما أصابتنى منهما تلك العلة الباقية القديمة التي تُصيب الأفعال الجوف ، يُعيبى الأطباء شفاؤها ، ويُعجز الحكماء الطبُّ لها .

٣ (طَالَ الشَّوَاءُ وَقَدْ أَنَى لِمَفَاصِلِي أَنْ تَسْتَبِدَّ بِضَمِّهَا صَحْرَاؤُهَا)

الشَّوَاءُ : طول المقام . وَأَنَى الشَّيْءُ : حان وأدرك ؛ يقال : أَلَمْ يَأْنِ ، وألم يئن لك ، وألم ينلْ لك ، وألم يُنلْ لك ، ومعناها كلها : ألم يحنْ لك . واستبدَّ فلان بكذا : أنفرد به دون غيره . ويُريدُ : « صحراؤها » : مقبرتها ؛ إذ الناس دائماً يُصحرون بمقابرهم أنى وجدوا إلى ذلك سبيلاً .

يقول : إيه أيها الجسم ؛ الذي فترت أوصاله ، وانحلت قواه ، وطال عليه الأمد ؛ لقد أنى لك أن تستبدَّ بك الصحراء ويتضمّنك التراب .

٤ (فَفَتَرَتْ وَلَمْ تَفْتَرْ لِشُرْبِ مُدَامَةٍ بَلْ لِلخُطُوبِ يَغُولُهَا إِسْرَاؤُهَا)

فترت ، أى لانت وضعفت ، يقال : فتر الشيء يفتر ، بالضم والكسر ، فتوراً وفتاراً : سكن بعد حدة ، ولان بعد شدة . والمدامة والمدام : الخمر ، لإدامتها فى الدن زماناً . ويفولها : يهلكها ويفتالها ويذهب بها . والإسراء : السرى ليلاً ، وهو بمرور الخطوب أوفق ؛ فهى المدهمات حين توصف ، وبينها وبين سود الليالى جامعة لا تنحل .

يقول : أجل ، لقد فترت أوصالك ، وأرتخت مفاصلك ، وما ذاك من شرب المدام ولا حب الندام ؛ وإنما هى الخطوب المسرية ، والهجوم المدلجة ، ألحّت عليك فبدلتك من القوة ضعفاً ، ومن النشاط فتوراً .

٥ (مَلَّ الْمَقَامُ فَكَمْ أَعَاشِرُ أُمَّةً أَمَرَتْ بِغَيْرِ صَلاَحِهَا أَمْرًاوَهَا)
٦ (ظَلَمُوا الرَّعِيَّةَ وَأَسْتَجَازُوا كَيْدَهَا فَعَدَوْا مَصَالِحَهَا وَهُمْ أَجْرًاوَهَا)

المقام ، بالضم : الإقامة ، وبالفتح : الموضع . وقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة وبمعنى موضع القيام ، لأنك إذا جعلته من قام يقوم ، ففتوح ، وإن جعلته من أقام يقيم ، فمضموم .

والاستجازه ، فى الأصل : فى السفيا ، تقول : أستجزت فلاناً فأجازنى ، إذا سقاك ماءً لأرضك أو لماشيتك ، قال القطامى :

وقالوا فقيم قيم الماء فاستجز عبادة إن المستجيز على قتر

على قتر ، أى على ناحية إما أن يسقى ، وإما ألا يسقى . ومن الحجاز : أستجاز رجل رجلاً : إذا طلب الإجازة ، أى الإذن فى مروياته ومسموعاته . وهى ، على الحقيقة والحجاز ، تحمل الطلب ، وهو الغالب على هذه الصيغة ؛ فكانهم

استجازوا أنفسهم الكيِّدَ فأجازتهم . وربما خرجت من قيِّد الطلب إلى لازمه الإيجابي ، فتكون بمعنى « أجاز » .

وَعَدَوْا : جاوزوا الحد ، ومن جاوزه فقد ظم . والأجراء : جمع أجير ، وهو مَنْ تَسْتَعْمَلُهُ عَلَى عَمَلِكَ .

يقول : لقد طال بي المقام حتى مَلَلْتُهُ ، وطالت على الحياة حتى سئمتها ؛ فكم أنا مُعْنَى بِعَشْرَةِ أُمَّةٍ قَدْ حَكَمْتَهَا الذَّلَّةُ ، وسيطر عليها الظلم ، واستبدَّ بِحُقُوقِهَا الأُمَرَاءُ يظلمونها أشدَّ الظلم ، وَيَعْسِفُونَهَا أَقْبِحَ العَسْفِ ، ويكيدون لها شرَّ الكيِّدِ ، وَيَعْدُونَ مَصَالِحَهَا ، ويتجاوزون منافعها ؛ وإنما هم لها أجراء ، وعنها وكلاء .

٧ (فِرْقًا شَعَرْتُ بِأَنَّهَا لَا تَقْتَنِي خَيْرًا وَأَنَّ شِرَارَهَا شِعْرَاوُهَا)

أَقْتَنَى وَقَنَى : كسب . والشَّرَار : جمع شَرِير ، قاسه على كبير وكبار ، وإن لم تَنصَّ عليه المعاجم ، فقد اقتصرت على أشرار ، جمعاً لَشَرِير ؛ وشَرِيرِينَ ، جمعاً لَشَرِير .

يقول : أُمَّةٌ قَدْ طَالَتْ صُحْبَتِي لَهَا وَأُخْتِيَارِي إِيَّاهَا ، فَمَا دَلَّتْنِي التَّجْرِبَةُ ، وَلَا أَرَشَدَنِي الاِخْتِبَارُ ، إِلَّا إِلَى بَرَاءَتِهَا مِنَ الْخَيْرِ ، وَإِقْفَارِهَا مِنَ الْمَعْرُوفِ ، وَإِلَى أَنْ أَشَدَّهَا بِالشَّرِّ اتِّصَالًا ، وَأَكْثَرَهَا فِيهِ إِغْرَاقًا ، هُمُ الشُّعْرَاءُ الَّذِينَ قَدْ كَانَتْ تُعْتَدُّ بِهِمْ آمَالُ الْإِصْلَاحِ ، وَيُنَاطُ بِهِمْ رَجَاءُ الْخَيْرِ .

٨ (أَمَرْتُ أَحَادِيثَ الْكِرَامِ بِزَعْمِهَا وَأَجَادَ حَبَسَ أَكْفَهَا إِثْرَاوُهَا)

أَمَرْتُ الْحَدِيثَ آثُرَهُ ، إِذَا ذَكَرْتَهُ عَنْ غَيْرِكَ وَحَدَّثْتَ بِهِ عَنْهُمْ . وَالْإِثْرَاءُ : كَثْرَةُ الْمَالِ ؛ يُقَالُ : تَرَى الْقَوْمَ يَثْرُونَ ، إِذَا كَثُرُوا وَنَمَوْا ؛ وَأَثْرُوا يُثْرُونَ ، إِذَا كَثُرَتْ أَمْوَالُهُمْ ؛ وَمِثْلُ « أَثْرَى » فِي هَذَا « تَرَى » .

يقول : أمة ما أكثر قوتها وأقل عملها ! ما أكثر روايتها لأخبار الجود
وأحاديث الأجواد ! وما أشد بُخْلِها بالمال وضمَّها بالثراء ! كأنَّ ما ترويه من
حمْدِ الكرم ، وما تأثره من مدح الجود ، يُغريها بالبخل والكرّازة ،
و يُرغبها في الضنّ والدّناءة .

٩ (وإِذَا النُّفُوسُ تَجَاوَزَتْ أَقْدَارَهَا حَدَّ البُعُوضِ تَغَيَّرَتْ سُجْرَاوُهَا)
١٠ (كَصَحِيحَةِ الأَوْزَانِ زَادَتْهَا القُوَى حَرَفًا فَبَانَ لِسَامِعٍ نَكْرَاوُهَا)

تجاوزت أقدارها : تعدتها وخلفتها . والحدّ : البأس والنفاذ في النجدة ، أناهه
مُنَاب المفعول المطلق . أراد : تجاوزت مجاوزة البعوض ونفاذه . وبالبعوض يُضرب
المثل في كل ما هو هيّن مهين . وقد يكون « الحدّ » بمعنى الغاية والقدر . والمعنى
هو المعنى . والشجراء : الأصدقاء والأخلاء والأصفياء ؛ الواحد سَجِير . وساجر
فلانٌ فلاناً : صاحبه وصافاه . قال أبو خراش :

وكنْتُ إِذَا سَجَرْتُ مِنْهُمْ مُسَاجِرًا صَبَحْتُ بِفَضْلِ المُرُوءَةِ والعِلْمِ

والصّحيح من الشعر : ما سلّم من النقص ؛ وقيل : كل ما يمكن فيه
الزّحاف فسلم منه ، فهو صحيح ؛ كما قيل : هو كل آخر نصف يسلم من الأشياء
التي تقع عللاً في الأعاريض والضروب ولا تقع في الحشوة .

والقوى : جمع قوّة ، وهي الطاقة من طاقات الحبل أو الوتر . وتُجمع
أيضاً على قوى ، بالكسر . وبها تُشبهه مقاطع الشعر ، يُجعل كل مقطع منها
قوة .

والزيادة في الشعر أنواع : تذييل ، وهو زيادة حرف ساكن على ما آخره
وتد مجموع . وتسبيغ ، وهو زيادة حرف ساكن على ما آخره سبب خفيف ،
وترفيل ، وهو زيادة سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع .

فإن أُريد بالحرف معناه اللغوي انصرف إلى الأول والثاني من هذه الأنواع ؛
وإن أُريد به معناه المجازي شَمِل أنواع الزيادة الثلاثة .

وبان : ظهر ووضح . والنَّكْرَاءُ : المنكر ، خلاف المعروف . فكأنَّ السامع
يستنكرها ولا تألفها أذنه . وقد تكون « نُكْرَاء » جمع « نكير » اسم بمعنى
الإنكار ، وهو التغيير ، نحو : كرماء وكريم . أى يدرك السامع ما جد عليها من
مخالفة ومغايرة .

يقول : أمة جنت من ثمار الحياة ما لم تكن له أهلاً ، ولقيت من نعيمها ما لم
تكن به خليفة ، فأبترتها النعمة وأفسدها الغنى . ولم أر شراً من نفس
الإنسان ، إذا تجاوزت قدرها جناح بعوضة ، ساءت حالها ، وفسدت طبيعتها ؛
كأنها القصيد من الشعر يزينها الوزن الصحيح المستقيم ، فإذا زيد فيها حرف
ظهر للسامع نكرها ، وبان للسمع اختلاها .

١١) (كِرِيَتٌ فَفَسَّرَتْ بِالْكِرَى وَحَيَاتُهَا أَكْرَتْ فَجَرَ نَوَائِبًا إِكْرَاؤُهَا)

كِرَى الرجل ، بالكسر ، يكرى بالفتح ، كِرَى : إذا نام ، فهو كِرٍ
وكِرَى وكِرْيَان . والفعل « أكرى » على وجهين ، فقد يكون مُتَعَدِّيًا ، بمعنى
أطال وأخَّر ؛ تقول : أكرينا الحديث الليلة ، أى أطلناه ؛ وقد يجوز إلى المفعول
بالحرف ، ومنه حديث ابن مسعود : « كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ
لَيْلَةٍ فَأَكْرَيْنَا فِي الْحَدِيثِ » أى أطلناه وأخَّرناه .

والوجه الثاني أن يكون لازماً ، بمعنى طال وقصر ، وزاد ونقص ، من
الأضداد . قال ابنُ أحمَر :

وَتَوَاهَقَتْ أَخْفَأُهَا طَبَقًا وَالظَّلُّ لَمْ يَفْضُلْ وَلَمْ يُكْرِى

أى ولم ينقص . كما قد يكون مع الزوم خالصاً للقلَّة والنفاذ والنقصان ، ومنه :
أكرى الرجل ، إذا قل ماله أو نفذ زاده . وأكرى الزاد ، إذا نقص . قال لبيد :

كَذِي زَادٍ مَتَى مَا يُكْرَمُ مِنْهُ فليس وراءه ثِقَةٌ بَرَادٍ
والمعنى هنا على التَّقْصَانِ . والإِكْرَاءُ : المَصْدَرُ مِنْ « أَكْرَى » بِمَعْنَى
نَقْصٍ .

يقول : أُمَّةٌ أَطْعَمَتِهَا الثَّرْوَةُ ، وَأَطْعَمَتِهَا الْحَيَاةُ ، فَزَيْدَتْ مِنْهُمَا ، وَتَلَذَّذَتْ بِهِمَا ؛
كَأَنَّهَا النَّائِمُ يَلْدُّ لَهُ النَّوْمُ فَيَسْتَزِيدُهُ ، غَافِلًا عَنْ أَنَّ زِيَادَتَهُ إِنَّمَا هِيَ تَقْصِيرٌ مِنْ أَجْلِهِ ،
وَاسْتَعْجَالَ لَمَوْتِهِ .

١٢) (سُبْحَانَ خَالِقِكَ الَّذِي قَرَّتْ بِهِ غَبْرَاءُ تُوقِدُ فَوْقَهَا خَضْرَاءُهَا)
١٣) (هَلْ تَعْرِفُ الْحَسِدَ الْجِيَادَ كَغَيْرِهَا فَالْبُهْمُ تُحْسَدُ بَيْنَهَا غَرَاءُهَا)

سبحان ، في اللغة : تنزيه الله عز وجل عن السوء ، منصوب على المصدر .
وقال ابن جنِّي : هو اسم علم لمعنى البراءة والتنزيه ، بمنزلة «عثمان» و «عمران» .
أَجْتَمَعَ فِي « سُبْحَانَ » التَّعْرِيفُ وَالْأَلْفُ وَالنُّونُ ، وَكِلَاهُمَا عِلَّةٌ تَمْنَعُ مِنَ الصَّرْفِ .
وَقَرَّتْ : اسْتَقَرَّتْ وَثَبَّتَتْ . وَالغَبْرَاءُ : الْأَرْضُ ، كَمَا أَنَّ الْخَضْرَاءَ : السَّمَاءُ . يَرِيدُ
بِاسْتِقْرَارِهَا وَثَبَاتِهَا أَطْمِئِنَانَ النَّاسِ عَلَيْهَا . هَذَا مَعْنَى . وَقَدْ يَكُونُ « قَرَّ » مِنْ
« الْقُرَّ » بِالضَّمِّ ، وَهُوَ الْبَرْدُ عَامَّةً ، وَالْمُقَابَلَةُ فِي قَوْلِهِ « تَوَقَّدُ » تُزَكِّيهِ .

والحسد : أَنْ يَتَمَنَّى الْمَرْءُ زَوَالَ نِعْمَةِ الْمَحْسُودِ إِلَيْهِ . وَالجِيَادُ : جَمْعُ جَوَادٍ ،
لِلْفَرَسِ السَّابِقِ الْجَيِّدِ ، وَيَجْمَعُ أَيْضًا عَلَى أَجْيَادٍ . فَإِذَا أُرِدَتْ بِهِ الرَّجْلُ السَّخِيَّةُ
جَمَعَتْهُ عَلَى أَجْوَادٍ . وَ« الْجَوَادُ » بِمَعْنَيْهِ مِمَّا يَسْتَوِي فِيهِ الْمَذْكَرُ وَالْمُؤَنَّثُ . وَالْبُهْمُ
بِالضَّمِّ وَبِضْمَتَيْنِ : جَمْعُ بَهِيمٍ . وَهُوَ الْفَرَسُ الْأَسْوَدُ الَّذِي لَا شِبْهَةَ فِيهِ ، الْمَذْكَرُ
وَالْأُنْثَى فِي ذَلِكَ سَوَاءٌ . وَقِيلَ هُوَ الَّذِي لَا يُحَالِطُ لَوْنَهُ شَيْءٌ سِوَى مُعْظَمِ لَوْنِهِ .
أَمَّا الْبُهْمُ ، بِالْفَتْحِ ، فَهِيَ مِنْ جُمُوعِ بَهْمَةٍ ، وَهِيَ الصَّغِيرَةُ مِنْ أَوْلَادِ الْغَنَمِ وَالضَّأْنِ

والعز والبقر ، من الوحش وغيرها . والمعنى لا يتجه إليها هنا . والغراء : الجياد في جبهتها غرة . وجموع الكثرة توصف بالمفرد المؤنث ما كانت لغير العاقل . والغرة : بياض في الجبهة ، أكبر من الدرهم قد وَسَطَتْ جبهته ولم تُصَبْ واحدة من العينين ولم تَمَلْ على واحدة من الخدين ولم تَسِلْ سَفْلا .

يقول : سبحانهك اللهم ، لقد جلّ شأنك ، وَحَفِيَتْ حِكْمَتُكَ عَلَى الْعُقُولِ ، بَسَطْتَ الْعِبْرَاءَ ، وَرَفَعْتَ فَوْقَهَا الْخَضْرَاءَ ، وَأَجْرَيْتَ بَيْنَهُمَا عَالِمًا مَا أَعْرَفَ لِلْخَيْرِ فِيهِ مَوْضِعًا ، عَالِمٌ عَاقِلٌ وَلَكِنَّهُ شَرِيْرٌ . هل تعرف ردائله الحيوانُ الْمُعْجَمُ ؟ وهل تُشَارِكُهُ فِيهَا الْمَخْلُوقَاتُ الْبُلْهَ ؟ هل تَحْسُدُ الْجِيَادُ السُّودَ الْقَائِمَةَ أَخَوَاتِهَا الْغُرَّ الْوَاضِحَةَ ؟ كَلَّا مَا أَرَى لِلْحَسَدِ فِيهَا أَثْرًا ، وَإِنَّمَا هُوَ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ قَدْ أَفْسَدَهُ الطَّمَعُ وَالشَّرُّ ، وَغَيْرُهُ الْبُخْلُ وَالْحِرْصُ .

١٤ (وَوَجَدْتُ دُنْيَانَا تُشَابِهُ طَامِثًا لَا تَسْتَقِيمُ لَنَا كَيْحَ أَقْرَاوْهَا)

الطامث : الخائض . وقيل : إذا حاضت أول ما تَحِيضُ . والفعل : طَمِثَتْ ، بكسر العين وفتحها ، تَطْمُثُ . بفتحها وضمها ، على الترتيب ، طَمَسًا ، مثل « ضَرَبًا » . والأقرء ، بالفتح والضم : الْحَيْضُ وَالطَّهْرُ ، ضِدٌّ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْءَ الْوَقْتُ ، فَقَدْ يَكُونُ لِلْحَيْضِ وَالطَّهْرِ . وَيَجْمَعُ أَيْضًا عَلَى قُرْوٍ وَأَقْرُوْ ، الْأَخِيرَةَ عَنِ اللَّحْيَانِي فِي أَدْنَى الْعَدَدِ . وَشَاهِدِ الطَّهْرُ قَوْلُ الْأَعْمَشِيِّ :

مُورِثَةٌ مَالًا وَفِي الْحَيِّ رِفْعَةٌ لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرْوٍ نِسَائِكَا

فالقروء هنا الأطهار لا الحيض ، لأن النساء إنما يؤتَيْن في أطهارهن لافي حِيضِهِنَّ . فإِنَّمَا ضَاعَ بَعِيْبَتُهُ عَنْهُنَّ أَطْهَارُهُنَّ . وَشَاهَدَهُ عَلَى الْحَيْضِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « دَعِيَ الصَّلَاةَ أَيَّامَ أَقْرَائِكَ ، أَيَّ أَيَّامِ حَيْضِكَ . وَقَوْلُ أَبِي الْعَلَاءِ هُنَا مِنَ الْأَوَّلِ .

يقول : أَيْ لَكَ أَيَّتِهَا الدُّنْيَا الْمُتَقَلِّبَةُ ! مَا أَرَى أَنَّكَ تَتُبْتَيْنِ عَلَى حَالِ :

وما أشبهك إلا بالحسنة الناعمة ، ذات الدلال والغنج ، وذات الجمال والبهجة ، وذات المنظر الساحر واللفظ الخادع واللحظات المُطِعة ؛ ثم هي مع هذا كله طامث ، قد لزمها الطمّث ، وحجبها الحَيْض ، فما تستقيم أقرأؤها لطلابها ، وما تنتظم أطهارها لمحبّتها ؛ على أنه بها كَيْفٌ مُعْنَى ، وعليها حريصٌ معذب .

١٥ (هُوَيْتُ وَلَمْ تُسْعِفْ وَرَاحَ غَنِيْهَا تَعْبًا وَفَازَ بَرَاحَةَ فَقَرَأُوهَا)

الإسعاف : المساعدة والمواتاة والقرب في حُسن مصافاة ومعاونة . قال الشاعر :
 وإن شفاء النَّفس لو تُسْعِفُ النَّوَى أُولَاتُ الثَّنَائِيَا الْغَرِّ وَالْحَدَقِ النَّجْلِ
 يقول : لقد هويكِ الناسُ فَدَكَيْتِ أهواءهم بالمنى ، ونميتها بالآمال ، حتى إذا جاء وقت الإثابة وأقتضاء اللذات ، أوقعتهم في اليأس المهلك والقنوط المُميت .
 لقد شقى بك الأغنياء الذين هم أشدُّ عليك حِرْصًا وأكثرُ فيك رغبة ، وأستراح منك الفقراء الذين هم أبعدُ منك مكانًا وأقلُّ بك اتصالًا .

١٦ (وَتَجَادَلَتْ فُقَهَاوُهَا مِنْ حُبِّهَا وَتَقَرَّرَتْ لِتِنَالِهَا قُرَاوُهَا)

تقرأ : تفقه وتَنَسَّك . وقيل : قرأتُ . أى صرّت قارئًا ناسكًا . وتقرّأتُ تقرؤها ، في هذا المعنى . ولعلّ أبا العلاء يُشير إلى الحديث : « أكثرُ مُنافقي أمتي قُرَاوُهَا » .

يقول : لقد أفسدتِ عُقولًا كانت خليقة أن تصلح ، وعوّجت طُرُقًا كانت جديرة أن تستقيم ؛ أولئك الفقهاء لا يتجادلون إلا فيك ، وأولئك القُرّاء لا يتقروءون إلا لك ، فأما فقه الدين وأستظهار الكتاب فشئ لا يحفون به ولا يلتفتون إليه .

١٧ (وَإِذَا زَجَرَتْهُ النَّفْسُ عَنِ شَعْفِ بِهَا فَكَأَنَّ زَجَرَ غَوِيَّهَا إِغْرَاؤُهَا)

الزجر : المنع والنهي والنهر . والشَّعْفُ : الولوج بالشئ ؛ يقال : شَغِفَ فلان بالشئ ، على صيغة ما لم يُسَمَّ فاعله : أُولِعَ به ؛ وشَغِفَ بالشئ ، على ما سُمِّيَ فاعله : قَلِقَ . والغَوِيُّ : الضالُّ ، ومثله : غَاوٍ وَغَوٍ وَغَيَّانَ . والفعل منه غَوَى ، وَغَوَى . وقال ابن بَرِّي : غَوَى ، هو اسم الفاعل من « غَوَى » لا من « غَوَى » وكذلك غَوَى ، ونظيره : رَشَدَ فهو راشد ، ورَشِدَ فهو رشيد . والإغراء : الإيساد والتأريش .

يقول : لقد أضلت العقول ، وأفسدت الطبائع ، حتى لم يبق للنصح إليها طريق ، وكأنما النصح بالانصراف عنك إغراء بشدة الحرص عليك .

اللزومية الخامسة عشرة

وقال أيضاً في الهمزة المضمومة مع الباء ، والمذسرح المولد^(١) :

١ (دُنْيَاكَ مَآوِيَّةٌ لَهَا نُوبٌ شَتَّى مَمَّآوِيَّةٌ وَأَنْبَاءٌ)

النسبة إلى « الماء » مأى وماوى ، فى قول من يقول « عطاوى » ، و « ماهى » كما يقول الأزهرى . لما كان الماء أصل الحياة به ردها إليه . أوله شبه الدنيا به فى ميوعتها وأنها لا تستقر مثله على حال . والنوب : جمع نائبة ، وهى ما ينوب الإنسان وينزل به من المهمات والحوادث . وتُجمع على نواب أيضاً . وشتى . متفرقة . وفى الحديث : « يهلكون مهلكاً واحداً . ويصدرون مصادر شتى » . وقال ابن جنى : شتان وشتى ، كسكران وسكرى . يعنى أن « شتى » ليس مؤنث « شتان » ، كسكران وسكرى . وإنما هما أسمان توارداً وتقابلا فى عرض اللغة من غير قصد ولا إيثار لتقاودهما . وفى تخصيص « النوب » و « الأنباء » بأنها سماوية إشارة ، إلى ما يتردد فى شعر أبى العلاء من أثر الأفلاك . يقول : أياينة الماء ، وذات النوب والأنباء ، أنت التى لا تثبت على حال ولا يستقر لها أمر . أنت المضطربة الهائجة ، والمربكة المائجة . أنت الفرارة الخداعة ، والمناحة المتاعة .

٢ (أَفٍّ لَهَا جُلٌّ مَا يُفِيدُ بِهَا مَنْ فَازَ فِيهَا الطَّعَامُ وَالْبَاءُ)

أف : كلمة تضجر . وقد سبق عنها مزيد^(٢) . وجُل كل شىء ، بالضم : معظمه ، مبتدأ ، خبره « الطعام » وما أنعطف عليه . وأفذت المال : أعطيته غيرى .

(١) شاهده : * من فرص اللص ضجة السوق *

(٢) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية السادسة ص ٨١ من هذا الجزء .

وأفدته : أستفدته . والثاني هو المراد . والباء : النكاح والتزويج . ومضى الكلام فيه بتفصيل (١) .

يقول : أف لك ! لقد قلّ فيك الخير وكثر فيك الشرّ ، ولقد صغرت أمورك ، وهانت الآمال فيك ؛ فأعظمُ حظَّ الفائز بك ، والظافر برغائبك ، طعامٌ يُسيعه ، ورَفَثٌ يناله .

٣ (جَدَّ مُقِيمٌ وَخَابَ ذُو سَفَرٍ كَأَنَّهُ فِي الْمَهْجِرِ حَرِبَاءٌ)

جَدَّ فلانٌ يَجِدُّ ، من باب علم : صار ذا حظٍّ وغيٍّ ، فهو جَدِيدٌ ومَجْدُودٌ .
والهَجِيرُ : نصف النهار عند اشتداد الحر . ومثله الهَجِيرَةُ والهَجْرُ والهَاجِرَةُ .
والحَرِبَاءُ : ذَكَرَ أم حَبِيبٍ . وقيل : هي دَوِيْبَةٌ نحو العَظَاءَةِ أو أكبر تستقبل الشمس برأسها ، وتكون منها كيف دارت . يقال إنما تفعل ذلك لِتَتَّقِي جَسَدَهَا برأسها . وهي تتلون ألواناً بجزر الشمس . والجمع : الحَرَابِيُّ . ويقال فيها : حَرِبَاءٌ تَنْضُبُ . كما يقال : ذئب غَضِي . قال أبو دُوَادٍ الإيَادِيّ .

أَنَّى أُتِيحَ لها حَرِبَاءٌ تَنْضُبَةٌ لا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلا مُمَسَّكًا سَاقًا

يَصِفُ ظُعْمًا سَاقَهَا وَأَرْعَجًا سَاقًا مُجَدَّ ، فَتَعَجَّبَ كَيْفَ أُتِيحَ لها هذا السَّاقُ المُجَدُّ . وهذا مثل يُضْرَبُ للرجل الحَازِمِ ، لأنَّ الحَرِبَاءَ لا تُفَارِقُ الغُصْنَ الأول حتى تَثْبُتَ على الغُصْنِ الآخر .

يقول : تَسِيرِينَ على غير حِكْمَةٍ مَفْهُومَةٍ ، ولا نظامٍ مَأْلُوفٍ ، يسعد فيك المُقِيمِ الآمِنِ ، وَيَسْتَقِي بِكَ المَجْدَ الطَّاعِنِ .

(١) انظر شرح البيت التاسع من اللزومية الأولى ص ٥٧ من هذا الجزء

٤ (أَقْضِيَةٌ لَا تَزَالُ وَارِدَةً تَحَارُّ فِي كَوْنِهَا الْأَلْبَاءُ)

أقضية : جمع قضاء ، وهو الحكم . وواردة ، أى حاضرة وآتية . والألباء :
العقلاء ، الواحد : لبيب .

يقول : قضاء سبقت به الكلمة ، وجرى به القلم ، فما يزال على الناس جارياً ،
وعلى العقول خافياً ؛ قد حير الألباء فهمه ، وأعيا الحكماء تعبيره .

٥ (قَامَ بَنُو الْقَوْمِ فِي أَمَاكِنِهِمْ وَغِيَّبَتْ فِي التُّرَابِ آبَاءُ)

٦ (وَزَالَ عِزُّ الْأَمِيرِ وَأُفْتِرَقَتْ أَحْبَاؤُهُ عَنْهُ وَالْأَحْبَاءُ)

٧ (وَكُلَّ حِينَ حُوبٌ وَمَعْصِيَةٌ زَادَتْهُمَا فِي الذُّنُوبِ حَوْبَاءُ)

بنو القوم ، أى الذرارى والأعقاب . والضمير فى « أماكنهم » . إما من
المضاف فى « بنو القوم » أو من المضاف إليه . وعلى الثانى ، فللمراد : حلّ الأبناء
محل الآباء . وعلى الأول ، فللمراد : قام الأبناء حيث هم فى الحياة .

والأحباء : جلساء الملك وخاصته ، الواحد : حباً ؛ مثل أسباب وسبب .
ويقال : هو من حباً الملك ، أى من خاصته . والأحباء : المحبثون ، الواحد
حبيب .

والحوب ، بالضم والفتح ، والحاب : الإثم . فالحوب ، بالفتح ، لأهل الحجاز .
والحوب ، بالضم ، لتيم .

وقال الزجاج : الحوب : الإثم ؛ والحوب : فعل الرجل . وفى قوله تعالى :
(إِنَّهُ كَانَ حُوبًا) قرأ الفرّاء بالضم ، وقرأ الحسن بالفتح . وفى حديث أبى هريرة
رضى الله عنه : « إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الرّبّا سبعون حوباً . أيسرها
مثل وقوع الرجل على أمّه . وأرّبى الرّبّا عرضُ المسلم » . قال شمر : قوله :
« سبعون حوباً » كأنّه سبعون ضرباً من الإثم .

والحَوْبَاءُ : النفس ، ممدودة ساكنة الواو ؛ والجمع : حوباوات . يريد
استرسال النفوس في غيِّها .

يقول : أسلاف تسلف ، وأخلاف تخلف ، ومُلوك يزول عنها العِزُّ ويُفارقها
السلطان ، ويُسلمها الأخباء والأحباء ، وآثام ما تزال تُجدِّدها الحاجة ، وسيئات
ما يزال يخلقها الفقر والبؤس ؛ ونحن لكل هذه السَّهام أغراض ، لا نُحس ولا
نَشعر ، ولا تسمو عقولنا إلى عظة ولا اعتبار .

اللزومية السادسة عشرة

وقال أيضاً في الهمزة المضمومة مع الميم ، والخفيف الأول^(١) :

- ١ (فُقِدَتْ فِي أَيَّامِكَ الْعُلَمَاءُ وَأُدْلِهَمَتْ عَلَيْهِمُ الظَّلْمَاءُ)
 ٢ (وَتَغَشَّى دَهْمَاءَنَا الْغَى لَمَّا عَطَلَتْ مِنْ وُضُوحِهَا الدَّهْمَاءُ)

ادلهمت : كُثِفَتْ وَأَسْوَدَّتْ . والظلماء : اللبلة الشديدة الظلمة .
 وتغشَّى : عَلَا وَتَجَلَّلَ . والدَّهْمَاءُ : الجماعة من الناس . يقال : دخلتُ في خَمَرِ
 الناس ، أى في جماعتهم وكثرتهم ، وفي دهماء الناس أيضاً ، مثله . قال الشاعر :
 فَمَدْنَاكَ فِقْدَانَ الرَّبِيعِ وَكَيْتَنَا فِدِينَكَ مِنْ دَهْمَانَا بِالْوَفِ
 والغى : الضلالة والخبية . والوضوح : الظهور والانجلاء .

وفي نسخة « أوضاحها » . وهى جمع « وضح » بالتحريك ، وهو الغرة
 والتحجيل فى القوأم ، وهو الضوء والبياض أيضاً .
 وقد يراد « بالدَّهْمَاءِ » فى آخر البيت : الغبراء ، أى الأرض ، ويكون المعنى
 من معنى عجز البيت السابق ومؤكداً له . جعل انجلاء الحياة بالعلماء ، فإذا عطلت
 منهم تغشَّتْها الظلمات .

كما قد يراد بها الدَّابَّةُ السوداء لاشيئة فيها . جعل العلماء فى الحياة بمنزلة
 الأوضاح فى الدَّابَّةِ الدهماء . وهو لا يخرج عن الأول .
 يقول : إيه أيها المتفكر المتفهم ! والباحث المستبصر ! لقد قضى عليك أن
 تعيش فى عصرٍ ظهر فيه الجهل ، وخفى فيه العلم ، وعمَّ دهماءه أُلْحَمَقُ ، واشتمل
 على أهله الجُمُود .

(١) أى ذو العروض الصحيحة ، وضرها مثلها .

- ٣) لِلْمَلِكِ الْمَذَكَّرَاتُ عَيْدُهُ وَكَذَلِكَ الْمُؤَنَّثَاتُ إِمَاءُ ()
 ٤) فَأَلْهَلَالُ الْمُنِيفِ وَالْبَدْرُ وَالْفَرُّ قَدْ وَالصُّبْحُ وَالثَّرَى وَالْمَاءُ ()
 ٥) وَالثَّرِيَّا وَالشَّمْسُ وَالنَّارُ وَالنَّثْرَةُ وَالْأَرْضُ وَالضُّحَى وَالسَّمَاءُ ()

أراد « بالملك » : الله تعالى ، ملك الخلق ، أى ربهم ومالكهم .
 والمذكَّرات : ما كان على صيغة التذكير من خلقه . والمؤنثات : ما كان منها على
 صيغة التأنيث ؛ أراد الشمول فذكر الشيء وضده .

وقصد إلى هذين خاصة لأنهما سرُّ الوجود وبقاؤه . والإماء : جمع أمة ،
 وهى المملوكة ، خلاف الحرة . وقال الأزهرى : هى المرأة ذات العبودة ، وقد
 أقرت بالأموءة . وتُجمع أيضاً على أموات وآم ، وإموان ، بالكسر والضم .
 وقد شبه أبو العلاء « الأيام » بالعبيد ، و « الياالى » بالإماء فى غير هذا
 الموضع ؟ فقال :

سَبْعَ إِمَاءٍ مِنْ زَعَاوَةِ زُوجَتٍ مِنْ الرُّومِ فِي نُعْمَانٍ سَبْعَةَ أَعْبِيدِ
 وَالْمُنِيفِ : المُشرف المرتفع على غيره ؛ يقال : ناف الشيء ، إذا طال وأشرف
 وأرتفع . وكذلك أناف .

والفرقد : واحد الفرقدين ، وهما نجمان فى السماء لا يعرُبان ، ولكنهما
 يطوفان بالجدى . وقيل : هما كوكبان قريبان من القطب ؛ كما قيل إنهما فى بنات
 نعش الصغرى . وحكى الكسائى : لأبكِينك الفرقدين ، أى طولَ طلوعهما .
 قال : وكذلك النجوم ، كلها تُنصب على الظرف ، كقولك : لأبكِينك الشمسَ
 والقمرَ . كل هذا يُقيمون فيه الأسماء مُقام الظروف . قال ابن سيدة : وعندى
 أنهم يريدون طول طلوعها ، فيحذفون اختصاراً واتساعاً .

وقالوا فيها : الفراقد . كأنهم جعلوا كلَّ جزءٍ منهما فرقداً . قال الشاعر :

لقد طالَ يا سَوداءَ مِنكَ المَواعِدُ ودُونَ الجِدا المَأمولِ مِنكَ الفَراقِدُ

وكذلك قالت العربُ لهما : الفرقد . ولعلَّ عليه بيتُ أبي العلاء . ومنه قولُ لبّيد :

حالفَ الفرقدُ شرباً في الهدى خلةً باقيةً دونَ الخللِ

والثريا ، من الكواكب ، سميت لغزارة نوتها . وقيل : سميت بذلك لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها . فكأنها كثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق الخلل ، لا يُتكلّم به إلا مُصغراً ، وهو تصغير على جهة التكبير . والنثرة : نجم من نجوم الأسد ينزلها القمر . وقال الأزهريُّ : هي كوكب في السماء كأنه لطخ سحاب حيال كوكبين تُسميه العرب نثرة الأسد . أو هي من منازل القمر ، وهي من برج السرطان . والسماء ، التي تُطلُّ الأرض ، مؤنثة في قول جمهور النحويين . وذكر بعضهم أنها تذكر وتؤنث ، محتجّين بقوله تعالى (والسماء مُنقَطرة) . وقيل في دفع هذا : إنما جاء على معنى النسب أي ذات انقطاع ، كما قالوا : امرأة عاشق أو عاقر ، أي ذات عشق وعُقر . وقد يجوز أن يكون ذكرّها على معنى السقف لقوله تعالى : (وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً) . ومنه بيت الفرزدق :

فلو رَفَعَ السَّماءَ إليه سَقفاً لَحِقْنَا بِالسَّماءِ مَعَ السَّحابِ

وأما السماء الذي يُراد به المطر ، فقال بعضهم إنه مذكّر ، ومنه قول الشاعر :

إِذْ سَقَطَ السَّماءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِيَابَا

ويرى الأخفش أنه مؤنث . ومنه بيتُ أبي العلاء ، هذا ، فقد جمع المذكرات في بيت والمؤنثات في بيته الآخر .

يقول : سبحانك اللهم ! بك آمنت ، ولك أذعنت . لك العبيدُ والإماء ، من رجال ونساء ، لك الأرض والسماء . والهواء والماء . لك النجوم الطالعة ، والكواكب الساطعة .

٦) هَذِهِ كُلُّهَا لِرَبِّكَ مَا عَا بَكَ فِي قَوْلِ ذَلِكَ الْحَكَمِ
 ٧) خَلَّنِي يَا أُخَيَّ اسْتَغْفِرِ اللَّهَ فَلَمْ يَبْقَ فِيَّ إِلَّا الذَّمُّ
 الذَّمُّ : بقية النَّفْسِ ، وكذلك بقية الروح في المذبوح . قال أبو ذؤيب يذكر
 القانص والحَمِير :

فَأَبْدَهُنَّ حَتُوفَهُنَّ فَهَارِبٌ بِذَمَائِهِ أَوْ بَارِكٌ مُتَجَعِّعٌ

يقول : قُلْ مَا شِئْتُ مِنْ ذَلِكَ ، لَا يَعْيبُكَ بِقَوْلِهِ حَكِيمٌ ، وَلَا يَنْكَرُهُ عَلَيْكَ
 فِيلَسُوفٌ ؛ ثُمَّ دَعَانِي اسْتَغْفِرَ اللَّهُ وَأَتَضَرَّعَ إِلَيْهِ ، فَقَدْ أَنْقَضَتْ عَنِّي مُدَّتِي ،
 وَأَسَلَّمْتَنِي أَيَّامِي إِلَى الْحَيْنِ .

٨) وَيُقَالُ الْكِرَامُ قَوْلًا وَمَا فِي الْعَصْرِ إِلَّا الشَّخُوصُ وَالْأَسْمَاءُ
 ٩) (وَأَحَادِيثُ حَبَّرْتَهَا غَوَاةٌ وَافْتَرَّتْهَا لِمَكْسَبِ الْقُدَمَاءِ)

العصر: الدهر، وهو المراد هنا. وقال ابن عباس: هو ما يلي المغرب من النهار.
 وقال قتادة: هو ساعة من ساعات النهار. والعصران: الليل والنهار، والغداة.
 والعشى. وفي العصر لغات، الفتح والكسر والضم وبضمتين. ويجمع على أعصار
 وعُصور، وعصرٌ، وبضمتين أيضاً. والشخوص: جمع شخص، وهو كل جسم له
 ارتفاع وظهور.

والتحجير التجويد والتحسين. والغواة: الضالون، الواحد غاوي. وأفتري:
 كذب وأخترق. وفي حديث بيعة النساء: «وَلَا يَأْتِينَ بِيَهْتَانِ يَفْتَرِينَهُ» هو
 افتعال من الكذب.

يقول: دعني أفرغ لما أنا فيه من خلوة إلى نفسي وعناية بأمرى، فإنما نحن
 في أيام كثرت فيها الأسماء، وقل فيها الغناء. يذكر الكرم والجود، والحق

والفضيلة ، والخير والبرّ؛ وإنما هي ألفاظ تلفظها الأفواه ، وتتلقفها الرياح .
 يَزُوون الحكمة والعظة ، ويأثرون النصيحة والهدى ، ويدرسون العلم والشريعة؛
 وإنما هي أحاديث الغواة ، وأفانين من التجارة أخترعها القدماء ، يكسبون بها
 عيشتهم ، ويشترون بها ثمناً قليلاً . دَعْنِي أفرُغ لما أنا فيه ، فقد كذبتني الأماني ،
 وتكشفت لي الآمال عن باطلها ، وظهرت لي الحقائق واضحة ، ولكنها بشعة
 المنظر مرة المذاق .

١٠ (هَذِهِ الشُّهُبُ خَلَّتْهَا شَبَكُ الدَّهْرِ لَهَا فَوْقَ أَهْلِهَا إِمَاءُ)

١١ (عَجَبًا لِلْقَضَاءِ تَمَّ عَلَى الْخَلْقِ قِي فَهَمَّتْ أَنْ تُبْسِلَ الْعَمَاءُ)

١٢ (أَوْ مَا يُبْصِرُونَ فِعْلَ الرَّدَى كَيْفَ يَبِيدُ الْأَصْهَارُ وَالْأَحْمَاءُ)

الشُّهُبُ : النجوم السبعة المعروفة بالدراري ، الواحد شهاب . وظاهر أنه
 يريد النجوم عامة .

والإماء : الاحتواء والاشتمال . يقال أُلِمَّ على الشيء ، إذا احتوى عليه .

والإبسال : الإسلام للتهلكة . قال تعالى : (أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا)

أى أسماوا بجزائرتهم . وقيل : أَرْزَتْهُنَا . وقيل : أَهْلَكُوا . وقال مجاهد : فُضِحُوا .

وقال قتادة : حُبِسُوا . وقال أبو منصور في تفسير قوله تعالى : (وَأَنْ تُبْسِلَ نَفْسٌ

بِمَا كَسَبَتْ) أى لئلا تُسَلِّمَ نفس إلى العذاب بعلمها . وقال النابغة الجعديّ :

وَنَحْنُ رَهْنَا بِالْأُفَاقَةِ عَامِرًا بِمَا كَانَ فِي الدَّرْدَاءِ رَهْنَا فَأُبْسِلَا

وإبسال العلماء ، أن يؤخذوا بعلمهم . وكثيراً ما ينعى أبو العلاء عليهم .

وجاء في بعض النسخ « الحزماء » مكان « العلماء » .

وَالرَّدَى : الهلاك . والأصهار : أهل بيت المرأة ، وأما أهل بيت الرجل فيقال

لهم : الأختان . والأحماء للمرأة : إخوة زوجها ، وكذلك مَنْ كان من قبَله ؛

وكل من ولى الزوج من ذى قرابته ، فهم أحماء لها . وأم زوجها : حماتها . وكذلك الأحماء للرجل ، من كان من قبَلِ أمْرأته : أب أو أخ أو عم . وقيل : الأحماء ، من قبَلِ المرأةِ خاصَّةً ، الواحد حَمُو . وفيه لغات أربع : حمًا ، مثل قفًا ؛ وحَمُو ، مثل أبو ؛ وحَمٌ مثل ، أب ؛ وحَمَاءٌ ، ساكنة الميم مهموزة .

يقول : هل ترى هذه الشَّهب اللامعة إلا رَشْبًا كما قد أعدّها الدهر يلقبها على العالم فيصطاد بها فرائسه ! أو ما تُبصر كم ترك الرَّدَى في الناس من الأفاعيل ! كيف فرَّق بين الأصهار والأحماء ! وكيف باعد بين الآباء والأبناء !

١٣ (غَلَبَ الْمَيِّنُ مُنْذُ كَانَ عَلَى الْخَلْقِ وَمَاتَتْ بِنَعِيظِهَا الْحُكَمَاءُ)

المين : الكذب ، والجمع مَيُون . وجاء في بعض الأصول « الحزماء » مكان « الحكماء » .

يقول : عجيباً للقضاء المحتوم والقدر المكتوب ! لقد قضيا على الخلق لا يردُّها رادٌّ ولا يدفعهما دافع ، حتى أصبح الأمل معهما حمقاً ، واليأس بين يديهما حزماً .

١٤ (فَارْزُقِي يَا عَصْمَاءُ يَوْمًا وَلَوْ أَنَّكَ فِي رَأْسِ شَاهِقٍ عَصْمَاءُ)

« عصماء » الأولى ، من أسماء النساء ؛ وهي من الوُعُول : البيضاء اليبدين ، أو اليد وسائرهما أسود أو أحمر . وهي المرادة « بعصماء » الثانية . وبها سُميت المرأة ، لامتناعها عن يرومها امتناع الأروية بالجبل . قال الشاعر :

إِنَّ عَصْمَاءَ إِنْ تَرَمَّهَا كَعَصْمًا ؕ سَمَتْ فِي الذَّرَا فليس تُنَالُ

وقد يكون للتسمية وجه آخر يُفسره الحديثُ في النساء : « لا يدخل الجنة منهنَّ إلا مثل الغراب الأعصم » ، وهو الأبيض الجناحين ، أو الأبيض الرجلين .

أراد قلة من يدخل الجنة من النساء ، ويكون الجامع في الشبه العزة والنُدرة .
إلا أن القنن بالوعول أنسب ، والوصف هنا مُخصَّص .
والكلام في البيت على الحذف ، تقديره : فارقبي يا عصماء يوماً تهلكين فيه .
فحذفه للعلم به .

يقول : أيتها العَصَاءُ المَكُونَةُ ، والحسناء المصونة ، لا يُخدَعَنَّكُ جمالكُ
الخلاب للُعقول ، الفتان للألباب . لا يُخدَعَنَّكُ لحظكُ الفاتر ، ولفظكُ الساحر .
لا يُخدَعَنَّكُ خدكُ الأَسيل ، وخَصْرُكُ النَّحِيل . لا يُخدَعَنَّكُ وجهُكُ الذي تُبَاهين
به ضوءَ النهار ، وشَعْرُكُ الذي تبارين به لجمة اللّيل . فكلُّ ذلك إلى زوال .
إنما بَدْرُكُ إلى أْفول ، وزهْرُكُ إلى ذُبول ، وجمالكُ الفاتن إلى فناء . أرقبي ذلك
اليوم الذي سِيُصَوَّبُ إليك من الحِجَامِ سهماً لا يطيش ، ونَصْلاً لا يُخْطِئُ ، ورَمِيَّةُ
لا يجميك منها معقل ولا حِصْن . خُذِي مكانَ العَصَاءِ من رأسِ الجبل ؛ فإن
الموت لا حَقَّكُ لا محالة ، ونازلٌ بك من غير رَيْب .

١٥ (وَأَرَى الْأَرْبَعَ الْغَرَائِزَ فِينَا وَهِيَ فِي جُثَّةِ الْفَتَى خُصَمَاءُ)
١٦ (إِنَّ تَوَافِقْنَ صَحَّ أَوْ لَا فَمَا يَنْدُ فَكُ عَنْهَا الْإِمْرَاضُ وَالْإِغْمَاءُ)

يريد بالغرائر الأربع : العناصر التي يتكون منها الكون ، والإنسان منه . وهي :
المائية والترابية والهوائية والنارية . وهي بعض لبعض خصم . وخصماء : مخاصمون ،
الواحد خصيم . والخصيم غير الخصم ، إذ الخصم : العالم بالخصومة وإن لم يخاصم ،
والخصيم : الذي يخاصم غيره .

والتوافق : الأتفاق . والإمراض : وقوع العاهات ، من قولك : أمرض
الرجل ، إذا وقع في ماله العاهة . والإغماء ، بكسر الهمزة ، المصدر من أغشى عليه ،
إذا غشى عليه ثم أفاق . وقيل : إذا ظن أنه مات ثم يرجع حياً . وأما الإغماء ،

بفتح الهمزة ، فهو جمع غَمَى عند بعضهم ، وهو المغشى عليه . ويجعل بعضهم « غَمَى » للواحد والواحدة والاثنين والجميع ، دون تغيير ، لأنه مصدر .

يقول : أُنَى يكون الخلود أو يقدر البقاء لجسم ! ما أرى حياته وصحته إلا رَهْمًا بانفاق غرائزه ، ووفقاً على التثام طبائعه . فهو صحيح إن استوين ، وعليل إن التوين .

١٧ (وَوَجَدْتُ الزَّمَانَ أَعْجَمَ فَظًّا وَجُبَارًا فِي حُكْمِهَا الْعَجْمَاءِ)

الأعجم : العجمي ، وهو غير العربي . يريد أنه لا يعي عنك ولا تبعي عنه .
رجل أعجم ، وقوم أعجم . قال الراجز :

سَلُومَ لَوْ أَصْبَحَتْ وَسَطَ الْأَعْجَمِ فِي الرُّومِ أَوْ فَارِسَ أَوْ فِي الدَّيْلَمِ
إِذَا لَزْرْنَاكَ وَلَوْ بَسَلَّمْ

والفظ : الخشن الكلام ، أو الجاف الغليظ في منطقه ، والجمع أفظاظ .
ويقال : إنه لفظ بَطٌّ ؛ على الإتياع . وجبار : هدر لا قود فيه ولا دية .
وفي الحديث « المَعْدِنُ جُبَارٌ ، والبئرُ جُبَارٌ ، والعجماءُ جُبَارٌ » والمعنى : أن تنفلت البهيمة العجماء فتصيب في أنفلاتها إنساناً أو شيئاً فجرحها هدر . وكذلك البئر العادية يسقط فيها إنسان فيهلك فدمه هدر . والمعدن إذا أنهار على من يعمل فيه فهلك لم يؤخذ به مستأجره . وحكمها ، أى فيما يحكم به فى أمرها ويُقضى .
يقول : أذعن أيها الإنسان لحكم الزمان لا تناقشه حساباً ، ولا تسأله ثواباً ، ولا تطلب منه لشيء علة ، ولا ترج منه لسؤال جواباً ؛ إنما الزمان أحق لا يعقل ، وأعجم لا ينطق . ألا وإن حكم العجماء أن جنباياتها مهذرة ، وجرائمها مغتفرة .

١٨ (إِنَّ دُنْيَاكَ مِنْ نَهَارٍ وَلَيْلٍ وَهِيَ فِي ذَاكَ حَيَّةٌ عَرْمَاءُ)

الحية العرماء : التي فيها نقط سود وبيض . والعرم العرمة : لون مختلف بسواد وبياض في أى شىء كان . وقيل : تنقيط بهما من غير أن يتسع ؛ الذكّر أعرم ، والأنثى عرماء . وقد غلبت العرماء على الحية الرقشاء .

يقول : ألا وإن دُنْيَاكَ نَهَارٌ وَلَيْلٌ ، لا تثبت على حال ، فهى كالحية الرقطاء ، ربما تعجبك ألوانها ، ولكن فى نابها الشم الزعاف .

١٩ (وَالْبَرَايَا حَازُوا دِيُونََ مَنَايَا سَوْفَ تُقْضَى وَيَحْضُرُ الْعَرْمَاءُ)

البرايا : جمع البرية ، وهى الخلق . أصله الهمز ، ويُجمع على البريات أيضاً . قال ابن برّى : والدليل على أن أصل البرية الهمز قولهم « البريئة » بتحقيق الهمزة ، حكاه سيبويه وغيره لغةً فيها .

وقيل إنها بلا همز ، إن أخذت من « البرى » وهو التراب ، والفعل منه : براه يبروه برّواً . ومن ذهب إلى أن أصلها الهمز أخذها من « برأ الله الخلق يبروهم » ثم ترك الهمز تخفيفاً . قال ابن الأثير : ولم تستعمل مهموزة .

والحوز : الجمع ، وكل من ضم شيئاً إلى نفسه من مال أو غير ذلك ، فقد حازه حوزاً وحيازة . والمنايا : جمع المنية ، وهو الموت ؛ لأنها مقدرة بوقت مخصوص ، ومثلها المنى . وقال الشرقى بن القُطامى : المنايا : الأحداث . والحلم : الأجل . والحُتْف : القدر . والمنون : الزمان . وقال ابن برّى : المنية : قدر الموت . ألا ترى إلى قول أبى ذؤيب :

مَنَايَا يُقَرِّبُنِ الْخُتُوفَ لِأَهْلِهَا جِهَاراً وَيَسْتَمْتَعُنَ بِالْأَنْسِ الْجُبَيْلِ

فجعل المنايا تقرّب الموت ولم يجعلها الموت . وتُقْضَى : تُؤَدَّى . والعرماء :

أصحاب الدين ، الواحد : غريم ، ويُجمع على غُرَام أيضاً . في حديث جابر : فاشتد عليه بعض غُرَامِهِ فِي التَّقَاضِي .

يقول : أَلَا وَإِنَّ النَّاسَ بِالموتِ مَدِينُونَ ، وَلَا بُدَّ لِهَذَا الدِّينِ مِنْ وِفَاءٍ ، وَلِهَذَا القَرَضَ مِنْ قِضَاءٍ . وَالموتِ غَرِيمٌ لَا يُهْمَلُ رَدُّهُ ، وَلَا يُمَكَّنُ الإِلْوَاءُ عَلَيْهِ .

٢٠ (وَرَدَ القَوْمُ بَعْدَ مَا مَاتَ كَعْبٌ وَأَرْتَوَى بِالنَّمِيرِ وَفَدَى ظِمَاءً)

الورود للماء : ضد الصدور ، وهو أن تحضره لتشرب . وكعب ، هو ابن مامة الإيادي ، وكان أحد أجواد العرب ، فخرج في بعض أسفاره ، ومعه رجل من النمر بن قاسط يقال له شمر بن مالك . وقيل : حنيف ، وقيل هنب بن قاسط . فقل ما كان معهما من الماء ، فتصافناه .

والتصافن : أن يطرح في الإناء حجر ، يقال له المقلّة ، ثم يصب عليه من الماء ما يغمره ، لئلا يتغابنوا ، ثم يُرْفَعُ إِلَى وَاحِدٍ مِنَ الْمُتَصَافِينَ حِطُّهُ مِنْهُ .

فكان النمر يشرب نصيبه ، فإذا أخذ كعب نصيبه ليشربه قال هنب : أسق أخا النمر . فثوثره على نفسه ، حتى جهد كعب . ورفعت له أعلام الماء فقيل له : رد كعب — ولا ورود به — فمات عطشاً . ففي ذلك يقول أبو دؤاد الإيادي :

أَوْفَى عَلَى المَاءِ كَعْبٌ ثُمَّ قِيلَ لَهُ رِدْ كَعْبَ إِنْكَ وَرَادٌ فَمَا وَرَدَا

وَالنَّمِيرُ : المَاءُ النَّاجِعُ فِي الرَّيِّ . وَظِمَاءٌ : عِطَاشٌ ، وَالمَاءُ : ظِمَانٌ ، وَالأَثَى ظِمَاءٌ .

يقول : أَلَا وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ قَسَمَ الحُظُوظَ بَيْنَ النَّاسِ فَأَسَاءَ القِسْمَةَ ، لَمْ يُرَاعَ فِي ذَلِكَ عَدْلًا ، وَلَمْ يَتَّبِعْ قَاعِدَةً ، فَأَمَاتَ بِالظَّمَا كَعْبُ بِنِ مَامَةَ ، وَرَوَى بِنَمِيرِ المَاءِ بَعْدَهُ الكَثِيرِينَ .

٢١) حَيَوَانٌ وَجَامِدٌ غَيْرُ نَامٍ وَنَبَاتٌ لَهُ بُسْقِيَا نَمَاءٌ

النَّمَاءُ : الزيادة والكثرة ، والفعل منه : نَمَى يَنْمُو نَمِيًّا . وربما قالوا : نَمَأَ
يَنْمُو نَمَوًّا .

يقول : لا تلتمس لشيء علةً ، ولا تطلب لموجود سبباً ؛ فذلك شيء قد خفي
عليك أمره ، وحُجِبَ عنك سيره . وأنتقم العالم منذ كان إلى حيوان نَامٍ
حَسَّاسٍ ، ونبات ينمو ولا يُحَسِّسُ ، وجماد قد حُرِّمَ الحسَّ والنموَّ معاً . وما أعرف
لهذا الجسم الذي رُزِقَ القُوَّتَيْنِ ، وظَفِرَ بالفضيلتين ، نافله من فضل تُؤثره بالحياة
والحركة ، وتختصه بالحسَّ والنموَّ دون الآخرين .

٢٢) (وَلَوْ أَنَّ الْأَنْامَ خَافُوا مِنَ الْعُقَّةِ بِي لَمَا جَارَتْ الْحَيَاةُ الدَّمَاءُ)

الأنام : ما ظهر على الأرض من جميع الخلق ؛ ويريد الناس . ويجوز في
الشعر : الأنيم . والعُقبي : جزاء الأمر ، كالعاقبة ، والعُقبان . وجاراه مجازاة
وجراء : جرى معه . يشير إلى كثرة ما يسفح من دماء البشر .

يقول : ما أجهل الناس ، وما أضلَّ عقولهم ، وما أغفلهم عن العواقب ، وألهاهم
عن مستقبل الأمور ! لو أنهم عرفوا حياتهم حقَّ المعرفة ، وبلَّوْها حقَّ البلاء ،
لهانت عليهم ولصغرت في عيونهم ، فلم يقتل فيها بعضهم بعضاً . ولو أنهم إذ
كَبَرُوا منها صغيراً ، وعظَّمُوا من أمرها حقيراً ، وفرضوا لأنفسهم حساباً تظهر فيه
سينئاتهم وحسناتهم ، وتبدو فيه نقائصهم وفضائلهم ، ويَلْتَقِي بعده كُلُّ أمرئ نتيجة
عمله خيراً أو شراً ؛ لو أنهم إذ فعلوا هذا كلَّه خافوا الحساب الذي فرضوه ،
والميعاد الذي انتظروه ، لما سفكوا بينهم من الدَّماء ما يجاري الماء ، ولكنها
طبائع بلهاء ، لا تعرف للحق طريقاً ، ولا تسلك إلى الهدى سبيلاً .

٢٣ (أَجْدَرُ النَّاسِ فِي الْعَوَاقِبِ بِالرَّحْمَةِ قَوْمٌ فِي بَدْيِهِمْ رُحَمَاءُ)

أجدر: أخلق وأحق وأولى. ويريد « بالعواقب » و « البدء » : الآخرة والدنيا. أوها على ظاهرهما .

يقول : سئنى عن أحقّ الناس بالرحمة وأولاهم بالرّفق والرأفة ، أُجيبك بأنهم أولئك الذين نشثوا راحمين للضعيف ، عاطفين على البائسين ، ثم تنكرت لهم الأيام وأرهقتهم من أمرهم عسراً .

٢٤ (وَعَضِبْنَا مِنْ قَوْلِ زَاعِمٍ حَقٌّ إِنَّنَا فِي أَصُولِنَا لَوْمَاءُ)

لعله يشير « بالأصول » إلى أصل الخلقة ، وأننا خلقنا من نطفة قدرة ، تضمنتها أرحام وضررة .

وفى هذا قول علىّ عليه السلام : « وما لابن آدم والفخر ، وإنما أوله مُضْفَةٌ وآخره جيفة ، لا يَرِزُق نفسه ولا يدفع حتفه » . وفى هذا يقول أبو العتاهية :

ما بال من أوله نُطفة وجيفة آخره يَفْخَرُ

يقول : هذه أخلاقنا وتلك خِلالنا ، ما أحد فيها خُلُقًا ولا أرضى منها خُلَّةً .

ونحن بعد ذلك بأنفسنا مُعجبون ، وبأخلاقنا مفتونون . أنفضب من مقالة الحقّ ، ونُحقد على صادقٍ رمانا بِحِسَّةِ الأُصل ولُومِ الطبع . نعم أخسَاءُ لَوْمَاءُ .

٢٥ (أَنْتَ يَا آدَمَ السَّرْبِ حَوًّا وَكُ فِيهِ حَوَاءٌ أَوْ أَدَمَاءُ)

يا آدَ ، أراد « يا آدم » فرخم للنداء ، فحذف الميم . ويجوز لك فى الدَّالّ الفتح ، على لغة من ينظر إلى المحذوف؛ والضم ، على لغة من لا ينظر إليه . والآدم من الناس : الأسمر . قال الزّجاج : يقول أهل اللغة : إن اشتقاقه من أديم الأرض ، لأنه خُلِقَ من تُراب . وقال الجوهري : آدم ، أصله بهمزيّين لأنه أفعل ، إلا أنهم

لَيَنُوا الثانية، فإذا احتجت إلى تحريكها جعلتها واواً ، وقلت : أوادم، في الجمع ، لأنه ليس لها أصل في الياء معروف ، فجعل الغالب عليها الواو . والسَّرب ، القطيع من الظباء والنساء . وحوأوك ، أى زوجك حواء ، وهى من الحَوَاة ، اسوداد إلى خُضرة ، أو مُحمرّة تضرب إلى سواد .

يقول : وأنت أيها الأب الذى سَمَّته التواريخ آدم فغَلَبت على لونك السواد ، وسَمَّت زوجك حواء ، فجعلت لونها مشوباً بجمرة ، لقد أُنْتَف منكما مزاج جمع فيه الخير والشر ، ولكن الشر عليه غالب ، والسوء فيه مؤفور .

٢٦ (قَرَمَتْنَا أَيَّامٌ هَلْ رَثَتِ النَّحَامَ لَمَّا تَوَى بِهَا قَرَمَاءُ)
 ٢٧ (عَالَمٌ حَائِرٌ كَطَيْرِ هَوَاءٍ وَهَوَافٍ تَضُمُّهَا الدَّامَاءُ)

القَرَم : الأكل الضعيف ، وذلك في أول ما تأكل ، وهو أدنى التناول . والقَشْر أيضاً ، والفعلُ منه من باب ضرب . واستخدامه « القرم » دون غيره من نظائره في المعنى مع « الأيام » أدق في تصوير نَيْل الأيام منا . ورثى فلان فلاناً ، يرثيه رثياً ومرثية ، إذا بكاه بعد موته . فإن مدحه بعد موته ، قيل : رثاه يُرثِيه ترثية . وقيل هما بمعنى .

والنَّحَام : فرس الشَّليكَ بن الشَّلْكَة السَّعْدِي ، كان قد مات بقرماء . ويقال بل نَحَره لأصحابه ، فقال يرثيه :

كَأَنَّ قَوَائِمَ النَّحَامِ لَمَّا تَرَخَّلَ مُخْبِتِي أَصْلًا مَحَارُ
 عَلَى قَرَمَاءَ عَالِيَةَ شَوَاهِ كَأَنَّ بِيضَ غُرَّتِهِ خِمَارِ

وقرماء : باليامة . وتوى بها : هلك بها . ومنه قول كعب بن زهير :
 فَمَنْ لِلْقَوَائِمِ شَانَهَا مَنْ يُحَوِّكُهَا إِذَا مَا تَوَى كَعْبٌ وَفَوْزَ جِرْوَلُ

وكذلك يقال للمقتول : قد ثوى . قال أبو كبير الهذلي :
 نَعَدُو فَنَتْرِكُ فِي الْمَزَاحِفِ مَنْ ثَوَى وَنُقِرَّ فِي الْعَرَقَاتِ مَنْ لَمْ يُقْتَلِ
 وحائر : لم يتجه لشيء ولم يهتد لسبيله . وفي بعض النسخ « جائر » من الجور ،
 وهو الميل عن القصد . وهواء : خال لا فؤاده له . وفي حديث عائكة :

فهن هواء والحلوم عواذبُ

والهوافي : الإبل الضوال . ويقال للطائر إذا طار : هفا ، وكذلك
 الطَّيْرِ وَالرَّيْحِ ، وقد أراد بها هنا الأسماك . أراد ما على ظهر الأرض بسماها ،
 وما انطوت عليه بحارها .

والدماء : البحر . قال الأفوه الأودي :

وَاللَّيْلُ كَالدَّمَاءِ مُسْتَشْعِرٍ مِنْ دُونِهِ أَوْنًا كَلُونَ السَّدُوسِ

يقول : كفوا أيها الناس من غلوائكم ، وخففوا من غروركم ، فإنما أتم
 للأيام أغراض غير موموقة ، وأهداف غير مرحومة ، ولعمري إن تشفق عليكم
 الأيام إلا إذا أشفقت الرحي على ما تطحن من حب ، ولن ترثي لكم السنون
 إلا إذا رثت الأرض لما تضم من الأشلاء . ولكني ما أرى لكم من الذكاء
 حظاً ، وما أعرف بين عقلائكم وبين بلبه الحيوان فرقاً ، سواء منكم ذو العقل
 الراجح ، والرأي الصائب . ما أجد رجحان أحلامكم وصواب آرائكم يزرن
 خفة أحلام الطير في الهواء ، والسلك في الماء .

٢٨ (وَكَانَ الْهُمَامَ عَمْرَو بْنَ دَرَمًا ءِ فَلْتُهُ مِنْ أُمَّه دَرَمَاءُ)

عمرو بن درماء ، رجل من بني ثعل . قال ابن الكلبي : هو عمرو بن
 عدى بن ذبيان بن ثعلبة . ودرماء أمه ، بنت حنة بن عمرو بن أفضى بن دغمي .

وكان عمروُ القيس بن حُجر نَزَلَ عليه عند طلب المُنذر بن ماء السماء إِيَّاه وأستجار به ، فأجاره عمرو وأكرمه . وفي ذلك يقول عمروُ القيس :

وأثعلماً وأين مني بنو تُعل
نزلتُ على عمرو بن دَرْماء بُلُطَةً
فيا كَرَمَ ما جاري يا حَسَنَ ما فَعَلَ
وقال فيه أيضاً :

وعمر بن دَرْماء الهُمَامَ إذا غدا
بذي شُطَبٍ عَضْبٍ كَشِيَةِ قَسَوَرا
وفَلَتَهُ ، أي فطمته عن الرَضاع . ومثل « فلا » في ذلك « أفتلى » . والدَرْماء :
الأرنب ، سُمِّيَتْ بذلك لمقاربتها الخَطو إذا مشت . يقال : درمت تَدْرُم .
وبالأرنب يُضرب المثل بالضعف . قال الأعشى :

أراني لَدُنْ أَنْ غابَ رَهْطِي كَأَنَّمَا
يَرَانِي فِيكُمْ طالِبُ الضَّيْمِ أَرْنَبًا
وقال أبو الطَّيِّبِ المُنَبِّي :

أرانب غير أنهم مُلوِكٌ مُفْتَحَةٌ عيونُهُمُ نِيامٌ
وخصَّ الأرنب الدرَّماء بالذِّكْر ، وإن كان غيرها أضعفَ منها ، طلباً
لصنعة الجناس .

يقول : أفيقوا أيها الناس وأستبصروا ، إنما أنتم للأيام هُزْأَةٌ ، وللزمان
ضُحْكَةٌ ، وللحوادث مُسْتَدْلون . أرايتم إلى ذلك الملك العزيز قد احتدَّتْ
شوكته ، واشتدَّتْ سطوته ، وعظم سلطانه ، كيف أغارت عليه الأيام زاريةً
عليه ، مُحْتَقِرَةً له ، تستدله استدلالَ الأرنب .

٢٩ (والبهارة الشميم تحميه من وطءٍ مُعاديك أرنب شماء)

البهار : نبت طيب الريح ، وقال الجوهري : البهار : العرار الذي يقال له

عين البقر ، وهو بهار البر ، وهو نبت جَعْد له فُقَّاحَة صفراء . والشَّمِيم : المرتفع ، يريد المرتفع المُنْبِت . وقد يكون الشَّمِيم بمعنى المَشْمُوم ، فعيل بمعنى مفعول . والوطء ، بالقدم ، ويستعمل في الإذلال والقهر ، ومنه الحديث : « اللهم أشدُّدا وطأتك على مُضَر » . وأَرْنَب : جمع أرنبة ، وهى طرف الأنف . والأرنب أيضاً : الأكمة والهضبة ، على التشبيه .

وشَمَاء : مرتفعة . ولعله أراد «بالأرنب السماء» منابت البهار المرتفعة فلا تصل إليها مواطئ الأقدام ، وقد يكون على الأصل ، إذ المَشْمُومُ مادام مَوْصُولاً بعُرَيْنِ أنفك فهو أبعد عن أن يوطأ . والأرنب ، على التوجيهين ، مَثَلٌ للسبب الواهى الضعيف ، أو المَطْرَح المتروك .

أو لعله أراد «بالأرنب السماء» العزة والكبر ، يشير إلى استبداد السادة بنصرة العيش .

يقول : أجل إنكم لتفأضلون في الحياة نعمة وبؤساً ، وإن أقداركم لتختلف رفعةً وضعةً ، ولكنكم جميعاً إلى فناء ، قد اختلفت إليه الطرق وتشعبت إليه المسالك ، فلئن كان الفقر لا يُميت الملوك وأصحاب النعمة والثراء ، لقد جعل لها الدهر من غناها رَصداً مُهْلِكاً ، ومن ثروتها عِلَّةً مُمِيتةً ، فهم كالزَّهْرَة النضرة ، لا يُذبلها وقع الأقدام ، ولكن يُذبلها شَمُّ الأنوف .

٣٠ (وَعَرَانَا عَلَى الْخُطَامِ ضِرَابٌ وَطِعَانٌ فِي بَاطِلٍ وَرِمَاءٌ)

عَرَانَا : عَشِينَا . وَالْخُطَامُ : مَا تَكَسَّرَ مِنَ النَّبْتِ وَتَحَطَّمَ ، يُشَبَّهُ بِهِ مَا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ مِنَ الْأُمُورِ .

وَالضَّرَابُ : الْجَالِدَةُ ، فِعَالٌ مِنْ ضَارَبَهُ ، إِذْ جَالَدَهُ ، وَكَذَا الطَّعَانُ وَالرِّمَاءُ ، فِعَالٌ ، مِنْ طَاعَنَ بِالرَّمْحِ ، وَرَامَى بِالسَّهْمِ وَالنَّبِيلِ .

يقول : فِيمَ الطَّعْمَانِ وَالضَّرَابِ ؟ وفيم الرِّثْمَاءِ وَالجِلْدَادِ ؟ إِنَّمَا تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ فِي بَاطِلٍ ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ فِي زُورٍ ، وَلَكِنْ هَلْ يَنْفَعُكُمُ النَّصِيحُ ، أَمْ هَلْ تُفِيدُكُمُ الْمَوْعِظَةُ ؟ لَقَدْ أَسْوَدَّتْ قُلُوبٌ ، وَضَلَّتْ عُقُولٌ ، وَلَقَدْ أَضْغَى الْحَكِيمُ إِلَى نِدَاءِ الْحَقِّ ، وَصَمَّ عَنْهُ الْجَاهِلُ الْمَغْرُورُ .

٣١ (أَسْوَدُ الْقَلْبِ أَسْوَدٌ وَمَتَى مَا تَصْغُ أُذُنِي فَأَذُنُهُ صَمَاءٌ)
٣٢ (قَدْ رَمَى نَابِلٌ فَأَنْمَى وَأَضْمَى وَلِيَالِيكَ مَا لَهَا إِنْمَاءٌ)

« أسود » الأولى : حبة القلب ، وقيل : دمه ، وهى سواده وسوداؤه وسواديه .

و « أسود » الثانية . ضرب من الحيات عظيم يقال له : أسود صالح ، لأنه يُسْلَخُ جلده فى كل عام ، ويقال للأثني : أسودة . ولا تُوصف بسالخة ، أقامه مقام العلم ، ففقدت الوصفية ، واستحقت أن تصرف . والسماء من الحيات : التى لا تُجيب الرّاقى . جعل إباء قلبه الموعظة من إباء الحية رقية الرّاقى .

والنابل : الذى معه النبل ، ومثله النبال . فإن كان يعملها لا غير ، فهو نابل لا غير . ويقال : رمى الصيد فأصمى ، إذا أصاب مقتله فمات فى موضعه ؛ ورمى فأنمى ، إذا لم يُصب مقتله فنهض بالسهم . وفى الحديث : « كُلُّ مَا أَصْمَيْتَ وَدَعَّ مَا أَنْمَيْتَ » .

يقول : ما الذى أعجبكم من الأيام قتها لستم عليه ؟ وما الذى راقم من الحياة فتفانيتم فيه ؟ إنَّ الأيام لتسلُك سبيلها إلى الفناء صُمَّاً ، حتى ليكاد المقامر أن يكون أوثق منها بالرّيح ، وأضمن منها للإصابة الخير .

- ٣٣ (إِنَّ رَبَّ الْحِصْنِ الْمَشِيدِ بَيْتَيْمَا ۚ تَوَلَّىٰ وَخَلَّفْتُمَا تَيْمَاءَ)
 ٣٤ (أَوْمَاتٌ لِلْحِذَاءِ كَفُّ الثَّرِيًّا ۖ هُمُ صِدَّةُ الْحَدِيثِ وَالْإِيْمَاءِ)
 ٣٥ (شَهِدَتْ بِالْمَلِيكِ أَنْجُمُهَا السَّتَّةُ ۖ هُمُ الْخَضِيبُ وَالْجِذْمَاءُ)
 ٣٦ (فَهَمَّ النَّاسُ كَالْجُهُولِ وَمَا يَظُنُّ فَرًّا إِلَّا بِالْحُسْرَةِ الْفُهْمَاءُ)

يريد « بالحصن المشيد » : الأبلق ؛ ورثته : السموأل بن عادي اليهودي ، وكان له حصنان ، يقال لأحدهما : الأبلق ، وللآخر : مارد . وسمى « أبلق » لأنه بُنى من حجارة بيض وسود . وفيه يقول الأعشى :

كُنْ كَالسَّمْوَأَلِ إِذْ سَارَ الْهُمَامُ لَهُ فِي جَحْفَلِ كَسْوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارِ
 بِالْأَبْلَقِ الْفَرْدِ مِنْ تَيْمَاءِ مَنْزَلِهِ حِصْنِ حَصِينٍ وَجَارٍ غَيْرِ غَدَّارِ

والمشيد : المبنى بالمشيد ، وهو الحصن . وتيماء : بلد في أطراف الشام .
 وأوماً : أشار إلى قدامه وإلى خلفه ، ومثله : أوبأ . وقيل : الإيماء إلى قدام ،
 والإيماء إلى خلف . والحذاء : الكثير الاحتذاء . والعرب تسمى « الدبران » الحاذي
 والحذاء ، لأنه يتبع الثريا ومعه قِلاص يَحْدُوها ، وهي الفتية من الإبل ،
 واحدتها قلوص . وتزعم العرب أن الدبران خَظَب الثريا وساق إليها عشرين
 كوكباً مَهْرًا لها ، وأن العيوق عاقها عن نكاحه ، فسَمَّوه العيوق . فهو يتبعها
 وهي لا تُقبل عليه . والثريا : من الكواكب . سُميت لغزارة نونها ، وقيل :
 لكثرة كواكبها مع صغر مرآتها . فكانتها كثيرة العَدِّ بالإضافة إلى ضيق المحل .
 لا يُتَكلم به إلى مصغراً ، وهو تصغير على جهة التكبير .

وفي بعض النسخ : « السبعة » مكان « الستة » . وروى عن ابن سيرين
 أن امرأة قالت له : رأيت البارحة فيما يرى النائم القمر قد دخل في الثريا ،
 وسمعت قائلاً يقول لى : إيتى ابن سيرين فقضى عليه . فقال ابن سيرين : إني

سأموت إلى سبعة أيام . فكان كذلك . وللثريا كَفَّان يقال لأحدهما : الخضيب ، وتُسمى أيضاً : المبسوطة ، وهي آخذة نحو الشمال ، وتسمى أيضاً : سَنَام الناقفة . والكف الثانية تسمى : الجذماء ، وهي آخذة نحو الجنوب . قال أبو حنيفة : سُمِّيت جَذْمَاء لِقصرها ، وذلك أنها لا أمتدادَ لها . وقال غيره : سُمِّيت جَذْمَاء لبعدها عن الثريا فكأنها مُنقطعة عنها ، وإلى هذا المعنى الثاني أشار المعرّي في قوله يصف الثريا :

كَأَنَّ يَمِينَهَا سَرَقَتْكَ شَيْئًا وَمَقْطُوعٌ عَلَى السَّرَقِ الْبَنَانُ

يقول : لقد مضى صاحب تياء وبقيت تياء بعد ذلك ناطقة بالعبرة والموعظة لو تسمعون أو تعقلون . لقد أومات إليكم الثريا واعظةً وأشارت إليكم ناصحة ، ثم انقطع إيمانها وسكنت إشارتها . لقد أعجزت سرعتها سرعتكم ، وأعيا جدّها جدّكم ، وشهدت نجومها الستة بما أغفلتم عنه من آية بينة . فعلت كل ذلك فلم يفهم عنها إلا الحكيم ، على أنه لم يعد من فهمه وفقهه إلا بالحسرة والأسى .

- ٣٧ (تَلْتَقِي فِي الصَّعِيدِ أُمٌّ وَبِنْتُ)
 ٣٨ (وَأَنْيَقُ الرَّيِّعِ يُدْرِكُهُ الْقِيَّ)
 ٣٩ (وَطَرِيقِي إِلَى الْحَمَامِ كَرِيهٌ)
 ٤٠ (وَلَوْ أَنَّ الْبَيْدَاءَ صَارِمٌ حَرْبٌ)
 ٤١ (كَيْفَ لَا يُشْرِكُ الْمُضِيقِينَ فِي النَّعْ)
 وَتَسَاوَى الْقَرْنََاءُ وَالْجُمَاءُ)
 خُطٌّ وَفِيهِ الْبَيْضَاءُ وَالسَّحْمَاءُ)
 لَمْ تُهَبِّ عِنْدَ هَوَاهِ الْيَهْمَاءُ)
 وَهِيَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ صَرْمَاءُ)
 مَةِ قَوْمٌ عَلَيْهِمُ النَّعْمَاءُ)

الصعيد : القبر . قال الشاعر :

أَضْحَتْ أُمِيَّةٌ مَمْمُورًا بِهَا الرَّجْمُ
 لَنِي صَعِيدٍ عَلَيْهِ التُّرْبُ مُرْتَكِمٌ

والصعيد أيضاً : وجه الأرض . والقرناء : الشاة التي لها قرنان . والجماء : التي لا قرنين لها . ضَرَبَ « القرناء » مثلاً لمن يدفع عن نفسه ، و« الجماء » مثلاً لمن لا دفاع عنده .

والأنيق : الذي يعجب من نظر إليه : والقيظ . أشد الحر . والسحماء : السوداء . أقام البياض والسواد مثلين للشيب والشباب .

واليهماء من الفلوات : التي لا ماء فيها . والبيداء : الفلاة التي تُبِيد من سلكها . وصَرْمَاء : غابت مياهها . وشبه البيداء بما فيها من لمعان السراب بصارم قد سُلَّ فيها . والمُضِيق : الذي ضاقت حاله .

يقول : أسهلوا أيها الناس فقد أحزنتم ، وياسروا فقد عاسرتم . وأعلموا أنكم في حكم الموت سواء ، ليس لغنيتكم على فقيركم فضيلة ، ولا لأميركم من حقيركم مزية ، إنما هي طريق مسلوكة إلى الفناء ، أشد وخشة من البيداء ، وأكثر ظلمة من غُبر الفلا . ألا فليؤاس بعضكم بعضاً . لقد استويتم في الموت فلم لا تستوون في الحياة ؟ لم أجد منكم في الحياة مُوسراً ومُعسراً ، ومُنعماً وبأساً؟ ألا فلتقتسموا تعب الحياة الفانية ، كما اقتسمتم راحة الفناء المقيم .

الهمزة المفتوحة

اللزومية السابعة عشرة

وقال أيضاً في الهمزة المفتوحة مع السين :

١ (رُوَيْدَكَ قَدْ غُرِرْتَ وَأَنْتَ حُرٌّ بِصَاحِبِ حَيْلَةٍ يَعْظِ النَّسَاءَ)

رويداً ، بدل من قولهم « إزواداً » التي بمعنى « أروء » فكأنه تصغير الترخيم بطرح جميع الزوائد . وهذا حكم هذا الضرب من التحقير . والكاف في « رويدك » لا موضع لها وإنما هي للخطاب . قال ابن سيده : ومن العرب من يقول : رويد زيد . كقوله غدر الحى ، وضرب الرقاب .

وتقع « رويد » على أربعة أوجه : اسم فعل ، نحو : رويداً عمراً ، أى أمهل عمراً . وصفة ، نحو : ساروا سيراً رويداً . وحال ، نحو : سار القوم رويداً . ومصدر ، نحو : رويد عمرو ، بالإضافة .

وقال ابن كيسان : كأن « رويداً » من الأضداد ، تقول : رويداً ، إذا أرادوا : دعه وخله ، وإذا أرادوا : ارفق به وأمسكه ، قالوا : رويداً زيداً ، أيضاً .

وأراد بهذا القيد « وأنت حر » مزيد معنى ، إذ الحرُّ فوق إباته ما يضير ، أقوى على أن يشور .

يقول : يا له من فقيهٍ قد أكثر فيكم الوعظ ، وأثقل عليكم النصح ، وتردد على نساتكم مرشداً هادياً ، ومد كراً داعياً ، وأتم له مضنون ، وحوله محتشدون ؛ تدرنون لمقاتله الدموع ، وتفطرون لألفاظه القلوب ، أنتبهوا فقد غفلتم .

- ٢ (يُحَرِّمُ فِيكُمْ الصَّهْبَاءَ صُبْحًا وَيَشْرِبُهَا عَلَى عَمْدٍ مَسَاءً)
 ٣ (تَحَسَّاهَا فَمِنْ مَزْجٍ وَصِرْفٍ يُعَلُّ كَأَنَّهَا وَرَدَ الْحِسَاءُ)
 ٤ (يَقُولُ لَكُمْ غَدَوْتُ بِلَا كِسَاءٍ وَفِي لَذَاتِهَا رَهْنُ الْكِسَاءِ)

الصَّهْبَاءُ : الخمر ، سُمِّيَتْ بذلك للونها . وقيل : هي التي عُصِرَتْ مِنْ عِنَبٍ أبيض . وقيل : هي التي تكون منه ومن غيره ، وذلك إذا ضربت إلى البياض .
 والصهباء : اسم لها كالعلم ، وقد جاءت بغير ألف ولا م ؛ لأنها في الأصل صفة .
 قال الأعشى :

وصهباء طاف يهوديتها وأبرزها وعلينا حتم

والعمد : الجدد واليقين ، والمسموع الوارد في ذلك : فعلت ذلك عمداً على عين ، وعمد عين ، أى بجدي ويقين . فمن الأول قول خُفَّافِ بْنِ نُدْبَةَ :

إن تك خيلى قد أصيب صميمها فعمداً على عينٍ تيممت مالكا
 ومن الثانى قول عُمر بن أبى ربيعة :

ثم صدت بوجهها عمد عين زينب للقاء أم الحباب

والتحسى : الشرب فى مهلة ، ومثله الحسو ، والأصل فيه للطائر . يقال : حسا الطائر الماء وتحساه . ولا يقال : شرب . والمزج ، بالفتح : الخلط ، والشرابُ المزوج . وكلُّ نوعين امتزجا فكلُّ واحد منهما لصاحبه مزج ، بالكسر . وقد سَمَّى أَبُو ذُوؤَيْبِ الماء الذى تمزج به الخمر مزجاً ؛ لأن كل واحد من الخمر والماء يُمزج صاحبه ، فقال :

بمزج من العذب عذب السراه يُرغزعه الريح بعد المطر

والصرف ، بالكسر : الخالص من كلِّ شيء . وشراب صرف ، أى بحت لم يُمزج . ويعل ، على ما لم يُسم فاعله : يسقى ثانية . يقال : علّه يعله ، بضم

العين وكسرها في المضارع ، إذا سقاه الثانية . وَيَصِحَّ أَنْ يَكُونَ « يعلّ » في البيت على ما سُمِّيَ فاعله . إذ هو يتعدَّى ولا يتعدَّى . تقول : عَلَّ ، إذا شرب الشربة الثانية . والمراد تكرار الشرب . والحساء ، بالكسر : جَمْعُ حَسَى ، بالكسر أيضاً ، وهو سهل من الأرض يُسْتَنْقَعُ فِيهِ الْمَاءُ ، أو هو غَاطُظٌ فَوْقَهُ رَمْلٌ يَجْتَمِعُ فِيهِ مَاءُ السَّمَاءِ ، فَكَلِمَا نَزَحَتْ دَلْوًا جَمَّتْ أُخْرَى . وقيل : هو الرمل المتراكم ، أسفله جبلٌ صَدَدٌ ، فَإِذَا مُطِرَ الرَّمْلُ نَشِفَ مَاءُ الْمَطَرِ ، فَإِذَا أَتَتْهُ إِلَى الْجَبَلِ الَّذِي أَسْفَلَهُ أَمْسَكَ الْمَاءُ وَمَنَعَ الرَّمْلُ حَرَّ الشَّمْسِ أَنْ يَنْشِفَ الْمَاءَ . فَإِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ نَبِثَ وَجْهَ الرَّمْلِ عَنِ ذَلِكَ الْمَاءِ فَنَبَعَ بَارِدًا عَذْبًا . وفي حديث أبي التَّيَّهَانِ : « ذَهَبَ يَسْتَعَذِبُ لَنَا الْمَاءُ مِنْ حِسَى بَنِي حَارِثَةَ » . وَوَرَدَهَا : جَاءَهَا لِيَشْرَبَ .

يقول : أَلَا إِنْ صَاحَبَكُمْ مُحْتَالٌ كَاذِبٌ ، وَغَرَّارٌ خَادِعٌ ، يُظْهِرُ لَكُمْ النَّسْكَ ، وَيُخْفِي عَنْكُمْ الْإِفْكَ ، يَنْهَأُكُمْ عَنِ الْحَرِّ وَهُوَ لَهَا مُدْمِنٌ ، وَيُظْهِرُ لَكُمْ الْفَقْرَ وَإِنَّمَا أَفْقَرْتُهُ مَعْصِيَتَهُ . سَلُّوهُ عَنِ كِسَائِهِ أَيْنَ أَضَلَّهُ وَفِيمَ فَقَدَهُ ، يَشَاكُ لَكُمْ صَرْفَ الْأَيَّامِ وَتَتَابِعَ الْأَحْدَاثِ ؛ ثُمَّ سَلُّوا الْحَمَارَ عَنِ هَذَا الْكِسَاءِ تَجِدُوهُ عِنْدَهُ رَهِينًا بَدَنٍ مِنْ رَاحٍ أَوْ زِقٍّ مِنْ عُقَارٍ .

○ (إِذَا فَعَلَ الْفَتَى مَا عَنَّهُ يَنْهَى فَمِنْ جِهَتَيْنِ لِاجْتِهَةِ أَسَاءٍ)

يقول : أَلَا إِنْ شَرَّ النَّاسُ الْمُقْتَرِفُونَ لِمَا يُنْهَوْنَ عَنْهُ ، إِنَّهُمْ يُسَيِّئُونَ مِنْ جِهَتَيْنِ : يُسَيِّئُونَ لِاقْتِرَافِ الْآثَامِ ، وَيُسَيِّئُونَ لِعَشِّ النَّاسِ وَتَضْلِيلِ الْعُقُولِ .

اللزومية الثامنة عشرة

وقال أيضاً في الهمة المفتوحة مع الجيم :

- ١ (نَرْجُو الْحَيَاةَ فَإِنْ هَمَّتْ هَوَّاجِسُنَا بِالْخَيْرِ قَالَ رَجَاءُ النَّفْسِ إِزْجَاءُ)
 ٢ (وَمَا نَفِيقُ مِنَ الشُّكْرِ الْمُحِيطِ بِنَا إِلَّا إِذَا قِيلَ هَذَا الْمَوْتُ قَدْ جَاءَ)

المواجس : الخواطر وما يقع في الخلد ، الواحد : هاجس ، صفة غالبية غلبة الأسماء . وهو مما يطرد فيه هذا الجمع ما لم يكن وصفاً لمذكر عاقل .

والرجاء : من الأمل ، نقيض اليأس ، ويكون بمعنى الخوف أيضاً . وقال الفراء : « الرجاء » في معنى الخوف لا يكون إلا مع الجمحد . تقول : ما رجوتك ، أى ما خفتك . ولا تقول : رجوتك ، في معنى خفتك . وأنشد لأبي ذؤيب :

إِذَا لَسَعَتْهُ النَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسَعَهَا وَخَالَفَهَا فِي بَيْتِ نُوبٍ عَوَاسِلِ

والمعنى هنا في بيت المعرى على الأول ، إلا إذا قيل إنه خوف النفس من أن يلقتها هاجس الخير عن الحياة . والإرجاء : التأخير ؛ أرجأت الأمر وأرجيته ، إذا أخرته ، يهمز ولا يهمز .

يقول : ما أشدَّ أغترارنا بالحياة وأسترسالنا في الأمل ؛ نرجو العيش راغبين فيه ، ونرجى الخير مُبَرِّمين به ؛ مُغْرَقِينَ فِي سُكْرِ عَمِيقٍ ، لَا يُنْبِئُنَا إِلَّا صَيْحَةُ الْمَوْتِ وَدَعْوَةُ الْحَمَامِ .

اللزومية التاسعة عشرة

وقال أيضاً في الهزمة المفتوحة مع الباء وواو الرّذف :

- ١ (قَدْ نَالَ خَيْرًا فِي الْمَعَاشِرِ ظَاهِرًا مَنْ كَانَ تَحْتَ لِسَانِهِ مَخْبُوءًا)
 ٢ (بَاءَ الْكَلَامِ بِمَا تُمُّ وَالصَّمْتُ لَمْ يَكُ فِي الْأَعْمِّ بِمَا تُمُّ لِيَبُوءًا)

« ظاهراً » : وصف لـ « خيراً » . واللسان ، بمعنى الجارحة والمقول ، يذكر ويؤنث ، والجمع ألسنة وألسن ، لأنّ ذلك قياس ما جاء على « فِعال » من المذكور والمؤنث . أما اللسان بمعنى اللغة فمؤنث لاغير . وقال اللحياني : اللسان في الكلام ، يذكر ويؤنث .

وباء بالإنم أو الذنب ، إذا أحتمله ، وقيل : أعترف به . وفي قوله تعالى : (إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ) . قال ثعلب : معناه : إن عزمت على قتلي كان الإنم بك لا بي . وقال الأخفش : (بَاءُوا بِفَضْبٍ مِنْ اللَّهِ) : رجعوا به . وبكلاً يستقيم المعنى .

والمائم : الذنب ، كالإنم . يقال : أئيم فلان يئثم إنثماً ومائماً ، إذا وقع في الإنم ، وأئمه الله يائمه : عاقبه بالإنم . والأئام والإئام : عقوبة الإنم .

« ولم يك » الأصل فيها « لم يكن » . فحذفت نون المضارع المجزوم جوازاً ، هذا بشرط ألا يلبها ما كن ولا ضمير متصل ، وإلا فلا يصح الحذف . والأعم : الجماعة . قال أبو زيد : وليس في الكلام أفل يدل على الجمع غير هذا ، إلا أن يكون اسم جنس ، كالأرؤى ، والأمر ، الذي هو الأمعاء ، وأنشد :

نَمَ رَمَانِي لَا أَكُونَنَّ ذَبِيحَةً وَقَدْ كَثُرَتْ بَيْنَ الْأَعْمِّ الْمَضَائِضُ

وفي الأعم ، أى عند جمهور الناس وجماعتهم . وتوجيه العبارة : والصمتُ لم يك ليبيوء بمأثم في الأعم . أى وما عرف جمهور الناس أن الصمت جرّ إلى مأثم .

وقد يكون « أعم » أفعال من « عم » بمعنى شمل ، والمعنى به غير بعيد عن سابقه .

يقول : الصمت الصمت ، أحتفظ به وأحرص عليه ، فإنه مأمّن لك من الشرِّ ومنجاةً من الزلل . أخبأ نفسك تحت لسانك ، لا تُحرّكه فيظهر ما يعيها من نقيصة ، وما يشينها من رذيلة . ما أرى كالكلام مصدرأ للإثم ، ولا كالصمت مبرئاً منه .

٣ (إن يرفع بشرّ عليك فكم غداً علمه بتابع فتنة ربوباً)

ارتفع ، بمعنى علا وبمعنى تقدّم . وكلا المعنيين جائز ، فهو يُريد الظهور ؛ وما علا أو تقدم فقد ظهر . وإذا وصلت الكلام بما قبله كان الظهور بفضل الحديث ، وإلا فالأمر على العموم .

والعلم : الجبل الطويل . وقال الأحياني : العلم : الجبل ، فلم يخصّ الطويل . ويُجمع على أعلام وعلام . و « تابع فتنة » ، أى لزّمة لها ، من خدامها والمُعِين عليها .

ومربوء : مفعول ، من : ربأ القوم ولهم ، إذا اطّلع لهم على شرفٍ ليرقب ويعتّن . و « ربأ » أيضاً : بمعنى أشرف ؛ والشئ : علاه . وعلى هذا المعنى الثانى فصيغة المفعول على وجهها ، إذ الجبل معتلّى ومكان إشراف . وعلى الأول ، فاسم المفعول مُضَمَّن معنى اسم المكان بتقدير جارّ ومجرور محذوف ، والتأويل :

مر بوء عليه ، إذ المر بوء القوم ؛ والمر بأ : المكان يرأ عليه . ولعلّ في البيت إشارة إلى ابن نُوح عليه السلام حين تَبِعَ الفِتْنَةَ والضَّلَالَةَ وعصى عن أمر ربه وعلا الجبلَ لِيُعَصِمَهُ .

يقول : الأناة الأناة ، والحزم الحزم ، لا يُفْضِنُكَ فَوْقَ النَّاسِ عليك ، وَسَبِّقَهُمْ لَكَ ، وإن أَحْسَسْتَ مِنْ نَفْسِكَ الفَضِيلَةَ ، وعرفتَ لها التّقدّم ؛ فإنّ الجَبَلَ الشّاهِقَ لا يَنْأَدِي حين يعلوه الرّقيبُ صاحبُ الفِتْنَةِ ، ويتسنّمه الشّريرُ حَلِيفُ السّيئة .

٤ (مَهْلًا أَمِنْ وَبِأٍ فَرَرْتَ وَهَلْ تَرَى فِي الدَّهْرِ إِلَّا مَنزِلًا مَوْبُوءًا)

مهلا ، أى رفقاً وسكوناً لا تعجل . وقال الليثُ : المَهْلُ ، هو السّكينة والوقار . وهى موحّدة ، للواحد والاثنين والجمع والمؤنث . وإذا قيل لك : مهلاً ، قلت : لا مهلَ والله ؛ ولا تَقُلْ : لا مهلاً والله . وتقول : ما مهلٌ والله بمُغْنِيَةٍ عنك شيئاً

والوباء : الطاعون ، بالقتصر ، والمد والهمز . وقيل : هو كل مَرَضٍ عامٍ . وجمَع الممدود : أوبية ؛ وجمع المقصور : أوباء . وفى الحديث : « إن هذا الوباء رِجْزٌ . » والموبوء : الكثير الوباء ، ومثله الوبيء ، والوِبيءُ ، والمُوبِئُ .

يقول : ممّ تهرب ؟ وإلى أين تفرّ ؟ الرّيثَ الرّيثَ ، لقد أزعجك الوباء الذى ألمّ ببلدك ، فهل تعرف بلداً غير مَوْبُوءٍ ؛ تفرّ من رذائل أصحابك ، فهل تعرف أصحاباً خلّوا من الرذائل ؟ ألبسَ العالمَ على عِلّاتِهِ ، وأصْحَبَهُ على ما فيه من سوء .

- ٥ (تُسَبَّى الْكِرَامُ وَالْكُمَيْتُ شَرَابُهَا يُبْلَغُ لِأَلَامِ شَارِبٍ مَسْبُوءًا)
 ٦ (حَلْفُ الْعِبَاءِ سَوْفَ يُصْبِحُ مِثْلَهُ مَلِكٌ وَيَتْرَكُ طَيْبَهُ الْمَعْبُوءُ)

السَّبَى : الأسر . والسَّبَأُ ، بالهمز : شراء الخمر لشربها . ويا أكثر ما يلعب أبو العلاء بهذين اللفظين . وقد مرَّ عنهما شرح مفصَّل^(١) . والكرام : جمع لكريمة وكريم ، وصفين للمؤنث ؛ وبهما وُصفت المرأة العزيزة الجامعة لكل ما يُحمد . وشاهد الكريم وصفًا للمرأة حديثُ أم زرع : « كَرِيمُ الْخِلِّ لَا تُحَادِنِ أَحَدًا فِي السَّرِّ » . فأطلقت كريمًا على المرأة ، ولم تقل : كريمة الخلل ، ذهابًا به إلى الشخص . وتُطلق « الكريمة » على الرجل الحَسِيب فيقال : هو كريمة قومه ، الهاء فيه للمبالغة . وفي الحديث : إِنَّهُ أَكْرَمُ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ لَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ فَبَسَطَ لَهُ رِدَاءَهُ وَعَمَّمَهُ بِيَدِهِ ، وقال : « إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمَةٌ قَوْمٍ فَأَكْرَمُوهُ » . وقال صَخْرٌ :

أَبِي الْفَخْرِ أُنِّي قَدْ أَصَابُوا كَرِيمَتِي وَأَنْ لَيْسَ إِهْدَاءُ الْخَنَى مِنْ شِمَالِيَا

يعنى بقوله « كَرِيمَتِي » أخاه معاوية بن عمرو . والْكُمَيْتُ : الخمر . وقد مرَّ شَرْحُهَا^(٢) . وَيُبْلَغُ : يوجد . تقول : أَلْفَيْتُ الشَّيْءَ أَلْفِيَهُ إِفْهَاءً ، إِذَا وَجَدْتَهُ وَصَادَفْتَهُ وَلَقَيْتَهُ . وفي حديث عائشة رضی الله عنها : « مَا أَلْفَاهُ السَّحَرُ عِنْدِي إِلَّا نَائِمًا » . أَيْ مَا أَتَى عَلَيْهِ السَّحَرُ إِلَّا وَهُوَ نَائِمٌ . تعنى بعد صلاة الليل ، والفعل فيه للسَّحَرُ

وَالْحَلْفُ : الحَلْفُ . والعِبَاءُ : ضرب من الأكسية واسع فيه خُطوط سُودٌ كِبَارٌ ، وهو لغة في العباية . قال سيبويه : إِنَّمَا هُمَزَتْ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ حَرْفُ الْعَلَّةِ فِيهَا طَرَفًا ، لِأَنَّهُمْ جَاءُوا بِالْوَاحِدِ عَلَى قَوْلِهِمْ فِي الْجَمْعِ : عِبَاءٌ . وقال

(١) انظر البيت الثاني من اللزومية الأولى ص ٥٣ من هذا الجزء

(٢) انظر البيت الثاني من اللزومية الأولى ص ٥٣ من هذا الجزء

أَبْنُ جَنِّي : وقد كَانَ يَنْبَغِي لِمَا لَحِقَتْ الْمَاءَ آخِرًا ، وَجَرَى الْإِعْرَابُ عَلَيْهَا ، وَقَوِيَتْ الْيَاءُ لُبُعْدَهَا عَنِ الطَّرْفِ ، أَلَّا تُهْمَزَ ، وَأَلَا يُقَالَ : إِلَّا عَبَايَةَ ، فَيَقْتَصِرُ عَلَى التَّصْحِيحِ دُونَ الْإِعْلَالِ ، وَأَلَّا يَجُوزُ فِيهِ الْأَمْرَانِ . إِلَّا أَنَّ الْخَلِيلَ قَدْ عَلَّلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ : إِنَّهُمْ إِنَّمَا بَنَوْا الْوَاحِدَ عَلَى الْجَمْعِ ، فَلَمَّا كَانُوا يَقُولُونَ « عَبَاءَ » فَيَلْزِمُهُمْ إِعْلَالُ الْيَاءِ لَوُقُوعِهَا طَرْفًا ، أَدْخَلُوا الْمَاءَ ، وَقَدْ أُنْقَلَبَتِ الْيَاءُ حِينَئِذٍ هَمْزَةً ، فَبَقِيََتِ اللَّامُ مَعْتَلَّةً بَعْدَ الْمَاءِ ، كَمَا كَانَتْ مُعْتَلَّةً قَبْلَهَا .

وَالطَّيِّبُ : مَا يُنْطَيَّبُ بِهِ . وَالْمَعْبُوءُ : الْمَصْنُوعُ الْخَلُوطُ . عَبَا فُلَانُ الطَّيِّبَ يَعْبُوهُ عَبَاءً : صَنَعَهُ وَخَلَطَهُ . قَالَ أَبُو زُبَيْدٍ يَصِفُ أَسَدًا :

كَأَنَّ بَنَحْرَهُ وَبِمَنْكَبِيهِ عَبِيرًا بَاتَ يَعْبُوهُ عَرُوسُ

يَقُولُ : الْقِنَاعَةُ ، الْقِنَاعَةُ ؛ أَرِحْ نَفْسَكَ مِنْ طَمَعٍ لَا يُفِيدُ ، وَشَرِّهِ لَا يَنْفَعُ ؛ وَلَا تَلْمُ الْخَطَّ وَلَا تُنْكَرِ الْمُضَادَّةَ ، فَكَذَلِكَ طَبِيعَةُ الزَّمَانِ . انْظُرْ إِلَى الْحَسَنَاءِ الْفَاتِنَةِ يَسْبِيهَا الْقَبِيحُ الشَّرِيرُ ؛ وَانْظُرْ إِلَى الْعَقَارِ ذَاتِ الْجَوْهَرِ النَّقِيِّ يَسْبُوُّهَا الْأُمُّ النَّاسِ طَبْعًا وَأَكْدَرَهُمْ خُلُقًا . أَرِحْ نَفْسَكَ مِنْ هَذَا الْعَنَاءِ ، فَإِنَّ الْغَايَةَ وَاحِدَةٌ ، وَإِنَّ الْمَلِكَ وَالْفَقِيرَ فِي حُكْمِهِمَا سَوَاءٌ .

اللزومية المُتمِّمة العشرين

وقال أيضاً في الهمزة المفتوحة مع الراء :

- ١ (عَمَّوْهُنَّ الْغَزْلَ وَالنَّسَجَ وَالرَّذْنَ وَخَلُّوا كِتَابَةً وَقِرَاءَةً)
 ٢ (فَصَلَاةُ الْفَتَاةِ بِالْحَمْدِ وَالْإِخْلَاصِ لِأَصْحَابِ تَجْزِيٍّ عَنْ يُونُسَ وَبِرَاءَةٍ)

الرَّذْنَ، بالفتح : تنضيد المتاع . يقال : ردنت المتاع ردناً ، إذا نصدته . أما « الرَّذْنَ » بالتحريك ، فهو الغزل يُفتل إلى قدام ، وقيل : هو الغزل المنكوس ، وليس مُراداً هنا .

والحمد والإخلاص ، أى سُورتا الحمد والإخلاص . وهما مكيتان ، أولاهما سبع آيات ، وثانيتها أربع . و « تجزى » ، مسهل من « تجزى » بمعنى تكفى وتعين . والأصل فى معنى « الجزء » الاستغناء بالأقل عن الأكثر ، إذ هو راجع إلى معنى الجزء .

ويونس وبراءة : سورتان ، أولاهما ، وتسمى التوبة أيضاً ، مدنية ، وعدد آياتها مائة وتسع وعشرون آية . وثانيتها مكية ، وعدد آياتها مائة وتسع آيات . وقد جاءتا فى ترتيب المصحف متتاليتين . ضَرَبَ الأُولَيْنِ مثلاً للسُّورِ القِصَارِ ، والثانيتين للطَّوَالِ .

يقول : أَحْجَبُوا عَنْ نِسَائِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يَنْفَعُهُنَّ وَلَا يُجِدِي عَلَيْهِنَّ . دَعُوا ذَلِكَ إِلَى مَا يُفِيدُ الْمَرْأَةَ مِنْ حَيْثُ هِيَ أُمٌّ وَصَاحِبَةٌ بَيْتٍ . عَمَّوْهَا النَّسَجَ وَالغَزْلَ وَالرَّذْنَ ، وَدَعُوا الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ . أَقْرَبُوهَا الْحَمْدَ وَالْإِخْلَاصَ ، فَهِيَ تَجْزِيَانِ عَنْهَا فِي الصَّلَاةِ مَا تُجْزَى عَنْهَا يُونُسَ وَبِرَاءَةَ .

٣ (تَهْتِكُ السِّتْرَ بِالْجُلُوسِ أَمَامَ السِّتْرِ إِنْ غَنَّتِ الْقِيَانُ وَرَاءَهُ)

التهتك : خرق السِّتْرَ عمّا وراءه . وقيل : هو أن تجذب سِتْرًا فتقطعهُ من موضعه ، أو تشقّ منه طائفةً يُرى منها ما وراءه : والمراد لازم المعنى لا الفعل ، فمن أستشف ما وراء الأستار وتعرف ما تحجب ، فكأنه خرّقها وقطعها . والقيان : جمع قَيَنة ، وهى الأمة المُغَنّية ؛ تكون من التزِين ، لأنها كانت تُزِين . وربما قالوا للمتزيّن باللباس من الرجال : قَيَنة . وهى كلمة هُذليّة . وقيل : القينُ : الأمة ، مُغَنّيةٌ كانت أو غير مغنّية . قال اللّيث : عوامّ الناس يقولون : القَيَنة ، المُغَنّية . قال أبو منصور : إنما قبل للمغنّية قَيَنة ، إذ كان الغناء صناعة لها ، وذلك من عمل الإماء دُونَ الحرائر ؛ والقَيَنة : الجارية تَخْدُم فَحَسَبُ .

يقول : أحجبوا أصواتهنّ عن الآذان ، كما تحجبون أشخاصهنّ عن الأبصار . إنكم لتهتكون السِّتْرَ حين تستمعون من خلفه غناء القيان .

الهمزة المكسورة

اللزومية الواحدة والعشرون

وقال أيضاً في الهمزة المكسورة مع السين :

١ (تَوَحَّدَ فَإِنَّ اللَّهَ رَبُّكَ وَاحِدٌ وَلَا تَرْغَبَنَّ فِي عِشْرَةِ الرُّؤْسَاءِ)

تَوَحَّدَ : بَقِيَ وَحْدَهُ . قَالَ الشَّيْبَانِيُّ : وَيَطَّرَدُ إِلَى الْعِشْرَةِ . وَفِي حَدِيثِ ابْنِ الْخَنْظَلِيِّ : « وَكَانَ رَجُلًا مُتَوَحِّدًا » أَي مُنْفَرِدًا : لَا يَخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يُجَالِسُهُمْ .

يقول : آتَرَ نَفْسِكَ بِالْمُزَلَّةِ ، وَزَيَّنَهَا بِالْوُحْدَةِ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ تَكُنْ رَاغِبًا فِي الْكَمَالِ طَامِعًا فِيهِ ، لَمْ تَجِدْ أَدْنَى إِلَيْهِ مِنَ الْوُحْدَةِ الَّتِي هِيَ أَخْصَصَ صِفَاتِ اللَّهِ . وَإِنْ تَكُنْ رَابِتًا بِنَفْسِكَ عَنِ الشَّرِّ ضَانًا بِهَا عَلَى الْأَذَى ، فَانْ تَجِدْ أَوْقَى لَكَ وَلَا أَجْدَى عَلَيْكَ مِنَ الرَّغْبَةِ عَنِ عِشْرَةِ النَّاسِ ، مَلُوكِهِمْ وَسُوقَتِهِمْ ، سَرَاتِهِمْ وَصَعَالِكِهِمْ .

٢ (يُقِيلُ الْأَذَى وَالْعَيْبَ فِي سَاحَةِ الْفَتَى - وَإِنْ هُوَ أَكْدَى - قِلَّةُ الْجَلَسَاءِ)

الساحة : النَّاحِيَةُ ، وَهِيَ أَيْضًا فُضَاءٌ يَكُونُ بَيْنَ دُورِ الْحَيِّ . وَسَاحَةُ الدَّارِ : بَاحَتُهَا . وَالْجَمْعُ : سَاحٌ وَسُوحٌ وَسَاحَاتٌ . وَأَكْدَى الرَّجُلِ : قَلَّ خَيْرُهُ . وَقِيلَ : الْمَكْدَى مِنَ الرِّجَالِ : الَّذِي لَا يَثُوبُ لَهُ مَالٌ وَلَا يَنْمَى . وَأَكْدَى الرَّجُلِ أَيْضًا : إِذَا قَتَلَ عَطَاءَهُ ؛ وَقِيلَ : بَخِلٌ . وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ : (وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى) قِيلَ : أَي وَقَطَعَ الْقَلِيلَ . وَقِيلَ : أَمْسَكَ عَنِ الْعَطِيَّةِ .

وإن كان البخل والإمساك عن عَوَز فهو لازم المعنى السابق ، والكلام يستقيم به ، وإلا فلا

وأكدى الرجل كذلك ؛ إذا انقطع . وهو من الأول أو قريب منه . أى سواء أصابك ذلك فى مال أو رفاق .

يقول : أجل ، إنك لن تجد أحفظ لك من العيب ، وأضن بك على الريب ، وأنزه لنفسك من الأذى ، وأعصم لقدرك من الضعة ، كالعزلة واجتناب الناس ، وإن جراً عليك الفقر والضييق . العزلة مكن عيوبك ، وستر لما أنت فيه من رذيلة ، فأحذر أن تهتك هذا الستر فيظهر الناس على ما خلفه ؛ والعزلة جنة لك من شرور الناس وأذاتهم ، فأحذر أن تدع هذه الجنة فينالك من ضررهم ما لا تطيق .

٣ (فَأَفَّ لِعَصْرِيهِمْ نَهَارٍ وَحِنْدِسٍ وَجِنْسِي رِجَالٍ مِنْهُمْ وَنِسَاءً)

أف ، اسم فعل مضارع بمعنى : أتضجر . وقد سبق عنها مزيد^(١) . والعصران : الليل والنهار . والعصر : الليلة . والعصر : اليوم . قال حميد بن ثور :

ولن يلبثَ العصران يومٌ وليلةٌ إذا طلبا أن يدركا ما تيمما

ويطلق « العصران » على الغداة والعشي أيضاً . قال الشاعر :

وأمطله العصرين حتى يمتنى ويرضى بنصف الدين والأنف راغم

وفى الحديث : « حافظ على العصرين . قيل : وما العصران ؟ قال : صلاة

قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها » .

وفى كلام لعلّى رضى الله عنه : « ذكّرهم بأيام الله وأجلس لهم العصرين » أى

بكرة وعشيا . وأراد أبو العلاء الأول ، فذكر النهار والحندس .

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية السادسة ص ٨١ من هذا الجزء

والحنّس : الظلمة . وقال الجوهري : الليل الشديد الظلمة .

يقول : أفّ للناس رجالاً كانوا أو نساء ! فإنهم أهل شرٍّ وأذى . يمتقّتهم الحكيم ويذمّهم العاقل ، لا يحمد منهم خلة ولا يرضى لهم خُلُقاً . هم في الليل وفي النهار جنةُ أشرار ، لا يعصمك منهم إلا اجتنابك لهم .

٤ (وَلَيْتَ وَلِيداً مَاتَ سَاعَةً وَضَعَهُ)
 ٥ (يَقُولُ لَهَا مِنْ قَبْلِ نُطْقِ لِسَانِهِ)
 وَلَمْ يَرْتَضِعْ مِنْ أُمِّهِ النَّفْسَاءُ)
 تَفِيدِينَ بِي أَنْ تُنْكَبِي وَتَسَائِي)

أرتضع ، كرَضِع . قال ابن أحرر :

إِنِّي رَأَيْتُ بَنِي سَهْمٍ وَعَزَّهْمُ كَالْعَنْزِ تَعَطْفُ رَوْقِيهَا فَتَرْتَضِعُ

يريد : ترضع نفسها . يصفها باللؤم : والعنز تفعل ذلك . تقول منه : أرتضعت العنز ، أي شربت لبن نفسها . والنفساء : الوالدة والحامل والحائض . والمراد هنا المعنى الأول وأفاد : استفاد ، وأعطى غيره أيضاً . والمراد هنا الأول ، ومنه قولُ القَتَال :

نَاقَتُهُ تَرْمُلُ فِي النَّقَالِ مُهْلِكُ مَالٍ وَمُفِيدُ مَالٍ

وُنْكَبِ فُلَانٌ ، عَلَى مَا لَمْ يُسَمِّ فَاعِلُهُ : أَصَابَتُهُ نَكْبَةٌ .

يقول : إِنِّي لِأَعْظُكَ بِالْعُزْلَةِ حِينَ قُدِّرْتَ عَلَيْكَ الْحَيَاةُ فَلَمْ تَجِدْ عَنْهَا مَزْحَلًا ، وَإِنِّي لِأُكْرَهُ الْحَيَاةَ لِمَنْ لَمْ يَبْلُغْهَا ، وَأَمَمْتُ الْعَيْشَ لِمَنْ لَمْ يَذُقْهُ ، وَأَتَمَّنِي لِلْوَالِدِ الَّذِي لَمَّا يَعْرِفُ مِنَ الْحَيَاةِ حُلُوءًا وَلَا مُرًّا ، وَلَمَّا يَرَى مِنَ الْعَيْشِ خَيْرًا وَلَا شَرًّا . مَوْتًا يُرِيحُهُ مِنْ مُسْقِبِ أَيَّامِهِ ، وَمُسْتَأْنَفِ زَمَانِهِ . مَوْتًا يَصْرِفُهُ عَنِ ثَدْيِ أُمِّهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَضِعَ مِنْهَا قُوْتًا يَشُو بِهِ الشَّرَّ وَغِذَاءً يُخَالِطُهُ السُّوْءُ . مَوْتًا يَقْطَعُ مَا يَنْطِقُ بِهِ لِسَانُ حَالِهِ مِنْ عِبَارَاتِ الشُّكِّ فِي مُسْتَقْبَلِ أَمْرِهِ : أَيَكُونُ خَيْرًا أَمْ شَرًّا ، وَعُرْفًا أَمْ نُكْرًا ؟ أَيَكُونُ إِلَى أَهْلِهِ مُحْسِنًا أَمْ مُسِيئًا ، وَلَهُمْ نَافِعًا أَمْ ضَارًّا ؟

اللزومية الثانية والعشرون

وقال أيضاً في الهمزة المكسورة مع الميم :

١ (إِذَا كَانَ عِلْمُ النَّاسِ لَيْسَ بِنَافِعٍ وَلَا دَافِعٍ فَانْخَسِرْ لِلْعُلَمَاءِ)

الْخُسْرُ : الضلال .

يقول : الويل لكل الويل للعلماء ، والْخُسْرُ كُلُّ الْخُسْرِ لِلْحُكَمَاءِ ، إذا لم يُقدَّرْ

لِعِلْمِهِمْ أَنْ يَنْفَعِ النَّاسَ شَيْئًا ، ولم يُتَّحَ لِحُكْمَتِهِمْ أَنْ تَكْفِيَ عَنْهُمْ سُوءًا .

٢ (قَضَى اللَّهُ فِينَا بِالَّذِي هُوَ كَانِ قَتَمَ وَضَاعَتْ حِكْمَةُ الْحُكَمَاءِ)

٣ (وَهَلْ يَأْتِي الْإِنْسَانُ مِنْ مُلْكِ رَبِّهِ فَيُخْرِجُ مِنْ أَرْضٍ لَهُ وَسَمَاءِ)

أَبَى : هرب واستخفى ، وبأبه ضرب ونصر ، أَبَقًا وَإِبَاقًا ، فهو أَبَقٌ . وجمعه

أَبَاقٌ . وقيل : الإباق : هربُ العبد من سيده .

يقول : لقد تَمَّ في الناس قضاء الله بما هو كائن من خير وشر ، فهو يُمضَى

لَا مُعْتَبَرٌ لِحُكْمِهِ وَلَا رَادٌّ لِأَمْرِهِ . وعبثًا يحاول المصلحون أن يغيروا منه قليلاً

أو كثيراً . أجل ، لقد أمضى الله القضاء بما شاء ، فليس لك منه مَفَرٌ وَلَا مُعْتَصِمٌ .

دونك الأرضَ فَاتَّخِذْ فِيهَا نَفَقًا ، ودونك السماءَ فَاتَّخِذْ إِلَيْهَا سُلْمًا ، فإن أعجزك

ذلك ، وهو معجزك من غير شك ، فأذعن لما قضى الله عليك ، فإنك لن

تستطيعَ من مُلْكِهِ خُرُوجًا ، ولن تَمْلِكَ من قُدْرَتِهِ إِبَاقًا .

٤ (سَنَتَبِعْ آثَارَ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا عَلَى سَاقَةٍ مِنْ أَعْبُدِ وَإِمَاءِ)

تحمل القوم : ذهبوا وأرتحلوا . والساقة من الجيش : مؤخره ، وهي أيضاً جمع سائق ، وهم الذين يسوقون جيش الغزاة ويكونون من ورائه يحفظونه . ومنه : ساقة الحاج . و«على ساقة» حال من الواو في «تحملوا» ، أى مسبوقين بغيرهم في إثر من يقدمهم ، كالمؤخرة من الجيش تقفو السابقة . و«من أعبد وإماء» . في موضع البيان «لساقة» ، أى عبيداً وإماء ، يريد رجالاً ونساء . وهو ملتفت فيه إلى ما ذكره في البيت السابق من ذكر الإباق الذي هو من صفة الأرقاء .
يقول : سِرَ في آثار من مضى قبلك ، فإنك لهم تابع ، ولخطاهم مُترسَم .
عاشوا عبيداً أذلاء ، فعش مثلهم عبداً ذليلاً .

٥ (لَقَدْ طَالَ فِي هَذَا الْأَنَامِ تَعَجُّبِي فَيَا لِرِوَاءِ قُوبِلُوا بِظَهَاءِ)

الرواء ، بالكسر : جمع ريان ورياناً . والصيغة للتعجب ، وهي كالمستغاث به في أحواله ، فتقول : يا لأرجل ، ويا رجلاً ، ويا رجل . كل هذا إذا تعجبت منه .

يقول : لقد ملكني العجب من هذا العالم ، فما أنفك مُغرِقاً فيه ، مُطيلاً له ، أرى فيه السعيدَ والشقي ، والفقير والغني ، وأجد فيه الريان يكاد يقتله الرى ، والصدّيان يكاد يخترمه الصدى .

٦ (أَرَامِي قُشْوِي مَنْ أَعَادِيهِ أَسْهُمِي وَمَا صَافَ عَنِّي سَهْمُهُ بِرِمَاءِ)

رامي : رمى بالسهم عن القسي ، ورماه غيره ؛ فالفعل على المشاركة . والإشواء : أن يرمى الرامي فيصيب الأطراف ولا يصيب المقتل . وصاف

السهمُ عن الهدَف ، يَصِفُ صَيْفًا وَصَيْفُوفَةً وَمَصِيفًا . عَدَلُ : قال أبو زُبَيْد :

كَلَّ يَوْمَ تَرَمِيهِ مِنْهَا بِرِشْقٍ فَمَصِيفٌ أَوْ صَافٍ غَيْرَ بَعِيدٍ

وكذلك كل شيء قد عدل عن شيء فقد صاف عنه . وفي حديث أنس : إن النبي صلى الله عليه وسلم شاور أبا بكر رضي الله عنه يوم بدر في الأسرى . فتكلم أبو بكر فصاف عنه . أى عدل صلى الله عليه وسلم بوجهه عنه ليشاور غيره . والرَّمَاءُ . المرَامَةُ ، والفِعْلُ مِنْهُمَا رَامَى .

يقول : الدهر على الناس مُسَيِّطِرٌ ، قد عَظُمَ سُلْطَانُهُ ، وَأَشَدَّتْ سَطْوَتُهُ ، يَنَالُونَهُ بِمَا شَاءُوا مِنْ عَيْبٍ لَهُ وَطَعْنٍ عَلَيْهِ ، فَلَا يُصِيبُهُ مِنْهُمْ شَيْءٌ ، وَيَرْمِيهِمْ بِسَهَامِهِ الْمُتَّصِلَةِ وَنِصَالِهِ الْمُتَتَابِعَةِ ، فَلَا يُخْطِئُهُمْ مِنْهَا سَهْمٌ .

٧ (وَهَلْ أَعْظَمُ إِلَّا عُصُونٌ وَرِيْقَةٌ وَهَلْ مَاوَهَا إِلَّا جَنِيٌّ دِمَاءٌ)

الأعظم والعظام والعظامَةُ ، كلها جُمُوعُ لِعَظْمٍ ، وهو الذى عليه اللحم من قَصَبِ الحيوان . والهَاءُ فى هذه الأخيرة لتأنيث الجمع . وقيل : العظامَةُ ، واحد العظام . والوريقة : الحَسَنَةُ الورق . والجَنِيٌّ : الغَضُّ من الثمار المُجْتَنَّة . أراد دِمَاءً طرية غَضَّةً . وقد تكون أيضاً فِعْلاً بمعنى مفعول ، من جَنَى الذنب يَجْنِيهِ ، إِذَا جَرَّهُ . قال أبو حية النُمَيْرِيُّ :

وَإِنَّ دِمَاءً لَوْ تَعَلَّمِينَ جَنَيْتِهِ عَلَى الْحَيِّ جَانِيٍّ مِثْلِهِ غَيْرُ سَالِمٍ

ويريد بـ «جنى دماء» : المَسْفُوكُ المَهْرَاقُ ، وهو أشبهه بالدماء فى الأندفاع .

يقول : جِدُّوا مَا شِئْتُمْ فى عِنَادِ الدَّهْرِ وَخِصَامِهِ ، وَفى ذِمَّةِ وَالزَّرَايَةِ عَلَيْهِ ، فَلَيْسَ ذَلِكَمُ بَرَادٍ عَنْكُمْ حُكْمُهُ ، وَلَا بَقَابِضٍ عَنْكُمْ يَدُهُ ، إِنَّهُ عَلَيْكُمْ لَمُسَيِّطِرٌ .

يُمَيِّتِكُمْ وَيُحْيِي أَجْسَامَكُمْ إِلَى مَا شَاءَ مِنْ مَادَّةٍ ، وَيَمْنَحُهَا مَا أَحَبَّ مِنْ صُورَةٍ .
انظروا إلى هذه الغُصُونِ النَّضْرَةِ والأشجارِ الخضرَةِ ، هل هي إلا عظامكم بعد
البَيْلَى ، وهل ماؤها إلا دماءكم بعد الفَنَاءِ .

٨ (وَقَدْ بَانَ أَنَّ النَّحْسَ لَيْسَ بِغَافِلٍ لَهُ عَمَلٌ فِي أَنْجُمِ الْفُهْمَاءِ)

النَّحْسُ : الجَهْدُ والضَّرُّ ، وخلاف السَّعْدِ مِنَ النُّجُومِ وغيرها . والجمع : أنْحَسَ
وَنَحَّسَ . وفُهْمَاءُ : جَمْعُ لِفَاهٍ ، وهو يَنْقَاسُ . ولما كان النَّحْسُ لِلنُّجُومِ ،
جعل أفهام الفُهْمَاءِ أَنْجُمًا .

يقول : أَلَا إِنَّ الشَّرَّ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ وَقَعَ ، لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ . وهو نَقَادٌ لَا يَفْعُلُ ،
وَبَاحِثٌ لَا يَخْطِي . أَلَا وَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ مِنْهُ حَظًّا وَأَعْظَمَهُمْ مِنْهُ نَصِيبًا ، أَشَدَّهُمْ
لَهُ فَهْمًا وَأَكْثَرُهُمْ مِنْهُ احتِيَاظًا .

٩ (وَمَنْ كَانَ ذَا جُودٍ وَلَيْسَ بِمُكْثِرٍ فَلَيْسَ بِمَحْسُوبٍ مِنَ الْكِرْمَاءِ)

أَكْثَرَ : ذَاتَ مَعَانٍ ، يُقَالُ : أَكْثَرَ الرَّجُلُ ، إِذَا كَثُرَ مَالُهُ ؛ وَلَيْسَ
الْمَذْهُوبَ إِلَيْهِ هُنَا . وَأَكْثَرَ : أَتَى بِكَثِيرٍ . وهو بِالْمِرَادِ أَلْصَقَ . وَأَكْثَرَ مَنْ
الشَّيْءُ : رَغِبَ فِي الْكَثِيرِ مِنْهُ ؛ وَهِيَ كَالثَّانِيَةِ ، عَلَى تَأْوِيلِ جَارٍ وَمَجْرُورٍ مَحذُوفٍ ،
تَقْدِيرُهُ « مِنْهُ » . وَمَحْسُوبٌ : مَعْدُودٌ .

يقول : أُنْفَقُوا بَيْنَكُمْ الثَّرْوَةَ وَأَشْيِعُوا فِيكُمْ الْمَعْرُوفَ ، فَلَنْ يَنْفَعَكُمْ حِرْصٌ ،
وَلَنْ يُفِيدَكُمْ ائْتِصَادٌ ، وَلَنْ يَكُونَ مُنْفَقَكُمْ جَوَادًا ، وَلَا بِأَذَلِّكُمْ كَرِيمًا ، حَتَّى يُكْتَرَّ
الإِنْفَاقُ وَيُوسَعَ الْبَدَلُ .

١٠ (نَهَابُ أُمُورٍ أُمَّمٌ نَزَكْبُ هَوَاهَا عَلَى عَنَتٍ مِنْ صَاغِرِينَ قِيَاءِ)

الهَوَلُ : الأمر الشديد ، والخِافَةُ من الأمر لا يَدْرِي ما يهجم عليه منه ؛ كَهَوَلِ اللَّيْلِ ، وَهَوَلِ الْبَحْرِ . والجمع : أهوال وهوُل . والعَنَتُ : دُخُولُ الْمَشَقَّةِ عَلَى الْإِنْسَانِ وَلِقَاءُ الشَّدَّةِ . وقال ابن الأثير : العنت : المشقة والفساد والمهلك والإثم والغلط والخطأ والزنا ، كل ذلك قد جاء ، وأطلق العنتُ عليه . والصاغر : الذي يرضى بالضمِّ ويقرُّ به . قال تعالى : (حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) أى أذلاء . والفعل منه : صَغَرَ يَصْغُرُ ، من باب فرح ، صَغَرًا وَصَغَارًا ، والفعل من الصَّغَرِ ، الذى هو ضدَّ الْكَبِيرِ ، هو الفعل ، وزاد ابن الأعرابي : صَغَرَ ، بضم الغين ، فهو صغير وصُغَار . وقياء : جمع قىء ، وهو الذليل الصغير . يقول أَقْدِمُوا وَلَا تُحْجَمُوا ، دَعُوا التَّرَدَّدَ جَانِبًا ، وَأُنْبِذُوهُ نَاحِيَةً ، فَإِنَّكُمْ صَائِرُونَ إِلَى مَا تَكْرَهُونَ طَائِعِينَ أَوْ رَاغِمِينَ . أَقْدِمُوا أَعْرَاءَ قَبْلَ أَنْ تُكْرَهُوا أَذْلَاءَ صَاغِرِينَ .

١١ (أَفِيْقُوا أَفِيْقُوا يَا غَوَاةُ فَإِنَّمَا دِيَانَتُكُمْ مَكْرٌ مِنَ الْقُدَمَاءِ)

١٢ (أَرَادُوا بِهَا جَمْعَ الْحُطَامِ فَأَدْرَكُوا وَبَادُوا وَمَاتَتْ سُنَّةُ اللُّومَاءِ)

الغواة : الضالون . والحطام : ما تكسر من اليبس .

يقول : لقد آن لكم أن تستبصروا ، وحق لكم أن تنتبهوا ، وحق عليكم أن تفيقوا . ألا إن ما أنتم فيه من سنة وسيرة ، ومن شريعة ودين ، ليس إلا مكر الأقدمين ، أخذوه سبيلاً إلى جمع الحطام ، وإحراز الثروة ؛ فأدركوا ما أمَلُوا ، وبلغوا ما أرادوا . ثم مضت أيامهم ، وأنتفضت مدتهم ؛ فلتبئد معهم سننهم السيئة ، وأصولهم الضارة .

- ١٣ (يَقُولُونَ إِنَّ الدَّهْرَ قَدْ حَانَ مَوْتُهُ . وَلَمْ يَبْقَ فِي الْأَيَّامِ غَيْرُ ذَمَاءٍ)
 ١٤ (وَقَدْ كَذَبُوا، مَا يَعْرِفُونَ انْقِضَاءَهُ . فَلَا تَسْمَعُوا مِنْ كَذِبِ الرُّعَمَاءِ)
 ١٥ (وَكَيْفَ أَقْضَى سَاعَةً بِمَسْرَةٍ . وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ مِنْ غُرْمَائِي)

الذَّمَاءُ : الحركة ، وبقية النفس ، وبقية الروح في المذبوح . وقد مرَّ (١) .
 والغُرْمَاءُ : جمع غريم ، وهو الذي له الدين ، والذي عليه الدين ، جميعاً ؛ والمراد هنا الأول . وإنما سُمِّيَ غريماً ، لأنه يطلب حقه ويُبلِّغ حتى يَقْبِضَهُ . وفي هذا ما يصور ما كان يعرض لأبي العلاء من شك في البعث وقيام الساعة .

يقول : لقد خدعكم الخادعون ؛ وعبث بألبابكم العاشون ، فمنوكم الحياة الثانية ، وزعموا لكم انقضاء الدهر وأتتهاء أجله . وأنه عنكم مُرتحل ولكم تارك ، وأنَّ الأيام لم يبق فيها إلا بقية الروح في جسم المذبوح . لقد كذبوا ، ما يعرفون للدهر أجلاً ، وما يعلمون له انقضاء ؛ وإنما هي ظنون مُرَجِّمة ، وأنباء مُتوهِّمة . ألا فأعرضوا عن مقالة الرُّعَمَاءِ الكاذبين ، والأغوياء المُضِلِّين . لا تياسوا من الدهر ولا تطمئعوا فيه ، ولكن التصدَّ بين الخَلَّتَيْنِ ، والاعتدال بين الخَصَلَتَيْنِ ؛ فإنَّ اليأس من الدهر هُلك ، والاطمئنان إليه غرور . وكيف يسرُّ ساعة في الدهر من يعلم أنَّ له من الموت غريماً لا يرُدُّ ، وطالبا لا يدفع .

- ١٦ (خُذُوا حِذْرَكُمْ مِنْ أَقْرَبِينَ وَجَانِبِ . وَلَا تَذْهَبُوا عَنْ سِيرَةِ الْحَزَمَاءِ)

الحِذْرُ : الخيفة والتحرُّز ؛ ومثله : الحِذْرُ . والجانب : الغريب . وقد يُفرد في الجميع ولا يؤنَّث ، ومثله في ذلك : الجُنْبُ والأجنبيُّ والأجنب ؛ وفي الحديث : « الجَانِبُ المُسْتَغْزِرُ يُثَابُ مِنْ هِبَتِهِ » ، أى إنَّ الغريب الطالبَ إذا أهدى

(١) انظر شرح البيت السابع من اللزومية السادسة عشرة ص ١٢٢ من هذا الجزء .

هدية ليطلب أكثر منها فأعطيه في مُقابلة هديته . والمستغزر : الذي يطلب أكثر مما أعطى .

والذَّهْل والذُّهول : تَرَكَكَ الشَّيْءُ تَتَنَاسَاهُ عَلَى عَمْدٍ ، أَوْ يَشْغَلُكَ عَنْهُ شُغْلٌ . وَالْفِعْلُ مِنْهُ بَفَتْحِ الْعَيْنِ وَكَسْرِهَا فِي الْمَاضِي ، مَعَ فَتْحِهَا فِي الْمَضَارِعِ .

يقول : إنكم لتُخدعون عن أنفسكم بأواصر القُرْبَى وروابط المحبة ، وإنما هي الشرُّ كل الشرِّ ، والخطر كل الخطر . فالحذرَ الحذرَ من أضرارها ، والتَّقِيَةَ التَّقِيَةَ من آثامها ؛ فما آذاك مثلُ قريب ، ولا ضرك مثل حبيب .

اللزومية الثالثة والعشرون

وقال أيضاً في الهمزة المكسورة مع الخاء :

١ (إِذَا صَاحَبْتَ فِي أَيَّامِ بُؤْسٍ فَلَا تَنْسَ الْمَوَدَّةَ فِي الرَّخَاءِ)

الرخاء : سعة العيش ، بالفتح . فإذا ضُمَّتْ فهو للريح اللينة . وفي الحديث :
« اذكر الله في الرِّخَاءِ يَذْكُرْكَ فِي الشَّدَةِ » .

يقول : لِتَعْرِفَ فِي يُسْرِكَ صَدِيقَكَ فِي عُسْرِكَ ؛ فَإِنَّ مِنْ سَوْءِ النِّيَّةِ وَقُبْحِ
الْخَلَّةِ أَنْ تَتَّخِذَ الْأَصْدِقَاءَ تَدْفِعُ بِهِمْ عَنْ نَفْسِكَ الْأَذَى ، وَتَقِيهَا بِهِمْ الْمَكْرُوهَ
أَيَّامَ بُؤْسِكَ ، حَتَّى إِذَا أَيْسَرْتَ وَأَعْسَرُوا ، ضَرَبْتَ عَنْهُمْ صَفْحًا ، وَطَوَيْتَ
عَنْهُمْ كَشْحًا . هَذِهِ خَلَّةٌ مِنَ الْأَثَرَةِ سَيِّئَةٌ ، وَخَصْلَةٌ مِنْ حُبِّ النَّفْسِ مَذْمُومَةٌ ؛
وَإِنَّمَا الْحَقُّ عَلَيْكَ أَنْ تُخْلِصَ لِلْأَصْدِقَاءِ ، فِي النَّعْمَاءِ وَالْبِئْسَاءِ .

٢ (وَمَنْ يُعْدِمُ أَخُوهُ عَلَى غِنَاهُ فَمَا أَدَّى الْحَقِيقَةَ فِي الْإِخَاءِ)

هذه رواية . و « الإعدام » عليها بمعنى الافتقار ، يقال : أعدم الرجل ،
إذا افتقر . وفي رواية أخرى : « ومن يُعْدِمُ أَخَاهُ » . و « أعدم » هنا بمعنى
منع ، وقيل : إذا منعه طَلَبْتَهُ .

يقول : وَإِنْ أَمْرًا قَدْ أَمَدَّتْهُ الْحَيَاةُ بِالنَّعْمَةِ وَالثَّرْوَةِ ، فَهُوَ مِنَ الْعَيْشِ فِي دَعَا
وَخَفْضِ ، يَقْضَى حَاجَتَهُ مِنَ اللَّذَاتِ عَلَى اخْتِلَافِهَا ، ثُمَّ يَتْرِكُ إِخْوَانَهُ فَرِيسَةً
لِلْعُدْمِ وَدَرِيئَةً لِلْبُؤْسِ ، لِجَاهِلٍ حَقَّ الْأَخُوَّةِ ، وَجَاهِدٍ وَاجِبَ الْمَوَدَّةِ .

٣ (وَمَنْ جَعَلَ السَّخَاءَ لِأَقْرَبِيهِ فَلَيْسَ بِعَارِفٍ طُرُقَ السَّخَاءِ)

السخاء : الجُود ، ومثله : السخاوة . ويقال إنه مأخوذ من « السخو » وهو الموضع الذي يُوسَّع تحت القدر ليتمكن الوقودُ ، لأن الصدر أيضاً يتسع للعطية . والأقرب : أدنى من القريب ، يكون مثله لقرب المكان ، وقرب النسب . والمعنى هنا يجوز بهما . وطرق ، بضمين : جمع طريق ، ومثاها : أطرقة .

يقول : ليس من الحزم ، ولا من صدق الرأي ، للسخيّ الجواد أن يُشيع السخاء ويُذيع الجود في أهله وأقاربه ، قابضاً يده عن غيره من الناس ؛ فإن لأهله ولأقاربه عليه حقاً هو قاضيه ، وديناً هو مؤديه . فأما الأبعدون فالتكريم عليهم فضيلة ، والإحسان إليهم نافلة ، والتمهّد لهم معرفة بمواضع الأمور .

اللزومية الرابعة والعشرون

وقال أيضاً في الهزرة المكسورة مع السين :

١ (يَا مُلُوكَ الْبِلَادِ فُزْتُمْ بِنِسَاءِ أَلِّ عُمُرِ وَالْجَوْرِ شَأْنِكُمْ فِي النَّسَاءِ)

يقال : نساء الله في عمره ، ينسؤه نسئاً : أخره ومدّه له فيه . وفي الحديث : « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ فِي أَجَلِهِ فَلْيُصِلْ رَحِمَهُ » . وَالْجَوْرُ : نقيض العدل وضدّ القصد . والنساء ، بالمد ، تأخير الدين . قال ابن الأثير : نساءتُ عنه دينه : أخرته ، نساء ، بالمد ، وكذلك « النساء » في العمر ممدود . وليس هناك أجل ممدود للملوك دون غيرهم ، ولكتمهم لما مكن الله لهم في الحياة كانوا أقوى على ما يقتضى أمداً طويلاً في فترة وجيزة ، فعده ذلك لهم أبو العلاء فسحة في الآجال . والحديث المتقدم من ذلك ، إذ المراد أزدحام العمر بالخيرات ، واتساع اليوم لما تتسع له الأيام ، فكان العمر أضعاف .

يقول : أيها الملوك الأقوياء ، والأقيال المترفون ، لقد فُزْتُمْ بما تُحبون من طول الحياة وتأخر الأجل ، فما لكم لا تبتدرون الخير ولا تستبقون إلى الحسنه ! ما لكم تُرجئون تشييد المكرمات ، وبناء الصالحات ، إلى مستقبل من الأيام قد لا تدركونه ، ومُستأنف من الدهر قد لا تبلغونه ! مغترين باملاء الأيام لكم ، وإبقائها عليكم .

٢ (مَا لَكُمْ لَا تَرَوْنَ طُرُقَ الْمَعَالِي قَدْ يَزُورُ الْهَيْجَاءَ زِيرُ نِسَاءِ)

الطُرُق ، بضمّتين : جمع طريق ، وسُكِّنَ للشعر . والهيجاء ، بالمد

والقصر : الحرب ، لأنها موطن غَضَب . وزير النساء ، الذى يُخالطهنّ ويريد حديثهنّ لغير شرٍّ ، سمى بذلك لكثرة زيارته لهن . وأصله من الواو والجمع : أزوار ، وأزيار ، وزيرة .

وقيل : هو المخالط لهنّ فى الباطل . وفى الحديث : « لا يزال أحدكم كاسراً وسادهُ يتكى عليه ويأخذ فى الحديثِ ففعلَ الزير » . وقال مُهلهل :

فلو نبش المقابرُ عن كليبٍ فيُخبرَ بالذّنائبِ أىّ زيرٍ

يقول : مالكم لا تدعون ما أتم فيه من محول ، ولا تتركون ما أتم عليه من ضعف ؛ مُحجمين لا تُقدّمون ، ومُبطئين لا تُسرعون ؛ مُستنمين إلى اللذة لا تطمح نفوسكم إلى المجد ، ولا تسمو إلى المآثر الباقية ! أقدموا فربّ مُترَفٍ شهد الهيجاء ، وربّ عاشقٍ للنساء كلف بهن صريعٍ بجالهن ، قد ترك اللهو والباطل ، ورغب فى الجدِّ فأبلى فيه البلاء الحسن .

٣ (يَرْتَجِي النَّاسُ أَنْ يَقُومَ إِمَامٌ نَاطِقٌ فِي الْكُتَيْبَةِ الْخُرَسَاءِ)

الإمام الناطق ، هو المهديّ المنتظر . وسمى ناطقاً ، لأن الشيعة يزعمون أنه سوف يدعو إلى نفسه ، فسموه ناطقاً لذلك . وقد اختلفت الشيعة فيه ، فزعمت السبئية أنه على بن أبي طالب عليه السلام . وزعموا أنه حتى لم يمت . ومنهم من يرى أنه فى السحاب . ويروى أن عبد الله بن سبأ ، وهو أصل هذه المقالة ، لما أُخبر بموت على عليه السلام ، قال : كذبتُم ، والله لو جئتمونا بدماعه مَصْروراً فى سبعين صرّة ما صدّقنا بموته ، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً .

وزعمت الواقفة والمطورة من الشيعة أنه موسى بن جعفر . وقالت الإسماعيلية

منهم : هو محمد بن إسماعيل بن جعفر . وزعمت الكيسانية أنه محمد بن الحنفية .
وزعموا أنه لما خاف على نفسه دخل شعب رَضْوَى بين مكة والمدينة ، فهو هناك
حتى لم يمُت ، أسدٌ عن يمينه ونَمِرٌ عن يساره حتى يخرج . وفي ذلك
يقول كثيرٌ :

أَلَا إِنَّ الْأُمَمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ وَوَلَاةَ الْحَقِّ أَرْبَعَةٌ سِوَاهُ
عَلِيٍّ وَالثَّلَاثَةَ مِنْ بَنِيهِ هُمُ الْأَسْبَاطُ لَيْسَ بِهِمْ خَفَاءُ
فَسِنْبَطُ سِنْبَطِ إِيْمَانٍ وَبَرٍّ وَسِنْبَطُ غَيْبَتِهِ كَرِّ بِلَاءِ
وَسِنْبَطُ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى يَقُودَ الْخَيْلَ يَقْدُمُهَا اللَّوَاءُ
تَغَيَّبَ لَا يُرَى فِينَا زَمَانًا بِرَضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَمَاءُ

والكتيبة : الجيش ، والقطعة العظيمة منه . والخرساء : التي صممت من
كثرة الدروع ، أى لم يكن لها قعاقع . وقيل : التي أحتزمت بالسلاح وأجادت شدة
فلا يُسمع له صوت . وقيل : هي التي لا تسمع لها صوتاً ، من وقارهم في الحرب .
وقال الأصمعيّ : إنما قيل لها خرّساء لقلّة كلامهم . وقال بُنْدَارٌ : إنما قيل لها
خرّساء ، لأنّ الصوت لا يُفهم فيها لكثرة الأصوات ، فكان كلام المتكلم
فيها تُسمع حرّكاته كحرّكات لسان الأخرس ولا تُفهم . وأراد بـ « الكتيبة
الخرّساء » جماعة أئمة الشيعة ؛ إذ الشيعة يُسمونهم مُصنّمتاً ، لصمّتهم عن إقامة
الدعوة حتى يُظهِر الإمام الأعظم .

يقول : أيها الناس ، أتم مصدر ما تلتقون من ظلم ، وأصل ما تُقاسون من
عسف . فَنَبَيْتُمْ فِي الْمُلُوكِ وَأَذَلْتُمْ لِهَمِ أَنْفُسِكُمْ ، تَشَقُّونَ لِيسعدوا ، وتُخَافُونَ
ليأمنوا ، وتَأْرَقُونَ ليناموا . غلّوْتُمْ فِي ذَلِكَ وَأَسْرَقْتُمْ فِيهِ ، فَقَدَسْتُمْ طَائِفَةً مِنْكُمْ

عن الخطأ ، ووصفتهم بالعِصمة ، وزعمت أنهم الناطقون والعالم صامت ، والمهتدون والحياة جائرة .

انتظروا الإمامَ المعصوم ، ورجوا الناطقَ المرشد ، والهادى الذى لا يُخطئ .

٤ (كَذَبَ الظَّنُّ لِإِمَامٍ سِوَى الْعَقْلِ مُشِيرًا فِي صُبْحِهِ وَالْمَسَاءِ)

٥ (فَإِذَا مَا أَطَعْتَهُ جَلَبَ الرَّحْمَةَ عِنْدَ الْمَسِيرِ وَالْإِرْسَاءِ)

الإرساء : الثبات والأستقرار ، يُستعمل لازماً ومتعدياً ، يقال : أرسى الشيء ،

إذا ثبت واستقر ، وأرسيته أنا .

يقول : لقد كذبت ظنونهم ، وساءت آراؤهم ، وأخطئوا قصد السبيل .

إن هذا الإمام الذى ينتظرونه ، والهادى الذى يرجونه ، لبين ظهراً بينهم ،

يأمرهم بالمعروف فلا ياتمرون ، وينهاهم عن الجهل فلا ينتهون ؛ يُرغَّبهم فى

الخير فيصدُّون عنه ، ويُرهَّبهم الشرَّ فيترغَّبون فيه ؛ ذلك هو العقل ، يُخلص

لهم فيستغشُّونه ، ويحدُّ فى نصحهم فيختانونه . أطيعوه أيها الناس تهتدوا ، وأتبعوه

ترشدوا . إنما هو مصدر الرحمة ، ومنشأ النعمة فى السفر والحضر ، وفى الظعن

والإقامة .

٦ (إِنَّمَا هَذِهِ الْمَذَاهِبُ أَسْبَابُ بَعْثِ الْجَنَّةِ الدُّنْيَا إِلَى الرَّؤَسَاءِ)

٧ (غَرَضُ الْقَوْمِ مُتَعَةٌ لَا يَرْقُؤُهَا نَدْمُ الشَّمَاءِ وَالْخُنْسَاءِ)

٨ (كَالَّذِي قَامَ يَجْمَعُ الزَّيْجَ بِالْبَصْرَةِ وَالْقَرَمِطِيَّ بِالْأَحْسَاءِ)

الشماء من النساء : التى استوت قصبه أنفها وأشرفت أرنبته ، وصف

مستحبّ فيهن . والخنساء : التى تأخر أنفها وقصر ، وهو مكروه فيهن . يُشير

بـ « الشماء » إلى الشريفة الرفيعة ، وبـ « الخنساء » إلى الخسيسة الوضيعة .

وكانت العرب تزعم أن هذا الخنّس وذاك الفطّس إنما حدثا فيهم لمداختهم
السّودان وغيرهم من العجم في أنسابهم ومناكحهم .

وأراد بجامع الزّنج : عليّ بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن عليّ بن
الحسين بن عليّ بن أبي طالب . وكان دعيّاً في نسبه . زعم أولاً أنه عليّ بن
محمد بن أحمد بن عيسى ، عليّ ما ذكر ، ثم رجع عن هذا النسب وزعم أنه عليّ
بن محمد بن عبد الرحمن بن رحيب بن يحيى المقتول بخراسان ، ابن زيد بن
عليّ . ولم يكن ليحيى ولدٌ يقال له رحيب ولا غيره ، لأنه قتل وهو ابن ثمان
عشرة سنة ، وكان لا ولد له . وكان هذا المدّعي ، فيما ذكروا ، رجلاً من
عبد القيس ، وأمه امرأة من بني أسد يقال لها فروة ، وكان مولده بالرى . واتصل
في أول أمره بآل المُستنصر ، وأتجّعهم بشعره ، ثم ادّعى أنه من ولد عليّ بن
أبي طالب عليه السلام ، ثم علا أمره وكثر عدده وغلب على البصرة ، وقتل
مُعظم أهلها ، إلى أن حصره الموقّ في مدينته التي كان سمّاها المُختارة ، حتى
أكل الزنج دوابهم . واستأمن آل الموقّ جُلٌّ من كان معه ، وأتى إليه
برأسه . وكان يزعم أن النبوة عرّضت عليه فأبأها . وقال : إنما أبيتها لأن لها
أعباء خفت ألاّ أطيقها . وهو القائل :

لَهَفَ نَفْسِي عَلَى قُصُورٍ بَبَقْدَا دَوْمَنْ قَد حَوْتَهُ مِنْ كُلِّ عَاصِي
وَسُخُورٍ هُنَاكَ تُشْرَبُ جَهْرًا وَرِجَالٍ عَلَى الْمَعَاصِي حِرَاصِ
لَسْتُ بِأَبْنِ الْقَوَاطِمِ الزُّهْرِيَّانِ لَمْ أُجَلِّ الْخَيْلَ بَيْنَ تِلْكَ الْعِرَاصِ

وأراد بـ « القرمطيّ » : أبا القاسم بن ذكرويه صاحب الشامة ، وكان
ينتمي إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام . وخرج في أيام المكتفي بجهة السماوة
سنة تسع وثمانين ومائتين ، فقوى أمره واشتدت شوكته ، ثم قُتل قريباً من

دمشق . ثم خرج أخ له يكنى أبا الحسين وأبن عم له يُعرف بالمدثر ، لادّعائه أنه المراد بقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) فقتل جميعا .

وقيل لهم القرامطة ، لأنهم نُسبوا إلى قرمط بن الأشعث . وكان الذي أصل لهم مقاتلهم . ويقال إن اسم قرمط : سحمان ، وإنه لقب قرمطاً ؛ لأنه كان يُقرمط خطّه ، وقيل : بل كان يُقرمط مشيه ، أى يقارب خطوه . وكان أخذ أصل مقاتله من رجل يقال له الفرّج بن عثمان النّصراني . وكان يزعم أنه داعية المسيح ، وأنه السّكّمة ، وأنه الدّابة المذكورة في القرآن ، والناقة ، وروح القدس ، ويحيى بن زكريّا ، والمهدى المنتظر . وزعم أنّ الصلاة أربع ركعات ، ركعتان قبل طلوع الشمس وركعتان قبل غروبها ، وأنّ القبلة إلى بيت المقدس والحجّ إليه ، والصوم يومان : المهرجان والنّيروز ، والجمعة يوم الاثنين لا يُعمل فيه شغل ، وأنّ التّبئذ حرام والخمر حلال ، ولا غُسل من جنابة ، ولا وضوء للصلاة . وكُلّ من حاربه قتله ، ومن لم يحاربه أخذت منه الجزية . وكان أذانه للصلاة : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ؛ أشهد أن آدم رسول الله ، أشهد أن نوحاً رسول الله ، أشهد أن إبراهيم رسول الله ، أشهد أن موسى رسول الله ، أشهد أن عيسى رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمد بن الحنفية رسول الله . وكان يقرأ في كل ركعة الاستفتاح .

والأحساء : مدينة بالبجّرين ، كان أول من عمرها وحصنها وجعلها قصبة هَجَرَ ، أبو طاهر الحسن بن أبي سعيد الجنّابي القرمطي .

يقول : أيها الناس ، إنكم لا تنتظرون إماماً معصوماً ، ولا تزجون هادياً موقفاً ، وإنما هي بدع مُنتحلة ، ومذاهب مُختَرعة ، اتخذتموها أسباباً تصلون بها بين رؤسائكم وبين الدنيا ، وجعلتموها طرقاتاً تُرضون بها تلك النفوس التي

لا تَرْضَى ، والأهواء التي لا تقنع ، لا يصدكم عن ذلك رحمة ولا تعوقكم عنه رافة . لا تباكون أظلمت قوياً أم ضعيفاً ، ولا تحفلون أعسقتم رجلاً أم امرأة . كل ذلكم عندهم سواء في مَرَضَةِ الرُّسَاءِ ، ذلك شأن زعيمكم الذي جمع الزنج بالبصرة ، فأفسدوا فيها ولم يصلحوا ، وأساءوا ولم يُحسنوا ، رَوَّعوا القَدْرَاءَ في خدرها ، وأزعجوا الآمن في سِرِّه . وذلك شأن زعيمكم القرمطيّ بالأحساء ، جمع أوشاب الناس وقماتهم ، فأزعج الحاج ، وأتتهك حرمة البيت ، وأهدر دماء معصومة ، وأزهد نفوساً محرمة ، كل ذلك ليرضى نفساً زاهدةً إلا في الشر ، راغبةً إلا في المنكر .

٩ (فانفرد ما استطعت فالقائل الصّا دِقُّ يُضْحِي ثِقَلًا عَلَى الْجُلَسَاءِ)

الثقل ، بالكسر : الحمل . وبفتح القاف : نقيض الخفة .

يقول : ولكن هل يُجدي النصح ؛ وهل تنفع الموعدة ؟ وهل يُحتمل قول الحق ؟ إلا أنّي أعظك أيها المصلح الحكيم أن تعزل الناس وتخلّي بينهم وبين ما يشتهون . فما أعرف أنقل عليهم من كلمة حق ، ولا أنفض إليهم من دعوة إلى خير .

اللزومية الخامسة والعشرون

وقال أيضاً في الهزمة المكسورة مع الصاد :

- ١ (أَوْصَيْتُ نَفْسِي وَعَنْ وَدَنْصَحْتُ لَهَا فَمَا أَجَابَتْ إِلَى نُصْحِي وَإِيصَائِي)
- ٢ (وَالرَّمْلُ يُشْبَهُ فِي أَعْدَادِهِ خَطِيئِي فَمَا أَهْمُ لَهُ يَوْمًا بِإِحْصَاءِ)
- ٣ (وَالرِّزْقُ يَأْتِي وَلَمْ تَبْسُطْ إِلَيْهِ يَدِي سَيَّانٍ فِي ذَاكَ إِذْنَائِي وَإِقْصَائِي)
- ٤ (لَوْ أَنَّهُ فِي الثَّرِيَاءِ وَالسَّمَاءِ أَوْ الشُّعْرَى الْعَبُورِ أَوْ الشُّعْرَى الْغَمِيضَاءِ)

سيان ، بمعنى سواء . يقال : هما سيَّان وهم أسواء . وقد يقال : هم سيّ ، كما يقال : هم سواء . قال الشاعر :

وَهُمْ سَيٌّ إِذَا مَا نُسَبُّوا فِي سَنَاءِ الْمَجْدِ مِنْ عَبْدِ مَنْفٍ
 قَالَ ابْنُ سَيْدِهِ : السِّيَّانُ ، الْمِثْلَانُ : الْوَاحِدُ : سَيٌّ . قَالَ الْخَطِيبَةُ :
 فَإِنِّيَا كَمْ وَحْيَةً بَطَّنَ وَاذٍ هَمُوزَ النَّابِ لَيْسَ لَكُمْ بَسِيٌّ

وَالثَّرِيَاءُ : نَجْمٌ . وَقَدْ مَرَّ (١) . وَالسَّمَاءُ : أَحَدُ سَمَاكَيْنِ . نَجْمَيْنِ نَيْرَيْنِ ، أَحَدُهُمَا السَّمَاءُ الْأَعْزَلُ ، وَالْآخَرُ السَّمَاءُ الرَّامِحُ . وَيُقَالُ : إِنَّهُمَا رِجْلَا الْأَسَدِ . وَالَّذِي هُوَ مِنْ مَنَازِلِ الْقَمَرِ : الْأَعْزَلُ ، وَبِهِ يَنْزِلُ الْقَمَرُ ، وَهُوَ شَامٌ ، وَسُمِّيَ أَعْزَلًا ، لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكَوَاكِبِ ، كَالْأَعْزَلِ الَّذِي لَا رُمُحَ مَعَهُ . وَقِيلَ : سُمِّيَ أَعْزَلًا ، لِأَنَّهُ إِذَا طَلَعَ لَا يَكُونُ فِي أَيَّامِهِ رِيحٌ وَلَا بَرْدٌ ، وَهُوَ أَعْزَلُ مِنْهَا . وَهُوَ مِنْ كَوَاكِبِ الْأَنْوَاءِ ، وَطُلُوعُهُ مَعَ الْفَجْرِ ، يَكُونُ فِي تَشْرِينِ الْأَوَّلِ . وَالرَّامِحُ لَيْسَ مِنْ مَنَازِلِ الْقَمَرِ ، لَا نَوْءَ لَهُ ، وَهُوَ إِلَى جِهَةِ الشَّمَالِ . وَالشُّعْرَى : كَوْكَبٌ نَيْرٌ يُقَالُ لَهُ

(١) انظر شرح البيت الخامس من اللزومية ١٦ ص ١٢١ من هذا الجزء .

المرزَم ، يطلع بعد الجوزاء . وطلوعه في شدّة الحر . وهما شعريان : العبور التي في الجوزاء ؛ والغميصاء التي في الذراع ، تزعم العرب أنهما أختا سهيل . وسميت العبور ، لأنه يقال إنها عبرت السماء عرضاً ، ولم يعبرها عرضاً غيرها . وسميت الأخرى الغميصاء ، لأن العرب قالت في أحاديثها : إنها بكت على إثر العبور حتى تمصت .

يقول : ما أشدّ بغضَ النفس للنصيحة ؛ وأمتناعها على الإرشاد ! لقد نصحت لها مخلصاً ، وأوصيتها صادقاً ، فما سمعت لي ، وما أصغت إليّ . وهي بعد ذلك كثيرة الخطأ ، حمة الزلل ، لا يبلغ الإحصاء أغلاطها ، ولا ينال العدوّ زلاتها . غافلة عن الحق ، بصيرة بالباطل ، زاهدة في القصد ، حريصة على الإسراف . تكذب وتشتق ، وتتكلف السعي والمشقة ، في سبيل الرزق . ولو أنها ودعت وأطمأنت لجاءها رزقها المقدور ، ونصيبها المقسوم ؛ سواء نأى عنها مكانه أم دنا ، وسواء قرّب أم بعد . ولكنّ العناد مطيّة الألم ، وسبيل العناء .

اللزومية السادسة والعشرون

وقال أيضاً في الهمزة المكسورة مع الميم :

- ١ (الْقَلْبُ كَالْمَاءِ وَالْأَهْوَاءُ طَافِيَةٌ عَلَيْهِ مِثْلَ حَبَابِ الْمَاءِ فِي الْمَاءِ)
 ٢ (مِنْهُ تَنَمَّتْ وَيَأْتِي مَا يُغَيِّرُهَا فَيُخْلِقُ الْعَهْدُ مِنْ هِنْدٍ وَأَسْمَاءِ)

الأهواء ، واحدها هَوَى ، مقصور . وإذا أضفته إليك قلت : هَوَى . قال ابن بَرِّي : وجاء « هوى النفس » ممدود في الشعر . قال الشاعر :

وهان على أسماء إن شطت النوى تحنُّ إليهم — والهواء يتوقُّ

قال ابن سيده : الهوى : العشق ، يكون في مداخل الخير والشر . وقال الأزهرى : هو محبة الإنسان وغلبته على قلبه . ومتى تكلم بالهوى مطلقاً لم يكن إلا مذموماً ، حتى يُنعت بما يُخرَج معناه .

وقد انتصب « مثل » على الحال . ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف تقديره « طفواً مثل طفو حباب » فأقام الصفة مقام الموصوف والمضاف إليه مقام المضاف . والحباب : معظم الماء ، وفقاً لقيمه : التي تطفو عليه ، وطرأته ، وأمواجه . وتنمت : زادت وربت . وأخلق : بلى . وهند وأسماء ، من الأسماء التي شبت بها الشعراء . يريد أن صُروف الدهر وخُطوبه تُذهل المُحبَّ عن محبوبه ، كما قد يُريد أن الإنسان إذا جرب الأيام وعلم تصاريفها أفلح عن غيِّه وضلاله . وهذا بمنحى أبى العلاء الصق .

يقول : مثل النفس الإنسانية — ثبتت طبيعتها لا تتغير ، واستقرت أصولها لا تتبدل ، ثم عرضت لها من الحياة مظاهر أثرت فيها فغيرت أهواءها ، وبدلت شهواتها ، تغييراً لا يلبث أن يزول — مثل البحيرة المهادنة والغدير الساكن عصفت

بهما الريح فهاجت أواجهما ، وأنشأت على سَطْحَيْهِمَا من الحُبابِ كُرَاتٍ
لا تلبث أن تزول بسكون الريح .

ذلك مثلُ صادقِ لِنَفْسِ الإنسانِ الثابتةِ وأهوائه المتغيرةِ ، عنها صدرت تلك
الأهواءُ ، فَخَيَّلَ إليك أنها باقية بقاءها ، ثابتة ثباتها . ولكنك لا تلبث أن
ترى حالاً طارئةً ، وهوئى جديداً . لقد كنت تُحِبُّ أسماءَ وتكَلِّفُ بها ،
وتعتقد أن غرامك بها باقٍ بقاء الدهرِ خالدٍ خلود الزمانِ . فإذا طُويلَ الأمدِ
وأختلف ألوان الحياة قد عَيَّبَتْ بهذا الغرامِ فغيره ، وأخذ يحويه من قلبك قليلاً
قليلاً ، ويُجِلُّ مكانه غراماً طريفاً . ثم أصبحتَ وقد نَسِيتَ أسماءَ وأصبحت
بهذا كَليفاً مشغوقاً . وما أراك إلا سالكاً بهذا الحُبِ الجديدِ سَبِيلَكَ في ذلك
الحُبِّ التَّليدِ .

٣ (وَالْقَوْلُ كَالْخَلْقِ مِنْ سَيِّئٍ وَمِنْ حَسَنٍ وَالنَّاسُ كَالدَّهْرِ مِنْ نُورٍ وَظَلَمَاءٍ)

من ، ها هنا : بمعنى بين . تقول العرب : جاء القوم من فارس وراجل ، أى
بين فارس وراجل . وأصل « سَيِّئٍ » . سَيِّئٌ ، بالتشديد ، ثم خُفِفَ ، كما يقال في
« هَيِّنْ » هَيِّنْ .

يقول : أجل ، ليس في العالم طريف ولا في الحياة جديد ، وإنما العالم والحياة
مظاهر يماثل بعضها بعضاً . فالأقوال مرآة الناس ، منها السيئُ والحسنُ ؛ والناس
مرآة الأيام ، ثابتة في نفسها متغيرة في شكلها ، منها الظلمة والنور ، ومنها الليل
والنهار ؛ ظاهر متغير ، وطبيعة ثابتة دائمة . ضياء يملأ النفوس انشراحاً ، وظلمة
تملؤها أنقباضاً ، والحقيقة واحدة . فَلكَ يدور بالخير والشر ، ويجرى
بالسعد والنحس .

٤ (يُقَالُ إِنَّ زَمَانًا يَسْتَقِيدُ لَهُمْ حَتَّى يُبَدَّلَ مِنْ بُؤْسٍ بِنَعْمَاءٍ)
 ٥ (وَيُوجَدُ الصَّقْرُ فِي الدَّرَمَاءِ مُعْتَقِدًا رَأَى أَمْرِي الْقَيْسِ فِي عَمْرٍو بْنِ دَرَمَاءٍ)

يستفيد : يتأتى وينفاد ، كما يستفيد البعير إذا قيد . والدَّرَمَاءُ : الأرنب .
 وعمرو بن درماء : رجل من ثعل ، نزل عليه أمرؤ القيس عند طلبه المنذر بن ماء
 السماء . وقد مرَّ حديث ذلك ^(١) . يشير أبو العلاء إلى ما يقوله الشيعة من أن
 إمامهم المنتظر إذا ظهر ملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً ، وأبدلهم من البؤس
 بالنعماء ، وذهبَ بما في الصدور من الحقد والشحناء ؛ حتى تأمن الأرنب من سَطوة
 الصَّقر ، كما آمن امرؤ القيس حين استجار بعمرو بن درماء .

وكان السياق يقتضى : رأى عمرو فى امرى القيس ؛ فعمرو ، هو المشبه بالصقر ،
 وامرؤ القيس ، هو المشبه بالأرنب ، فقلب إذ مراده مفهوم .

يقول : لم أر أشدَّ مُحِقًا ولا أكثر بَلَهًا من قوم ظنُّوا تغيُّر الزمان وتبدُّل
 الأيام ، وانتظروا أن تُطيعهم حركة الفلك فتستحيل من شرِّ إلى خير ، ومن بُؤس
 إلى نعيم ، إذ ذاك تصلح النفوس الفاسدة ، وتصحُّ الطبائع المريضة ، وتملأ
 الأرض عدلاً ، كما ملئت جوراً ، وتسكن الأرنب إلى السبع ، ويأنس العصفور
 إلى الصَّقر . خيال ما أبعده من الحقِّ ، وأدناه من المحال .

٦ (وَلَسْتُ أَحْسَبُ هَذَا كَائِنًا أَبَدًا فابْنِ الْوُرُودِ لِنَفْسِ ذَاتِ أَظْمَاءٍ)

الأظماء : جمع ظمأ ، وهو العطش . وجمع . ظمء ، وهو ما بين الشرب إلى
 الشرب . وكلاهما جائز هنا .

(١) انظر شرح البيت ٢٨ من اللزومية ١٦ ص ١٣٢ من هذا الجزء .

يقول : ألا لا يَخْدَعَنَّكَ هذا الوهم ، ولا يَفْرُقَنَّكَ هذا الأمل ؛ إنما العالم على حاله : خيرٌ يُمازجه شرٌّ ، ونعيمٌ يَشُوبُهُ بُؤْسٌ . فلا تُحَاوِلْ له تَغْيِيرًا ، ولا تَطْلُبْ له تَبْدِيلًا . ولكن إن استطعت أن تَرِدَ بِنَفْسِكَ الصَّادِيَةَ مَنَاهِلَ الْخَيْرِ عَذْبَةً ، وشرائعَ الفَضِيلَةِ صَافِيَةً ، فافعلْ فأنْتَ المَوْفُوقُ السَّعِيدُ .

اللزومية السابعة والعشرون

وقال أيضاً في الهمزة المكسورة مع الطاء :

١ (السَّاعُ آئِيَةُ الْحَوَادِثِ مَا حَوَتْ لَمْ يَبْدُ إِلَّا بَعْدَ كَشْفِ غِطَائِهَا)

الساع : جمع ساعة ، وهي الجزء من أجزاء الليل والنهار . قال القُطامي :

وَكُنَّا كَالْحَرِيقِ لَدَى كِفَاحٍ فَيَخْبُو سَاعَةً وَيَهْبُ سَاعًا

والآنية : جمع إناء ، وجمع الآنية : الأواني . والألف في « آنية » مبدلة من الهمزة وليست بمخففة عنها ، لانقلابها في التكسير واواً . ولولا ذلك لحكم عليه دون البدل ، لأن القلب قياسي والبدل موقوف .

يقول : إنما الزمان إناء مُفعم بالحوادث ، مملوء بالعبّر والمواعظ ، مُحجب لا تَرى ما فيه العيون ، ولا تبلغه الظنون ، حتى يُزج ستره ويُبيح سِرّه . وهو متصل الحركة مُتشابه الأجزاء ، ليس بين ساعاته تباين ، ولا بين آنائه اختلاف .

٢ (وَكَأَنَّمَا هَذَا الزَّمَانُ قَصِيدَةٌ مَا اضْطَرَّ شَاعِرُهَا إِلَى إِطَائِهَا)

٣ (لَيْسَتْ لِيَا لِيهِ مُحِسَّةٌ كَأَنَّ وَصِفَتْ بِسُرْعَتِهَا وَلَا إِطَائِهَا)

الإيطاء في الشعر : أن تتفق قافيتان على كلمة واحدة معناها واحد . فإن أتفق اللفظ وأختلف المعنى فليس بإيطاء . وقال الأخصس : هو ردُّ كلمة قد قفّيتَ بها مرة ، نحو قافية على « رجل » وأخرى على « رجل » في قصيدة ، فهذا عيب عند العرب لا يختلفون فيه ، وقد يقولونه مع ذلك .

قال ابن جني : ووجه استباح العرب الإيطاء ، أنه دال عندهم على قلة مادة الشاعر ونزارة ما عنده ، حتى يضطر إلى إعادة القافية الواحدة في القصيدة بلفظها ومعناها ، فيجري هذا عندهم مجرى العي والحصر . وقال أبو عمرو بن العلاء : الإيطاء ليس بعيب في الشعر عند العرب . وقال ابن سلام الجمحي : إذا كثر الإيطاء في قصيدة مرّات فهو عيب عندهم .
وأصله أن يطأ الإنسان في طريقه على أثر وطء قبله ، فيعيد الوطاء على ذلك الموضع .

يقول : ما أشبه الزمان في ذلك إلا بالقصيدة الجيدة من الشعر قد استقامت للشاعر قوافيها وانقاد له رويها ، فلم يجنح إلى إيطاء . وهو معتدل السير ليس له استقرار ، وليس يوصف بسرعة ولا بطء ، وليس يملك إنسان رياضته ، ولا يستطيع أحد أن يحمله على أن يمضي حثيثاً أو مترثماً . ذلك شأن الزمان وهذه صفاته ، كلها لازمة لطبعه ، ملائمة لمزاجه ، ليس لأحد أن يغيّر فيها أو يبدّل منها .

٤ (وَالْمِصْرَ آنَسُ مِنْهُ خَرَقُ مَفَازَةٍ أَنَسَ الدَّلِيلُ بِقَافِيهَا مَعَ طَائِبَهَا)

المصر ، في كلام العرب : كل كورة تُقام فيها الحدود ويُقسّم فيها الفتيء والصدقات من غير مؤامرة للخليفة . والمفازة : البرية القفر . وقيل : هي من الأرضين ما بين الرّبع من وِرد الإبل ، من الغب من وِرد غيرها من سائر المشية . وقال ابن شميل : المفازة : التي لا ماء فيها وإذا كانت لليلتين لآماء فيها فهي مفازة ، وما زاد على ذلك كذلك . وأما الليلة واليوم فلا يعد مفازة . قال ابن الأعرابي : وسميت مفازة لأن من خرج منها وقطعها فاز . وأراد بالقاف مع الطاء : القفا ، وهو طير . وقد سبق التعريف به (١) .

(١) انظر شرح البيت ١٤ من اللزومية الأولى ص ٦٠ من هذا الجزء

يقول : فأما المكان ، فأحقه أن يأنس إليه العاقل ويرغب فيه الحكيم تلك الصحراء المقفرة ، والبيداء الموحشة ، يأنس فيها الدليل في ظلمة الليل إلى القطة ، وفي ضوء النهار إلى لمعان الآل . هذه الفلاة الموحشة الغامرة آنس من المدينة الآهلة الغامرة ، تلك يخلو فيها الحكيم إلى نفسه مُعتباً بخيرها مُصلحاً لشرها ، لا يسمع فيها أذاة ولا لغوا ، ولا يرى فيها مُنكراً ولا عيباً ؛ وهذه يُقيم فيها العاقل على أشد النارين حرّاً ، وأعظمهما شراً : فإما أن يشهد مصرع الحق ومقتل الفضيلة بين يدى الباطل والرذيلة ، ويظلّ معقود اللسان مضطرب الجنان ، رغبةً في رضا الناس ورهبة من غضبه ؛ وإما أن ينصر الحق المغلوب ويؤيد الفضيلة المقهورة ، فيلقى ما شاء الجهل من أذاة ، ويقاسى ما أحبّ النى من ألم ، دون أن يظفر بحاجة أو يصل إلى غاية .

٥ (وَسِيَّهَامٌ دَهْرِكٌ لَا تَزَالُ مُصِيبَةً صُرِفَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ عَنِ إِخْطَائِهَا)

الإخطاء ، من أخطأ السهم الغرض ، إذا لم يُصبه ، ومثل «أخطأ» في ذلك خطي .

يقول : في هذا الزمان تعيش ، وفي هذه المدينة تحيا ، ليس لك من هذا بُدّ . مكانٌ قلق ، وزمانٌ نزق ، ولكنه صائب الرمية لا يطيش سهمه ، ولا يخطئ نصله .

٦ (إِنَّ الْمَوَاهِبَ كُلَّهَا عَارِيَةٌ وَمِنَ السَّفَاهَةِ غِبْطَةٌ بَعْطَائِيَّ)

العارية ، منسوبة إلى العارة ، وهو اسم من الإعارة . تقول : أعرتُه الشيء أعيره إعارة وعارة . كما قالوا : أطعته إطاعة وطاعة ، وأجبتُه إجابة وجابة . وهذا كثير

في ذوات الثلاث، منها : العارة ، والدارة ، والطاقة، وما أشبهها . وقال الجوهريّ :
 العارية ، بالتشديد ، كأنها منسوبة إلى العار ، لأن طلبها عار و عيب ، وأنشد :
 إنما أنفسنا عارية والعواريّ قصارٌ أن تُردّ

يقول : فإن كان في هذه الحياة ما يسرّ ، من مواهب تُعلى القدر ، وتُبعد
 الصيت ، فما أحسب هذا إلا غُروراً بالباطل وافتتاناً بالزور . فإنّ تلك المواهب
 عارية مردودة ، ودين لا بُد أن يُقضى . ولن يستردّ منك هذه العارية ، ولا يتقاضى
 منك هذا الدين ، إلا الموت . وحسبك بالموت موقظاً للنائم ، ومنبهاً للغافل .

الهمزة الساكنة

اللزومية الثامنة والعشرون

وقال أيضاً في الهمزة الساكنة مع الباء :

١ (ما خَصَّ مِصْرًا وَبَاءً وَحَدَّهَا بَلْ كَأَنَّ فِي كُلِّ أَرْضٍ وَبَاءً)

مصر ، تُذكَرُ وتؤنَّثُ ، وتُصْرَفُ ولا تُصْرَفُ . وفي قوله تعالى : « اهْبِطُوا مِصْرًا » قال سيبويه : بلغنا أنه يريد مصر بعينها . وقال أبو إسحاق : فيه وجهان ، جائز أن يُراد بها مصر من الأمصار ، لأنهم كانوا في تيه ، وجائز أن يكون أراد مصر بعينها ، فجعل مصرًا اسمًا للبلد ، فصرف لأنه مُذكَرٌ . ومن قرأ « مصر » بغير ألف أراد « مصر » بعينها كما قال : (ادخلوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ) ولم يصرف لأنه اسم المدينة ، فهو مذكَّرٌ وسُمِّيَ به مؤنَّثٌ .

والوبأ : الطاعون ، بالقصر ، والمد والهمز . وقيل : هو كل مرض عام . وفي الحديث : « إن هذا الوباء رجز » . وجمع المقصور : أوباء . وجمع المدود : أوبية ، وظاهر أنه أراد بهذا الوبأ الذي نزل بمصر ما كان أيام ولاية المستنصر بالله أبي تميم معدّ الفاطمي ، الذي بقي في الخلافة نحواً من ستين سنة . فقد تولّاها وهو ابن سبع سنين سنة ٥٤٢٧ هـ . وتوفي سنة ٥٤٨٧ هـ . وفي ذلك يقول أبو المظفر : « وعاش المستنصر سبعا وستين سنة وخمسة أشهر في الهزاهز والشدائد والوباء والغلاء » . وقبل أبي العلاء تعرضت مصر غير مرة لألوان من الوباء .

وعاصر أبو العلاء جزءاً من هذه الحِقْبَةِ ، حقبة المستنصر . إلا أنه مات قبل أن تبلغ الأيام شدتها في آخر عهد المستنصر ، ولعله يشير في عجز البيت إلى

الطاعون الذي حل بشيراز ، ثم واسط وبغداد والبصرة والأهواز وغيرها سنة ٤٢٦ هـ . ، ومن قبله الطاعون الذي حل ببلاد الهند والعجم وجزنة وخراسان وجرجان والري وأصبهان ، وامتد إلى الموصل والجزيرة وبغداد سنة ٤٢٣ هـ .

يقول : لقد طالما تحدّث الناس وامتلاّت كُتُب التاريخ بما اختصت به مصر من وباء ، يغير على أهلها حيناً بعد حين ، ويفتك بهم آنأً بعد آن . حتى أصبحت هذه الشمعة لمصر كأنها طبيعة لا تبرح ، وصيفة لا تزول . ولا يشاركها فيها بلد آخر من البلاد . خطأ كبير ووهم فاحش ؛ فإنه لم تخل مدينة من المدن من وباء مُغيّرٍ أو داء فاتك ، وأية محلّة خلّت من الموت ؟ وأى منزل برىء من الرّدى ؟ وهل تعرف أشدّ من الموت داء ؟ وأخوف من الرّدى وباء ؟

- ٢ (أَنْبَأَنَا اللَّبُّ بَلْقِيَا الرَّدَى فَالْعَوْتُ مِنْ صِحَّةِ ذَاكَ النَّبَأِ)
 ٣ (هَلْ فَارِسٌ وَالرُّومُ وَالتُّرْكُ أَوْ رَيْبَعَةٌ أَوْ مُضَرٌّ أَوْ سَبَأٌ)
 ٤ (نَاجِيَةٌ فِي عِزِّ أَمْلَاكِهَا أَنْ يُظْهَرَ الدَّهْرُ لَهَا مَا خَبَأَ)
 ٥ (وَمِنْ سَجَايَا نَبَلِهِ أَنَّهَا كُلُّ قَتِيلٍ قَتَلَتْ لَمْ يُبَأْ)
 ٦ (إِنْ سَارَ أَوْ حَلَّ الْفَتَى لَمْ يَزَلْ يَلْحَظُهُ الْمِقْدَارُ بِالْمُرْتَبَأِ)

اللّقبيا ، بالضم : اسم من اللّقاء .

والرّدى : الهلاك ، بفتح الدال ؛ وبكسرهما : الهالك . والعوّث : الاسم من « استعاث » بمعنى صاح ؛ واغوثاه . ومثله الغواث ، بالضم والفتح . وجائز أن يكون « العوّث » اسمٌ وُضع موضع المصدر من « أعاث » . وفي حديث هاجر أم إسماعيل : « فهل عندك غواث » . وهو منصوب على الإغراء .

وأراد بـ « فارس » وما بعدها التمثيل بمختلف من الأجناس لا الحصر .

و « ناجية » خبر لـ « فارس » وما عطف عليها في البيت السابق . وهذا من الشعر المضمن ، وهو ما لم يتم معناه إلا في البيت الذي بعده . قال ابن سيده : وليس بعيب عند الأخفش ، وألا يكون تضمينٌ أحسن . وقال ابن جني : التضمين مذهب تراه العرب وتسنجزه ، وله وجهان : أحدهما السماع والآخر القياس . أما السماع فلكثرة ما يرد عنهم من التضمين . وأما القياس فلأن العرب قد وضعت الشعر وضعا دلت به على جواز التضمين . وذلك ما أنشده صاحب الكتاب من قول الربيع بن ضبع الفزاري :

أصبحت لا أحمل السلاحَ ولا أملك رأسَ البعير إن نَفَرَا
والذئبَ أخشاه إن مررتُ به وحَدَى وأخشى الرياحَ والمطَرَا

فَنَصَبَ العرب « الذئب » هنا واختيار النحويين له من حيث كانت قبله جملة مركبة من فعل وفاعل ، وهي قوله « لا أملك » يدل على جرّيه عند العرب والنحويين جميعاً مجرى قولهم : ضربت زيدا وعمراً لقيته ، فكأنه قال : ولقيتُ عمراً ، لتجانس الجملتين في التركيب . فلولا أن البيتين جميعاً عند العرب يجريان مجرى الجملة الواحدة لما اختارت العرب والنحويون جميعاً نصب « الذئب » . ولكن دلّ على اتصال أحد البيتين بصاحبه ، وكونهما معاً كالجملتين المعطوفين بعضها على بعض . وحُكِمَ المعطوف والمعطوف عليه أن يجريا مجرى العقدة الواحدة .

وأَمَلَاكُ : جمع قلة ، ملك ؛ والكثير : مُلُوكٌ . والسَّجَايا : جمع سَجِيّة . وهي الطبيعة والخلق . وقيل : هي الطبيعة من غير تكلف . والنَّبَلُ : السهام ، وقيل : السهام العربية . وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها ، فلا يقال : نَبْلَةٌ ؛ وإنما يقال : سهم ونسابة . وقال أبو حنيفة : وقال بعضهم واحدتها نبلة . قال ابن منظور :

والصَّحِيحُ أَنْ لَا وَاحِدَ لَهُ إِلَّا السَّهْمُ . وَحُكِيَ : نَبَلٌ ، وَنُبْلَانٌ ، وَأَنْبَالٌ ،
وَنِبَالٌ .

وَلَمْ يُبَيَّنْ : لَمْ يُقْتَلْ . يَقُولُ : بَاءَ فُلَانٍ بِفُلَانٍ ، أَيْ قَتَلَ بِهِ . وَبَاءَهُ بِهِ وَأَبَاءَهُ :
قَتَلَهُ بِهِ وَصَيَّرَ دَمَهُ بَدَمَهُ . وَالْمِقْدَارُ : الْمَوْتُ . قَالَ الشَّاعِرُ :

لَوْ كَانَ خَلْفَكَ أَوْ أَمَامَكَ هَائِبًا بَشْرًا سِوَاكَ لَهَابَكَ الْمِقْدَارُ

وَقَالَ اللَّيْثُ : الْمِقْدَارُ : اسْمُ الْقَدَرِ ، إِذَا بَلَغَ الْعَبْدُ الْمِقْدَارَ مَاتَ .
وَالْمُرْتَبَأُ : الْمُرْتَفِعُ تَرْتِبُهُ ، أَيْ تَعْلُوهُ وَتَصْعَدُهُ لِتَرْقُبٍ مِنْ فَوْقِهِ . وَالجَارُّ وَالْمَجْرُورُ
فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ « الْمِقْدَارِ » . جَعَلَ « الْمِقْدَارُ » بِمَنْزِلَةِ الرَّيْبِيَّةِ وَالطَّلِيعةِ .

يَقُولُ : لَقَدْ حَدَّثْنَا الْعَقْلُ وَصَدَّقَهُ التَّارِيخُ بِأَنَّ الْمَوْتَ لَنَا غَايَةً ، وَالْحَمَامَ إِنَّا
نَهَايَةٌ ؛ لَمْ تَسَلَمْ مِنْهُ أُمَّةٌ ، وَلَمْ يَأْمَنْ مِنْهُ جَيْلٌ . يَرْمِي فَلَا يُخْطِئُ ، وَيَقْتُلُ فَلَا يُبَاءُ ،
لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَطْلُبَ إِلَيْهِ ثَارًا ، وَلَا أَنْ يَقْضِيَ مِنْهُ وَتَرًا ، قَدْ اتَّخَذَ لَهُ مَرَابِئُ
يَرْقُبُ مِنْهَا صَيْدَهُ ، وَيَرْبَأُ مِنْهَا . فَلَيْسَ يُنْجَى الْفَتَى مِنْ سَهْمِهِ إِقَامَةً وَلَا ظَنًّا ،
وَلَيْسَ يَحْمِيهِ مِنْ نَصَلِهِ حِلٌّ وَلَا رَحِيلٌ .

اللزومية التاسعة والعشرون

وقال أيضاً في الهمزة الساكنة مع القاف :

١ (تَقْوَاكَ زَادُ قَاعَتَقِدْ أَنَّهُ أَفْضَلُ مَا أَوْدَعْتَهُ فِي السَّقَاءِ)

السقاء : جلد السَّخْلَةِ إذا أُجْذِعَ ، ولا يكون إلا للماء . وقال ابن السَّكَيْتِ :
يكون للبن والماء .

والوطب ، للبن خاصة ؛ والنَّحَى ، للَسْمَنِ ؛ والقِرْبَةِ ، للماء . واجمع القليل :
أَسْقِيَةٌ ، وأَسْقِيَاتٍ ؛ والكثير : أَسَاقٍ . أقام الزَّاد والسقاء مقامَي الرُّوح والجسد .
يقول : الْجِدَّةُ الْجِدَّةُ فِي التَّقْوَى وَإِثَارَ الْخَيْرِ . والحِرْصَ الحِرْصَ عَلَى طَهَارَةِ
اليد وصفاء القلب ؛ فَإِنَّ التَّقْوَى خَيْرٌ مِمَّا أَحْرَزْتَهُ لِنَفْسِكَ مِنْ زَادٍ ، وَأَفْضَلُ
مِمَّا ادَّخَرْتَهُ لَهَا مِنْ بَقِيَّةٍ .

٢ (آهِ غَدًا مِنْ عَرَقٍ نَازِلٍ وَمُهْجَةٍ مُوَلَعَةٍ بَارْتِقَاءِ)

المُهْجَةُ : دَمُ الْقَلْبِ ، وَقِيلَ : الدَّمُ ؛ وَقِيلَ : الرُّوحُ . وَإِلَى هَذَا الْأَخِيرِ قَصَدَ
أَبُو الْعَلَاءِ . وَمُوَلَعَةٌ : مُعْرَاةٌ . يُشِيرُ إِلَى نَزْوَعِ الرُّوحِ لِلخَلَّاصِ مِنْ أَسْرِ الْجَسَدِ .
وَطَابَقَ بَيْنَ « النَّزُولِ » وَ« الْارْتِقَاءِ » . وَالْأَوَّلُ لِلجِسْمِ ، وَالثَّانِي لِلرُّوحِ . وَأَرَادَ
بِـ « غَدٍ » يَوْمَ الْمَوْتِ . وَجَعَلَ الْعَرَقَ النَّازِلَ لِشِدَّةِ . يُشِيرُ إِلَى مَا يَعْانِي الْجِسْمَ عِنْدَ
سَكْرَةِ الْمَوْتِ .

أولعه أراد إلى حالى الجسم والروح مع الموت ، فذاك يسيل مُسْفِلاً ، وتلك
تنزع مُصْعِدة .

يقول : أَوْه ، كم يملأ قلبي الفزع ، وكم يملكه الملح حين أذكرُ الغد ، ذلك اليومَ الذي نَبَّئُونَا به ، وخَوْفُونَا إِيَّاه . يوم يتصبب العرق تصببَ الماء ، ويوم تذوب الأكبَاد وتَبْلُغ القلوب الحَنَاجِر . لقد أَذْهَلَ حينما أذكرُ ذلك اليوم ، وأرى ما عَلِقَ بنفسى من الشرِّ ، وما ران على قَاجِي من السُّوء .

٣ (تَوْبِي مُحْتَاجٌ إِلَى غَاسِلٍ وَلَيْتَ قَلْبِي مِثْلَهُ فِي النَّقَاءِ)

أراد بـ « الثوب » الجسد . وقد يكون الخبر على وجهه ، وهو الإفادة بدنس الجسم وَعَوْرَه إلى ما يغسل عنه أدرانه . كما قد يكون ألقاه لغرض التعجب من غسل جسم الميت ، وكانت الروح بذلك أولى ، ولكن أُنِّي السبيلُ إلى ذلك . يقول : لقد يحتاج الثوب تلبسه إلى غاسل يُزيل دَنَسَه ويردّه نَقِيًّا نظيفًا ، ولو أن لقلبي من النَّقاء والصفاء ما لهذا الثوب الذي يَكْدُر وَيَصْفُو ، وَيَدْنَس وَيَنْظَف ، لمَحتُ العاقبة ، ولرجوتُ حُسْنَ المآب .

٤ (مَوْتُ يَسِيرٌ مَعَهُ رَاحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الْيُسْرِ وَطُولِ الْبَقَاءِ)

اليسير : الهين ، وقد لا يراد بالوصف تخصيص حال من حالات الموت بالفضل ، وإنما هو لاستغراق أحوال الموصوف . فكأنه قال : الموت يسير . كما قد تُراد حال من أحوال الموت تُفارق عليها النفسُ مُطمئنَةً بما عملت ، مستريحة لما قدمت . واليُسْر : ضدُّ العُسْر ، وهو خَفْضُ العيش والغنى .

يقول : ما أَلَدَّ الموتَ اليسيرَ تَدْبِعُه الراحةُ الباقية ، وما أَعَذَبَ مذاقَه . لقد أَوْثَرَه على العيش الرَضَىِّ والبالِ الهَيِّئِ ؛ ذلك لا يشوبه كَدْر ولا يناله تَنْغِيصٌ ، وهذا عُرْضَةٌ لما ينبغي أن يَحْذِرَ العاقلُ من خَطْبِ الزمان .

٥ (وَقَدْ بَلَوْنَا الْعَيْشَ أَطْوَارَهُ فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ غَيْرَ الشَّقَاءِ)

بلا الشيء يبلوه : جَرَّبَهُ وأَخْتَبَرَهُ . والأطوار : الأحوال والضروب ؛ الواحد : طَوْر .

يقول : لقد بَلَوْنَا العيش أطواره ، وحَلَمْنَا الدهر أشطُرَه ، فلم نَبْلُ إِلَّا مُرًّا ، ولم نَلِقْ إِلَّا شَرًّا ، ولم نَشْهَدْ غَيْرَ الشَّقَاءِ .

٦ (تَقَدَّمَ النَّاسُ فِيَا شَوْقَنَا إِلَى اتِّبَاعِ الْأَهْلِ وَالْأَصْدِقَاءِ)

٧ (مَا أَطْيَبَ الْمَوْتَ لَشُرَّابِهِ إِنْ صَحَّ لِلْأَمْوَاتِ وَشَكُّ التَّقَاءِ)

تقدّم : سبق . و « يا شَوْقَنَا » ، التركيب للندبة ، والمراد إظهار اللفظة والتعشّر .

والشُّرَاب : جمع شارب ؛ يعنى الذين يذوقونه ويتجرّعونه . وشكُّ التقاء ، بالفتح : أى سرعة التقاء . وتُضَمُّ فيه الواو وتكسر . ومثله : وشُكَّانُه ، بالفتح والضم .

يقول : لقد تقدّم أباؤنا وأصدقاؤنا فسبقونا إلى الموت رائقًا أورتقًا ، فكم يذيينا الشوقُ للقائهم ، ويملكنا الحرصُ على جيتهم ، ولكن هل تصدقُ الأنباء ، وتوفى المواعيد ، ويكفل لنا الموتُ لقاءَ الأحبَّاء ، وجيرةَ الأخلاء ؟ كم أَسْتَلِذُّ الموتَ وأَسْتَعِذُّ به ، وكم أطلبه وأتمناه ، لو أن لتلك المواعيد من الصِّحَّة حَظًّا ، ومن الصدق نصيبًا .

اللزومية الممتمة الثلاثين

وقال أيضاً في الهمزة الساكنة مع الفاء :

- ١ (أَنْفَرَدَ اللهُ بِسُلْطَانِهِ فَمَا لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ كِفَاءٌ)
 ٢ (مَا خَفِيَتْ قُدْرَتُهُ عَنْكُمْ وَهَلْ لَهَا عَنْ ذِي رِشَادٍ خَفَاءٌ)

الكِفَاءُ : النَّظِيرُ وَالْمَثِيلُ . قال حَسَّانُ بنِ ثَابِتٍ :

* وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءٌ *

أى جبريل عليه السلام . وفي حديث الأحنف : لا أقوم من لا كِفَاءَ له ، يعنى الشيطان . ومثل «الكفاء» : الكفء ، والكفاء ، والكفوء . وهو فى الأصل مصدر من «كافأ» بمعنى ماثل . والاسم : الكفءة ، والكفاء . قال الشاعر :

فَأَنْكَحَهَا لَافِي كِفَاءٍ وَلَا غِنَى زِيَادُ أَضَلَّ اللهُ سَعَى زِيَادِ

وقال الزجاج فى قوله تعالى : (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) أربعة أوجه ، القراءة منها ثلاثة : كُفُوًا ، وَكُفْتًا ، وَكِفْتًا ؛ وَكِفَاءً ، بكسر الكاف والمد ، ولم يُقرأ بها .

والرِّشَادُ : نقيض الضلال ، وهو إصابة وجه الأمر والطريق .

يقول : تبارك الله مُنفرداً فى سلطانه ، مستبدّاً بعظمته وجبروته ، ليس له من عباده كفٌ ولا من خلقه شريك ، لا تخفى قدرته ولا تَعْمُضُ قوته . وكيف تخفى القدرة القاهرة على ذى حظٍّ من عقل ، أو تعزُّب القوة المسيطرة عن ذى نصيب من رشاد !

٣ (إِنْ ظَهَرَتْ نَارُهُ كَمَا خَبَرُوا فِي كُلِّ أَرْضٍ فَعَلَيْنَا الْعَفَاءَ)
 ٤ (تَهْوَى الثُّرَيَّا وَيَلِينُ الصَّفَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُوجِدَ أَهْلُ الصَّفَاءِ)

النار، مؤنثة وقد تذكر. يُشير إلى ما ذكر في أشراف الساعة من ظهور نار في كل الأرض .

والعفاء : التراب ، وأيضاً الدُّروس والهلاك وذهاب الأثر . وقال الليث : ويقال في السبِّ : بِنِيفِ الْعَفَاءِ ، وعليه العفاء . وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِذَا كَانَ عِنْدَكَ قُوَّةٌ يَوْمَكَ فَعَلِي الدُّنْيَا الْعَفَاءُ » . وقال زهير :

تَحْمَلُ أَهْلُهَا مِنْهَا فَبَانُوا عَلَى آثَارِ مَنْ ذَهَبَ الْعَفَاءُ

قال أبو عبيد : هذا كقولهم ؛ عليه الدَّبار ، إذا دعا عليه أن يُدبر فلا يرجع .
 والثريا ، من الكواكب . وقد مرَّت^(١) . والصفاء: جمع صفاة، وهي الحجر الصّلد الضخم لا ينبت شيئاً .

يقول : أي قُساة القلوب ، وجُفأة الطباع ، لقد ظهرت لكم الآية بينة ، وقامت عليكم الحجّة ظاهرة ، وأنتم مع ذلكم تُجدلون في الحق ، وتُسابقون إلى الباطل . تنتظرون بإيمانكم ، ما منتكم الأساطير من خوارق العادة وكواذب المنى ، ناراً تظهر من كل أرض ، وتحشر الناس من كل صَوْبٍ . هنالك تُؤمنون ويومئذ تصدقون . لقد ضلّت الأحلام ، وجارت العقول ، وكذّبت الآمالُ من اغترّبها ، وتعلّق بأسبابها .

أيها الناس ، ما تنتظرون بإيمانكم ، وما تتربّصون بإصلاح أنفسكم . لقد أصبح اليأس منكم حقاً ، والرجاء فيكم حقاً ، ولقد أصبح لين الأحجار وسقوط الكواكب وبطلان حركة الفلك أيسر من أن يوجد فيكم الأصفياء ، أو يكون منكم أهل الخير الصالحون .

(١) انظر شرح البيت الخامس من اللزومية ١٦ ص ١٢١ من هذا الجزء .

- ٥ (قَدْ فَقِدَ الصِّدْقُ وَمَاتَ الْهُدَى وَاسْتُحْسِنَ الْغَدْرُ وَقَلَّ الْوَفَاءُ)
 ٦ (وَاسْتَشْعَرَ الْعَاقِلُ فِي سُقْمِهِ أَنَّ الرَّدَى مِمَّا عَنَاهُ الشِّفَاءُ)

عناه الأمرُ يَعْنِيهِ : شغله وأهمه . قال الشاعر :

لَا تَلْمُنِي عَلَى الْبُكَاءِ خَلِيلِي إِنَّهُ مَا عَنَّاكَ قَدِماً عَنَانِي

يقول : لقد فقد فيكم الصِّدْقُ ، وطُمِسَتْ بينكم أعلامُ الْهُدَى . ولقد حُبِّبَ إليكم الْغَدْرُ ، وَقَلَّ بينكم الْوَفَاءُ . ولقد اغتذت نفوسكم بالشرِّ ، وارتوت بالردِّيلة ، حتى أصبح العاقل الحكيم يعتقد أن ليس له من علته بكم شفاء ، ولا من مُصِيبته فيكم بُرءٌ ، إِلَّا الموتُ الْمُرِيحُ .

- ٧ (وَأُعْتَرَفَ الشَّيْخُ بِأَبْنَائِهِ وَكُلَّهْمُ يُنذِرُ مِنْهُ أَنْتِفَاءً)
 ٨ (رَبَّهُمْ بِالرِّفْقِ حَتَّى إِذَا شَبُّوا عَنَّا الْوَالِدَ مِنْهُمْ جَفَاءً)

النَّذْرُ : أن تُوجِبَ على نفسك شيئاً . جعل انتفاءهم من الآباء مما أوجبوه على أنفسهم فلا يَرْجِعُونَ فيه . يقال : نَذَرْتُ أَنْذُرَ ، بضم العين في المضارع وكسرها ، وقد يكون من : أَنْذَرُ يُنذِرُ ، بمعنى أعلم ، أى إنهم يظهرون انتفاءهم من آباءهم ولا يُخْفُونَهُ ، وهو أَعْقُ الْعُقُوقِ .

وربَّ الْوَالِدُ وَلَدَهُ ، يَرْبُهُ رَبًّا : رَبَاهُ . ومثلها : رَبَّه تَرْبِيًّا وَتَرْبَةً .
 و« رَبِّ » أبلغ .

والجفاء : غَلِظَ الطَّبَعُ وترك الصَّلَاةَ والبرَّ ، يُمدِّ وَيُقْصِرُ . قال الأزهريّ :
 « الجفاء » ممدود عند النحويّين ، وما علمت أحداً أجاز فيه التقصر . وفي الحديث :
 « الحياء من الإيمان . والإيمان في الجنة . والبذاء من الجفاء . والجفاء في النار »

والجفاء يكون في الخَلِقة والخُلُق . ويقال . جفوتُه جفوةً ، مرة واحدة ، وجفاء كثيراً ، مصدر عام .

يقول : أجل ، لم أر ألام منكم طبعاً ، ولا أدنا منكم أصلاً ، ولا أدنى منكم إلى الميّن ، ولا أحرص منكم على كفر النعمة وجُحود الصَّيعة . أولئك الآباء يُنفقون عليكم صَفْو حياتهم ونضرة شبابهم ، ويُبلون فيكم جدّة أيامهم ؛ حتى إذا أدركهم الهرم ، وأن لهم أن يتفاضوا منكم دينهم ، ويُتأبوا بما أحسنوا إليكم من صنيع ، جزّيتموهم عُفوقاً ، ولقّيتموهم جُحوداً وكُفراً . يجدون أعترافهم بكم لذّة ، وتروّن براءتكم منهم نعمة .

٩ (والدَّهْرُ يَشْتَفُ أَخْلَاءَهُ كَأَنَّمَا ذَلِكَ مِنْهُ اشْتِفَاءٌ)

الاشتفاف : التقصّي في الشرب . قال عبد الله بن سبرة الجرشى :

ساقية الموت حتى اشتفّ آخره فما أستكان لِمَا لاقى ولا ضرعاً

أى حتى شرب آخر الموت ، وإذا شرب آخره فقد شربه كُله . وفي حديث أم زرع : « وإن شرب اشتفّ » . أى شرب جميع ما فى الإناء . ويشتفّ أخلاءه . أى يأتى عليهم جميعاً ، كما يأتى الشارب على ما فى الإناء .

والضمير فى « أخلائه » للشيوخ ، ويجوز أن يكون للدهر ، وكأنه على هذا الأخير أراد أن يجعل الأبناء كالدهر عدراً بالأخلاء ، وإمعاناً فى الاشتفاء .

والاشتفاء : أفتعال من : شفاه الله يشفيه . أصله فى الأجسام ونقل إلى شفاء القلوب والنفوس . والمعنى هنا على التوجيهين جائز .

يقول : لساء ما كافأتم الحسنة وشكرتم المعروف ، ولساء ما جزى الدهر

أولئك الآباء برحتهم قسوة ، وبرأفتهم غلظة ، وبدلهم من برتهم عُقوقاً .
ولو أنه إذ أنزلهم منكم هذا المنزل القلق ترك لهم الأخلاء ، وأبقى لهم على
الأصفياء ؛ لكان لهم عنكم سلوة . ولكنه يخترم أصدقاءهم ، ويشنف
أحباءهم ، كأنما هو يشنفي بذلك من علة معضلة ، وداء عياء .

فصل الألف

هذا الفصل يهتم وجهين، أحدهما أن يكون على ما رتبته، والآخر أن يكون الروى ما قبل الألف وتكون الألف وصلا .

اللزومية الواحدة والثلاثون

قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله التنوخى فى الألف مع الضاد :

- ١ (قَضَى اللهُ أَنْ الْآدَمِيَّ مُعَذَّبٌ إِلَى أَنْ يَقُولَ الْعَالَمُونَ بِهِ قَضَى)
 ٢ (فَهِنَّ وُلاةَ المَيْتِ يَوْمَ رَحِيلِهِ أَصَابُوا تَرَانًا وَاسْتَرَّاحَ الَّذِي قَضَى)

قضى : حكم وأمر وحتم ، ومنه قوله تعالى : (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) .
 وقضى ، أيضاً : صنع وعمل وقدر . ومنه قوله تعالى : (فَتَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ) .
 وبالعنيين تستطيع تفسير « قضى » الأولى فى البيت . و « به » أى الآدمى .
 والعالمون به ، المحسسون به من أهل وعُشراء . و « قضى » الثانية ، بمعنى مات .
 و « إلى أن يقول العالمون به قضى » أى إلى أن يعلن هؤلاء موته ، ويُشيعوه إلى رَمْسِهِ .

وولاية الميت : الذى يلون أمره ، يعنى أهله والأقرب بين ومن إليهم تؤول شئونه .
 والترث : ما يخلفه الرجل لورثته . والتاء فيه بدل من الواو . وفى حديث الدعاء :
 « وإليك ما بى ولك تُرائى » .

وفى أنفاق « التافيتين على كلمة واحدة ، وبمعنى واحد ، إبطاء ، وقد تقدم شرحه (١) .
 يقول : لقد قضى الله على الإنسان أن يقضى حياته تعباً مكثوداً ، ويُمضى أيامه مُعذَّباً شقيماً ، فما يزال به العذاب والألم حتى يستنقذه منهما الموت ، ويُريحه

(١) انظر شرح البيت الثانى من اللزومية السابعة والعشرين ص ١٧٥ من هذا الجزء .

من شرهما الفناء ، إذ ذاك يَطْمئنّ بعد القلق ، ويسعد بعد التّعس ؛ وإذ ذاك يستحقّ أن تُهنّئَه بما أفاد من راحة ، وما انتهى إليه من سكون . هنئه بالراحة والسكون ، وهنّئ أوليائه بالغنى والثروة ، من تراث كسبوه ، ومالٍ استولوا عليه . ما أجلّ الموت ! فقد ضَمِنَ الخير للأموال والأحياء على السواء .

اللزومية الثانية والثلاثون

وقال أيضاً في الألف مع الراء الممالة :

١ (أَقِيمِي لَا أَعْدُ الْحُجَّ فَرَضًا عَلَى عَجْزِ النَّسَاءِ وَلَا الْعَذَارَى)

أقيمي ، الخطاب لجنس المرأة . والأمرُ هنا على بابهِ . فقد أنعدم الأُمن على العِرضِ ، وليس دون المال والحياة . ومن لم يأمن على نفسه فلا حجّ عليه .
وحتّى مع الأُمن فقد اشترط أن يكون مع المرأة زوجها أو محرّم لها أو نِسوة يوثق بهن ، اثنتان فأكثر . فالإقامة هنا ، التي هي الأمر بالعود عن الحج ، مُقيّدة ، وليست مطلقة . والعُجْزُ ، بضمّتين : جمع العجوز من النساء ، ومثله : العُجْزُ ، بالضم ، والعجائز . والعذارى : جمع عذراء ، وهي البكر لم تُمسّ .
يقول : أيتها المتهيّئة للحج العازمة عليه ، ألقى عن مطيّتك رَحْلَهَا ، وخَفَضَ عنها ثِقْلَهَا ، وأقيمي هادئةً مطمئنةً ؛ فما أحسب الحجّ عليك فرضاً ، وما أعدّه منك مطلوباً .

٢ (فَنِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ شَرُّ قَوْمٍ وَلَيْسُوا بِالْحَمَامَةِ وَلَا الْغِيَارَى)

بطحاء مكة : هو مَسِيْلُهَا الواسع الذي فيه دِقَاقُ الحَصَى ، يريد مُنبطحاتها .
وقرّيش البطاح ، هم الذين ينزلون أبطحها . وقرّيش الظواهر ، هم الذين ينزلون ما حول مكة .

والغيارى ، بفتح أوله وضمه : جمع غيران ، وهو الشديد الغيرة . ومثل الغيران :
غَيْرٌ ، والجمع غَيْرٌ . وأمرأة غيرى وغَيْرٌ ، والجمع كالجمع . وقال الجوهري :
أمرأة غَيْرٌ ، ونِسوةٌ غَيْرٌ ؛ وأمرأة غَيْرَى ، ونِسوةٌ غَيْرَى .

يقول : أقيمي ، ما أرى لك أن ترحلي إلى بلد جمع الله فيه أشرار الناس ، وأسكنه أوشابهم ، وأقلهم عن الأعراض زياداً وللأحساب حياية ؛ فسقة لا يعرفون العفة ، وأنذال لا يستشعرون الغيرة .

٣ (وإنَّ رجالَ شِيبَةَ سَادِنِيهَا إِذَا رَاحَتْ لِكَعْبَتِهَا الْجُمَارِي)
 ٤ (قِيَامٌ يَدْفَعُونَ الْوَفْدَ شَفَعًا إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَهُمْ سُكَارَى)

شيبية ، هو ابن عثمان بن طلحة بن عبد الدار بن قصي الحنظلي ، نسبة إلى حجابة البيت . وكانت السدانة واللواء لبني عبد الدار ، فأقرهما النبي صلى الله عليه وسلم لهم في الإسلام . والسدان : خادم الكعبة ، وبيت الأصنام أيضاً . والجماري : الجماعات المحتشدة .

و « قيام » خبر « إن » في البيت السابق ، وهو من التضمين في الشعر^(١) .
 والشفع : الزوج .

يقول : أقيمي ، إلى من تحجّين ؟ لقد قام بين يدي هذا البيت الحرام سدنته وحجابه ، فجرةً مستهترين ، سكارى ما يفيقون من السكر ، ولا يفرغون من المجون ، لا يرعون لهذا البيت حقاً ، ولا يحتفظون له بدمّة .

٥ (إِذَا أَخَذُوا الزَّوَائِفَ أَوْلَجُوهُمْ وَلَوْ كَانُوا الْيَهُودَ أَوِ النَّصَارَى)

الزوائف : ردىء الدّراهم . جعل ما يأخذونه زائفاً ، للتقليل من شأنه والتهوين من قدره . وأولجهم ، أى أجازهم وأنفذهم .

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ٢٧ ص ١٨١ من هذا الجزء .

يقول : إنما الطواف والحجّ إليه تجارة لهم يربحون منها المال ويُفقدون بها القوت ، فما يُبالون إذا ملأت أيديهم صحاحُ الدرهم وزوائفها ، أطوفوا بهذا البيت أهله أم أعداءه !

٦ (متى آدَاك خَيْرُ فافعلِيه وقولي إن دعَاك البر آرى)

آدَاك خير ، أى توفّرت لك أسبابه وفاضت بين يديك وسائله . يقال : آداه ماله ، إذا كثر عليه فغلبه ، وقريبٌ من قول أبي العلاء قولُ الشاعر :

إذا آدَاك مالك فامتّنه لجأديه وإن قرعَ المراحُ
أى فاض عن حاجتك ، وزاد عن مطالبك .

وآرى ، كلمة فارسيّة ، بمعنى ، نعم ، ومرحى ، وحقاً ، وتكون بمعنى « لا » أيضاً .

يقول : دعى الحج وأمثاله من تلك الأعمال التى يدلّ ظاهرها على التنسك ، ويشهد باطنها بالتهتك . دعيها وافعل الخير خالصاً من كل رياء ، بريئاً من كل رِفاق . دعيها وأجيب دعوة البرّ إذا دعَاك سرّاً أو جهراً ، لا تنتظري على ذلك أجراً ولا تبغى به ثواباً . أطعمى القانع والمعتّر ، وتعهدى البائس بالمعروف ، وخذى نفسك بمكارم الأخلاق ومحاسن الخلال ؛ فذلك أنفع لك وأجدى عليك مما ليجّ الناسُ فيه من باطل وزور .

٧ (فلو قبل الغواة عرفت كسفى من الكذب المموّه ما توارى)

« لو قبل الغواة » ، أى سكت المبطلون عن تشويه الحق وإحقاق الباطل . وكسفى ، أى ما أظهر ممّا لا مواربة فيه ولا مدهانة . والتّمويه : التّليس وإظهار الباطل فى صورة الحق . و« ما توارى » : أستتر وأختفى . أى عرفت حقّى من باطلهم ، ولم يُغمّ عليك .

يقول : أجل ، إنهم ليلجئون في باطل ، ويحرصون على زور . ولو قد كان منهم إصغاء إلى نصيح ، أو إجابة إلى رشد ، أو انتفاع بموعظة ؛ إذ أرايت كيف أُزيل باطلهم عن الحق ، وأُجلى عنهم عن الرشد ، وأُحى ضلالهم عن الهدى . ولكنها قلوب لا تفقه ، وعقول ضعيفة لا يقوّمها رشد ، ولا ينفعها إصلاح .

- ٨ (وَلَا تَثِقِ بِمَا صَبَّغُوا وَصَاغُوا فَقَدْ جَاءَتْ خِيُولُهُمْ تَبَارَى)
 ٩ (جَرَتْ زَمَانًا وَتَسْكُنُ بَعْدَ حِينٍ وَأَقْضِيَّةُ الْمِيَمِنِ لَا تُجَارَى)

الصبغ للثياب : تلوينها ، والصيغة للحلى : سبكها . يريد : تغييرهم الكلام وتزويره . تقول : فلان يصبغ الكلام ويصوغه ، أى يغيره ويزوره . وهو أستعارة . وفي الحديث : « أ كذبُ الناس الصباغون والصواغون » .

قيل : أراد الذين يرتبون الحديث ويصوغون الكذب . وقيل : أراد الذين يصبغون الكلام ويصوغونه ، أى يغيرونه ويخزّصونه . وقيل : هم صباغون الثياب وصاغة الحلى ، لأنهم يمتطلون بالمواعيد الكاذبة . وفي حديث أبي هريرة : « رأى قوماً يتعادون فقال ، ما لهم ؟ فقالوا : خرج الدجال . فقال : كذبها الصباغون » . أى اختلقها الكذّابون . وفي بعض النسخ : « صنعوا » مكان « صبغوا » وهى فى المعنى ؛ إذ الصنع : الخلق . وتبارى : أى تتبارى . والتبارى : أن يصنع كل واحد مثل ما صنع صاحبه .

والأقضية : جمع قضاء ، وهو الحكم . و« لا تجارى » ، أى لا يُجرى معها ، فهما جارواها فهى غالبتهم على أمرهم ونافذة فيهم .

يقول : ألا لا تَتَّقِ بما يدعون إليه ، فإنما هي خَيْلٌ تَجْرِي إِلَى الباطل ، وَحَلْبَةٌ تَسْتَبِقُ إِلَى الضلال ؛ لقد جرت في باطلها حيناً ، وأستبقت إلى ضلالها آناً ، ولا بُدَّ لجرائها من انقطاع ، ولأستباقها من غاية ، ولقوتها من نفاذ . إنهم لِيُجَارُونَ قَضَاءَ اللَّهِ ، ولكن هذا القضاء لا يُجَارَى ؛ وإنهم لِيُبارون قَدْرَهُ ، ولكنَّ هذا القدر لا يُبارَى .

- ١٠ (لَعَلَّ قِرَانَ هَذَا النَّجْمِ يَثْنِي إِلَى طُرُقِ الْهُدَى أُمَّمًا حَيَارَى)
 ١١ (فَقَدَّ أَوْدَى بِهِمْ سَعْبٌ وَظَمٌ وَأَيْتَقَهُمْ بِمَتَلَفَةٍ حَسَارَى)
 ١٢ (وَمَا أَدْرَى أَمَّنْ فَوْقَ الْمَهَارَى أَلْبٌ إِذَا نَظَرَتْ أُمَّ الْمَهَارَى)

القران في الكواكب : أن يصحب كوكبٌ كوكباً وَيَقْتَرِنَ بِهِ . وقديماً رَتَّبَتِ الْعَرَبُ عَلَى اقْتِرَانِ النُّجُومِ آثَاراً كَثِيرَةً . وَأَوْدَى بِهِ الشَّيْءُ : ذَهَبَ وَأَهْلَكَهُ . والسَّعْبُ : الْجُوعُ ، وَقِيلَ : هُوَ الْجُوعُ مَعَ التَّعَبِ . وَرَبَّمَا سُمِّيَ الْعَطَشُ سَعْبًا ، وَلَيْسَ بِمُسْتَعْمَلٍ . وَالظَّمُّ : الْعَطَشُ ، الْأَسْمُ مِنْ ظَمَى يُظْمَأُ . وَهُوَ أَيْضًا مَا بَيْنَ الشُّرْبَيْنِ وَالْوَرْدَيْنِ : وَقِيلَ : ذَلِكَ فِي وَرْدِ الْإِبِلِ . وَالْأَيْتَقُ ، مِنْ جُمُوعِ نَاقَةٍ ، الْبِاءُ فِيهِ عِوَضٌ مِنَ الْوَائِ فِي «أُونُقٍ» فِيمَنْ جَعَلَهَا «أَيْفَلًا» . وَمَنْ جَعَلَهَا «أَعْفَلًا» فَقَدَّمَ الْعَيْنَ مُعَيَّرَةً إِلَى الْبِاءِ ، جَعَلَهَا مَبْدَلَةً مِنَ الْوَائِ . فَالْبَدَلُ أَعْمٌ تَصَرُّفًا مِنْ الْعِوَضِ ، إِذْ كُلُّ عِوَضٍ بَدَلٌ ، وَلَيْسَ كُلُّ بَدَلٍ عِوَضًا .

وَالْمَتَلَفَةُ : الْمَهْوَاةُ الْمَشْرِفَةُ عَلَى تَلَفٍ . وَحَسَارَى : قَدْ أَعْيَتْ وَكَلَّتْ ، جَمْعُ حَسْرَى ، وَهِيَ أَيْضًا جَمْعُ حَسِيرٍ ، لِذِكْرِ الْآتِي .

وَالْمَهَارَى ، مُخَفَّفَةُ الْبِاءِ ، وَالْمَهَارَى ، وَالْمَهَارَى ، كُلُّهَا جَمْعُ مَهْرِيَّةٍ ، وَهِيَ

الإبل المنسوبة إلى مهزة بن حيدان ، أبو قبيلة ، وهم حىٌ عظيم . وألب :
أعقل ، فعله : لبَّ يلبُّ ، بوزن فرّ يفرّ .

يقول : ألا أيها النجم الشارق ، والكوكب المتلألئ ، ألم يأن لك أن تهدى
إلى سواء السبيل أُمماً جائرة ، قد أخطأت القصد ولم توفّق للهدى ؟ فهى فى تيهٍ
من البئداء عريض ، لا تعرف له وجهاً ولا تنتهى فيه إلى مدى . قد بلغ منها
الجهد وشفّ أينقها الإعياء ، لقد حرّت فى أمرها وفى أمر أينقها . فما أدرى
أيتها أهدى سبيلاً ، وأقوم طريقاً ؟ التوق أم ركبها ، والإبل أم أصحابها ؟

- ١٣ (أَتَتْهُمْ دَوْلَةٌ قَهَرَتْ وَعَزَّتْ فَبَاتُوا فِي ضَلَالِهَا أُسَارَى)
١٤ (وَظَنُوا الطُّهْرَ مُتَّصِلًا بِقَوْمٍ وَأَقْسَمُ إِنَّهُمْ غَيْرُ الطَّهَارَى)

الدولة ، بالفتح والضم : العُقبَة ، فى المال والحرب ، سواء ؛ وقيل : الدولة ، بالضم ،
فى المال ؛ والدولة ، بالفتح ، فى الحرب . وقيل : بالضم ، فى الآخرة ؛ وبالفتح ، فى
الدنيا . يريد أنهم أصابوا من دنياهم عزاً وسلطاناً فأغواهم . وظاهر أنه يريد
« بالقوم » : معاشر العلماء الذين كثيراً ما ينعى عليهم .

يقول : قد غلبهم المظلون على أمرهم فى الدّين والدنيا ، وصرفوهم عن رُشدهم
فى كل شىء ، فهم مستذلون لدولة عزّت عليهم واستبدت بهم ؛ يصفونها بالعصمة ،
وينعتونها بالطُّهر . وأقسم ما هى بالمعصومة ولا الطاهرة ، وما هم عن ذلك
بغافلين .

١٥ (وما كَرِيَتْ عِيُونَ النَّاسِ جَمْعًا وَلَكِنْ فِي دُجْنَتِهَا تَكَارَى)

١٦ (لَهُمْ كَلِمٌ تُخَالِفُ مَا أَجْنَوْا صُدُورُهُمْ بِصِحَّتِهِ تَمَارَى)

كَرِيَّ الرَّجُلُ يَكْرِي كَرِيًّا : إذا نام . والدُّجْنَةُ : الظُّلْمَةُ والضمير في «دُجْنَتِهَا» للناس ، نظر إلى اللفظ . وتَكَارَى ، أى تَتَكَارَى . والتَكَارَى : التَّنَاوُؤُ والتغافل ، مقيس لم تَذْكُرْهُ المعاجم بهذا المعنى ، وإنما ذكرت نظيره في معنى الاستئجار . والكلم : جمع كلمة ، ولا يكون أقل من ثلاث كلمات . أما الكلام . فأسم جنس يقع على القليل والكثير . وأَجْنَوْا : سَتَرُوا وأَخْفَوْا . وتَمَارَى ، أى تَمَارَى . والتَمَارَى : الشُّكُّ والكذب .

يقول : إنهم ليعلمون من هذه الدولة دَخِيلَتِهَا ، ومن أولئك القادة خَبِيئَتِهِمْ ، وإن نفوسهم لتتحدث بذلك وتُطِيلُ فيه ؛ ولكن أَلَسْتُمْ عَنْ النُّطْقِ مَعْقُودَةٌ ، وَأَفْوَاهِهِمْ عَنِ البَّوْحِ بِه مَكْمُومَةٌ ، وما عَقَدَ أَلْسِنَتَهُمْ وَلَا كَمَّ أَفْوَاهَهُمْ إِلَّا خَوَرَ العِزْمُ ، وَضَعَفَ النَّفْسُ ، وَكَذِبَ الأَخْلَاقُ .

اللزومية الثالثة والثلاثون

وقال أيضاً في الألف مع الراء الممالة :

- ١ (إِذَا قِيلَ لَكَ أَخْشَ اللَّهُ مَوْلَاكَ فَقُلْ آرَى)
- ٢ (كَأَنَّ الْأَنْجُمَ السَّبْعَةَ فِي لُغْبَةِ بُقَارَى)
- ٣ (خُزَامَى وَأَقَاحِي وَصَفْرَاءُ وَشُقَارَى)
- ٤ (وَمَنْ فَوْقَ الثَّرَى يَصْفُرُ فِي أَجْزَاءِ مَنْ وَارَى)

آرى ، بمعنى نعم ، كلمة فارسية . وقد مرت قريباً^(١) . ويريد بـ«الأنجم السبعة» الكواكب السيارة ، وهى : زُحل والمُشتري والمريخ والشمس والزُهرة وعُطارد والقمر . وقد نظمها المقرئى فى بيت واحد وهو :

زُحْلٌ شَرَى مَرِيحَةٍ مِنْ شَمْسِهِ فَتَزَاهَرَتْ بِعُطَارِدِ الْأَقَارِ

و«لعبة بُقَارَى»، يريد لعبة للصبيان، وهى كومة من تراب وحوها خطوط . وقيل هى أن يأتوا إلى موضع قد خُبى لهم فيه شئ ، فيضربون بأيديهم بلا حفر يطلبونه . وقال الجاحظ : هو أن يجمع الصبى يديه على التراب فى الأرض إلى أسفله ، ثم يقول لصاحبه : اشتبه فى نفسك . فيصيب ويخطئ . وعرفها البطليموسى فى الاقتضاب ، وابن سيده فى المخصص ، والبَلَوَى فى ألف باء ، بما يقرب من هذا . وذكر الرَّاغِب فى محاضراته بأنها جمع تراب يُقَطَّعُ نِصْفَيْنِ ، ويقال : خذ أيهما شئت . وكلهم أجمع على أنها بوزان «السَّمِيحَى» إلا أن ابن منظور استطرد فقال : وجاء بالشُقَارَى والبُقَارَى ، أى الداهية ، أو بالكذب . ذكر ذلك فى مادتي «بقر» و«شقر» ، ولم

(١) انظر شرح البيت ٦ من اللزومية ٣٢ ص ١٩٥ من هذا الجزء .

يعرض للبتمارى بجديد معنى ، غير أن زاد لها التّخفيف لغة فيها وفي « الشقارى » .
والخزامى : نبت طيب الريح ، الواحدة خزاماة ، وهى خيرى البرّ . وقال
أبو حنيفة : هى عُشبة طويلة العيدان ، صغيرة الورق ، حمراء الزهرة ، طيبة
الريح ، لها نور كنور البنفسج . قال : ولم نجد من الزّهر زهرة أطيّب نفحة من
نفحة الخزامى ، وأنشد :

لقد طرقتُ أمّ الطّباء سحابتى وقد جنحت للغورِ أخرى الكواكبِ
بريح خُزامى طالّةً من ثيابها ومن أرجح من جيد المسك ثاقبِ

والأقحوان ، من نبات الرّبيع مُفَرَّض الورق دقيق العيدان ، له نور أبيض
كأنه ثعرجارية حدثة السن . وهو القُرّاص عند العرب ، والبابونج والبابونك
عند الفرس . وزنه أفعلان ، الهمزة والنون زائدتان . واحدته : أقحوانة . ويجمع
على أقاح . وقد حُكى « قَحْوَان » ، ولعله على الضرورة .

والصفراء : من نبات السّهل والرمل ، وقد تنبت بالجلد . وقال أبو حنيفة :
الصفراء نبت من العُشب ، وهى تُسَطَّح على الأرض ، وكأن ورقها ورق الخسّ ،
تأكلها الإبل أكلاً شديداً .

والشقارى ، نبتة ذات زهرة سُكَيْلاء ، وورقها لطيف أغبر . تُشبه نبتتها
نبتة القَصْب ، وهى تُحمد فى المرعى ولا تُنبت إلا فى عام خَصِيب . وقال
أبو حنيفة : تُنبت فى الرّمل ، ولها ریح ذفرة ، وتوجد فى طعم اللبن . وقيل : هى
نبت له نور فيه سُحرة ليست بناصعة ، وحبّه يقال له : الخنجم .

وكانّ أبا العلاء شاكل بين ألوان هذه النّباتات والنّجوم . فزُحلّ ملحوظ
فيه الاحرار ، والزّهرة البياض ، والمُشترى الصّفرة . جعل الأنجم فى ظُهورها
واختفائها كالحجارة فى تلك اللعبة تندسّ فى التراب ويُكشَف عنها . وإن كان
ذكر العدد ، وهو السبعة ، للتّقييد لا للتّمثيل ، دون التفات إلى المدد ، فقد

أفاد قولُ أبي العلاء مزيداً في وصف اللعبة ، وهو أن الحجارة للمعوب بها فيها كان هذا عددها .

و « وارى » ، أى أخفى وستر . يريد أن من احتوت عليهم الأرض ، وشملهم بطنها ، يُربى على مَنْ فوقها .

يقول : أَجِبْ إِلَى تَقْوَى اللَّهِ وَالإِذْعَانَ لَهُ ، لَا تَعْدِلْ بِهِ شَيْئاً ، وَلَا تَجْعَلْ لَهُ نِدّاً ، فَكُلُّ مَا سِوَاهُ بَاطِلٌ لَا نَصِيبَ لَهُ مِنَ الْحَقِّ ، وَهَالِكٌ لا حَظَّ لَهُ مِنَ الْخُلُودِ . إِنَّمَا أَنْجُمَ الْعَالَمِ الْعُلُومَى ، وَإِنْ عَظَّمَهَا النَّاسُ وَهَامُوا بِهَا ، لُعبَةٌ لَا تَلْبَثُ أَنْ تَتَكَشَّفَ عَنْ خَطَلِ الَّذِينَ فَتَنُوا بِهَا وَرَغَبُوا فِيهَا . وَإِنَّمَا هَذَا الْعَالَمُ الشُّفْلَى ، وَمَا فِيهِ مِنْ أُلْوَانِ النَّبَاتِ عَلَى اخْتِلَافِهَا ، وَأَنْوَاعِ الْحَيَوَانَ عَلَى تَبَايُنِهَا ، وَأَصْنَافِ الْجَمَادِ عَلَى اقْتِرَاقِهَا ، صُورٌ لَيْسَ لَهَا بَقَاءٌ ، وَظِلَالٌ لَيْسَ لَهَا ثَبَاتٌ ؛ وَإِنَّمَا هَذَا الْإِنْسَانُ الْمُدِلُّ بِعَقْلِهِ ، النَّيَّاهُ بِشِكْلِهِ . مِثَالُ لَتَلِكِ الْأَجْزَاءِ الْفَانِيَةِ الَّتِي ضَمَّنَهَا التُّرَابُ ، وَوَارَاهَا الثَّرَى .

- ٥ (وَأَصْبَحْتُ مَعَ الدُّنْيَا أَدَارِيهَا كَمَنْ دَارَى)
 ٦ (إِذَا بَارَأَهَا قَوْمٌ فَقَلْبِي حُبَّهَا بَارَى)
 ٧ (وَمَا يَرْهَبُنِي جَارِي إِنْ نَاصَلَ أَوْ جَارَى)
 ٨ (وَمَا عَرِسِي حَوْرَاءَ وَلَا خُبْرِي حَوَارَى)

داراه : لآيته ورفق به ، وأصله من « دريتُ الظبي » ، أى اختلت له وختلته حتى تصيده . و « بارأها قوم » ، أى برثوا إليها وبرثت إليهم ، وخلص كلُّ من الطرفين من حقه على الآخر . يقال : برثتُ إليك من حَقِّك ، إذا أدبته إليك وخلصتُ منه . أو لعله من المبارأة ، بمعنى المفارقة ، تقول : بارأ

الرجل شريكه ، وذلك إذا فارقه . وأصله من الأول ، ومنه : بارأ الرجل المرأة ، والكرى ، مبارأةً وبراءً ، إذا صالحهما على الفراق . و « بارى » إمام من المبارة ، بمعنى الجارة والمسابقة ، أى إنه يعارض الدنيا فى حبها ، وليس إلا حرصها على أن تضمه إليها ، ويكون المعنى : إذا ساء الناس الموت فكرهوه وحاولوا الفرار منه ، فإنى مرَّحَّب به ساع إليه . ويجوز أن يكون من « المبارة » بمعنى المفارقة ، ويكون المعنى : إذا قلاها قوم فإنى قاليها ومبغضها .

وعلى الأول فالحبُّ منها إليه ، وعلى الثانى فالحبُّ منه إليها .

ويرهبنى ، إما من « رهب » بمعنى خاف ، أو من « أرهب » بمعنى أخاف . والمناضلة : المغالبة والمباراة فى الرسمى . والمُجَاراة : المجادلة والمناظرة . والمعنى على الأول : فليأمن جارى جانبى إذا أراد أن يعزَّ ويزبَّ ، فإنى زاهد فى الحياة . وعلى الثانى : فليعلم جارى أنى لا آبهُ لجبروته وجاهه ، فإنى لا أقيم للدُّنيا وزناً .

والعرس ، بالكسر : الزوج ، للذكر والأنثى ، والجمع لهما : أعراس ؛ والثنى : عرسان ، لأنَّ كل واحد منهما عرسٌ لصاحبه . قال علقمةُ يصف ظليماً :
حتى تَلَافى وقرنُ الشَّمسِ مُرتفعُ أُدحىَّ عَرَسَيْنِ فِيهِ الْبَيْضُ مَرَكُومُ
أراد بـ«العرسين» الذكر والأنثى . والمُرَاد فى بيت أبى العلاء هنا : المرأة .

والحوراء : التى بعينها حور ، وهو أن يشتد بياضها وسوادُ سوادها ، وتستدير حدقتها ، ويرقَّ جفنها ، ويبيض ما حولها .

والحورارى ، من الخبز والدقيق ، الخالص الذى يُنقى من لباب البر .

وليس ملازوم النقى فى الجملتين على السواء ، فلزوم الأولى ، وهو غير الحوراء ، منقى أيضاً ، فإذا صدف المرء عن الحسناء فهو بالصدوف عن الشَّوْهَاء

أقدر . ذلك إلى ما عُرِفَ عن أبي العلاء من أنه عاش في هذا زاهداً . وأما ملزوم الثانية ، وهو غير الحواري ، فثابت ، إذ لا حياة لغير طاعم .

يقول : أَلَا فَلْتَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا ، وَلْتَصْرَفْ عَنْهَا أَمَلَكُ ، وَلْتُنْدَارِهَا كَمَا يُدَارِي الْإِنْسَانُ عَدُوًّا لَا بُدَّ لَهُ مِنْ جَبْرِتِهِ ، وَخَصَمًا لَا مَنَدُوحَةَ لَهُ عَنْ عِشْرَتِهِ . لَقَدْ دَارَيْتُهَا كُلَّ الْمُدَارَاةِ ، وَزَهَدْتُ فِيهَا كُلَّ الزُّهْدِ ، فَمَا آبُهُ لَصُرُوفِهَا ، وَمَا أَحْفَلُ بِخُطُوبِهَا ، وَمَا أُغْنِي بِلَذَّتِهَا . لَقَدْ لَا يَنْتُ أَهْلِهَا كُلَّ الْمَلَايِينَةِ ، وَرَقَقْتُ بِهِمْ كُلَّ الرَّفِيقِ ، فَمَا تَزْدَهِينِي مِنْهُمْ صَوَلَةُ الصَّائِلِ ، وَلَا جَوْرُ الْجَائِرِ . لَقَدْ نَزَلَتْ لِهِمْ عَمَّا يَتَنَافَسُونَ فِيهِ وَيَسْتَتَبِقُونَ إِلَيْهِ مِنْ لَذَّاتِ الْحَيَاةِ ، فَمَا أَحْتَبِسُ فِي بَيْتِي حَوْرَاءَ نَاعِمَةٍ وَلَا حَسَنَاءَ فَاتِنَةٍ ، وَلَا أَتَخَذُ عَلَى مَائِدَتِي شَهْيَ الطَّعَامِ وَلِذِيذِ الْمَأْكَلِ ، إِنَّمَا هِيَ لُقِيَّاتٌ تُقِيمُ الْأَوْدَ ، وَتُمْسِكُ الرَّمَقَ إِلَى حِينِ .

اللزومية الرابعة والثلاثون

وقال أيضاً في الألف مع الراء الممالة .

١ (سَرِينَا وَطَالِبُنَا هَاجِعٌ وَعِنْدَ الصَّبَاحِ حَمْدُنَا السَّرِي)

السرى : سِيرَ الليل كُتْلَهُ . سَرِيْتُ سُرِّي وَمَسَرِي ، وَأَسَرِيْتُ ، بِمَعْنَى ،
وَذَاكَ إِذَا سَرْتِ بِاللَّيْلِ . وَالْمَاجِعُ : الَّذِي يَنَامُ أَيْلًا . جَمْعُ يَهْجَعُ هُجُوعًا : إِذَا
نَامَ بِاللَّيْلِ خَاصَّةً ؛ وَقِيلَ : إِذَا نَامَ فِي اللَّيْلِ وَغَيْرِهِ . وَقَدْ يَكُونُ الْهُجُوعُ بغيرِ نَوْمٍ .
قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ :

فَقَرُّ هَجَمَتْ بِهَا وَلَسْتُ بِنَائِمٍ وَذِرَاعُ مُلْقِيَةِ الْجِرَانِ وَسَادِي

وعجز بيتُ أبي العلاء من المثل : «عند الصباح يحمّد القومُ السرى» . يُضْرَبُ
لِلرَّجُلِ يَحْتَمِلُ الْمَشَقَّةَ رَجَاءَ الرَّاحَةِ . قَالَ الْمَيْدَانِيُّ : وَأَوَّلُ مَنْ قَالَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ
لَمَّا بَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ وَهُوَ بِالْيَمَامَةِ : أَنْ سَرَّ إِلَى الْعِرَاقِ . فَأَرَادَ سُلُوكَ الْمَفَازَةِ . فَقَالَ لَهُ
رَافِعُ الطَّائِي : قَدْ سَلَكْتُمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، هِيَ خَمْسٌ لِلْإِبِلِ الْوَارِدَةِ ، وَلَا أَظُنُّكَ
تَقْدِرُ عَلَيْهَا ، إِلَّا أَنْ تَحْمِلَ مِنَ الْمَاءِ . فَاشْتَرَى مِائَةَ شَارِفٍ فَعَطَّشَهَا ثُمَّ سَقَاهَا الْمَاءَ
حَتَّى رَوَيْتَ ، ثُمَّ كَنَّبَهَا وَكَمَّ أَفْوَاهَهَا ثُمَّ سَلَكَ الْمَفَازَةَ ، حَتَّى إِذَا مَضَى يَوْمَانِ وَخَافَ
الْعَطْشَ عَلَى النَّاسِ وَالخَيْلِ ، وَخَشِيَ أَنْ يَذْهَبَ مَا فِي بَطُونِ الْإِبِلِ ، نَحَرَ الْإِبِلَ
وَاسْتَخْرَجَ مَا فِي بَطُونِهَا مِنَ الْمَاءِ ، فَسَقَى النَّاسَ وَالخَيْلَ وَمَضَى . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ خَالِدُ :

عند الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السَّرِي وَتَنْجَلِي عَنْهُمْ غَيَابَاتُ الْكَرِّي

يقول : جدّى أيتها الآمال فى تضليل العقول وتسفيه الأحلام ، واجتهدى فى التغرير بالناس ، مُنتهزاً غفلة الحق عنهم وإبقاء الموت عليهم . اجتهدى فى هذا وجدّى فى ذلك ، فقد بلغت الأمر الذى أردته ، وأدركت الغاية التى ابتغيها ، واستقاد لك الناس فُسرّوا فى ظُمة الباطل يتسّمون خطوك ، ويتنوّرون نارك ، حتى إذا ما انمّحت هذه الظلم ، وأدبر ذلك الليل ، وبدا صباح الحق أبلج وضاحاً ، حمدوا الشرى ، واطمأنوا إلى غاية ليس بينها وبين ما كانوا يؤمّون إلا ما بين الموت والحياة من الاختلاف .

- ٢ (بنو آدمٍ يطلبون الثريا ۚ عند الثريا وعند الثرى)
 ٣ (فتى زارعٍ وفتى دارعٍ كلا الرجلين غداً فامترى)
 ٤ (فهذا بعينٍ وزاى يروحُ وذاك يئوبُ بضادٍ ورا)
 ٥ (وعاملٌ قوتٍ ذراً حبهُ وخِذنُ ركازٍ ضحاً فاذرى)

الثريا : نجم ، وقد مرّ^(١) . وأقام « الثريا » و« الثرى » مثلين للكثرة الكبيرة التى تفوت العد ، كما قد يكون أقام الأولى للجاء والرفعة ، والثانية للعين والنسب . وأرجع « الدارع » للأولى ، و« الزارع » للثانية ، على التقسيم دون الترتيب . والدارع : ذو الدرع ، على النسب ، كما قالوا : لابن ، وتامر . فأما قولهم : مدرّع ، فعلى وضع لفظ المفعول موضع لفظ الفاعل .

والأصل فى « الامتراء » : استخراج الحالب اللبن من الصرع بحيلة وتلطف . وكذلك الرزق يعوزه الترفق والتدبر . و« بعين وزاى » أى عز . والرواح : السير بالعشى . راح يروح رواحاً . نقيض : غداً يغدو غدواً . ومثله « الإياب » على رأى من قال : إنه لا يكون إلا مع الليل . ذلك الأصل فى الفعلين : « الرواح

(١) شرح البيت الخامس من اللزومية ١٦ ص ١٢١ من هذا الجزء .

والإياب» . وأراد أبو العلاء مطلق الرجوع والانصراف عن الشيء . وأراد «بضاد وراء» أي ضر ، وهكذا عقي الساعين ، بين عزّ وضُر .

و«عامل قوت» ، أي ساع لما يقوته ويقيم أوده . وذَرَا الحبّ يذُرُوه : نثره . شَبَّه بذرَ الرِّيح للتراب ، فمع كليهما البعثة والتشتيت .

والخدن : الذي يكون معك في كل أمر ظاهر و باطن .

والرِّكاز : كنوز الأرض من ذهب وفضة . وقيل : هو الدّفين من ذلك .

وخذن الرِّكاز : المولّه بالذهب والفضة المفتون بجمعهما . وضحا ، أي برز وظهر . والضمير المستكنّ فيه «للرِّكاز» . واذرى ، أي تبدّد وتشتت ، الأصل فيه : اذدرى ، قُلبت «تاء الافعال» دالا ، وهي تُقلب دالا ، إذا وقعت بعد دال أو ذال أو زاي . ويجوز في نحو «اذ ذكر» قلب الذال دالا ، أو الدال ذالا ، فتقول : اذّكر ، واذّكر ، ومثلها : اذرى ؛ ويجوز أيضاً : اذرى .

يقول : إيه يا بنى آدم ، ما أطول آمالكُم ! وأقصر آجالكم ! ما أشدّ طمعكم ! وأقلّ نُبحكم ! إنكم لتطلبون الثروة من نجوم السماء ، وغضون الأرض ، وإنكم لتسلسكون إليها مختلف الطرق ، وتذهبون فيها شتى المذاهب ، ثم لا تؤوبون إلاّ باليأس والقنوط . قدّمُ من هذا الجهل فإنه ضائع ! قَطُّكم من هذا الجدّ فإنه لغو ! ذلكم زارع يُقلب الأرض ليستخرج أثمارها ، وهذا دارع يُغيرُ بقوته على الحصون والقلاع ؛ والسعى من الرجلين ضائع ، والحظّ فيهما متحكّم . فرما عاد الدّارع ذليلاً بعد العزة ، وآبَ الزارع فقيراً بعد الثروة ، وحكّم الحظّ فأمضى : حكّم لهذا حَبّاتٍ من الشعير يُقمن أوده ، ولذلك شدّرات من تَبِرِ الأرض وورقها يتفضين حاجه ويفضّلن عليه .

- ٦ (وَكُورُكَ فَوْقَ طَوِيلِ الْمَطَا وَسَرَجُكَ فَوْقَ شَدِيدِ الْقَرَا)
 ٧ (وَيُجْرَى ذَفَارِيهَا جِدُّهَا بِمِثْلِ الظَّلَامِ إِذَا مَا جَرَى)
 ٨ (كَأَنَّ بُصَاقَ الدَّبِّي فَوْقَهَا إِذَا وَقَدَتْ فِي الْأُنُوفِ الْبُرَا)
 ٩ (وَذَلِكَ مِنْ حَرِّ أَنْفَاسِهَا يُضَاعِفُهُ حَرُّ يَوْمٍ جَرَى)

الكور، بالضم : الرَّحْل ، وقيل : الرحل بأداته . والجمع : أكوار وأكُور .
 والكثير : كوران وكُورور . والمطا : الظهر ، لامتداده . والسرج : رحل الدابة ،
 والقرى : الظهر . وقيل : وسطه . وتثنيته : قرَّيان ، وقرَّوان . والجمع أقراء ، وقرَّوان .
 قال الهذلي : يصف الضَّبُع :

إِذَا نَفَسَتْ قِرْوَانَهَا وَتَلَفَّتْ أَشَبَّ بِهَا الشَّعْرُ الصُّدُورِ الْقِرَاهِبُ
 أراد « بالقراهب » أولادها .

ويجري : يُسِيل . والذفاري : جمع ذفري ، وهي العظم الشاخص خلف الأذن .
 وقيل : هي من لدن المَقْدِّ إلى نصف القَدال ، من النَّاس ومن جميع الدَّواب ،
 وهي أول ما يعرق من البعير . وجدُّها ، أى متابعتها السَّير واجتهادها فيه .
 و«مثل الظلام» ، أى يعرق مثل الظلام ، وذلك لأختلاطه بالغبار . والدَّبِّي :
 الجرادُ أصغر ما يكون ، والنَّمَل . ويُضرب المثل ببصاقه لكل ما دَقَّ وضوئُ ،
 في كثرة وانتشار .

ووقدت : أى كان لها مثل وَقَد النار لَسَعًا وَضْرًا . والبُرى : جمع البُرَّة ،
 وهي الخلقعة تكون من صُفْر أو غيره ، تُجَمَل في لحم أنف البعير . يُشير إلى ما يطفو
 على جسدها من زَبَد ، وقد حَمَّها على السَّير وَقَدُ البُرى في أنوافها ، ثم حرَّ
 الأنفاس والقيظ ، اللذين ذكرهما في البيت التاسع .

وجرى ، أى أمتدَّ وأنتشر ، وقد يكون المراد : جرت فيه وسارت . وبين كلمة « جرى » هنا و « جرى » السابقة ، إبطاء ، وقد مرَّ شرحه^(١) . وهو هنا جائز على رأى من يُبرِّره حين يختلف معنى الكلمتين المنتفتحين لفظاً . و « يجرى » الأولى ، فيها معنى السَّيلان ، وهذه فيها معنى الجرى والسَّير .

يقول : أشدُّ أيها الجاهد فى طلب الثروة رَحَلَكَ على ما شئتَ من عَنَسِ طويلة الأطَا ، شديدة القوى ، أو ضَعَّ سَرَجَكَ على ما أحببتَ من طِرْفِ أَيْدٍ شديد القَرَى ؛ نَمَّ أجهد نَاقَتَكَ فى الأسفار ، وفرَسَكَ فى الإغارات ؛ وعُدَّ بهما كليلتَيْنِ قد أنضاهما الجدَّ ، وأكلَّهما الحدَّ ؛ وقد سال عليهما من عرقهما مثلُ الظَّلمة السَّحَاء ، وانتشر على جسميهما بُصاق الدَّبَى . لا تَسْتَطِيعان حركة ولا تُعْطِيان نائلا . قد ذهب الأَيْنُ بجَدِّها وحدَّها ، وقد ذهب بما فيك من قوة ، ومحا ما فيك من نشاط . أفعل ما شئتَ من ذلك ، فلن تعود إلا بالخيبة ، ولن ترجع إلا بالإخفاق .

- ١٠ (تَلُومٌ عَلَى أُمَّ دَفْرٍ أَخَاكَ وَرَاءَكَ إِنْ هَوَى قَدْ وَرَى)
 ١١ (عَهْدَتُكَ تُشْبَهُ سَيْدَ الضَّرَاءِ وَلَسْتَ مُشَابِهَ لَيْثِ الشَّرَى)
 ١٢ (تَدِبُّ فَإِنْ وُجِدَتْ خُلْسَةٌ فَيَا لِلْسَّلْيِكِ أَوْ الشَّنْفَرَى)

أم دَفْرٍ ، من أسماء الدواهي . وقيل : هى الدنيا . وبكليهما يتَّجه المعنى : « وراءك » يكون خلف ولقدَّام ، وقد جاء مقصوراً فى الشعر . قال الشاعر :
 تَقْاذفه الرُّوادِ حتى رَمَوْا به ورا طِرْفِ الشَّامِ البلادَ الأبعادَا
 و « وراءك » ، أى تقدَّم أو تخلف ، على المعنيين . وورَى ، أى اضطرَّم واشتعل ،

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية الثامنة ص ٨٧ من هذا الجزء . وكذلك شرح البيت

الثالث من اللزومية ٢٧ ص ١٧٥ .

من : وري الزند يري ، إذا اتقد . وإذا كانت « أم دفر » هي الدنيا فكأنه يقول : تلوم على حُب الدنيا أخاك ، فأقبل عليها إقباله ، فقد ولعت بها ولعته . وإن كانت « أم دفر » هي الداهية ، فكأنه يقول : تلوم على الهمع من الداهية أخاك ، فأحجم إحجامه ، فإن تعلقك بالحياة تعلقه .

وعهدتُك ، أى خبرتُك وعرفتُك . والسيد : الذئب ، وقد يُسمى به الأسد . والضراء : الشجر الملتف في الوادي ؛ وقيل : ما وراك من أرض فهى الضراء ، وما وراك من شجر فهو الخمر . يُشير إلى المثل : « هو يدب له الضراء ويمشى له الخمر » . أى خاتله ومكر به وخدعه . وهو من طباع الذئاب . والشرى : موضع بعينه تُنسب إليه الأسد .

والديب : أن تمشى رؤيداً على هينة لم تُسرع ، وهكذا يفعل الخاتل . والخلُسة : النهرة والفرصة . والسليك ، هو ابن عمير بن يثربى السعدى التميمى . والسائكة : أمه ، وإليها يُنسب ، فإتكَ عداء شاعر جاهلى . والشنفرى ، هو عمرو ابن مالك الأزدى ، من خُتال العرب وعدائهم . شاعر جاهلى يمانى . وهو صاحب لامية العرب ، التى مَطلعها :

أقيموا بنى أمى صُدورَ مطيكم فإنى إلى قوم سواكم لأَميلُ

و« يا » ، هنا ، للاستغاثة ، و« للسليك » ، بلام مكسورة ، إذ هو المُستغاث لأجله . والمستغاث به محذوف للعموم والكلام على إظهار الأسى والترحم ، أى أين منها السليك والشنفرى ! وهما من المدودين في هذا الميدان .

يقول : لمن أنصح ! وبمن أهيب ! وعلى من ألوم ! لن ينفع النصح ولن يُجدى الزجر ولن يُفيد اللوم ، غريزة في الناس ثابتة ، وطبيعة عليهم حاكمة ؛ فطروا على حُب الدنيا ، وورثوا عن آبائهم العلوّ فيه . لا تعذُل أخاك في هذا العشق ، ولا تلمه على هذا الحُب ، فكلا كما فيه سواء ، وورثناه عن آبائنا ، وورثناه

أبناء كما . إنما أتما فيه أشبه بالذئب حُبثاً وسوء نية ، منكها بالأسود شجاعةً
وصدق إقدام . والدنيا خادعة ماكرة ، ومحتالة ماهرة ، تدب ديب الشيخ ، وتدرج
دروج الطفل ، حذرة مستأنية ، حتى إذا لمحت مطمعاً ، أو توسمت فريسة ، فدع
مهارة السليك وتفوق الشفري في الكرّ والفرّ ، وفي الاختلاس والنذل ، وفي
سوء الخلق وفساد الضمير .

١٣ (هو الشرُّ قد عمَّ في العالمينَ أهلَ الوُهودِ وأهلَ الذُّرا)

الوُهود : جمع وهد ، وهو الهوّة تكون في الأرض . جمع مقيس في فَعَلَ ،
كقَلْبٍ وَقُلُوبٍ . ولكن المعاجم أهملته . والذُّرى : جمع ذرورة ، وهي من كل
شيء أعلاه .

يقول : لقد علمتكم فأحسنتم تعليمكم ، وغذتكم فأحسنتم غذاءكم ؛ فليس
فيكم من هو من الشر برىء ، ومن دَنَسَ الرذيلة نقيّ ، سواء في الشر والرذيلة
أهل السهل والجبل ، وسكان الوهاد والذُّرا ؛ لا يردّهم عنه رادٌّ ، ولا يردّهم
عنه رادع .

١٤ (لِيَفْتَنَّ فِي صَمْتِهِ نَاسِكٌ إِذَا فُتِنَ فِيمَا يَقُولُ الْوَرَى)

افتن ، جاء بالأفانين وتوسّع وتصرف . والورى : الخلق ؛ تقول العرب :
ما أدرى ، أى الورى هو ؟ أى : أى الخلق هو ؟ قال ذو الرمة :

وكأئن ذعرنا من مهارة ورامح بلاد الورى ليست له ببلاد

وقال ابن جني : لا يستعمل « الورى » إلا في النقي . والذي سوّغ لذي الرمة

استعماله ، أنه في معنى المنفى ، كأنه قال : ليست بلاد الورى له ببلاد .

يقول : ألا لو أنصفَ الحكيمَ نفسه لطلب الصمتَ وسكنَ إليه ، ولافتنَ فيه أفتنانَ الجاهلِ المغرورِ في النطقِ بما في الحياة من زُخرفٍ ، وما في العالم من أسماء .

- ١٥ (فَكُنُوا صَبُوحِيَّةَ الشَّرْبِ أُمَّ لَيْلَى وَمَكَّةَ أُمَّ الْقُرَى)
 ١٦ (وَقَالُوا بَدَا الْمُشْتَرَى فِي الظَّلَامِ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا اشْتَرَى)

الكنية ، على ثلاثة أوجه : أحدها أن يُكنى عن الشيء الذي يُستفحش ذكره ، والثاني أن يُكنى الرجل بأسمٍ توقيراً وتَعْظيماً ، والثالث أن تقوم الكنية مقامَ الاسم فيُعرف صاحبها بها كما يعرف بأسمه . والفعل : كَنَيْتَ ، وَكَنَيْتَ ، وَأَكْنَيْتَ ، وَكُنَيْتَ .

قال الليث : أهل البصرة يقولون : فلان يُكنى بأبي عبد الله . ويقولون غيرهم : فلان يُكنى بعبد الله .

وقال الجوهري : لا تَقُلْ : يُكنى بعبد الله . وقال الفراء : أفصح اللغات أن تقول : كُنِّي أخوك بعمر . والثانية : كُنِّي أخوك بأبي عمرو . والثالثة : كُنِّي أخوك أبا عمرو .

والصَّبُوحِيَّةُ : نسبة إلى الصَّبُوح . وهو ما يُشرب بالعداة فما دون القائلة ، والتأنيث على إرادة الخمر ، والأعراف فيها التأنيث . وأم ليلي : من أسماء الخمر . ويلي : النَّشْوَةُ . فكان الخمر أم النَّشْوَةِ وأصلها . وسميت « مكة » أم القرى ، لأنها تَوَسَّطت الأرضَ فيما زعموا ؛ وقيل : لأنها قبلة الناس يَوْمُومَنَّا . وقيل : لأنها كانت أعظم القرى شأنًا . وكل مدينة هي أم ما حوَّلها من القرى . و« المُشْتَرَى » : أحد الكواكب السبعة السيارة ؛ قيل : سُمِّيَ بذلك لحُسْنِهِ ، كأنه اشترى الحُسْنَ لنفسه ؛ وقيل : لأنه نَجِمُ الشَّرَاءِ والبيع ، ودليل الرِّبْحِ والمال . و« ليت شعري » ، أي

ليت علمي ، أو ليتني علمت . وعن الكسائي : ليت شعري لفلان ما صنع !
وليت شعري عن فلان ما صنع ! وليت شعري فلاناً ما صنع ! وفي الحديث :
« ليت شعري ما صنع فلان ! » ، أي ليت علمي حاضرٌ أو مُحيط بما صنع ،
فحذف الخبر .

يقول : إيه أيتها العقول الضالّة ! ضعي ما شئت من الأسماء ، فلن تُجدي
عليك شيئاً . سمّوا الخمر أم ليلي ، وسمّوا مكة أم القرى . فما أنتم في ذلك
إلا كاذبون . ما أرى الخمر ولدت ليلي ، وما أعرف مكة ولدت القرى . سمّوا
هذا النجم الطالع في السماء بالمشترى ، فما أنتم في ذلك إلا مُختلفون . فهل
تُذمّونني ماذا اشتري هذا النجم وماذا باع ؟ كلا ، إن هي إلا أسماء سمّيتُموها
أنتم وآباؤكم ، لا تعلمون لها مصدراً ، ولا تُريدون بها غاية .

١٧ (وَتَرْجُو الرِّبَاحَ وَأِنَّ الرِّبَاحَ وَنَعْتِكَ فِي نَفْسِكَ الْخَيْسَرَى)

الربّاح والربّح والربّيح : النّماء في التجارة . والعرب نقول للرجل ، إذا
دخل في التجارة : بالربّاح والسّماح . والخبّيسرى : الخاسر ، وهو الذي ذهب
ماله ، الباء فيه زائدة . وفي بعض الأسجاع : بفيه البرى ، وحمى خبيري ،
وشرّ ما يرى ، فإنه خبّيسرى .

وهي أيضاً بمعنى الضلال والهلاك ، كالخسار والخسارة . و « نعتك في
نفسك . . » أي إن الخسار من ديدنه . وظاهر أنه يُشير إلى الآية الكريمة :
(وَالْعَصْرَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خَسِرٌ) .

يقول : أنتظروا الرّبح فلن تربحوا إلا الخسران ، وأمّلوا الظفر فلن تظفروا
إلا بالخبيبة . أنخدعوا بالأسماء ، فإن ضعف عقولكم لم يُعدّدكم إلا لذلك ، ولم يهيبكم
إلا له .

١٨ (عَذِيرِي مِنْ مَارِدٍ فَاجِرٍ تَقَرَّأً وَالْمُخْزِيَاتِ أُفْتَرِي)

العذير : النصير والعاذر ؛ يقال : عذيرك من فلان ، بالنصب ، أى هات من يعذرك . وعذيري من فلان ، أى من يعذرنى ، فعيل بمعنى فاعل . ونصبه على إضمار : هلمّ معذرتك إياى ، أو معذرتى إياك . والمارد : العاقى الشديد . وقيل : الذى بلغ الغاية التى تخرجه من جملة ما عليه صنّفه . وتقرأ : تنسك وتفقه .

يقول : عذيري من هذا المارد الغالى فى مروده ، أو الفاجر المغرق فى فجوره ؛ يتقرأ ويدعى النسك ، ويتزهّد ويبتحل الدين . وما أراه إلاّ مُتنبّعاً للمخزيات ، متطلباً للأثام ، مُستبطناً للكفر والتفّاق .

١٩ (فَهَوْنٌ عَلَيْكَ لِقَاءِ الْمَنُونِ وَقُلْ حِينَ تَطْرُقُ أَطْرُقُ كَرًا)
 ٢٠ (وَنَادٍ إِذَا أَوْعَدْتِكَ أَعْتَرِي فَصَبْرًا عَلَى الْحُكْمِ لَمَّا اعْتَرِي)
 ٢١ (وَنَفْسِي تُرَجِّي كَأَحْدَى النَّفُوسِ وَتُذَرِي النَّوَابِئُ سَكْنَ الذَّرِي)
 ٢٢ (وَكَمْ نَزَلَ الْقَيْلُ عَنْ مَنَبْرِ فَعَادَ إِلَى عُنْصُرٍ فِي الثَّرِي)
 ٢٣ (وَأُخْرِجَ عَنْ مُلْكِهِ عَارِيًّا وَخَلَفَ مَمْلَكَةً بِالْعَرَا)

المنون : الموت ، لأنه يمين كلّ شيء ، يضعفه وينقصه ويقطعه ، يذكر ويؤث ؛ فمن أنت حمل على النية ، ومن ذكر حمل على الموت . والإطراق : الاسترخاء فى الجفون .

وقبل : هو السكوت عامّة . يُريد به على الخالين غمضة الموت وصمته . والكرا : الكروان نفسه . وقيل : هو الذّكر ، والأثى كروانة .

ويقال: أطرَقَ كَرَأ، إنَّكَ لَن تَرَى . يَصِيدُونَهُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ ، فَإِذَا سَمِعَهَا يَكْبَدُ فِي الْأَرْضِ فَيُلْتَقِي عَلَيْهِ ثَوْبٌ فِيصَاد . وَيُشِيرُ إِلَى الْمَثَلِ : أطرَقَ كَرَأ، إِنْ النِّعَامُ فِي الْقُرَى . يُضْرَبُ لِلْمُعْجَبِ بِنَفْسِهِ ، كَمَا يَقَالُ : فُغِضَ الطَّرْفُ .

وقال أحمد بن عُبَيْد : يَضْرَبُ لِلرَّجُلِ الْحَقِيرِ إِذَا تَكَلَّمَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يُشْبِهُهُ ، فَيَقَالُ لَهُ : اسْكُتْ يَا حَقِيرَ ، فَإِنَّ الْأَجْلَاءَ أَوْلَى بِهَذَا الْكَلَامِ مِنْكَ . وَيُشْبِهُ الْكِرْوَانَ بِالذَّلِيلِ ، وَالنِّعَامَ بِالْأَعْزَةِ . وَمَعْنَى « أَطْرَقَ » أَيْ غُضَّ مَا دَامَ عَزِيزًا ، فَيَايَكُ أَنْ تَنْطِقَ أَيُّهَا الذَّلِيلُ . وَقِيلَ : يَضْرَبُ مِثْلًا لِلرَّجُلِ يُخَدِّعُ بِكَلَامِهِ يُلَطِّفُ لَهُ وَيُرَادُ بِهِ الْعَائِلَةُ . وَقِيلَ : يَضْرَبُ لِلرَّجُلِ يُتَكَلَّمُ عِنْدَهُ بِكَلَامٍ فَيُظَنُّ أَنَّهُ هُوَ الْمُرَادُ بِالْكَلَامِ . أَيْ اسْكُتْ فَإِنِّي أُرِيدُ مِنْ هُوَ أَنْبَلُ مِنْكَ وَأَرْفَعُ مَنْزِلَةَ .

وَالْوَعْدُ ، فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ . وَقَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ : فِي الْخَيْرِ : الْوَعْدُ ، وَالْعِدَّةُ ؛ وَفِي الشَّرِّ : الْإِعْيَادُ ، وَالْوَعِيدُ . فَإِذَا قَالُوا : أَوْعَدْتَهُ بِالشَّرِّ ، أَثْبَتُوا الْأَلْفَ مَعَ الْبَاءِ . وَأَنْشَدَ لِبَعْضِ الرِّجَازِ :

أَوْعَدَنِي بِالسَّجْنِ وَالْأَدَاهِمِ رَجُلِي وَرَجُلِي شَتْنَةُ الْمَنَاسِمِ

أَيْ أَوْعَدَنِي بِالسَّجْنِ وَرَجُلِي بِالْأَدَاهِمِ . وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ : كَلَامُ الْعَرَبِ : وَعَدْتُ الرَّجُلَ خَيْرًا ، وَوَعَدْتُهُ شَرًّا ، وَأَوْعَدْتُهُ خَيْرًا ، وَأَوْعَدْتُهُ شَرًّا ؛ فَإِذَا لَمْ يَذْكُرُوا الْخَيْرَ ، قَالُوا : وَعَدْتُهُ ، وَلَمْ يَدْخُلُوا الْبَاءَ ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرُوا الشَّرَّ ، قَالُوا : أَوْعَدْتُهُ ، وَلَمْ يَسْقُطُوا الْأَلْفَ . وَإِذَا أَدْخَلُوا الْبَاءَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا فِي الشَّرِّ .

وَاعْتَرَى ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَمْرًا ، مِنْ « اعْتَرَى » « يَعْتَرِي » بِمَعْنَى : غَشِيَ وَأَصَابَ ، أَيْ أَلَمَّ بِي فَإِنِّي لَا أَخَافُكَ . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ « مِنْ عَتَرَ الرَّمْحَ يَعْتَرُ » إِذَا اشْتَدَّ وَاضْطَرَبَ وَأَهْتَزَّ ، وَذَلِكَ حِينَ الْهِيَاجِ وَالصَّوْلَةِ ، أَيْ تَوَعَّدِي وَلَوْحِي ، فَإِنِّي لَا أَبَالِيكَ . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ « الْعَتْرُ » الَّذِي هُوَ الذَّبْحُ ، أَيْ أَجْهَزِي عَلَيَّ إِنْ شَتَّتَ .

ورجى: توقع وأمل . قال بشرى مخاطب أبنته :

فرجى الخيرَ وأنتظري إيايَ إذا ما القارظُ العنزى آبا
والأزدراء ، فى الأصل : الإلقاء والطرح . قال ابنُ أحمَرٍ يصف الرِّيحَ :
لها مُنْخَلٌ تُذْرى إذا عَصفتُ به أهايَ سَمَسافٍ مِنَ التُّربِ تَوأمُ
أى تُسْقَطُ وتَطْرَحُ ، إذ المنخل لا يرفع شيئاً إنما يُسْقِطُ مادقاً ويُمسِكُ ماجلاً .
ومنه : أذرت الدابةُ راجبها ، إذا صرعته ؛ والعينُ الدمعُ ، إذا صبته .
والسَّكَنُ ، بالفتح : جمع ساكن ، كصَحْبٍ وصاحب . والذُّرى : جمع
ذِرْوَة ، وهى من كلِّ شىءٍ أعلاه .

والقيَلُ : الملك من ملوكِ حمير يتقيل من قبله من ملوكهم ، أى يُشبهه .
والجمع : أقيال وقُيول . وقال ثعلب : الأقيال : الملوك ، من غير أن يخص بها
ملوكِ حمير .

والعراء ، بالمدّ وقصرٍ للشعر : الأرض المستوية المُصْحِرَة ، ليس بها شجر ولا
جبال ولا آكام ، وهى فضاء الأرض . أمّا « العراء » الذى أصله القصر ، فهو
الناحية ، وليس مراداً هنا .

يقول : أيها الحكيم الحازم ، أربأ بنفسك أن تحبّ هذه الحياة ، فما فيها خير ؛
أو تحرص على عشرة أهلها ، فما يُرجى لهم صلاح . هوّن على نفسك لقاء الموت ، فإنّ
حُشُونته وغِلظته ألبنُ مسّا من نعومة الحياة ورقّتها . وطمّنها عليه وهَيئْها له ، فإنما
أنت سالكٌ سبيلَ أمثالك الذين مضوا ، وتابعٌ نهجِ أقرانك الذين درجوا . كم
خبرك التاريخ عن قَيْلٍ دانّت له العروش ، وانقادت له المناير ! ثم أسلمته عزّته
وقوته إلى التراب ، فخالطه وفنى فيه . مضى لم ينفعه مُلْسه ، ولم يتبّعهُ سُلْطانه ؛
بل أقام فى ظُلمةِ قبره عارياً من كلِّ شىءٍ ، أعزلَ من كلِّ سلاح ، وخلفَ دولته
الضخمة ، وعزّته القعساء بالعراء .

- ٢٤ (إِذَا الضَّيْفُ جَاءَكَ فَابْسِمِ لَهُ وَقَرَّبْ إِلَيْهِ وَشِيكَ الْقِرَى)
 ٢٥ (وَلَا تَحْقِرِ الْمُزْدَرَى فِي الْعِيُونِ فَكَمْ نَفَعَ الْمُهَيِّنُ الْمُزْدَرَى)
 ٢٦ (وَلَا تَحْمِلِ الْبُزْلُ تِلْكَ الْوَسُو قَ إِلَّا بِأَزْرَارِهَا وَالْعُرَا)

البَّسْمُ: أقلّ الضحك. قال الليث: بَسْمَ يَبْسِمُ، إذا فتح شفّتيه كالمسكاشير.
 والشيك: السريع. والقِرَى: الضيافة. قَرَى الضيفَ قِرَى وقِرَاء: أضافه.
 والبُزْلُ، بضمّتين وسكّن للشعر: جمع بزول، وهو كالبازل: البعير فطر نابّه،
 أى أنشقّ، وذلك في السنة التاسعة، وربما بزّل في السنة الثامنة.

والوُسُوق: جمع وَسُق، وهو العِدل، وقيل: العِدلان. وقيل: هو الحِلْم
 عامة. وقال الخليل: الوُسُوق؛ حِمْل البعير؛ والوِقْر؛ حِمْل البغل أو الحمار.
 والأززار، واحدها زِرٌّ، وهو ما تُشدُّ به الأستار والقمصان ونحوها.
 والعروة. مدخل الزّر.

يقول: أرغب في الموت وأبتدره بفعل الخير، وليكن حظك من هذه الحياة
 الإحسان إلى أهلها والتطوّل عليهم؛ أقرّ ضيفهم إن نزل بك، أقره بأول ما تلقاه
 لا تتربّص به ما ليس عندك، ولا تُكبره على ما في يدك. لا تزدر شيئاً من
 القوت؛ فربّ مُزْدَرَى نفع، وربّ مُحْتَقِر أفاد. إن في هذا القوت، الذى تممّته
 وتضعفه أن تقدّمه إلى ضيفك، لبلاغاً لهذا الضيف من جوع ربما مزّق أحشاءه،
 وتعلّله عن ألم ربما لم يطق له حملاً. وأين تقع العرّا والأززار بما أوتيت البزّل
 من قوة وما منحت من أيد! ولكنّها مع ذلك محتاجة إليها لاستطيع أن تقلّ
 حملاً، ولا أن ترفع ثقلاً إلا بها. وليس يُحتقر الشيء لضعفه مكانه، ولا يُعظّم
 لارتفاع قدره؛ ينبغى أن يقدر ذلك بمكانه من حاجة الناس إليه، وتوقّف
 مصالحهم عليه.

- ٢٧ (أَجَلٌ خَزْرَةٌ تَنِي وَثَابَةٌ سِوَاهَا الَّتِي مَشَتْ الْخَيْزَرِي)
 ٢٨ (فَإِنَّ سَرَاءَ اللَّيَالِي رَمَى أَوَانَ شَيْبَتِنَا فَأُنْسَرَى)

أجل ، بمعنى نعم . قال الأخفش : إلا أنه أحسن من « نعم » في التصديق ، و « نعم » أحسن منه في الاستفهام . و « أجل » تصديق لخبر يُخبرك به صاحبك ، فيقول : فعل ذلك . فتصدقه بقولك له : أجل . وأما « نعم » فهو جواب المستفهم بكلام لا جحد فيه ، تقول له : هل صليت ؟ فيقول : نعم . فهو جواب المستفهم . والخزر : النظر بلحاظ العين ومؤخرها ، يكون خِلقة ويكون تَداهياً . والثوب : الطفر . والثابة ، مبالغة منه . يريد بها الدنيا الكثيرة النزوان والعدوان ، مع مبالغة ومفاجأة . والخيزري : مشية فيها ظلع وتفكك وتبختر ، ومثلها الخوزري ، والخيزلي ، والخوزلي . قال عروة بن الورد :

والنَّاشِثَاتِ المَاشِيَاتِ الخَيْزَرِي كَعُنُقِ الأَرَامِ أَوْفَى أَوْ صَرَى (١)

أى لغير الحياة الرقق والملاينة . و « السرا » : جمع سُروة . بالضم والكسر ، وهي السهم الصغير القصير ، وقيل : هي سهم عريض النصل طويله . وقال أبو حنيفة : السروة : نصله كأنه مخطط أو مسلة . وتجمع أيضاً على « سُرَى » بضم السين وكسرهما . قال النمر بن تولب :

وقد رمى بسراه اليوم مُعْتَمِداً فِي المُنْكَبِينَ وَفِي السَّاقِينَ وَرِثْبِهِ

والأوان ، بالفتح والكسر : الحين والزمان ، ولم يُعَلَّ « الإوان » لأنه ليس بمصدر .

والشيبية : الاسم من : شَبَّ يَشُبُّ ، وهو خلاف الشيب . وأنسرى ، أى انكشف وانتزع ، يقال : سرى الثوب ، إذا نزعته وكشفه ، فأنسرى .

(١) أوفى : أشرف . وصرى : رفع رأسه .

يقول : أجل ، لقد بالغنا في حُب الدنيا وإكبارها حتى أطمعناها في أنفسنا ، فشررتنا محقرةً لنا، ونظرتنا زاريةً علينا، وهي أحقُّ أن تُحقر وأجدر أن تُزدرى، فليس فيها شيءٌ يُحسُنُ بالعاقل حرصه عليه أو رغبته فيه . لذاتها نائية ، وآلامها دانية ، خيرها قليل ، وشرها كثير، والسعادة فيها غير باقية ، والشقاء بها لا يزول . أو ليس أجمل الأشياء فيها عصر الشباب الذي يحمل إلينا من اللذات ألواناً، ومن النعمة فنوناً ! فكيف ترى ثباته لنضالها ، وبقائه أمام نبالها ؟ أو ليست تتخذه غرَضاً فلا تزال بجِدته حتى تنبلى ، وبنضرتة حتى تدوى، وبجماله حتى يزول !

٢٩ (وَنَوْمِي مَوْتُ قَرِيبُ النُّشُورِ وَمَوْتِي نَوْمٌ طَوِيلُ الْكُرَى)

النشور : البعث بعد الموت . والكرى : النوم والنعاس .

يقول : نحب الحياة ونكره الموت ، وما أعرف لشيء من ذلك سبباً . لقد عرفنا سرَّ الحياة وضرَّها ، وأرى أننا لا نكره الموت إلاَّ لجهلنا إياه وغفلتنا عنه ، وأننا لم ندق طعمه ولم نبلُّ ثمره . بلى ، لقد ذُقناه ، فما آلهة ! وبلَّوناها ، فما أحلى جناها ! وأى فرق بين الموت والنوم ، إلاَّ قصرُ هذا وطول ذاك ! وأى خلاف بين رقدة القبر ورقدة السرير ، إلاَّ أن هذه راحةٌ مؤقتة تنسخها آلام اليقظة ، وتلك راحةٌ خالدة لا ينسخها شقاء الحياة !

- ٣٠ (نَوْمٌ خَالِقِنَا إِنَّا صَرِينَا لِنَشْرَبَ ذَاكَ الصَّرَى)
 ٣١ (سَوَاءٌ عَلَيَّ إِذَا مَا هَلَكَتُ مِنْ شَادَ مَكْرُمَتِي أَوْ زَرَى)
 ٣٢ (فَأَوْدَى فُلَانٌ بِسُقْمٍ أَضَرَ وَأَوْدَى فُلَانٌ بِعِرْقٍ ضَرَى)
 ٣٣ (أَبِالنَّبْلِ أُدْرِكُ أُمَّ بِالرَّمَا حَ بَيْنَ أَسْتِهَا وَالشَّرَى)

صَرِينَا : أَجْتَمَعْنَا . أَى وَجَدْنَا فِي الْحَيَاة . وَيُقَال فِيهِ : صَرَى ، وَالْأَصْل : «صَرَى» فقلبت الياء ألفاً، كما يقال: «بَقِيَ» في «بَقِيَ». والصَّرَى : ما بقي من اللبن فتغيّر وفسد طعمه . يريد به الموت الكريه المَعِيف . أو لعله شبه الموت به ، في أن كلاًّ منهما شيء لا يُؤبّه له . وهو بإشارته الأولى أوفق . كما قد يراد بـ «الصرى» أيضاً كَدَر الحياة ومرارتها .

و«شَاد مَكْرُمَتِي» أَى أَشَاعَهَا وَعَرَّفَ بِهَا وَشَهَّرَ وَرَفَعَهَا ، وَالْأَصْل فِيهِ لِلْبِنَاء . يقال : شاد البناء ، وأشاده . وشيّدَه ، إذا أحكمه ورَفَعَه . ومن المجاز : أشاد ذِكْرَه ، وبذِكْرَه ، إذا أشاعه . يقال في الخير والشر ، والمدح والذم . وأفرد به الجوهري : الخَيْر . فقال : أشاد بذِكْرَه ، أَى رفع من قَدْرَه . من «أشدت» البُنيان ، فهو مُشَاد ، إذا طَوَّلْتَه . خصوصاً بذلك الخُروجِ المجازي «أشاد» دون نظيرتَيْهَا : «شاد» و«شيّد» والمُجَوِّز واحد . وما هنا من مستعمل أبي العلاء .

و«أوزرى» ، أَى : أوزارها على ، والمعنى : عابني بها وعنّفتني عليها .

وأودى : هلك ، فهو مُودٍ . وفي بعض النسخ مكان «وأودى» الثانية «وأودوى» . وأدوى ، أَى مرض ، والمسموع من معاني هذه الصيغة : أدوى الرجل ، إذا صحّب مريضاً . وأدوى غيره ، إذا أمرضه .

وضرا ، العِرْقُ ، إذا نزا منه الدّم واهتزّ ونَعَرَ بالدم . والسرى ، بالضم والكسر : جمع سرورة ، بالضم والكسر أيضاً . وهي أدقُّ ما يكون من نِصال السّهام .

يقول : ألا إلى الله الملجأ وعليه المَعْتَمَد ، فإنّا لم نُجْمَع في هذه الدار ، ولم نُحْشَر إلى هذه الأرض ، إلا لنشرب كأس الموت كَدِرَةً أو صافيةً ، لا بُدَّ منها ولا مُنْصَرَف عنها ، نَشْرِبُهَا رَاغِمِينَ فنجد لها مَذاقاً واحداً لا يُغَيِّرُه اختلاف

المادة، ولا يُبدلُه تبدُّل الأجزاء . فلان قتله المرض ، وفلان قتله السيف ، وفلان أصابه الرُّمَح ، وآخر أصماه السَّهْم . كُلُّ قَدِ أَتَمَّتْ بِهِ الْحَيَاةَ إِلَى مَوْرِدٍ وَاحِدٍ ، لَا اخْتِلَافَ لَهُ وَلَا تَفَاضُلَ فِيهِ .

نَشْرِبُهَا رَاغِمِينَ وَإِنْ لَمْ نَحْمَدْ أَثْرَهَا ، فَنَاءٌ تَامٌ ، وَسُكُونٌ خَالِدٌ ، وَذَهْوُلٌ عَنِ الْعَالَمِ مُقِيمٌ . رَدَّ حَوْضُ الْمَوْتِ مُطْمَئِنًّا ، وَأَحْتَسَّ كَأْسَهُ مُسْتَرِيحًا ، فَلَنْ يُؤَلِّمَكَ بَعْدَ ذَلِكَ ذَمُّ النَّاسِ لَكَ ، وَلَنْ يُرْضِيكَ ثَنَاؤُهُمْ عَلَيْكَ . وَأَنْتَ لَمْ أَنْ يُؤَلِّمَكَ أَوْ يُرْضِكَ ، وَقَدْ فَصِمْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمُ الْعُرَا ، وَتَقَطَّعْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمُ الْأَسْبَابَ .

٣٤ (فَهَلْ قَامَ مِنْ جَدَثٍ مَيِّتٌ فَيُخْبِرَ عَنْ مَسْمَعٍ أَوْ مَرَى)
٣٥ (وَلَوْ هَبَّ صَدَقَهُ مَعْشَرٌ وَقَالَ أَنَّاسٌ طَغَى وَأُفْتَرَى)

الْجَدَثُ : الْقَبْرُ . وَالْجَمْعُ أَجْدَاثٌ . وَقَدْ قَالُوا : جَدَفَ ، فَالْفَاءُ بَدَلَ الثَّاءِ ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا فِي الْجَمْعِ عَلَى أَجْدَاثٍ ، وَلَمْ يَقُولُوا : أَجْدَافٌ . وَ « مَرَى » أَصْلُهُ مَرَأَى ، فَخَفَّفَ الهمزة بعد أن أتى حركتها على الساكن الصحيح قبلها ، فَاجْتَمَعَتْ أَلْفَانٌ ، فَخَدَفَ إِحْدَاهُمَا لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ الْحَادِرَةِ :

* بَمَرِّى هُنَاكَ مِنَ الْحَيَاةِ وَمَسْمَعٍ *

يَقُولُ : أَقْدَمَ وَلَا يَهْوُلُنكَ مَا تَسْمَعُ مِنْ أَخْبَارِ الْغَيْبِ وَأَنْبَاءِهِ ، فَإِنَّمَا هِيَ ظُنُونٌ مُرْجَمَةٌ ، وَأَحَادِيثٌ مَنَحْوَلَةٌ ، لَمْ تَنْتَقِلْ إِلَيْكَ عَنْ ثِقَةٍ ، وَلَمْ تَبْلُغْكَ عَنْ يَقِينٍ . هَلْ أَنْبَأَكَ مَيِّتٌ بِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ؟ وَهَلْ قَصَّ عَلَيْكَ مَا لَقِيَ فِي قَبْرِهِ مِنْ سَعَادَةٍ أَوْ شِقَاءٍ ؟ وَمَنْ نَعِيمٌ أَوْ جَحِيمٌ ؟ كَلَّا ؛ لِوَأَنَّهُ قَامَ مِنْ جَدَثِهِ ، وَهَبَّ مِنْ مَرَقَدِهِ ، فَأَنْبَأَنَا بِمَا رَأَى ، وَحَدَّثَنَا بِمَا سَمِعَ ، لِاخْتِلَافِ ظَنِّ النَّاسِ بِهِ وَرَأْيِهِمْ فِيهِ ، وَلِكَانَ مِنْهُمْ

المُصَدِّقُ له والتَّاعَى عليه . طَبِيعَةٌ تَلِكُ فِي النَّاسِ لَا تَزُولُ ، يُؤَثِّرُونَ الْبَاطِلَ
فِيَتَجْمَعُونَ عَلَيْهِ ، وَيَحْكُرُونَ الْحَقَّ فَيَخْتَلِفُونَ فِيهِ .

٣٦ (وَلَمْ يَقْرَ فِي الْحَوْضِ رَاعِيَ السَّوَا م إِلَّا لِيُورِدَهُ مَا قَرَى)

قَرَى الْمَاءَ فِي الْحَوْضِ ، يَقْرِيهِ قَرِيًّا وَقَرِيٌّ : جَمَعَهُ . وَحَذَفَ الْمَفْعُولُ ، وَهُوَ الْمَاءُ ،
لِلْعَلْمِ بِهِ ، وَالسَّوَامُ وَالسَّائِمَةُ ، بِمَعْنَى الْمَالِ الرَّاعِي . وَقِيلَ : هُوَ كُلُّ مَا رَعَى مِنْ
الْمَالِ فِي الْفَلَوَاتِ ، إِذَا خُلِّيَ وَسَوَّمَهُ يَرَعَى حَيْثُ شَاءَ . وَالْمَاءُ فِي «يُورِدُهُ» لِلْحَوْضِ
وَمَا حَوَى ، مَفْعُولٌ أَوَّلٌ . وَ« مَا » مَفْعُولٌ ثَانِي ، يَعْنِي الَّذِي جَمَعَ مِنَ الْإِبِلِ .

يَقُولُ : أَجَلٌ ، إِنَّمَا لَمْ يُجْمَعْ إِلَّا لِنَزْدِ هَذَا الْمَوْرِدِ ، كَمَا أَنَّ رَاعِيَ الْإِبِلِ لَمْ يُورِدْهَا
الْحَوْضَ ، وَلَمْ يَعْضُهَا عَلَيْهِ ، إِلَّا لَتَشْرَبَ مِنْهُ وَتَرْتَوِيَ مِنْ مَائِهِ .

٣٧ (أَفْرُ وَمَا فَرَأُ نَافِرُهُ بِمُعْتَصِمٍ مِنْ قَضَاءِ فَرَى)

الْفَرَأُ ، مَهْمُوزٌ مَقْصُورٌ ، وَيُمَدُّ : حِمَارُ الْوَحْشِ . وَقِيلَ : الْفَتَى مِنْهَا . وَفِي الْمَثَلِ :
« كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا » لِأَنَّ كُلَّ صَيْدٍ أَقْلٌ مِنَ الْحِمَارِ الْوَحْشِيِّ ، فَكُلُّ
صَيْدٍ لَصْفَرِهِ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ الْحِمَارِ .

وَالْفَرَى ، فِي الْأَصْلِ : الْقَطْعُ وَالشَّقُّ . وَاخْتُلِفَ ، هَلْ هُوَ لِلتَّقْدِيرِ وَالْإِصْلَاحِ ،
أَمْ لِلْإِفْسَادِ ؛ فَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : « فَرَى » لِلْإِفْسَادِ ، وَ« أَفْرَى » لِلْإِصْلَاحِ . تَقُولُ :
فَرَى ، إِذَا شَقَّ وَأَفْسَدَ . وَأَفْرَاهُ : أَصْلَحَهُ ، أَوْ أَمَرَ بِإِصْلَاحِهِ ، كَأَنَّهُ دَفَعَ عَنْهُ
مَا لَحِقَهُ مِنْ آفَةِ الْفَرَى وَخَلَلَهُ ، وَقِيلَ : أَفْرَاهُ : شَقَّه وَأَفْسَدَهُ وَقَطَعَهُ . فَإِذَا أَرَدْتَ
أَنَّهُ قَدَّرَهُ وَقَطَعَهُ لِلْإِصْلَاحِ ، قُلْتَ : فَرَاهُ . وَمَعْنَى أَبِي الْعَلَاءِ مِنَ الْأَوَّلِ ؛ لِأَنَّ الْمَوْتَ
مُبِيدٌ مُبِيرٌ .

يقول : أقدم على الموت فليس لك عنه مفرّ ، ولا منه مُعتصم ، وأنى لهذا
الفرأ الفتىّ ، قد اشتدّ به المرح ، وعظّم فيه الحرص على الحياة ، أن ينجو من
سهم أرسله إليه القدر ، وأتاحه له القضاء .

٣٨ (أَحِنُّ إِلَى أَمَلٍ فَاتَنِي وَمَا لِلشَّبُوبِ وَعَيْشِ الْفَرَا)

الشَّبُوبُ والشَّبَبُ : المُسِنَّ من ثيران الوحش الذى انتهى إسنانه ؛ أو هو الذى
انتهى شباباً . وقيل : هو الذى انتهى تمامه وذكاؤه . والأنثى ، شَبُوب ، بغير هاء .
وقال أبو عمرو : القَرْهَبُ : المُسِنَّ من الثيران ؛ والشَّبُوبُ : الشاب . وليس
بيت أبي العلاء عليه . والفرأ : الفرأ ، وهو الحمار الوحشى ، وسَهْلٌ للشعر .
وقد مر (١) .

يقول : لا تحذعتك الآمال ، ولا تفرنك المني ، ولا يملكك حبّ
الحياة ؛ فإنما هي آمال مُتَقَطَّعة بك ، وأمانى مُسَلِّمة لك إلى الحمام . وأنى
يُتاح للثور الهرم ، قد أفنته السنّ ، وتصرمت عنه الأيام ، أن يعيش عيشة الفرأ
النسيط ، ذى الشَّباب والقوة ، وذى الحِدَّة والفتوة !

٣٩ (مَتَى قَرَقَرَ الْهَاتِفُ الْعِكْرِمَى هَيَّجَ شَوْقًا إِلَى قَرَقَرَى)

٤٠ (وَقَدْ يَفْسُدُ الْفِكْرُ فِي حَالَةٍ فَيُوْهِمُكَ الذَّرَّ قَطْرَ الشَّرَى)

٤١ (سَقَاكَ الْمُنَى فَتَمَنَيْتَهَا وَصَاغَ لَكَ الطَّيْفَ حَتَّى أَنْبَرَى)

القرقرة : من أصوات الحمام . والهتاف ، للحمام أيضاً ، هتفت الحمامة تهتف .
والعكرمى : نسبة إلى «العكرمة» بالتعريف ، وهى الحمامة الأنثى . وقيل : هى الأنثى
من الطائر الذى يُقال له : ساقُ حُرٍّ . وقرقرى : أرض باليمامة .

(١) انظر شرح البيت ٣٧ من هذه المزمومة ص ٢٢٢ من هذا الجزء .

وَيُشِيرُ بِالْبَيْتِ إِلَى حَدِيثِ يَحْيَى بْنِ طَالِبِ الْحَنْفِيِّ ، أَحَدِ بَنِي ذُهَلِ بْنِ الدُّنْثَلِ
ابْنِ حَنْفِيَةَ . وَكَانَتْ لَهُ ضَيْعَةٌ بِالْيَمَامَةِ يُقَالُ لَهَا : الْبَرَّةُ الْعُلْيَا ، وَكَانَ يَشْتَرِي غَلَاتِ
السُّلْطَانِ بَقَرَقَرَى ، وَكَانَ عَظِيمَ التَّجَارَةِ وَكَانَ سَخِيًّا . فَأَصَابَ النَّاسَ جَدْبٌ .
فَجَلَا أَهْلَ الْبَادِيَةِ فَنَزَلُوا قَرَقَرَى . فَفَرَّقَ يَحْيَى بْنُ طَالِبٍ فِيهِمُ الْغَلَاتِ . فَبَاعَ عَامِلُ
السُّلْطَانِ أَمْلَاكَهُ ، وَعَزَّهُ الدِّينُ فَهَرَبَ إِلَى الْعِرَاقِ ، وَكَانَ فَصِيحًا . وَهُوَ فِي الْحَنِينِ
إِلَى قَرَقَرَى شَعْرَ مِنْهُ :

أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ نَاطِرًا إِلَى قَرَقَرَى يَوْمًا وَأَعْلَامَهَا الْغُبْرُ
وَمِنْ آخِرِ :

أَلَا هَلْ إِلَى شَمِّ الْخَزَامِيِّ وَنَظْرَةِ إِلَى قَرَقَرَى قَبْلِ الْمَمَاتِ سَبِيلُ
وَيُقَالُ إِنَّهُ غُيِّبَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ عِنْدَ الرَّشِيدِ ، فَسَأَلَ عَنْ قَائِلِهَا ، فَأُخْبِرَ . فَأَمَرَ بِرَدِّهِ
وَقَضَاءِ دِينِهِ ، فَسُئِلَ عَنْهُ ، فَقِيلَ : إِنَّهُ مَاتَ قَبْلَ ذَلِكَ بِشَهْرٍ .

وَالْوَهْمُ : أَنْ تَذْهَبَ إِلَى الشَّيْءِ وَأَنْتَ تَرِيدُ غَيْرَهُ ، وَهَمَّ فِي الشَّيْءِ يَهِمُّ ، وَأَوْهَمْتَ
غَيْرَكَ إِيهَامًا . وَقَدْ ضَمَّنَ الْفِعْلُ مَعْنَى « ظَنَّ » الَّتِي لِلرُّجْحَانِ ، فَعَدَّاهُ تَعْدِيَّتَهُ .

وَالذَّرُّ : صِفَاءُ النَّمْلِ ، وَاحِدَتُهُ ذَرَّةٌ . وَفِي بَعْضِ الْأُصُولِ : « الدَّرُّ » بِالذَّالِ .
وَالْقَطْرُ ، بِالْفَتْحِ : الْمَصْدَرُ مِنْ : قَطَرَ الْإِبِلُ يَقْطُرُهَا ؛ أَوْ هُوَ بِضَمَّتَيْنِ وَسُكُنٍ لِلشَّعْرِ ؛
وَيَكُونُ عَلَى هَذِهِ جَمْعًا لِقَطَارِ الْإِبِلِ . وَأَكْثَرُ مَا تَسِيرُ الْإِبِلُ بِاللَّيْلِ .

وَالشَّرَى : السَّيْرُ بِاللَّيْلِ . يَرِيدُ مَقْطُورَ الْإِبِلِ ، أَوْ قَطْرُهَا الَّتِي تَسْرَى لَيْلًا .
وَكَذَلِكَ النَّمْلُ يَسْرَى فِي قِطَارِ . قَالَ أَبُو النَّجْمِ :

* وَأَقْبَلَ النَّمْلُ قِطَارًا تَنْقُلُهُ *

يَرِيدُ أَنْ الْفِكْرَ الْفَاسِدَ قَدْ يَصُورُ لَكَ الصَّغِيرَ كَبِيرًا

و « سَقَاكَ » هُنَا ، بِمَعْنَى جَعَلَ لَكَ مَاءً . قَالَ سَبِيوِيَّةُ : سَقَاهُ وَأَسْقَاهُ : جَعَلَ لَهُ
مَاءً ؛ فَسَوَّى بَيْنَ « فَعَلْتَ » وَ « أَفَعَلْتَ » . وَأَنْ « أَفَعَلْتَ » غَيْرُ مَنْقُولَةٌ مِنْ

« فعلت » لضرب من المعاني . وقال غيره : « سقاه » ، بالشفة ، و « أسقاه » : دله على موضع الماء . وسقاك المني ، أى نجعل لك الفكرُ الفاسدُ المني وِرْدًا مَوْزُودًا .

والطَّيفُ : الخيال الذى يُلمَّ مع النَّومِ . والصَّوْغُ : السَّبْكُ . ويُريدُ . « بصوغ الطَّيفِ » تجسيمه وإبرازه مُحَسَّأً مَلْمُوسًا بعد أن كان خيالاً مُتَوَهِّمًا . وأنبرى : عَرَضَ وَبَدَأَ .

يقول : ما أكثر تعرُّضَ عقل الإنسان للزَّلَلِ ، وأستهدافَ رأيه للخطل ! فقد يَخْدَعُهُ فَيُخَيِّلُ إليه الذَّرَّ قطر الإبل جادةً فى سُراها . كذلك يفعل الضَّعْفُ بنفس الإنسان ، يَسْتَقِيمُ المني عَذْبَةً ، وَيُريها الآمالُ مُحَقَّقةً ، حتى إذا جاء وقتُ اليقظة والانتباه والحِرْصِ على اجتناء الأثمار ، لكذَّ الليل وكَدْحُ النهار ، لم يَظْفِرْ إلاَّ بألم اليأس ، ولم يَنْلِ إلاَّ مرارة القنوط .

٤٢ (فَلَا تَدْنُ مِنْ جَاهِلٍ آهَلٍ لَوْ أَنْتَزَعْتَ خَمْسَهُ مَا دَرَى)
٤٣ (أَبَى سَيْفِهِ قَتَلَ أَعْدَائِهِ وَسَافَ وَلِيدَتَهُ أَوْ هَرَى)

الآهل : الذى له زَوْجَةٌ وِعِيَالٌ . وفى الحديث : « إن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى الآهلَ حظَّينَ والعزبَ حظًّا » . وخمسه ، أى خمس أصابعه وسافه : ضربه بالسيف . وأقام « الوليدة » مثلًا لأعز ما يُحِبُّه الإنسان ويدفع عنه . يريد أن أطماع الحياة قد تُغرى الإنسان بالعزير عليه ، وتصرفه عن أبغض الناس إليه . وهَرَاهُ يَهْرُوهُ : ضربه بالهراوة . وهريته ، لغة فيها .

يقول : كم تمتلىء نفسك أبتهاجًا ! وكم يَفْعَمُ قلبك سُرورًا ! حين تصوغ لك الأملُ طَيفَ الخيال ، وفيه من حبيبتك ما أحببت من دلِّ فاتن ، وجمال ساحر ، ومن لطف خلَّاب ، وحسن جَدَّاب . وكم يُؤلِّمُ وَخز اليأس حين تُباعد اليقظة

بينك وبين هذا الخيال ! فما تَفِيحُ من نومك إلا وقد أَسْتَيْقَتِ بِأَنكَ قد كنت في باطل ليس له من الحق نصيب . ذلك هو نَصِيكَ من الدُّنْيَا ، فإن شئت فأزهد فيه ، وإن شئت فأحرص عليه . ولكنى أنصح لك ألا تتخذ سبيلَ الجاهل الذى لا يَفْرُقُ بين نَفْعِهِ وَضُرِّهِ ، ولا يُمَيِّزُ خَيْرَهُ من شره . ذلك الذى يصرف سببَهُ عن عدوّهِ لِيُعْجِمَهُ فى رأسِ أَحَبِّ الناسِ إليه ، وأولاهم بالمنزلة عنده ؛ وهى أبنته التى هى جزء من نفسه ، وقطعة من قلبه . هذا الجاهل الغافل يَغْتَرُّ بالحياة فيرغب فيها ، ويعتقد أن حِرْصَهُ عليها سيعصمه من فراقها ، وإنما هو فى رأيه مُضَلَّلٌ مغرور .

- ٤٤ (وَتَحْتَلِفُ الْإِنْسُ فِي شَأْنِهَا وَأَبْعَدُ بَعْنُ بَاعٍ مِمَّنْ شَرَى)
 ٤٥ (مُعْنِيَةٌ أُعْطِيَتْ مُرْغَبًا فَفَعَّتْ وَنَائِحَةٌ تُكْتَرَى)
 ٤٦ (وَهَآوٍ لِيُخْرِجَ مَاءَ الْقَلْبِ وَرَاقٍ لِيَجْنِيَ ثَوَلًا أَرَى)
 ٤٧ (فَإِنْ نَالَ شُهْدًا فَأَيْسِرْ بِهِ عَلَى أَنَّهُ بِسُقُوطِ حَرَى)

الإنس : جماعة النَّاسِ ، والجمع أناس . والأنس ، بفتحين ، لغة فيه . والضمير فى « شأنها » للحياة ، وإن لم يَمِرَّ لها ذكر صريح ، فالحديث عنها . و « أبعد » : إحدى صيغتي التعجب ، وُضِعَ فيها الماضى على صورة الأمر . والباء بعدها مزيدة على الفاعل . و « شرى » للشراء والبيع . وهى هنا للأول . ويقول الفراء : وللعرب فى « شروا واشتروا » مذهبان ، فالأكثر منهما أن يكون : شروا : باعوا ، واشتروا : ابتاعوا . وربما جعلوها بمعنى باعوا . والمرغِبُ : من أرغبت فى الشيء ، إذا أعطانى ما أرغب فيه وأطمع . والاكتراء : الاستئجار .

والهاوى : المُهْبَطُ ، فعله : هَوَى يَهْوَى . والقليب : البئر ما كانت ، وقيل : قبل أن تطوى ، فإذا طويت ، فهى الطوى ، والجمع : أقلبة ؛ والكثير : قُلب .

وقيل : قُلب ، في لغة من أنث ، وأقْلِبَة وقُلب ، جميعاً في لغة من ذَكَر . وراق : من رَرَى يَرَرَى ، إذا صَعِد . والثَّوَل : جماعة النَّحْلِ ، لا واحد لها من لفظها . وأرَت النحل تُأرِي أَرِيَا : عَمِلَت العسل .

والشَّهْد ، بالفتح والضم : العسل ما دام لم يُعصر من شمعه ، واحدته شَهْدَة وشَهْدَة ، بالفتح والضم أيضاً ، ويكسَّر على الشَّهَاد . وحرَّى : خَلِيق ، ومثله حرّ ، وحرَّى . فمن قال : «حرَّى» لم يُغَيِّرْهُ عن لفظه ، فيما زاد على الواحد ، وسوَّى بين الجنسين ، أعنى المذكَر والمؤنث ، لأنه مصدر . قال الشاعر :

وهنَّ حرَّى الأُيُوثُ تَقَرَّةً وأنت حرَّى بالنار حين تُثيبُ
ومن قال : حرّ وحرى ، ثنىَّ وجمع وأنث .

يقول : ما أشدَّ ما أشهد بين الناس من الاختلاف في طُرق الحياة والافتراق في سُبُل العيش ! هذا يبيِّع وهذا يشتري ، وتلك تُغني وهذه تنوح ، وذاك يَهْوِي إلى أعماق الأرض لِيَمْتَح الماء من جوف القَلْبِ ، وصاحبه يَصْعَد في أجواز الجوّ لِيَشْتَار العسل من رءوس الجبال ، أشدَّ ما يكون على نفسه حَذَرًا من السَّقُوط ، وأحرص ما يكون لها رغبةً في النجاح . والكلُّ يَنْتَهون من مَسَاعِيهم المُخْتلِفة ، ومَسَالِكهم المُتَشعِّبة ، إلى غاية واحدة هي الموت ، الذي لا مُنْصَرَف عنه ولا شكَّ فيه .

٤٨ (نَزُولُ كَمَا زَالَ أَجْدَادُنَا وَيَبْقَى الزَّمَانُ عَلَى مَا تَرَى)

الزوال : الذهابُ والأستحالة والأضمحلال . زال يزول، زَوَّالاً، وزَوِيلاً، وزُوُولاً.

يقول : ألا إننا زائلون كما زال من قبلنا، فَمُقَفُون على آثارهم ومورثون الأرض من بعدنا .

٤٩ (نَهَارٌ يُضِيءُ وَلَيْلٌ يَبْجِيءُ وَنَجْمٌ يَغُورُ وَنَجْمٌ يُرَى)

يغور : يَغْرُب . غِيَارًا ، وَغُورًا . وَغُورٌ يَغُورُ ، مثله .

يقول : الزمان على حاله نهارٌ يَمُرُّ بِضَوْئِهِ ، وَلَيْلٌ يَكُرُّ بِظَلْمَتِهِ ، وَنَجْمٌ يَطْلُعُ ، وَآخَرٌ يَهْوِي مُغُورًا . بذلك سَبَقَ الْقَدْرُ ، وعلى هذا استقر القضاء .

اللزومية الخامسة والثلاثون

وقال أيضاً في الألف والنون ، على رأى مَنْ جعل الألفَ في هذه القافية رويًا :

١ (حَيَاةٌ عَنَاءٌ وَمَوْتُ عَنَى فَلَيْتَ بَعِيدَ حِمَامٍ دَنَا)

العنَاء : الضَّرِّ والنَّصَبِ والتَّعَبِ . وقال أبو الهيثم : العنَاء : الحبس في شدة ودُلِّ . وقيل : عنا الرجل يَعْنُو عَنَاءً ، إذا ذلَّ لك واستأسر . وبهذا كله تَتَّصِفُ الحياةُ .

وعَنَى : قَصِدَ ونَزَلَ ؛ يُقال : عَنَتَ به أمور ، أى نزلت .

وليت : ناسخ للتمنى ، وما يتعلق به مُستحيل الوقوع . والحمام ، بالكسر : قضاء الموت وقَدَره .

وبين اللفظين « عناء » و « عنى » جناس . وإيراد الماضى إمّا أن يكون على بابهِ ، أى وموت نازل بنا ذُقناه وبلواناه . وإمّا أنه أقامه مقام المضارع المضمّن معنى الاستقبال لتحقق وقوع الموت .

يقول : حياةٌ تعنينا آلامها ، أو موت يعذبنا خوفه ، فليت ما يؤذينا مضى ، وليت ما يُخيفنا وقع .

٢ (يَدٌ صَفِرَتْ وَلَهَاءٌ ذَوَتْ وَنَفْسٌ تَمَنَّتْ وَطَرْفٌ رَنَا)

صَفِرَتْ : خَلَّتْ ، تَصْفَرُ صَفْرًا . وفي التهذيب : تَصْفَرُ صُفُورَةً . واللاهَاءُ : لحمَةٌ حمراء في الحنك معلقة على عكدة اللسان . والجمع : لَهَيَاتٌ ، وَلَهَوَاتٌ ، وَلَهَاءٌ ، وَلُهَىٌ ، بَضْمِ اللام وكسرها ، وَلِهَاءٌ . وذوى يذوى ذِيًا وذُوِيًا : ذَبُلَ وَضَعُفَ .

والتمتّى : تشهّى حصول الأمر المرغوب فيه ، وحديث النفس بما يكون وما لا يكون . وقيل : التمتّى: سؤال الربّ في الحوائج .

والطّرف : اسم جامع للبصر ، لا يُثنّى ولا يُجمع ، لأنه في الأصل مصدر . وقال الزمخشريّ : ولو جُمع لم يُسمع في جمعه أطراف . ورنّا يرنورنونا : أدام النظر مع سكون الطّرف . ومنه قولهم للفاجرة : ترُنّي ، أى يدام النظر إليها ؛ لأنها تُزنّ يالزّيبة . وكذلك قولهم : يابن ترُنّي ، للثيم ، وهو من ذلك أيضاً .

يقول : ماذا أحمد من الحياة ، وإنما هي أمل يثمر اليأس ، ورجاء يُغلّ القنوط ؟ نفس متمنّية للسعادة ، وعين رانية إلى النّعيم ، ويد قد أصفرها الفقر وأخلاها الشّقاء ، ولهاة قد أجهّها الظّماً وأذواها الصّدى .

٣ (وموقِدٌ نيرانِه في الدّجى يرومُ سناءً برِفعِ السّنى)

الدّجى : الظّلمة ، وسواد الليل مع غيم ، والألّا ترى نجماً ولا قرماً . وقيل : هو إذا ألبس كلّ شيء ، وليس هو من الظّلمة . واحدتها : دُجية . قال ابنُ جنيّ : وليس من « دجا يدجو » ولكنه في معناه . وقال غيره : هذه الكلمة واويّة ويائية بتقارب المعنى . وقالوا : ليلة دُجى ، وليالٍ دُجى ، لا يُجمع لأنه مصدر وُصِف به .

يُشير بهذا الشّطر إلى ما عُرف عن كرماء العرب من إشعال النّار بالليل ليقتصد إليهم العافون . والسّناء ، بالمد : المجد والشّرف ؛ وبالقصر : ضوء النّار والبرق . ويُثنّى : سنوان . ولم يعرف الأصمعيّ له فعلاً . وقال غيره : سنّا البرق : أضاء ؛ وأسّى النّار : رَفَعَ سناها . واستناها : نظر إلى سناها . ومن « السناء » : سنّا إلى المعالي . وسنّوفى حسبه ، أى ارتفع . وكذلك سنى يسنى .

يقول : لشدّ ما أشهد في هذه الحياة من تلون ! ولشدّ ما أرى فيها من خداع أناس يُحبون الخير ويرغبون فيه ! فإذا حققت أمورهم ، وتبينت أسرارهم ، رأيت أن حُبهم للخير ، وحرصهم عليه ، ليس إلا تجارة كاسدة يتبعون بها الذكّر الطائر ، والشهرة الكاذبة ، والصيتَ البعيد . أو قد أيها الموقد نيرانك في جوف الليل ، وأرفع سنّاها على رؤوس الجبال وشعافها ، فقد علمت أنك لم تُرد بذلك وجه الله ولا فعل الخير ، وإنما أحببت أن يشيعَ حمدُ الناس لك وثناؤهم عليك .

٤ (يُحَاوِلُ مَنْ عَاشَ سَتَرَ الْقَمِيصِ وَمَلَأَ الْخَمِيصَ وَبُرِّءَ الضَّنَى)

القَمِيصُ ، معروف . والتَّرَكِيبُ من إضافة المصدر لفاعله ، وحذف المفعول للعلم به . أى يحاول من عاش أن يجد قميصاً لستر بدنه . وقد يكون أراد بـ « القميص » الجلد ، لأنه يستر ما تحته . ثم أقامه مُقامَ الجسم ، لأن من ستره فقد سترَ الجسم . وعلى هذا يكون التركيب من إضافة المصدر إلى مفعوله .

والخَمِيصُ : الضامر . يريد : وملأ البطن الخَمِيصَ . أقامَ الوصف مقامَ الموصوف لجر يانه به : والبُرءُ : الصّحة والعافية ؛ برئت من المرض بُرءاً ، وهذه لغة غير أهل الحجاز . وأما أهل الحجاز فيقولون : برأتَ بُرأً . والضنَى : المرض . وقيل : هو المرض المُخامر الذى كلما ظنَّ أنه قد برأ نكس . وهو أيضاً المريض الذى قد طال مرضه وثبت فيه . بعضهم لا يُثنيّه ولا يجمعه ، يذهب به مذهب المصدر ، فيقولون : رجل : ضنّى . وقوم ضنّى ، وبعضهم يُثنيّه ويجمعه : قال عوف بن الأحوص الجعفرى :

أُوْدَى بَنَى فَمَا بَرَحِلِي مِنْهُمْ إِلَّا غُلَامًا بَيْئَةً ضَنِيَانِ

والمعنى هنا على الأوّل .

أى ذات إقبال وإدبار . وقد جعلها سيبويه : الإقبالة والإدبارة ، على سعة الكلام . وقيل : إذا قلت «سواء على» احتجت أن تُترجم عنه بشيئين : تقول : سواء سألتنى أو سكت عني ، وسواء حرّمتنى أم أعطيتنى .
والقنا : الرّماح . والفِرْدُ : السيفُ نفسه . وقيل : وشُيْه . وقيل : جوهره وماؤه . وهو دخيل . قال جرير :

وَقَدْ قَطَعَ الْحَدِيدَ فَلَا تُمَارُوا فِرْدًا لَا يُقَلُّ وَلَا يَذُوبُ

ويحوز أن يكون أراد : ذو فرند ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ومعنى أبى العلاء كما يكون من الأول يكون من الثانى . وخضر الفرند : وصف للسيوف . والعرب تُطلق الخُضرة على سواد الحديد فيقولون : ككتيبة خضراء ، إذا غلب عليها لبس الحديد . والسيوف والقنا فى حُكْم الشىء الواحد ، لأنهما من بابة واحدة .
والآس : ضَرْب من الرّياحين ، وهو كثير بأرض العرب يَنْبَت فى السَّهْلِ والجبل ، وخُضرتة دائمة أبداً ، ويسمو حتى يكون شجراً عظيماً ، واحدته : آسة . وفى دَوَام خُضرتة يقول رؤوية .

* يَخْضَرُّ مَا أَخْضَرَ الْأَلَا وَالْآسُ *

جعل أبو العلاء خضرة فرند السيف من خُضرتة . والقنا ، مقصور : شجر ذو حبةٍ أحمر ما لم يُكسر ، يُتَّخَذُ منه قرار يطُوزن بها ، كل حبة قيراط . وقيل : تُتَّخَذُ منه القلائد . يشير إلى الدماء التى تسيل على متن السيف فتخالط خضرة فرنده .

وأزدها : أَسْتَخَفَّه وَأَسْتَفَزَّه . وَالضَّمِيرُ فى « حمله » يعود على « من » فى قوله قبله فى البيت الخامس « ومن ضمه جدث » . والتَلْقِيبُ : التَّنَابُزُ والتَّدَاعَى بالألقاب ، وهو يكثر فيما كان ذمّاً . وفى التنزيل العزيز (وَلَا تَنَابَزُوا

بِالْأَقْبَابِ). قَالَ الزَّجَّاجُ : مَعْنَاهُ : لَا يَقُولُ الْمُسْلِمُ لِمَنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا فَاسْمُ لِقَبِّهِ يُعَبِّرُهُ فِيهِ بِأَنَّهُ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا . كَمَا قَدْ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فِي كُلِّ لِقَبِّ يَكْرَهُهُ الْإِنْسَانُ ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُحِبُّ أَنْ يُخَاطَبَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ . وَالسَّكْنِيَّةُ : عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ ، مِنْهَا أَنْ يُكْنَى الرَّجُلُ بِاسْمِهِ تَوْقِيرًا وَتَعْظِيمًا . وَهِيَ مُرَادُهُ هُنَا . وَقَدْ مَرَّ شَرْحُهَا تَفْصِيلًا (١) .

يقول : مَا أَجَلَ الْمَوْتِ وَمَا أَلَذَّهُ ! وَمَا أَكْفَلَهُ لِارْتِاحَةٍ وَأَنْفَاسٍ لِلتَّعَبِ ! يَسْكُنُ أَحَدُنَا الْقَبْرَ فَلَا يَحْتَمِلُ بِمَا أَفَادَ مِنْ ثَرْوَةٍ وَمَا أَقْتَنَى مِنْ طَرَائِفِ ، يَعُودُ تَرَابًا لَا يَلِدُّ لَهُ مَسُّ الْحَرِّ وَلَا يُؤْذِيهِ طَعْنُ الْقَمَانِ ، وَلَا يُؤْمِلُهُ مَا نَالَ مِنْ مَوْتِ زُعَافٍ قَدْ حَمَلَهُ إِلَيْهِ صَارِمٌ صَافٍ فِي الْفِرِّندِ ، مَاضِي الْحَدِّ ، مُرٌّ لِلذَّاقِ ؛ وَلَا يَزِدُّهُ فِي الْعَضْبِ ، وَلَا تَأْخُذُهُ الْعِزَّةُ إِنْ ذَمَّهُ النَّاسُ أَوْ مَدَحُوهُ ، سِوَاةٍ عَلَيْهِ سَيِّئٌ ذَلِكَ وَحَسَنُهُ ، وَقَبِيحُهُ وَجَيِّدُهُ .

- ٩ () مُيَهَّنًا بِالْخَيْرِ مَنْ نَالَهُ وَلَيْسَ الْهِنَاءُ عَلَى مَا هَنَا)
 ١٠ (وَأَقْرَبُ لِمَنْ كَانَ فِي غِبْطَةٍ بَلْقِيَا الْمَنَى مِنْ لِقَاءِ الْمُنَا)

أَرَادَ بِ« الْخَيْرِ » الْمَوْتَ ، فَهُوَ خَلَاصٌ مِنْ عَنَاءِ الْحَيَاةِ فِي رَأْيِهِ . وَقَدْ أَوْضَحَ مُرَادَهُ فِي الشُّطْرِ الثَّانِي . أَوْ لَعَلَّ الْمَعْنَى عَلَى الْإِنْكَارِ وَالتَّهَكُّمِ ، أَيْ لَيْسَ خَيْرُ الْحَيَاةِ بِالْخَيْرِ الَّذِي يُهْنَأُ بِهِ ، وَإِنَّمَا الْخَيْرُ الَّذِي يُهْنَأُ بِهِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ . أَوْ لَيْسَ فِي الْحَيَاةِ مَا يُهْنَأُ بِهِ ، وَإِنَّمَا الْهِنَاءُ لِمَا بَعْدَ الْمَمَاتِ ، وَالْهِنَاءُ : الْبُلْهَمِيَّةُ وَخَفْضُ الْعَيْشِ . لَمْ تَذْكُرْهُ الْمَعَاجِمُ ، وَالْمَسْمُوعُ : هِنَاءَةٌ ، وَهِنَاءَةٌ ، وَهِنْءٌ .
 وَأَقْرَبُ . فَعَلَّ مَاضٍ وَوُضِعَ عَلَى صَيْغَةِ الْأَمْرِ لِلتَّعَجُّبِ . وَفَاعِلُهُ « لُقْيَا »
 وَالبَاءُ فِيهِ زَائِدَةٌ .

(١) انظر شرح البيت ١٥ من اللزومية ٣٤ ص ٢١٢ ن هذا الجزء .

والغَيْظَةَ : حُسْنُ الْحَالِ . وفي الحديث : «اللَّهُمَّ غَبِطًا لَا هَبْطًا» أَيْ نَسَأَكَ
الغَبِطَةَ وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ نَهْبِطَ عَنْ حَالِنَا . وَقِيلَ : مَعْنَاهُ : نَسَأَكَ الْغَبِطَةَ ، وَهِيَ النَّعْمَةُ
وَالسَّرُورُ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الذَّلِّ وَالخَضُوعِ .

وَاللَّقِيَا : الْأَسْمُ ، مِنْ لَقِيََ يَلْقَى لِقَاءً . وَ «الْمَنَى» الْأَوَّلَى ، بِالْفَتْحِ ، وَهِيَ
الْقَدَرُ . وَالثَّانِيَةُ بِالضَّمِّ : جَمْعُ «مُنْيَةٍ» بِالضَّمِّ أَيْضًا ، وَهِيَ مَا يَتَمَنَّى الرَّجُلُ . أَيْ إِنْ
الْحَتْفُ يُعْجَلُ الْمَرْءُ دُونَ أُسْتِكْمَالِ أَمَانِيهِ . وَهُوَ بِسَبِيلِ تَأْكِيدِ مَا سَبَقَ إِلَيْهِ فِي
الْبَيْتِ السَّابِقِ مِنْ تَحْقِيرِ خَيْرِ الدُّنْيَا وَتَهْوِينِهِ .

يقول : أَلَا مَنْ كَانَتْ قَدْ أَعْجَبْتَهُ الْحَيَاةُ فَإِنِّي قَدْ أَعْجَبَنِي الْمَوْتُ . أَلَا إِنْ
مَنْ نَالَ الْخَيْرَ خَلِيقٌ أَنْ يَهْنَأَ بِهِ وَيُغْبَطَ عَلَيْهِ ، وَلَكِنِّي لَا أَرَى الْحَيَاةَ خَيْرًا ، وَلَا
أَعْتَدُهَا نِعْمَةً .

- ١١ (أَعَايِبُهُ جَسَدِي رُوْحُهُ وَمَا زَالَ يَخْدُمُ حَتَّى وَنَى)
١٢ (وَقَدْ كَلَّفْتَهُ أَعَاجِبَهَا فَطَوْرًا فِرَادَى وَطَوْرًا مُنَا)

وَنَى يَنِي : ضَعْفٌ وَقَرَّ وَكَلَّ . وَفِرَادَى ، بِضَمِّ الْفَاءِ وَكَسْرِهَا : وَاحِدًا بَعْدَ
وَاحِدٍ . وَقَوْلُ الْعَرَبِ : قَوْمٌ فِرَادَى ، وَفِرَادَ ، فَلَا يُجْرُونَهَا ، شُبَّهَتْ بِثَلَاثِ
وَرُبَاعٍ . قَالَ الْفَرَّاءُ : فِرَادَى ، وَاحِدُهَا : فِرَادٌ ، وَفِرِيدٌ ، وَفِرْدٌ ، وَفِرْدَانٌ ،
وَلَا يَجُوزُ : فِرْدٌ ، فِي هَذَا الْمَعْنَى . وَقَالَ غَيْرُهُ : هِيَ جَمْعُ فِرْدٍ ، عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ .

وَمُنَا ، أَيْ مُنَاءً ، مَضْرُوفَةٌ عَنْ : أَثْنَيْنِ أَثْنَيْنِ . قَالَ الشَّاعِرُ :

وَلَقَدْ قَتَلْتَكُمْ مُنَاءً وَمَوْحَدًا وَتَرَكْتُ مِرَّةً مِثْلَ أُمْسِ الدَّابِرِ

يقول : لَقَدْ كَثُرَتْ مَذَاهِبُ النَّاسِ فِي مَصْدَرِ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الْحَيَاةُ مِنْ
شَرٍّ ، فَهُمْ مَنْ حَمَدَ الْمَادَّةَ وَأَنْكَرَ الرُّوحَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ ذَمَّ الْمَادَّةَ وَجَعَلَهَا مَصْدَرَ

الشُّرُورِ وَعِلَّةَ الْآثَامِ ، وَزَعَمَ الرُّوحَ بَرِيئًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ خَالِصًا مِنْ كُلِّ سُوءٍ ،
وَالْجِسْمَ مَصْدَرَ آثَامِهِ وَعِلَّةَ شِقَاؤِهِ . وَمَا أَرَى هَذِهِ الطَّائِفَةَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا غَالِيَةً
مُغْرَبَةً . مَاذَا فَعَلَ الْجِسْمُ الْمَسْكِينُ وَمَاذَا جَنَى ؟ لَقَدْ كَلَّفَهُ الرُّوحَ مَشَاقَّ الْأَعْمَالِ
وَأَنْوَاعِ الْآلَامِ فَاحْتَمَلَهَا طَائِعًا ، وَقَامَ بِهَا مُذْعَنًا ، حَتَّى أَدْرَكَهُ الْبَلَى وَأَصَابَهُ الْفَنَاءُ .
أَجَلَ ، لَقَدْ كَلَّفَهُ الرُّوحُ مِنْ أَعَاجِيبِهِ مَا يَفُوقُ الطَّاقَةَ وَيَتَجَاوَزُ الْحَدَّ ، فَمَا عَصَى
أَمْرًا وَلَا أَسْتَهَانَ نِدَاءً . أَفَتُنْ أَبْلَتَهُ الْخِدْمَةَ وَأَفْتَنَتْهُ الطَّاعَةَ يُكُونُ نَصِيبُهُ
الدَّمَّ وَالْعَيْبَ !

١٣ (يُنَافِي ابْنَ آدَمَ حَالَ الْعُصُونَ فَهَاتِيكَ أَجَنَّتْ وَهَذَا جَنَى)

يُنَافِي : يُغَايِرُ وَيُخَالِفُ . يُقَالُ : هَذَا يُنَافِي ذَلِكَ ، وَهِيَ يَتَنَافِيَانِ . وَأَجْنَى الْعُصْنُ :
إِذَا صَارَ لَهُ جَنَى يُجَنَّى فِيؤُ كُلِّ . قَالَ الشَّاعِرُ :

* أَجْنَى لَهُ بِاللَّوِيِّ شَرِيٌّ وَتَنَوُّمٌ *

وَجَنَى : مِنْ جِنَايَةِ الذَّنْبِ وَالْإِثْمِ .

يَقُولُ : لَقَدْ أَخْطَأُوا فِي ذَمِّهِمْ لِلْجِسْمِ ، وَكَذَبُوا فِي عَيْبِهِمْ عَلَيْهِ . فَمَا رَأَيْنَا
الْجِسْمَ فِي نَفْسِهِ إِلَّا مَصْدَرًا لِلْخَيْرِ وَسَبَبًا لِلنَّعْمَةِ ، وَمَا رَأَيْنَا الشَّرَّ وَالشَّقَاءَ وَالغَىَّ
وَالْفَسَادَ إِلَّا تَابِعَةً لِلْحَيَاةِ يَصْحَبُهَا الرُّوحُ .

وَدُونَكَ الْعُصْنَ الَّذِي هُوَ جِسْمٌ صِرْفٌ ، لَيْسَ لَهُ مِنَ الْعَقْلِ وَالرُّوحِ نَصِيبٌ ،
وَدُونَكَ الْإِنْسَانَ الْعَاقِلَ الْمُفَكِّرَ ، فَانظُرْ أَيُّهُمَا إِلَى الْخَيْرِ أَوْلَى وَإِلَى الْفَائِدَةِ أَقْرَبُ .
تَجِدُ الْعُصْنَ قَدْ أُعْطِيَ النَّعِيمَ وَاللَّذَّةَ ، وَأَجْنَى الْفَوَاكِهِ وَالْأَثْمَارِ ، وَالْإِنْسَانَ قَدْ
أَوْجَدَ الْجَحِيمَ وَالشَّقَاءَ ، وَجَنَى الْآثَامِ وَالشُّرُورِ .

١٤ (تَغْيِيرُ حِنَاؤُهُ شَبِيهُهُ فَهَلَّ غَيْرَ الظَّهْرِ لَمَّا أُنْحِنِي)

يقول : لقد برى الجسم الخالص من المين والتكاف ، ومن الكذب والزور ،
فما تبرأ مما هو فيه ، ولا حرص على الرجوع إلى مافاتة ، ولا ذاق كذب الآمال ،
ولا جرّب ضلال المنى .

انظر إلى الإنسان ذى العقل والفكر كيف ضلّ عقله ، وصغر فكره .
فكّر في الشيب وقد أصابه ، وأحبّ الشباب وقد فاته ، فظنّ أن الخضب يدفع
عنه ما أتى ، ويَرُدُّ عليه ما فات ، ونسى أن تغير اللون وأستحالتة ، لا يدفعان
عنه ما دهمه الشيب به من انحناء الظهر ، وأنشاء المتن .

١٥ (إِذَا هُوَ لَمْ يُخْنِ دَهْرٌ عَلَيْهِ جَاءَ الْفَرِيَّ وَقَالَ اخْنَا)
١٦ (وَسَيَّانٍ مَنْ أُمُّهُ حُرَّةٌ حَصَانٌ وَمَنْ أُمُّهُ فَرَتْنِي)

أخنى عليه الدهر : أهلكه وأتى عليه . قال النابغة :

أَمَسَتْ خَلَاءَ وَأُمْسَى أَهْلُهَا أَحْتَمَلُوا أَخْنَى عَلَيْهَا الَّذِي أَخْنَى عَلَى لُبْدِ

والفريّ : الأمر العظيم . وفي التنزيل العزيز في قصة مريم : (لَقَدْ جِئْتِ
شَيْئًا فَرِيًّا) أى جئت شيئاً عظيماً . والخنأ : الفحش .

وسيان ، بمعنى سواء . يقال : هما سيان ، وهم أسواء ، وقد يقال : هم سىّ ،

كما يقال : هم سواء .

والحصان من النساء : العفيفة . والفرتنى : الأمة ، والزانية ، نونه زائدة .

وجعله سيبويه رباعياً . وقال ابن برّى : الفرتنى ، معرّفاً بالألف واللام . قال :

وكذلك : الهلوك ، والمؤمسة . وقال ثعلب : فرتنى : الامة .

يقول: أنظر إليه كيف خدعته الأوضاع المختلفة والأصول المنتحلة، فحكّمها في نفسه وسلّطها على عمله، مع أنه هو الذي اخترعها ولم تكن موجودة، وانتحلها ولم تكن معروفة، وأتخذ منها لنفسه قيوداً وأغلالاً تعوقه عن الخير، وتذنيه عن الكمال، جعل في الناس أحراراً وعبيداً، وفرّق بين ابن الحرة وأبن الأمة في الحكم، وباعد بينهما في نظر العقل. وما أرى بينهما فرقاً: كلاهما إنسان يأكل الطعام ويمشي في الأسواق. فرّق بين المُحصّنة والزّانية، وأخذَ بينهما بحكّمهما، فأخذَ ابنَ الزّانية بجناية أمّه، وربما كان خيراً فاضلاً. ومدح ابنَ المُحصّنة بطهارة أمّه، وربما كان شريراً آثماً.

ما أضلَّ عقله وأسفّه رأيه وأجدره أن يتخلّص من هذه الأغلال!

- ١٧ (وَلى مَوْرِدٍ يَأْنَاءِ الْمَنُونِ وَلَكِنَّ مِيقَاتَهُ مَا أَنَى)
 ١٨ (زَمَانٌ يُخَاطَبُ أَبْنَاءَهُ جَهَارًا وَقَدْ جَهَلُوا مَا عَنَى)

المورد: حيث ترد من الماء، أو وقت أن ترد إليه، للمكان والزمان. والمعنى على الوجهين مستقيم. أى لى مكاني بين الواردين، أولى ساعتى. كما قد يجوز أن يكون « المورد » بمعنى « الورود ». والإبناء، ممدود: واحد الآنية، وهو ما يرتفق به، وهو لما يُطعم فيه أعرف. أى إنه ذائق المنون وطاعمه، إذ له مكانه بين الطاعمين وحينه.

والمُنُون: المنية. وقد مرّت^(١). والميقات: الوقت المضروب للفعل، والموضع أيضاً. وأنى: حان، وفي حديث الهجرة: « هل أنى الرّحيل؟ » أى حان وقته.

(١) شرح البيت ١٩ الزّومية ٣٤ ص ٢١٤ من هذا الجزء.

وجهاراً : أى علانية . يقال : جاهره بالأمر مجاهرة وجهاراً ، إذا علنه . ويريد بمخاطبة الزمان أبناءه : تصرفه فيهم بأحداثه . وما عني ، أى ما قصد إليه .

يقول : انظر إليه بَطَرًا أَشْرًا ، يُحِبُّ الحِياةَ ويرغب فيها ، حتى إذا طالت له أنفقاها في الزُّورِ والخنا ، وأمضاها في الإنمِ والفجور . انظر إليه كيف نسى نصيبه من الموت حين حُجِبَ عنه وخفى عليه ، فظن أنه خالد لن يموت ، وأنه لا يفنى ؛ حتى إذا ظهر خطؤه وبان خَطَلَهُ تَقَطَّعَ قلبه حزناً لفراق الحياة ، وتفرقت نفسه فزعاً من لقاء الموت . ولو قد كان متبصِّراً في الأمور ، مستقصياً لعواقبها ، لكان بنجوة من هذا الفزع وذلك الحزن . انظر إليه كيف أصمَّ أذنيه عن هذا الصوت المرين ، وكيف غفل عما يقدم الدهر إليه من آيات بيّنة وحُجُبٍ ناصعة ، تُظهِرُ له غروره واضحاً ، وفُتُونَهُ جلياً .

- ١٩ (يُبَدِّلُ بِالْيُسْرِ إِعْدَامَهُ وَتَهْدِمُ أَحْدَاثَهُ مَا بَنَى)
 ٢٠ (لَقَدْ فُزْتُ إِنْ كُنْتُ تُعْطَى الْجَنَانَ بِمَكَّةَ إِذْ زُرْتَهَا أَوْ مَنَى)

التبديل : التَّغْيِيرُ ، وإن لم تأت ببديل ، إذ الأصل فيه تغيير الشيء عن حاله . أما الإبدال ، فهو جعل شيء مكان شيء آخر . وقال ثعلب : أبدلت الخاتم بالحلقة ، إذا نَحَّيْتُ هذا وجعلت هذا مكانه ؛ وبدلت الخاتم بالحلقة ، إذا أذبتة وسويتة حلقة ؛ وبدلت الحلقة بالخاتم ، إذا أذبتها وجعلتها خاتماً . ثم قال : وحقيقته أن التَّبْدِيلَ : تغيير الصورة إلى صورة أخرى ، والجوهرة بعينها . والإبدال : تنحية الجوهرة واستئناف جوهرة أخرى . ومنه قول أبي النجَم :

* عَزَلُ الْأَمِيرِ لِلْأَمِيرِ الْمُبْدَلِ *

ألا ترى أنه نَحَّى جسماً وجعل مكانه جسماً غيره .

وقد جعلت العرب « بدلت » بمعنى « أبدلت ». ومنه قوله تعالى (أولئك يُبدّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ) ألا ترى أنه قد أزال السيئات وجعل مكانها حسنات . وقول أبي العلاء هنا من هذا .

واليسر : ضدّ العسر . والإعدام : الافتقار . أعدم الرجل ، وأعدمه غيره . و« بمكة » أى بسبب زيارتك مكة . ومنى ، بالكسر : فى درج الوادى الذى ينزله الحاجُّ وترُمى فيه الحِجارة من الحرم ؛ سُمى بذلك لما يُمْنى به من الدماء ، أى يراق .

يقول : انظر إليه كيف خدعته أوهامُ الأقدمين ، وأضالته أساطيرُ الأولين ، وأتخذ لنفسه شرائعَ مكتوبة ، وطُقوساً من العبادة ظاهرة ، يزعم أنها تدخله الجنة وتعضمه من النار . لقد فُزّتَ أيها الشقيّ التّعس إن صدقتك هذه الأوهام ، وصحّت لك هذه الوعود . فُزّتَ بالجنة ونعيمها ، وبرئت من النار وجحيمها ، بزيارتك لتلك الأحجار القائمة ، والأبنية المائلة بمكة ومنى .

اللزومية السادسة والثلاثون

وقال أيضاً في الألف مع الراء والسين . ويجوز أن يجعل الرّوى الراء ، فيكون الذي لُزِمَ « سيناً » لا غير :

(بِعِلْمِ إِلَهِي يُوجَدُ الضَّعْفُ شِيمَتِي فَلَسْتُ مُطِيقًا لِلْعُدْوِ وَلَا الْمَسْرَى)

الإله : الله عزّ وجلّ . وكل ما اتّخذ من دونه معبوداً : إله عند متخذه .
والجمع : آلهة . وأصل « إلاه » : ولاه . فقلبت الواو همزة . ومعنى « ولاه » أن
الخلق يؤلّهون إليه في حوائجهم ويضرعون إليه في كل ما ينوبهم ، كما يؤلّه كل
طفل إلى أمه .

والشّيمة : الطبيعة . والهمزة فيها لغنيّة ، وهي نادرة . وتسمّى أباه : أشبهه في
شيمته . وظاهر أنه يُشير إلى قوله تعالى في سورة النساء : (وَخَلِقَ الْإِنْسَانَ
ضَعِيفًا) . والإطاقة : القُدرة على الشيء ؛ يقال : طاق الشيء ، وأطاقه ، وأطاق
عليه . والغدوّ : نقيض الرّواح ، وهو سير أوّل النهار . والمسرى والشّرى ،
بمعنى ، وذلك إذا سرت ليلاً .

يقول : بعلم الله وقضائه خلقتُ والضعفُ لي طبيعة ، والعجزُ فيّ غريزة ،
لا أستطيعُ غدوّاً ولا رّواحا ، ولا أقدرُ على سرّى ولا إدلاج .

٢ (غَبَرْتُ أُسَيْراً فِي يَدَيْهِ وَمَنْ يَكُنْ لَهُ كَرَمٌ تُكْرَمُ بِسَاحَتِهِ الْأَسْرَى)

غَبَرٌ يَغْبُرُ غُبوراً : مكث ، وذهب ، فهو من الأضداد . والمعنى هنا على
البقاء والمكث .

والأسير: الأخذ، وإن لم يُشدّ بالإسار، وهو القيد. وقيل: هو كل محبوس في قيد أو سجن. والأصل في المعنى: القوة والحبس. يُشير إلى ارتهان العباد بأعمالهم فكأنهم الأسرى يرقبون ما سينالون من خير أو شر.

يقول: لقد أصبحت في يده أسيراً بأسأ، وذليلاً ضارعاً، أحوج ما أكون إلى فضل من عفوه، ونافلة من كرمه.

٣ (أَصْبِحُ فِي الدُّنْيَا كَمَا هُوَ عَالِمٌ وَأَدْخُلُ نَارًا مِثْلَ قَيْصَرَ أَوْ كِسْرَى)

كما هو عالم، أى على حال من الحرمان والعجز، أو من الورع والزهد. وقيصر: ملك الروم. وكسرى: ملك الفرس. قال ابن قتيبة: هو بكسر الكاف ولا تُفتح. وقال ابن السّيد: الفتح والكسر فيه جائزان. وأبو حاتم يختار الكسر. والمبرد يختار الفتح. والنسبة إليه كسرى، وكسروى، بكسر الكاف فيهما، ولا يُقال بالفتح في النسب. ضربهما مثلين للقوة والعزة، أو للتردد والعصيان.

يقول: ليس يصح في قضية العقل أن أفضى أياي في هذه الحياة مؤثماً مكتوفاً، لا أملك لنفسي نفعاً، ولا أدفع عنها ضرراً، ثم أكلّف العمل في الطاعة والجدد في العبادة، حتى إذا لم آت ما أنا عاجز عنه قيل: لتدخل النار كما دخل غيرك من العصاة المفسدين، والطغاة المجرمين، وإن بنى وبينهم لفرق ما بين العاجز والقادر، أو القوى والضعيف.

- ٤ (وَإِنِّي لَأَرْجُو مِنْهُ يَوْمَ تَجَاوَزُ فَيَأْمُرُ بِذَاتِ الْيَمِينِ إِلَى الْيُسْرَى)
 ٥ (إِذَا رَأَى كِبْرَهُ نَالَتَ بِهِ الشَّأْوُ نَاقَةً فَمَا أَينُقِي إِلَّا الظَّوَالِعُ وَالْحُسْرَى)
 ٦ (وَإِنْ أَعْفَ بَعْدَ الْمَوْتِ مِمَّا يَرِيئِي فَمَا حَظِّي الْأَذْنَى وَلَا يَدِي الْحُسْرَى)

التجاوز : العفو . تقول : اللهم تجاوز عني ، أى عفا . ومثلها : تجوز عني . ويريد بـ « يوم تجاوز » : يوم المغفرة والعفو ، وهو يوم الحساب . ويشير بـ « ذات اليمين » إلى قوله تعالى فى سورة الواقعة : (وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ) . واليسرى ، أى الفلاح والخير . يشير إلى قوله تعالى فى سورة الليل : (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى) وكأنه يريد الجنة التى هى من نصيب اليمين ، ثم هى يسرى لا عنت فيها ولا عسر . والشأو : الغاية والأمد . والظوالم : التى تخرج فى مشيها وتغمز ، الواحدة : ظالمة أوظالم ، وصف للمؤنث ؛ إذ هى مما يستوى فيه الذكر والمؤنث ، فإن كانت للمؤنث فعلى النسب ، وإن كانت للذكر فعلى الفعل . وخصَّ الجوهريُّ بها المذكر وجعل الأنثى بالماء : ظالمةً . والحسرى : جمع حسير ، الذكر والأنثى سواء : وهى التى أصابها الإغياء والكلال .

وأعفاه من الشيء : خلاه عنه وطرحه . ورايه الأمر : ساءه وأزعجه ورأى منه ما يكره . يريد : ما هو فى شك منه من أمر الجزاء ، فهو له قلق حائر . أى إن وثقتُ بعفو الله زال نصبي وعنائى .

والأذنى : الأخص . والحسرى : أنثى الأخصر ، الذى وُضِعَ فى تجارتها أو غنبن . وصفت به اليد ، إذ هى جارحة الكسب والعمل . وعليهما الثواب والعقاب . أى لن أكون من الأذنين حظاً ، ولا من الأخصرين أعمالاً .

يقول : لئن زعم الناس أن لهم قوةً وقُدرةً ، وأن لهم بأساً وبطشاً ، وأنهم قادرون على ما كُلفوا ، ما لكونَ لِمَا نَدَبُوا إليه ، ما أعرف إلا أنني عاجزٌ ضعيفٌ ، قد برئتُ من الحول والطول ، وعجزتُ عن الدقيق والجليل . ولئن وقف الناسُ أنفسهم موقِفَ اليأس والقنوط ، فأستيقنوا بسوء العاقبة ، حين اعتقدوا في أنفسهم القوة ، إني لسكبير الأمل عظيم الرجاء ، أفتنظر أن ينالني عفو الله عن ضعيف عاجز ، فيأمر بي إلى جنّة حيثُ ينعم الأبرار من أصفِيائه . ذلك رجاء أرجوه ، وأمنية أبتغيها ، وما أراي إن ظفرتُ بها إلا الموفق السعيد .

فصل الباء

اللزومية السابعة والثلاثون

قال أبو العلاء في الباء المضمومة مع العين :

١ (يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الْمَمَاتِ وَكَوْنِهِ إِرَاحَةً جِسْمٍ أَنْ مَسَّلَكَهُ صَعْبٌ)

المسلك : الطريق . سلك المكان ، وسلكه غيره وفيه ، وأسلكه إياه وفيه وعليه .

ويريد بالمسلك : الحياة الدنيا .

يقول : لا تحقر الموت ولا ترهده فيه ، ولكن أكبره وأسع إليه ؛ فإنه خَلِيقٌ أَنْ يَكُونَ مَطْمَعًا لِلنَّفْسِ الْكَبِيرَةِ وَالقَلْبِ الْمُطْمَئِنِّ . وَأَيُّ دَلِيلٍ عَلَى شَرْفِهِ وَفَضْلِهِ أَوْضَحُ مِنْ صُعُوبَةِ الطَّرِيقِ إِلَيْهِ ، فَإِنَّا إِنَّمَا نَسْلُكُ إِلَيْهِ هَذِهِ الْحَيَاةَ ، مُحْتَمِلِينَ أَهْوَالَهَا ، مُتَجَسِّمِينَ خُطُوبَهَا ، مُتَجَرِّعِينَ غُصَصَهَا ، أَبْتِغَاءَ رَاحَتِهِ الدَّائِمَةِ ، وَدَعَتِهِ الْخَالِدَةِ ، فَهُوَ كَالْمَجْدِ الْمُؤَنَّنِ ، لَا يُنَالُ إِلَّا بِالْجُهْدِ وَالْمَشَقَّةِ .

٢ (أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَجْدَ تَلْقَاكَ دُونَهُ شِدَائِدٍ مِنْ أَمْثَالِهَا وَجَبَ الرَّعْبُ)

٣ (إِذَا افْتَرَقَتْ أَجْزَاؤُهُ نَاحِطًا ثِقَلْنَا وَنَحْمِلُ عِبْنًا حِينَ يَلْتَمُّ الشَّعْبُ)

تلقاءك : تصادفك وتواجهك . ودون : كلمة في معنى التحقير والتقريب . يكون ظرفاً فينصب ، ويكون اسماً فيدخل حرف الجر عليه . وقال الفراء : دون ،

تكون بمعنى « على » ، وتكون بمعنى عَلَّ ، وتكون بمعنى « عند » ، وتكون إغراءً ، وتكون بمعنى أقل من ذا ، وأتقص من ذا .

والتَّثْقُلُ : الحِمْلُ الثَّقِيلُ . والعِيبُ ، بالكسر : الحِمْلُ والثَّقُلُ . والالتئام : الأَجْتِمَاعُ والاتِّصَالُ . والشَّعْبُ : الصَّدْعُ والتَّفَرُّقُ ، ويكون بمعنى الإصلاح أيضاً . وليس مراداً هنا . ويُشير بافتراق الأجزاء : إلى الموت وما معه من انحلال الجسم . وبالتئام الشعب : إلى الحياة الدنيا ، أى ما قبل الموت : وقد ذكر ذلك قبل . كما قد يكون أراد الحياة الأخرى بعد المات ، وما وراءها من أهوال وشدائد .

يقول : أجل ، إنَّ الموت لراحة ، وإنَّ الحياة لتعب ، وإنَّ في افتراق الأجزاء بعد الموت لتخفيفاً من ثقل شديد ، كما أن في التئامها تحملاً لعبء عظيم .

٤ (وَأَمْسٍ ثَوَى رَاعِيكَ وَهُوَ مُودَعٌ
وَلَوْ كَانَ حَيًّا قَامَ فِي يَدِهِ قَعْبٌ)

أمس ، من ظروف الزمان ، مبنية على الكسر ، إلا أن ينكر أو يعرف . وربما بنى على الفتح . والنسبة إليه : إمسيُّ ، على غير قياس . قال الكسائي : وإذا أضفته أو نكرته ، أو أدخلت عليه الألف واللام للتعريف ، أجرته بالإعراب .

وقال الفراء : ومن العرب من يخفض « الأمس » وإن أدخل عليه الألف واللام .

وثوى : هلك . ومنه قولُ الكُمَيْتِ :

وما ضَرَّها أن كَبَأَ ثَوَى وَفَوَّزَ مِنْ بَعْدِهِ جَرُولُ

والراعى : الذى يرمى الماشية ويمحوطها ويحفظها ، صفة غالبية غلبة الاسم . وهو الوالى أيضاً . إلا أن المراد هنا الأول ، لذكره « القَعْب » آخرًا ، وهو من لوازمه . وأكثر ما يُقال فى جمع الأول : رِعاء ؛ وفى جمع الثانى : رُعاة .

ولعله خصه بالذكر لطول عنائه وأتصال جهده وتخلُّفه فى الحياة ، حتى كان مَضْرِبَ المَثَلِ بذادةً وحقارةً . وفى حديث عمر : « كأنه راعى غنم » . وفى حديث الإيمان : « حتى ترى رِعاءِ الشاء يتناولون فى البُنْيَانِ » . فكان لذلك بلموت أنها وأنعم .

وهو مودِّع ، أى قد تُترك وأُطرح حيث قُبر وهو بحاله فى الدنيا أوفى . فقد مات كما عاش محموراً . والأصل فى « التوديع » الترك . ومنه الحديث : « إذا لم يُنكر الناس المنكر فقد تودِّع منهم » . أى أهملوا وتُركوا وما يرتكبون من المعاصى .

و « كان » تكون بمعنى مضى وتضى ، وهى التامة ؛ وتأتى بمعنى اتصال الزمان من غير انقطاع ، وهى الناقصة . ويعبر عنها بالزائدة أيضاً ؛ وتأتى زائدة ؛ وتأتى بمعنى « يكون » فى المستقبل من الزمان ، وتكون بمعنى الحدوث والوقوع . ومن شواهداها بمعنى « يكون » للمستقبل قولُ الطرماح بن حكيم :

وإني لآتيكم تشكراً ما مضى من الأمر واستنجاز ما كان فى غدٍ

وقولُ سلمة الجعفيّ :

وكنت أرى كالموت من بين ساعة فكيف بيّين كان ميعاده الحشرًا

وعليه أيضاً بيت أبى العلاء هذا . كما قد تكون هنا أيضاً بمعنى « صار » .

والقعب : القدح الضخم الغليظ الجافى ، وهو بالراعى أشبهه . وقال ابن الأعرابيّ : وأول الأقداح : العُمر ، وهو الذى لا يبلغ الرى ؛ ثم القَعْب ، وهو قد يُروى الرجل ، وقد يروى الاثنين والثلاثة ؛ ثم العُسن .

يشير إلى ما هو مأثور من أن الإنسان يُبعث على حاله التي قبض عليها . وليس شيء أُلزم للراعي من قَعْبِهِ .

يقول : انظر إلى هذا الراعي الكدود ، ما ينفكّ عاملاً مجتهداً في حياته . حتى إذا مات سكنت حركته واطمان جسمه ، وارتاح بعد العناء . وما أحسبه لو خيّر بين الموت والحياة ، وقد ذاق أولهما ، إلا مؤثراً للحمام ، ومختاراً للفناء .

اللزومية الثامنة والثلاثون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع النون :

١ (لِيَشْفَكَ مَا أَصْبَحْتَ مُرَةً تَقِيًّا لَهُ)

عَنِ الْعَيْبِ يُبْدَى وَالْخَلِيلُ يُؤَنَّبُ)

٢ (فَمَا أَذْنَبَ الدَّهْرُ الَّذِي أَنْتَ لِأَيْمٍ)

وَلَكِنْ بَنُو حَوَاءَ جَارُوا وَأَذْنَبُوا)

ليشفك ، اللام للأمر ، وهي جازمة للمضارع بعدها . وحركة هذه اللام الكسر ؛ ويجوز تسكينها بعد الواو والفاء وثم . والتسكين بعد الأولين أشهر . وأكثر ما تدخل هذه اللام على مضارع الغائب . ويقل دخولها على مضارع المتكلم والمخاطب .

والارتقاب : الانتظار ، ويريد بهذا الشيء المرتقب : الموت . والعيب : الوصمة . ومثله : العاب ، والعيبة .

والخليل : المحب الذي ليس في محبته خلل ، قد أضفى المودة وأصحها . مرفوع على الاستئناف . وفي رواية : « عن العيب يبدو والخليل يؤنب » . والتأنيب : أشد العذل ، وهو التوبيخ والتثريب . وفي حديث طلحة أنه قال : « لما مات خالد بن الوليد استرجع عمر . فقلت : يا أمير المؤمنين

ألا أراك بعيد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي

فقال عمر : لا تؤنبنى » . ومنه أيضاً حديث الحسن بن علي لما صالح معاوية ،

فقيل له : « سَوَدَّتْ وجوه المؤمنين ! فقال : لا تُؤنَّبني » . كل هذا بمعنى المبالغة في التوبيخ والتعنيف .

وجار : ظلم وجاوز القصد . وما أشبهه بقول الآخر :

يقولون الزَّمانُ به فَسَادٌ وهم فَسَدُوا وما فَسَدَ الزَّمانُ

يقول : فِيمَ تَعِيبُ النَّاسَ وَتَتَّبَعُ زَلَّاتِهِمْ ! وَعِلَامٌ تُؤنَّبُ الصِّدِّيقَ وَتُكْثِرُ الإِسَاءَةَ إِلَيْهِ ! وماذا جنى عليك الدهرَ فَأَنْكَرْتَ ؟ أَوْ قَدَّمْتَ لَكَ الأَيَّامَ مِنَ الشَّرِّ فَأَنْتَ لَهَا كَارِهِ وَعَلَيْهَا عَائِبٌ ؟ لَقَدْ كُنْتَ خَلِيقًا أَنْ تُشْغَلَ بِمَا أَصْبَحَتْ مُنْتَظِرًا لَهُ مِنْ مَوْتٍ وَاقِعٍ ، لَيْسَ لَهُ مِنْ دَافِعٍ ، عَنْ تَتَبُعِ العُيُوبِ وَتَأْنِيبِ الأَصْدِقَاءِ . وَلَقَدْ كُنْتَ حَاجِيًا أَنْ تَعْرِفَ نَفْسَكَ ، وَتَعْتَرِفَ بِسَيِّئَاتِهَا ، لِأَنْ تَجْهَلَهَا وَتَحْمَلَ جُنَايَاتِهَا عَلَى الزَّمانِ ، وَأَتَامَهَا عَلَى الأَيَّامِ . مَا أَذْنِبَ الدَّهْرُ ، وَلَا جَنَّتِ الأَيَّامُ ، وَإِنَّمَا نَحْنُ المُذْنِبُونَ الجَانُونَ .

٣ (سَيَدْخُلُ مُبْتَدَأُ الظَّالِمِ الحُتْفُ هَاجِمًا وَلَوْ أَنَّهُ عِنْدَ السَّمَاءِ مُطْنَبٌ)

الحُتْفُ : الموت . وجمعه : حُتُوفٌ ، وَلَا يُدْبَنِي مِنْهُ فِعْلٌ . وقول العرب : مات فلانٌ حَتَفَ أَنفَهُ ، نُصِبَ عَلَى المَصْدَرِ ، كَأَنَّهُمْ تَوَهَّوْا « حَتَفَ » وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِعْلٌ .

والسَّمَاءُ : أَحَدُ سَمَاكِينَ ، هِيَ الأَعْزَلُ وَالرَّامِحُ . وَقَدَمَرٌ ^(١) . وَمُطْنَبٌ ، أَيْ مَشْدُودٌ بِالأَطْنَابِ ، وَهِيَ حِبَالُ الأَخِيَّةِ . جَعَلَ البَيْتَ كَأَنَّهُ مِنْ شَعَرٍ ، وَإِنْ كَانَ يَطْلُقُ عَلَى هَذَا وَعَلَى غَيْرِهِ . أَوْ لَعَلَّهُ أَرَادَ بِالتَّنْيِيبِ : التَّمَكِّينَ لِلبِنَاءِ عَامَةً ، فَتَوْسُّعٍ . يَقُولُ : أَنْظِرْ إِلَى هَذَا الظَّالِمِ فَقَدْ غَرَّه سُلْطَانُهُ ، وَأَطْغَاهُ بَطْشُهُ ، فَظَنَّ بِنَفْسِهِ

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ٢٥ ص ١٦٩ من هذا الجزء .

الخلود ، وأستبعد عليها الموت . وإن الموتَ لمُدركه أين كان ، ولو أُتخذَ نَفَقًا في الأرض أو سُلَمًا في السماء .

٤ (وَقَدْ كَانَ يَهْوَى الطَّعْنَ أَمَّا قَنَاتُهُ

فَذَاتُ لَمَى وَالْخِرْصُ كَالنَّابِ أَشْنَبُ)

القناة : الرمح .

واللَمَى : سُمْرة الشَّفَتَيْنِ واللِّثَاتِ ، يُسْتَحْسَنُ . والضمُّ فيه لغة . وقيل : هي لغة أهل الحجاز . والخرص ، مثلثة الخاء : سنان الرَّمْحِ . وقيل : هو ما على الجبَّة من السِّنَانِ . وقيل : هو الرَّمْحُ نفسه ؛ والجمع : خِرْصَانُ . والأشْنَبُ : ذو الشَّنْبِ ، وهو ماء ورقةٌ يجرى على الشعر ، أو هورقةٌ وَبَرَدٌ وعُدوبةٌ في الأسنان ، أو هو نُقْطٌ بيض في الأسنان ، وقيل : هو حِدَّةُ الأنياب ، كالغَرَبِ تراها كالمِئْشَارِ .
وذكروا أن رُوْبَةَ بن العجاج سُئِلَ عن الشنب وهو يأكل رُمَانًا ، فأخذ حَبَّةً وقال : هذا هو الشنب .

يقول : أَحَبُّ الظُّلْمِ ورَغَبٌ فيه ، وَطَلَبُ العَسْفِ وَتَهَالِكٌ عليه ، فما يَنْفَكُ فيه جادًا وعليه حَرِيصًا . لقد بُدِّلَ بَرَقَةٌ العواطفِ قَسْوَةَ القَلْبِ ، وَغِلْظَةَ الكَبِيدِ ، وَجَفَاءَ الطَّيْعِ ، حتى استبدل بما يَعِشِقُهُ الناسُ من الغَوَائِي الحِسانِ أدواتِ الموتِ وآلاتِ الفَنَاءِ . إنه ليرى في القَنَاةِ اللدنة السَّمراءَ ، وفي سِنَانِهَا المَخْضُوبَ بالدِّمَاءِ ، حَسَنَاءَ فَاتِنَةٍ ، يَضُمُّ إِلَيْهِ قَدَّهَا المِئْيَاسَ ، وَيَلْتَمِسُ نَعْرَهَا الأَشْنَبَ .

٥ (وَدِرْعُ حَدِيدٍ عِنْدَهُ دِرْعُ كَاعِبٍ

مِنَ الوُدِّ وَأَسْمُ الحَرْبِ هِنْدُوزِ يَنْبُ)

الدَّرْعُ بِمَعْنِيهَا قَدْ مَرَّتْ^(١) . والحديد ، معروف . وموقع الكلمة هنا تمييز ذات للدَّرْعِ . وهو مما يجوز جره بالإضافة . والكاعب : الجارية نُهْدَ تَدْيُهَا . ومثله : كعاب ، ومُكعب . وجمع الكاعب : كواعب .

والود ، مثلثة الواو : المودة والحب ، يكون في جميع مداخل الخير . و « من الود » في مكان : ودأ وهوى . فكان ذلك قد لاط بقلبه ولا منصرف له عنه . وهند وزينب : من بين الأسماء التي شَبَّ بها الشعراء . يقول : إنه ليهوى الحرب ويكلف بها ، ويراها هنده وزينبه .

٦ (وَيَطْوِي الْمَلَا بَعْدَ الْمَلَا فَوْقَ كُورِهِ

إِذَا الْعَيْسُ تُرْجَى وَالسَّوَابِقُ تُجَنَّبُ)

الملا : جمع ملاة ، وهي الفلاة ذات الحُرِّ . وقيل الملا : واحد ، وهو الفلاة . وقال الأزهرى : وأما الملا : المتسع من الأرض ، فغير مهموز ، يُكْتَبُ بِالْألف والياء ، والبصريون يكتبونه بالألف . وطىُّ الملا : قَطَعَهُ ومُجَاوَزْتَهُ . والكور : الرَّحْلُ بأداته . والعيس : الإبل تُضْرَبُ إلى الضَّفرة . وقيل : هي البيض مع شُقرة يسيرة . واحدها : أعيس . والأنثى : عَيْساء . وتُرْجَى ، أى تُساق وتُدْفَع . وقيل : هو السَّوَابِقُ . والسَّوَابِقُ : الخيل المتقدمة في الجري السريعة . وتُجَنَّبُ ، أى تُقَادُ إلى جَنبٍ ؛ لأنهم كانوا يَمْتَطُونَ الإبل وَيَقُودُونَ الخيل .

يقول : إنه لَيَقْطَعُ إليها المَهَامَهَ وَيَتَجَسَّمُ البِيدَ ، وَيَمْتَطِي الأيْدِ من الخيل والنَّوْقِ ، والنَّاسُ من حوله وادعون مُطْمَئِنُونَ . إنه ليفعل ذلك كُلَّهُ فيزعج الآمن ويرُوعُ المُطمئن ، ويملاً الأرض شراً وإثمًا . ثم أنتم بعد ذلك آصِمُونَ الأيَّامَ

(١) انظر شرح البيت السابع من اللزومية الثانية ص ٦٦ من هذا الجزء .

وَصَمَّتْهُ ، وَتَحْمَلُونَ عَلَيْهَا وِزْرَهُ ، وَتَسْبُونَهَا بِمَا كَانَ خَلِيقًا أَنْ يُسَبَّ هُوَ بِهِ .
أَصْلِحُوا أَنْفُسَكُمْ فَقَدْ فَسَدَتْ ، وَبَصَّرُوا ظَالِمَكُمْ فَقَدْ غَيَّرَهُ الْغُرُورُ .

٧ (لَهُ مِنْ فِرْنِدٍ جَدُولٌ إِنْ أَسَأَلَهُ

عَلَى رَأْسِ قِرْنٍ جَاشٍ بِالْدَّمِ مِذْنَبٌ)

الفِرْنِدُ : وَشَى السَّيْفِ وَرَوْتَقُهُ . وَقِيلَ : هُوَ السَّيْفُ . وَقَدْ مَرَّ (١) . وَالقِرْنُ :
مَنْ يُقَارَنُكَ فِي الشَّدَّةِ وَالتَّبَطُّشِ .

وجاش : فار ، كما تَجِيئُشِ القدر عند الغليان . وكذلك يفعل الدم عند
انبثاقه واندفاقه . والمِذْنَبُ . كهيئة الجدول ، يسيل عن الرّوضة ماؤها إلى غيرها
فيفرق ماؤها فيها . والتي يسيل عليها الماء مذنب أيضاً . جعل سيلان الدم من
الجسم على صفحة السيف من ذلك .

يقول : إنه يرى في السيف قد صفاً روتقه ، وخأص جوهره ، وتلألاً
الفِرْنِدِ فيه ، جدولاً من الماء نقي الصّفحة . ولكنه ييمُّ عن صورة الموت ،
فلا يكاد يُصَبُّ منه على رأس القِرْنِ قطرات ، حتى يَنْبَسِطَ منه جَدُولٌ من
الدّم المزبد العبيط .

٨ (وَلَيْسَ يُقِيمُ الظَّهْرَ حَنْبَهُ الرَّدَى قَوَامٌ رُدَيْنِيٍّ وَطِرْفٌ مُحَنَّبٌ)

أقام الشيء وقومه ، ققام ، أى اعتدل وأستقام واستوى .
وحنّبه : حناه وقوّسه . والرّدى : المهلاك . ومن تحنّى هرمًا فقد أشرف عليه

(١) انظر شرح البيت السابع من اللزومية ٣٥ ص ٢٣٢ من هذا الجزء .

وَعُدَّةٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ . وَقَوَامٌ : مُسْتَقِيمٌ مُعْتَدِلٌ . يَرِيدُ « رَدِينِيَّ قَوَامٌ » وَبِهَذَا يُوصَفُ ،
وَإِلَّا فَلَا انْتِفَاعَ بِهِ .

وَالْقَوَامُ ، أَيْضًا : الْقَامَةُ . يَرِيدُ : قَنَاةَ رَدِينِي . وَالرُّدِينِيَّ : الرُّمَحَ ، نِسْبَةً
إِلَى أَمْرَأَةٍ كَانَتْ تُسَمَّى رُدَيْنَةَ ، كَانَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا السَّمَهْرِيُّ يُقَوِّمَانِ الْقَنَاةَ
بِحِطِّ هَجَرَ . وَالطَّرْفُ ، بِالْكَسْرِ : الْكَرِيمُ الْعَتِيقُ مِنَ الْخَيْلِ . وَقِيلَ :
هُوَ الطَّوِيلُ الْقَوَائِمُ وَالْعُنُقُ ، الْمُطَّرَّفُ الْأَذُنَيْنِ . وَقِيلَ : هُوَ الَّذِي لَيْسَ مِنْ
نِتَاجِكَ . وَالْجَمْعُ . أَطْرَافٌ وَطُرُوفٌ . وَالْأُنْثَى بِهَاءٍ . وَالْمُحْتَنَبُ مِنَ الْأَفْرَاسِ :
الَّذِي فِي وَظِيفَتِي يَدِيهِ أَحْدِيدَابٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِالْأَعْوَجَاجِ الشَّدِيدِ ، وَهُوَ مِمَّا
يُوصَفُ صَاحِبُهُ بِالشَّدَةِ . وَقِيلَ : التَّحْنِيبُ فِي الْخَيْلِ : بُعْدُ مَا بَيْنَ الرَّجْلَيْنِ مِنَ
غَيْرِ فَحْجٍ ، وَهُوَ مَدْحٌ . قَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

فَلَأَيًّا بِلَأِيٍّ مَا حَمَلْنَا وَلَيْدَنَا عَلَى ظَهْرٍ مَحْبُوكِ السَّرَاةِ مُحْنَبٍ

يَقُولُ : أَرَشَدَهُ إِلَى أَنَّهُ يَمْتَدُّ إِلَى الْحَيَاةِ أَسْبَابًا سَيِّئَةً طَهَمَ الْمَوْتَ ، وَأَنْ مَا يَدَّخِرُ
مِنَ الْوَرَقِ وَالنُّضَارِ ، وَمَا يَحْتَمِلُ فِي سَبِيلِهِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْأَخْطَارِ ، وَمَا يَقْتَنِي
مِنَ دُهْمِ الْخَيْلِ وَغُرِّهَا ، وَمِنَ قَوَارِحِ الْإِبِلِ وَبُزْلُمَا ، لَنْ تَدْفَعُ عَنْهُ غَارَةَ الْأَيَّامِ ،
وَلَنْ تَرُدَّ عَنْهُ صَوْلَةَ الزَّمَانِ . لَقَدْ عَجَزْتُ أَنْ تُقِيمَ قَدَّهُ الْمُنْحَنِي ، وَعُودَهُ الْمُنَادِ ،
وَإِنَّهَا عَنِ دَفْعِ الْمَوْتِ لِأَضْيَاقٍ بَاعًا وَأَقْصَرَ ذِرَاعًا .

اللزومية التاسعة والثلاثون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الذال :

- ١ (نَقَمْتَ عَلَى الدُّنْيَا وَلَا ذَنْبَ أَسْلَفْتَ إِلَيْكَ فَأَنْتَ الظَّالِمُ الْمُتَكَذِّبُ)
 ٢ (وَهَبَهَا فَتَاءً هَلْ عَلَيْهَا جِنَايَةٌ بِمَنْ هُوَ صَبٌّ فِي هَوَاهَا مُعَذِّبُ)

قال الجوهري : نَقَمْتَ عَلَى الرَّجُلِ أَنْقَمَ بِالْكَسْرِ ، فَأَنَا نَاقِمٌ : إِذَا عَنَيْتَ عَلَيْهِ .
 قال الكسائي : وَنَقِمَ ، بِالْكَسْرِ ، لَفْظٌ فِيهِ . وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : نَقَمْتَ عَلَى الرَّجُلِ
 أَنْقَمَ ، وَنَقِمْتَ عَلَيْهِ أَنْقَمَ . قَالَ : وَالْأَجُودُ : نَقَمْتَ أَنْقَمَ ، وَهُوَ الْأَكْثَرُ فِي الْقِرَاءَةِ .
 وَنَقِمَ الشَّيْءُ وَنَقِمَهُ : أَنْكَرَهُ .

وَأَسْلَفْتُ ، أَى سَبَقْتُ بِهِ إِلَيْكَ وَقَدَّمْتَهُ . وَتَكَذَّبَ فُلَانٌ : إِذَا تَكَلَّفَ
 الْكَذْبَ ؛ وَعَلَيْهِ : زَعَمَ أَنَّهُ كَاذِبٌ ، وَمِنْهُ بَيْتٌ يُعْزَى إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :
 رَسُولُ أَتَاهُمْ صَادِقٌ فَتَكَذَّبُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا لَسْتَ فِينَا بِمَا كُتِّبَ

و « هَب » : أَحْسَبُ ، يَتَعَدَى إِلَى مَفْعُولَيْنِ ، وَلَا يَسْتَعْمَلُ مِنْهُ مَاضٍ
 وَلَا مُسْتَقْبَلٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى .

وَالصَّبُّ : الْعَاشِقُ الْمَشْتَقُ . وَالْأَثَى : صَبَّةٌ . قَالَ سَيُوبِيهِ : وَزَن « صَب »
 فَعِلٌ ، لِأَنَّكَ تَقُولُ : صَبَبْتُ ، بِالْكَسْرِ . اسْتَنْقَلُوا الْجَمْعَ بَيْنَ بَاءَيْنِ مَتَحَرِّكَتَيْنِ
 فَأَسْقَطُوا حَرَكَةَ الْأُولَى وَأُدْعَمُوهَا فِي الْبَاءِ الثَّانِيَةِ . وَحِكْيُ اللَّحْيَانِيِّ فِيمَا تَقُولُهُ نِسَاءُ
 الْعَرَبِ ، عِنْدَ التَّأْخِذِ بِالْأَخْذِ : « صَبٌّ فَاصْبَبْ إِلَيْهِ ، أَرَقٌّ فَارْقَ إِلَيْهِ » .

يقول : لَقَدْ أَكْثَرْتَ لَوْمَ الدُّنْيَا ، وَأَطَلْتَ النَّعْيَ عَلَيْهَا ، وَزَعَمْتَ أَنَّهَا لَكَ

ظالمة، وعليك جائزة، وإليك مُسيئة. وما أرى أنها قد أقترفت ذنباً، وأجترحت
 إثماً. وما أعرف أنها ظلمتك أو أساءت إليك، إنما أنت الظالم لنفسك المسيء
 إليها، تُوردها موارد الشر، وتحملها محامل السوء، ثم تُكلف الأيام ما كنت
 خليقاً أن تُكلفه نفسك، وتعيبها بما أنت فيه واقع. يلذُّ لك أن تتكذَّبَ عليها
 وتصفها بما هي بريئة منه. ماذا جنت عليك الدنيا وبماذا أساءت إليك؟ كل
 ذنبها عندك أنها حسناء فتانة وهيفاء خلابة، يستبيك حُسْنُهَا، ويستصَبِك
 جمالها، فأى ذنب لها في هذا الحسن؟ وأى جناية لها في كلفك بها وميلك إليها.

٣ (وَقَدْ زَعَمُوا هَذِي النَّفُوسَ بَوَاقِيًا

تَشَكَّلُ فِي أَجْسَامِهَا وَتَهْدَبُ)

٤ (وَتُنْقَلُ مِنْهَا فَالْسَعِيدُ مُكْرَمٌ

بِمَا هُوَ لَاقٍ وَالشَّقِيُّ مُشَدَّبٌ)

٥ (وَمَا كُنْتَ فِي أَيَّامِ عَيْشِكَ مُنْصِفًا

وَلَكِنْ مَعْنَى فِي حِبَالِكَ تُجَذَّبُ)

الزعم: القول، يكون حقاً ويكون باطلاً. وتكون « زعم » بمعنى: كفل
 وضمن، وبمعنى: قال، وبمعنى: وعد، وبمعنى: ظن. وبيت أبي العلاء من الأول.
 وتَشَكَّلُ، أى تَتَشَكَّلُ. وَتَهْدَبُ، أى تَتَهَدَّبُ، بمعنى تتنقى وتخلص من
 أدرانها. ومنها، أى من الأجسام. يُشير إلى رأى القائلين بالتناسخ. ومُشَدَّبٌ،
 أى مُطْرَحٌ مطرود مُنْحَى.

والمعنى : الذى قد تجسّم العناء وقاساه . عناه ، فتعنى . وقيل : المعنى : الذى طال حبسه ؛ ومنه قول الوليد بن عقبة :

قطعت الدهر كالسدم المعنى شهدرُ في دِمَشقَ وما ترِيمُ (١)
 وتُجذَب ، أى تقاد غير مُختار ، أى تغلب على أمرك وتُقهر . من قولك :
 جاذبته فجذبته ، أى غلبته فبان منى مغلوباً .

يقول : عذيرى من أولئك الخدّاعين للناس ، المضلّين للعقول ، المتكذّبين على الأعرار . لقد زعموا لهم أن نفوسهم خالدة ، وأنّها لم تهبط هذا العالم إلا لتبتلى وتُجرَّب ، مُتنقّلة فيها من جسم إلى جسم ، مستفيدة من هذا التنقل صلاحاً لها وتهذيباً لأخلاقها ، وأن السعيد من هذه الأنفس سيَلقى من النعمة واللذة ما لا سبيل إلى وصفه ، وأن الشقى سيَلقى من الألم والنقمة ما يُطهره من أدناس المادّة وأدرانها . كلاً ما أحسب أن هذا حقٌّ ، وما أرى أنه صواب ، وما أعرف أننا نقضى أيامنا مُختارين أحراراً ، نستطيع أن نُصلح نفوسنا ونهذبها ، ونسلك بها إلى السعادة طريقاً مأموناً . إنما نحن عبيد مقهورون قد أوثقت أيدينا وأرجلنا بأغلال متينة وأمراس مُحكمة ، فنحن نرسف فيها مجذوبين إلى ما لا نُحب ، مُكرهين على ما لا نرضى .

٦ (ولو كان يَبقى الحس في شخص ميّت
 لآليت أن الموت في الفم أعذب)

آلى إيلاء : حلف . والألوة ، مثلثة الهمزة ، والأليّة والأليّا ، كثة اليمين . والجمع : ألياء . قال الشاعر :

(١) وقيل : المعنى في هذا البيت : فحل لثيم إذا هاج حبس في العنة ، لأنه يرغب عن فجلته .

قَلِيلُ الْأَلْيَا حَافِظٌ لِيَمِينِهِ وَإِنْ سَبَقَتْ مِنْهُ الْأَلْيَةُ بَرَّتِ

يقول : ليس في هذه الحياة لنا خيرٌ ولا سعادة ، إنما هي الشرُّ الدائم والشقاء

المُقيم . وأقسم لو أن للحسَّ في مَيِّتٍ بقاءً ، وللشعور فيه وُجوداً ، لقد كُنَّا

أحرىء أن نَجِدَ لَطْعَمَ الموت من العذوبة وملاءمة الطَّبَعِ ما لا نَجِدُهُ في الحياة .

اللزومية المتممة الأربعين

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الدال :

١ (لَعْمَرُكَ مَا بِي نُجْعَةٌ فَأَرُومَهَا

وإِنِّي عَلَى طُولِ الزَّمَانِ لِمُجْدِبٍ)

٢ (سَحَلْتُ عَلَى الْأَوَّلَى الْحَمَامَ فَلَمْ أَقْلُ

يُنْفِيٌّ وَلَكِنْ قُلْتُ يُبْكِي وَيَنْدُبُ)

العمر والعمر، لغتان فصيحتان، فإذا أقسموا فقالوا: لعمرك! فتحوا لا غير.
و « لعمرك » يرفعونه بالابتداء ويضمرون الخبر. كأنه قال: لعمرك قسسى،
أو يميني، أو ما أحلف به. والنجعة: المذهب في طلب الكلاء في موضعه.
وما بي نجعة، أى ليس فى قوة أو رغبة على الذهاب للانتجاع. ورام الشيء
يرومه روماً ومراماً: طلبه. والمجدب: الذى أصابه الجدب، وهو المحل،
نقيض الخصب. وفي حديث الأستسقاء: « هلكت المواشى، وأجدبت البلاد ».
أى قحطت وغلت الأسعار.

وحملك الشيء على الشيء: ذهابك مذهبه وجعلك إياه منه. والأولى:
الأقرب والأدنى. و « على الأولى » أى على أقرب الأمور من الحق وأدناها
من الصواب. والندب: البكاء على الميت وتعديد محاسنه. ولم يُقيده ابن سيدة
ببكاء. أو هو من الندب للجراح، لأنه أحتراق ولذع من الحزن.

يقول: لعمرك! مالى فى هذه الحياة أمل أسمو إليه، ولا رجاء أطمع فيه،
ومالى فيها راحة أبتغيها، ولا لذة أكلف نفسى لها العناء، وإنى على طول الأيام

وأختلافها ، وعلى بقاء الدهر وخلوده ، كَمَجْدِبٍ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ ، بَرِيءٍ مِنْ كُلِّ صَالِحَةٍ . وما أرى أن لشيء في هذه الحياة حَظًّا من سُرور ، ولا أن في هذه الدُّنْيَا مَصْدَرًا لابتهاج ، إنما هي حُزن قد ضَرَبَ أَطْنَابَهُ ، ومدَّ رُؤَاقَهُ على كل شيء . ألم تر إلى المَغْرُورِينَ المَفْتُونِينَ كيف يُسْمُونَ صِيَاحَ الحَمَامِ غِنَاءً وتَفَرِيدًا ، وقد كان خَلِيقًا أَنْ يُسَمَّى بُكَاءً وإِعْوَالًا .

٣ (وَذَلِكَ أَنَّ الحَادِثَاتِ كَثِيرَةٌ وَغَالِبُهُنَّ الفِظُّ لَا المَتَحَدِّبُ)

حادثات الدهر : أموره المتكررة ، شبه النوازل . ومثل « الحادثة » في ذلك : الحَدَثُ ، والحُدُوثُ ، والحَدَثَانُ ، وهي هنا لعموم ما يحدث . وغالبهن ، أى القاهر فوقيهن ، إما بشدته وعنفه ، أو بكثرتة وشيوعه . وهو من سابقه .

والفِظُّ : الغليظ الخشن الجافى . ويريد به : الفادح الباهظ . والمتَحَدِّبُ : المتعطف الخانى ، وهو كذلك : المتعلق بالشيء الملازم له . وهو من الأول . يريد ما كان من أمور الحياة رخاء هيئاً لينا .

يقول : فإن حوادث هذه الحياة كثيرة ، ومعظمها على الناس فظ غليظ ، وأقلها الحذب الشفيق . فما أجدر أصوات هذه الحمام أن تكون بكاءً على المكروبين ، وورثاءً للمنكوبين !

٤ (وَكُلُّ أَدِيبٍ أَيْ سَيِّدَعَى إِلَى الرَّدَى)

مِنَ الأَدَبِ لَا أَنَّ الفَتَى مُتَأَدِّبٌ)

أديب : فَعِيلٌ بمعنى مفعول ، من : أَدَبَ القوم يَأدِبُهُمُ أَدَبًا ، إذا دعاهم إلى طَعَامِهِ . وهو مما أغفلته المعاجم . وأكبر الظن أن أبا العلاء يُؤوِّلُ إليه اللفظ

المعروف . والرّدى : الهلاك . جعله المأدبة التي سيطعم منها كلُّ طاعم .
 و « لو أن الفتى متأدب » دفع لما قد يهيمه المتوهم من أن المراد بالأديب ، من :
 أدب ، بما يدعوّه إلى المحامد وينهاه عن المقابح .
 يقول : وكيف ينعم الإنسان بحياة ، أو يسعد بلذة ! وهو لا يرى حوله
 إلا أديباً إلى مأدبة الموت ، مدعوّاً إلى مائدته ، مُكرهاً على أن يغشاها ويتزوّد منها .

اللزومية الواحدة والأربعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الراء :

١ (لَعَلَّ أَنْسَاءً فِي الْمَحَارِيبِ خَوْفُوا)

بِأَيِّ كِنَاسٍ فِي الْمَشَارِبِ أَطْرَبُوا)

المحاريب : جمع محراب ، وهو صدر البيت وأكرم موضع فيه . وهو أيضاً : صدر المسجد وأشرف موضع فيه ، والقبلة . ومُرَادُ أَبِي الْعَلَاءِ « بِالْمَحَارِيبِ » المساجد عامةً ، من إطلاق الجزء على الكل ، أو خصّ تلك الأماكن من المساجد لشرفها وجنوح المتعبدين إليها . والآي : جمع آية ، وهي الجماعة من حُرُوفِ الْقُرْآنِ . وقيل : هي العبرة . وتُجْمَعُ أَيْضاً عَلَى : آيَاتٍ ، وآيَاءَ ، وآيَا . وعين « الآية » ياء . قال الشاعر :

* لَمْ يُبْقِ هَذَا الدَّهْرُ مِنْ آيَاتِهِ *

فظهر العين في « آياته » يدل على كون العين ياء ، وذلك أن وزن « آياء » أفعال ، ولو كانت العين واوًا لقال : آوائه ، إذ لا مانع من ظهور الواو في هذا الموضع . وقال سيويوه : موضع العين من « الآية » واو ، لأن ما كان موضع العين منه واو واللام ياء ، أكثر مما موضع العين واللام منه ياءن ، مثل : « شَوَيْتُ » أكثر من « حَيَيْتُ » . قال : وتكون النسبة إليه « آوِي » . وقال الفراء : هي من الفعل : فاعلة ، وإنما ذهب من اللام ، ولو جاءت تامة لجاءت آيية ، ولكنها خففت .

والمشارب : جمع مشرب ، وهو الوجه الذي يشرب منه . ويكون موضعاً

ويكون مصدرًا . يريد الحانات . وأطربوا ، أى فاضت بهم الخفة فاستخفوا من سواهم .

يقول : وَبِحِ الْإِنْسَانِ ! مَا أَشَدَّ غُرُورَهُ ! وَكَثْرَ الرِّيَاءِ فِيهِ ! مَا أَعْظَمَ أُخْدَاعَهُ بِالْأَسْمَاءِ وَالْأَشْكَالِ ! وَأَقَلَّ أُطْلَاعَهُ عَلَى الْحَقَائِقِ وَأَعْتَبَارِهِ بِالْمَوَاعِظِ ! لَقَدْ قَامَ مِنْهُ فِي الْمَحَارِبِ أَنْاسٌ يُعْظُونَ وَيُخَوِّفُونَ ، وَيُنْذِرُونَ وَيُبَشِّرُونَ . فَفَتَنَهُ مُقَامُهُمْ وَخَدَعَهُ مَنْطِقُهُمْ . وَلَوْ أَنَّهُ حَقَّقَ فِيهِمُ النَّظَرَ وَأَجَادَ عَنْهُمْ الْبَحْثَ ، لَمَا وَجَدَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَوْلَئِكَ الشَّرْبِ — يُطْرَبُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْأَلْحَانِ وَيُعْدُونَهَا بِابْنَةِ الْحَانَ — فَرَقًا وَلَا خِلَافًا .

٢ (إِذَا رَامَ كَيْدًا بِالصَّلَاةِ مُقِيمَهَا فَتَارَكُهَا عَمْدًا إِلَى اللَّهِ أَقْرَبُ)

الكيد : الخُبث والمكر ، وكذلك الاحتيال ؛ والمعنى مستقيم بها جميعاً . وعمداً ، أى بجد ويقين .

يقول : فَإِنَّ صَلَاةً لَا يُرَادُ بِهَا إِلَّا الْكَيْدُ وَالرِّيَاءُ ، لَا تَنْفَعُ صَاحِبَهَا شَيْئًا ، وَلَا تُغْنِي عَنْهُ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا . وَرَبَّمَا كَانَ مُعْتَمِدُ الْمَعْصِيَةِ أَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ مِنْ مُتَكَلِّفِ الطَّاعَةِ .

٣ (فَلَا يُمْسِ فَخَارًا مِنْ الْفَخْرِ عَائِدٌ إِلَى عُنْصُرِ الْفَخَارِ لِلنَّفْعِ يُضْرَبُ)

٤ (لَعَلَّ إِنَاءً مِنْهُ يُصْنَعُ مَرَّةً فَيَأْكُلُ فِيهِ مَنْ أَرَادَ وَيَشْرَبُ)

لا ، هى الطلبية نهياً ، أو الموضوعه لطلب الترك . وتختص بالدخول على الفعل المضارع ، وتقتضى جزمه واستقباله ، سواء كان المطلوب مخاطباً ، أو غائباً . وجزمها فعلى المتكلم المبدوءين بالهمزة والنون مَبْنِيَيْنِ للفاعل نادر ، ويكثر

جزمها مبنيين للمفعول . وأمسى : للتوقيت بالساء ، وهو بالسياق أوفق ، لأن نهاية اليوم بحركته . وفخّاراً ، أى مُدلاًّ بنفسه تياًهاً بها مُفضلاً لها . مبالغة من : فخره يَفْخُرُه ، إذا كان أْخْر منه وأْكْرَم أباً أو أُمّاً . أو من . فخره عليه يَفْخُرُه ، إذا فضّله عليه في الفخر . وهو خبر « فلا يُمس » . و « عائد » أسماها . وعُنصر كل شيء : أصله . والفخّار : الخرف ، ومن التراب عُنصره . يشير إلى قوله تعالى في سورة الرحمن : (خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) . و « للنفع يُضْرَب » ، أى هذا حديث يُساق لِيُفيد الناس منه عِظَةً وعِبْرَةً .
ولعل ، كلمة رجاء وطمع وشك . واللام في أولها زائدة . وهى مع لفظ الجلالة بمعنى التحقيق .

يقول : كُئِلٌ في نفسه ضالٌّ جائِرٌ . يَسْلُكُ إلى الفناء المُطلق سبيلاً قد سلكها الناسُ من قبله . هنالك في تلك الغاية الخالدة يَسْتَوِي التقيّ والشقيّ ، ويأتلفُ الخيّرَ والشريرَ . ألا فلتعرفوا أنفسكم أيها الناس ، ولتكفوا من غروركم ، فإنما أنتم مادّة تتشكّل أشكالاً مختلفة ، وتتصوّر صوراً مُتباينة . لا تَفْخَرُوا فما أعرَف لكم في الفخر حقاً . إنما أنتم من الفَخَّارِ خُلِقْتُمْ وإلى الفَخَّارِ تَعُودُونَ . أَلَا رَبُّ فَأخِرٍ منكم قد ملأَ قَمَهَ الفخرِ ، وقد أولع بما يُقدِّمه إليه الناسُ من المدح والثناء ، قد عاد إلى أصله ورجع إلى مادّته بعد حين ، واتخذ الناسُ منه الآنية يبتذلونها في الطعام والشراب ، مُتَنَقِّلِينَ بها من بلد إلى بلد ، ومن قُطْرٍ إلى قُطْرٍ .

هـ (وَيُحْمَلُ مِنْ أَرْضٍ لِأُخْرَى وَمَا دَرَى

فَوَاهَاً لَهُ بَعْدَ الْبَلَى يَتَغَرَّبُ)

درى : عرف وعلم . دريت الشيء دَرِيّاً ، ودَرِيّاً ، ودَرِيّةً ، ودَرِياناً ، ودراية . وأدريته غيرى .

و « واه » تلهّف وتلوّذ . وقيل : أستطابة . ويُنونّ ، فيقال : واهاً لفلان !
قال أبو النّجم :

واهاً لريّاً ثم واهاً واهاً ياليتَ عَينَها لنا وفاها

قال ابن جنّي : إذا نونتَ فكأنّك قلت : أستطابةً . وإذا لم تنوّنَ فكأنّك
قلت : لا استطابة . فصار التنوين عَمَّ التَّنْكِير ، وتَرْكُهُ عَمَّ التَّعْرِيف .
وأُنشد الأزهريّ :

وهو إذا قيل له وَيَهَا كُلُّ فَإِنَّهُ مُوَشِّكٌ مُسْتَعَجِلٌ

وهو إذا قيل له وَيَهَا قُلٌّ فَإِنَّهُ أَحْجَبٌ بِهِ أَنْ يَنْكُلُنَّ

أى إنه إذا دُعِيَ لِذَفْعِ عَظِيمَةِ فِقِيلٍ لَهُ : يَا فُلَانُ ، نَكَلَّ ولم يُجِبْ ؛
وإن قيل له : كُلُّ ، أُسْرِع .

والتغرب : البعد والنزوح عن الوطن ، ويكون بمعنى الإتيان من قبل الغرب .

يقال : غرّب القومُ : إذا ذهبوا في المغرب ؛ وأغربوا : إذا أتوا الغرب ؛

وتغربوا : إذا أتوا من قبل المغرب . والمعنى على التوجيهين جائز ، فقد يجوز أن
يُصنع هنا ثم يُنقل ، كما يجوز أن يصنع هناك ثم ينقل إلينا .

يقول : ويحى له لو درى ما سيصنع به ! أو عرف أنه سيتغربُ بعد موته ،

فَتُنْقَلُ الآنية الممتخدة من جسمه في الأقطار والأقاليم ، لَمَّا عُنِيَ بالفخر ولا هام به ،
ولما كدّ نفسه وأشقاها فيما تكلفه الحياة من آمال وأخطار .

اللزومية الثانية والأربعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الجيم :

١ (إِذَا كَانَ إِكْرَامِي صَدِيقِي وَاجِبًا فَإِكْرَامُ نَفْسِي لِمَحَالَّةٍ أَوْجَبُ)

المحالة : الحيلة ، ومنه قول أبي ذؤاد يعاتب امرأته :

حاولت حين حرمتني والمرء يعجز لا المحالة

وأما قولهم : لا محالة من ذلك ، أى لا بد . قال الأزهري : ويقولون في

موضع « لا بد » : لا محالة .

يقول : ما بال أناس يوثرون على أنفسهم فيشقون ليسعد الناس ، ويكيدون ليرتاح غيرهم ، معتمدين على قضايا كاذبة ، متمسكين بقواعد شائنة ، لا يؤيدوها عقل ولا يدعّمها دليل . قد خلطوا بين الحقوق ولم يحسنوا تقدير الأمور ؛ فزعموا أن إكرام الصديق واجب ، وأن إيثاره بالفضل حق محتوم . وذلك شيء لا شك فيه ، ولكن إكرام نفسي ينبغي أن يكون أوجب على ، وألزم لي من إكرام غيري .

٢ (وَأَحْلِفُ مَا الْإِنْسَانُ إِلَّا مَذْمُومٌ أَخُو الْفَقْرِ مِنَّا وَالْمَلِكُ الْمُحَجَّبُ)

ما : حرف نفي ، تعمل عمل « ليس » وقد تزداد الباء في خبرها . والنفي هنا

منتقض « بإلا » فبطل عملها .

والمذموم : المذموم جداً . والمحجب ، أى الممتنع بقصره وحجابه . جعل أخا

الفقر مثلا للتبذل والامتهان ، والمليك مثلا للعرزة والرفعة ، وخصه بالوصف ليكون أبعد فيما أراد .

يقول : لقد ضلّت العقول ، وسفّهت الأحلام ؛ وأقسم ما أرى الإنسان إلا خليقاً بالذم ، حريّاً بالعيب ، سواء في ذلك الفقير المُتمن ، والمليك ذو الجلال .

٣ (أَيْعِقِلْ نُجْمَ اللَّيْلِ أَوْ بَدْرُ تَمَّةٍ فَيُصْبِحَ مِنْ أفعالِنَا يَتَعَجَّبُ)

يعقل : يفهم ويميز . والاستفهام هنا ليس على حقيقته ، بل هو للإنكار الإبطالي ، لأن ما بعد الهمزة غير واقع ؛ إلا إذا أولنا بعض مظاهر النجم والقمر ، فيكون المعنى للتعجب .

والنجم : ما نبت على وجه الأرض ، وما طلع من نجوم السماء . فيز ما أراد منهما بالإضافة إلى « الليل » . والنجوم في الليل أبين ما تكون للرأى ، فكانت إضافتها إليه .

ولعله أراد بالنجم « الثريا » فهو اسم لها علم . يقولون : طلع النجم ، ويريدون « الثريّا » . وإن أخرجت منه الألف واللام تنكر ، فعوضته بالإضافة هنا ما فقدته .

وقد ناط العربُ بالثريا أشياء ، فزعموا أن بين طلوعها وغروبها أمراضاً وعاهات ، في الناس والإبل والثمار . ومدة مغيبها ، بحيث لا تُبصر في الليل ، نيف وخمسون ليلة ، لأنها تخفى بقربها من الشمس قبلها وبعدها ، فإذا بعدت عنها ظهرت في الشرق وقت الصبح . لهذا كان إيرادها هنا أوفق .

أو لعل الرواية : « أتَعْقِلْ نُجْمًا » . يريد « نُجْمًا » بضمين ، جمع نُجْمٍ ، فسكن للشعر .

والبدر : القمر الممتلئ قد تمّ . والتم : التمام . والضمير فيه لليل . قال ابن
شميل : وليل التمام : أطول ما يكون من الليل . ثم قال : ويطول ليل التمام حتى
تطلع فيه النجوم كلها . ويكون أبو العلاء خصّه بالذكر للتعجب الذي ذكره
في هذا البيت ، إذ كل فعل عَجَب يُغرى بالاحتفال له ، ويجمع النظارة حوله .
ولم يُبعد أبو العلاء ، عما ذهب إليه القدماء ، من ربط الحياة بذوات السماء .
والتعجب : أن ترى الشيء يُعجبك تظن أنك لم تر مثله . وكذلك أفعال
الأناسي عند المعرى .

يقول : ليت هذا النجم المتألق ، وهذا البدر المنير ، يَعْلان فيعجاباً لما وقع
فيه الإنسان من خطل الآراء ، وسفه الأحلام .

اللزومية الثالثة والأربعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الراء :

١ (بَقِيْتُ وَمَا أَدْرِي بِمَا هُوَ غَائِبٌ لَعَلَّ الَّذِي يَمْضِي إِلَى اللَّهِ أَقْرَبُ)

دَرَى ، من ذوات المفعول والباء في « بما » إمّا للإصاق ، وهو معنى لا يفارقها . وإما زائدة على المفعول . ومنه قوله تعالى : (وَهَزِيءٌ إِلَيْكَ بِجُدْعِ النَّخْلَةِ) . وقد مرَّ على « لعلَّ » ^(١) شئ .

يقول : لقد قُدِّرَ على البقاء . وحُجِبَ عني الغيب ، فأنا بالبقاء كلف ، وبما مضى جاهل . وربما كان الموت خيراً لي ، وأبقى على من الحياة ، أو ربما كان موت الإنسان إداةً له من ربه .

٢ (تَوَدُّ الْبَقَاءَ النَّفْسُ مِنْ خِيفَةِ الرَّدَى)

وَطُولُ بَقَاءِ الْمَرْءِ سُمٌّْ مُجَرَّبٌ)

٣ (عَلَى الْمَوْتِ يَجْتَازُ الْمَعَاشِرُ كُلَّهُمْ)

مُقِيمٌ بِأَهْلِيهِ وَمَنْ يَتَغَرَّبُ)

٤ (وَمَا الْأَرْضُ إِلَّا مِثْلُنَا الرِّزْقَ تَبْتَغِي)

فَتَأْكُلُ مِنْ هَذَا الْأَنَامِ وَتَشْرَبُ)

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ٤١ ص ٢٦٤ من هذا الجزء .

الرّدى : الهلاك . والبيت فى معنى قول لبيد :

ودعوت ربى بالسّلامة جاهداً ليُصِحِّنى فإذا السّلامةُ داه

وقول النمر بن تولب :

يودُ الفتى طولَ السّلامةِ والبقاَ فكيفَ يرى طولَ السّلامةِ يفعلُ

ويحتاز : يسلك ويجوز .

وما أشبه البيت الرابع بقول بعض المحدثين :

كالأرض لا تُطعم من فوقها إلا لكى تُطعم من نُطعمُ

يقول : لقد نُحِبَّ البقاء خوفاً من الموت . ولعمري ما البقاء إلا سُمّ نافع ، قد ملئ بأنواع الأمراض ، وألوان الآفات والعلل . ولوأن البقاء على كراهيته ميسور ، وانخلود على آلامه مُتّاح . لقد كان لنا أن نرغب فيه ؛ ولكن الموت واقع ، والحمام محتوم ، سواء فى حُكمه المُقيم والطّاعن ، والحاضر والبادى .

أجل ، إنّ الموت لواقع لا بُد منه ، وإنما نحن فى هذه الأرض غِذاء ، نطلبنا على أن نكون لها طعاماً وريّاً ، كما نبتدل نحن غيرنا لهذين العرّصين .

٥ (وقد كذبوا حتى على الشمسِ أنّها تُهانُ إذا حانَ الشُّروقُ وتضربُ)

٦ (كأنّ هلالاً لاحٍ للطّعنِ فيهمُ حناهُ الرّدى وهو السنّانُ المحرّبُ)

٧ (كأنّ ضياءَ الفجرِ سيفٌ تسلّهُ عليهمُ صباحُ المنايا مُذربُ)

يُشير بالبيتِ الأوّلِ إلى قول أميّة بن أبى الصلتِ الثقفى من قصيدة له :

والشمس تَطْلُعُ كُلَّ آخِرِ لَيْلَةٍ حَمْرَاءَ تَطْلُعُ نُورُهَا مُتَوَرِّدٌ
تَأْتِي فَلَا تَبْدُو لَنَا فِي رِسْلِهَا إِلَّا مُعَذِّبَةً وَإِلَّا تُجَلِّدُ

والمحرَّب: المُحدِّد. والمذرَّب: المُحدِّد أيضاً. وقيل: هو الذي سُقِيَ الذَّرَاب، وهو السم، فهو أسرع في هلاك من ضُرِب به. وفي بعض الأصول: «مُدرَّب» بالدال المهملة، أى مُعوِّد. ويجوز على هذا أن يكون صِفَةً للصَّبَاح أو للسَّيْف. يقول: إن الإنسان لمُغرور مخدوع، وإنه على ذلك لسكذوب مُفتر، لم يدع شيئاً إلا تناوله بكذبه، حتى إنَّ الشمس لم تسلم من خطل أمية بن أبي الصلت، فزعم أنها لا تُشرق حتى ينالها الضرب والإيذاء. لقد صغرت العقول وقصرت الأنظار، ولقد كان حقاً على هؤلاء الناس أن ينظروا إلى هذه الشمس وأمثالها من الكواكب والنجوم، من حيث هي عاملة على إهلاكهم، مُجدة في إفنائهم، فما أرى أن هذا الهلال قد حُديب وعُطِف إلا ليكون رُحماً يُطعمون به، وما أرى أن هذا الصبح قد أستطال وأضاء إلا ليكون سيفاً مسلواً على رؤوسهم، يُورد كلاً منهم حوض المنون، إذا انقضى أجله وحانت مدته.

اللزومية الرابعة والأربعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الهاء :

١ (أَتَذْهَبُ دَارًا بِالنُّضَارِ وَرَبِّهَا يُخَلِّفُهَا عَمَّا قَلِيلٍ وَيَذْهَبُ)

أَذْهَبَ الشَّيْءُ : مَوَّهَ بِالذَّهَبِ وَطَلَّاهُ ، فَهُوَ مُذْهَبٌ . وَمِثْلُهُ : ذَهَبْتُ الشَّيْءَ ، فَهُوَ مُذْهَبٌ . وَالنُّضَارُ : اسْمٌ لِلذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَقَدْ غَابَ عَلَى الذَّهَبِ . وَقَدْ يَجِيءُ نَعْتًا ، فَيُقَالُ : ذَهَبُ نُضَارٍ . وَخَلَّفَ الشَّيْءُ : جَعَلَهُ خَلْفَهُ ، يَرِيدُ : وَلَّى عَنْهُ وَتَرَكَه . يَقُولُ : أَذْهَبُوا أَيُّهَا الْأَغْنِيَاءُ دُورَكُمْ بِالنُّضَارِ الْوَهَّاجِ ، وَزَيْنُوهَا بِمَا شِئْتُمْ مِنْ بَدِيعِ الرِّيَاشِ ؛ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ عَنْهَا ذَاهِبُونَ ، وَلَهَا تَارِكُونَ .

٢ (أَرَى قَبَسًا فِي الْجِسْمِ يُطْفِئُهُ الرَّدَى
وَمَا دُمْتَ حَيًّا فَهَوَ ذَا يَتَلَهَّبُ)

الرُّؤْيَةُ ، بِالْعَيْنِ ، وَتَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ ؛ وَبِمَعْنَى الْعِلْمِ ، وَتَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ وَقَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ : الرُّؤْيَةُ : النَّظَرُ بِالْعَيْنِ وَالْقَلْبِ . وَالْقَبْسُ : الْجَذْوَةُ ، وَهِيَ النَّارُ الَّتِي تَأْخُذُهَا فِي طَرْفِ عُودٍ ؛ وَقِيلَ : هُوَ الشُّعْلَةُ مِنْهَا . يَرِيدُ بِهَا الْحَيَاةَ . وَجَعَلَهَا « قَبَسًا » لِقَصْرِ أَمْدِهَا ، فَالْقَبْسُ لَا مَدَدَ لَهُ يَذْكِيهِ فَيَطْوِلُ وَقَدَهُ ، وَكَذَلِكَ الْحَيَاةُ إِلَى انْحِلَالٍ . وَالتَّلَهَّبُ : التَّوَقُّدُ وَالِاشْتِعَالُ . وَيُرِيدُ بِهِ مَا مَعَ الْحَيَاةِ مِنْ حَرَكَةٍ وَاضْطِرَابٍ .

يَقُولُ : مَا أَرَى إِلَّا أَنْ أَجْسَامَكُمْ قَبَسًا ، مَهْمَا أَضَاءَ فَلَا بُدَّ أَنْ يُطْفِئَهُ الْمَوْتُ وَيُخَمِّدُهُ الرَّدَى ؛ فَمَا النِّهَايَةُ إِلَّا إِلَى حِينٍ ، وَمَا اشْتِعَالُهُ إِلَّا إِلَى مَدَى .

اللزومية الخامسة والأربعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الراء :

- ١ (غَدَوْتُ عَلَى نَفْسِي أَثْرَبُ جَاهِدًا وَأَمْثَالَهَا لَامَ اللَّيْبِ الْمُثْرَبُ)
 ٢ (إِذَا كَانَ جِسْمِي مِنْ تُرَابٍ مَالَهُ إِلَيْهِ فَمَا حَظِّي بِأَبْنَى مُثْرَبُ)

غدا عليه غَدُوًّا وَغَدُوًّا : بكر ، وذلك في أول النهار ، يعنى معاجلته نفسه ،
 وأن هذا أول ما كان منه .

وَأَثْرَبُ : أَثْبَ وَأَسْتَقَصَى فِي اللَّوْمِ . وَقِيلَ : ثَرَّبَ عَلَيْهِ : لَامَهُ وَعَيْرَهُ بِذَنْبِهِ
 وَذَكَرَهُ بِهِ . تَقُولُ : ثَرَبْتُ عَلَيْهِمْ ، وَغَرَبْتُ عَلَيْهِمْ ، أَيْ قَبَحْتُ فَعْلَهُمْ . وَالتَّبْكِيْتُ ،
 قَرِيبٌ مِنْهُ . وَ« أَمْثَالُهَا » مَفْعُولٌ مُقَدَّمٌ لِلْفِعْلِ « لَامَ » أَيْ وَأَمْثَالُ نَفْسِي لَامَ .
 وَالْمَالُ : الرُّجُوعُ وَالْمَصِيرُ . وَأَثْرَبُ : قَلَّ مَالُهُ ؛ وَأَثْرَبُ أَيْضًا . اسْتَعْنَى وَكَثُرَ
 مَالُهُ ، فَصَارَ كَالْتُّرَابِ ، وَهَذَا هُوَ الْأَعْرَفُ ، وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا .

يقول : ما أخلق النفس باللوم ! وما أحرأها بالتثريب ! وما أجدر اللبيب
 العاقل والحكيم الحازم ، أن يمتنعها منهما حظاً غير مقطوع ، وعطاء غير مجدوذ !
 فقد كلفت بما في هذه الحياة من باطل ، وحرصت على ملها من زينة فانية ،
 ونعمة غير خالدة . ولست أدري ما الذى يكلف به الإنسان من الثروة والغنى ،
 وهو يعلم أنه من التراب خلق ، وإلى التراب يعود . ما أجد حِرْصَ ابن التراب
 على الغنى والإثراب إلا حُققاً ! وما أرى شغف ابن الفناء بالخلود والبقاء
 إلا سفهاً !

٣ (وَمَا زَالَتِ الدُّنْيَا بِأَصْنَافِ أَلْسِنٍ مُبَيِّنٌ عَنْ غَيْرِ الْجَلِيلِ وَتَعْرِبُ)

الأصناف : جمع صنف ، بالكسر والفتح ، وهو النوع والضرب من الشيء .
وأصناف ألسن ، أى ضروب من القول وألوان من الكلام .

وأعرب : أبان وأفصح . يُقال : أعرب الشيء ، إذا أبانه وأفصحه ، وعن حاجته : إذا أبان عنها .

يقول : لقد آن للعقول الضالة أن تهتدى ، وللنفوس العاقلة أن تُفَيِّقَ ، وللآذان الصم أن تسمع . فما زالت هذه الحياة منذ كانت تنطق بكل لغة ، وتُعرب بكل لسان ، مبرهنةً على ما اشتملت عليه من شرٍّ ، ومُسيرةً إلى ما شُفعت به من سوء .

٤ (إِذَا أَعْرَبْتَ يَوْمًا رِزْءٌ عَلَى الْفَتَى فَلَيْسَتْ عَلَى نَفْسِي بِمَا حُمُّ تَعْرِبُ)

الإغراب : الإتيان بالشيء الغريب ؛ وهو كذلك غاية الإكثار ، ومنه أعرب الفرسُ في جريه ، والرجلُ في منطقته : إذا لم يُبق شيئاً إلا تكلم به .

والرزة : المصيبة بفقْد الأجزاء ، وهو من الانتقاص ؛ يُقال : مارزاً فلاناً شيئاً ، أى ما أصاب من ماله شيئاً ولا نقص . جعل الرزة غريباً لم يعهد ، أو فادحاً بلغ غاية الفدح .

وَحُمُّ الشَّيْءِ وَأُحِمٌّ : قُدِّرَ وَقَضِيَ . وَحَمَّهُ اللهُ وَأَحَمَّهُ : قَضَاهُ وَقَدَّرَهُ .

يقول : لقد أختبرتها فأحسنتُ أختبارها ، وبلوتها فأتقنتُ بلاءها . لقد أحطتُ بأسرارها وظهرتُ على خبيثتها ، فما أرى فيها شيئاً أنكره أو أعجب له أو تدهشني غرابته ، على حين أرى الحَمَقَى المُضللين ، والبُلَه المَغلغلين ، تَفجؤهم

منها فاجئةُ الخير أو الشرِّ ، لم يكن لهم بها عهد ، فيقضون العجب ، ويلجئون في الدهش والاستغراب .

٥ (وَجَرَّبَتْهَا أُمَّ الْوَلِيدِ لِطَامِعٍ وَيَأْسُ مِنْ أُمَّ الْوَلِيدِ الْمُجَرَّبِ)

أم الوليد : من كنى الدجاجة . وتكنى أيضاً : أم حفصة ، وأم جعفر ، وأم عقبة ، وأم إحدى وعشرين ، وأم قُوب ، وأم نافع . وتوصف بسرعة الإقبال والإدبار . شبه الدنيا بها لا يعلق بها وهم طامع حتى تفوته . كما توصف بقلّة النوم وسرعة الانتباه ، والدنيا على تلك الحال قلّ أن يُطمع منها بغفلة أو غرة .

يقول : على رسلكم أيها الناس ، إنما خيّركم من هذه الحياة لباطلٍ وزور ! وإنكم حين تُعجبون به لتعجبون بشيء لم يُقم على قاعدة ولم يعتمد على أصل ولا حكمة ! إنما هي حركاتُ سُحقٍ ونزواتُ خطلٍ ، وما ينبغي للعاقل أن يرجو منها خيراً أو ينتظر منها نفعاً . ما أرى دُنياكم هذه إلا أشدُّ سُحقاً وأكثرَ خطلاً من دجاجة ، ليس لها حلِمٌ راجح ، ولا عقلٌ صحيح ؛ قد حرمتُ رزانة الحركة ووقار المشية ؛ فهي نَزاةٌ وتآبةٌ ، ونزقةٌ طائشةٌ ، تحكّمها المصادفة أكثر مما يحكّمها التدبير . فما أجدر العالم بها باليأس منها ، والقنوط من مستقبل أمرها .

٦ (يَحِقُّ لِمَنْ يَهْوَى الْحَيَاةَ بُكَاءُ)

إِذَا لَاحَ قَرْنُ الشَّمْسِ أَوْ حِينَ تَغْرُبُ)

٧ (وَمَا نَفْسٌ إِلَّا يُبَاعِدُ مَوْلِدًا)

وَيُدْنِي الْمَنَايَا لِلنَّفُوسِ فَتَقْرُبُ)

- ٨ (فَهَلْ لِسَهِيلٍ فِي مَمَدِّكَ نَاصِرٌ
 إِذَا أَسَلَمَتْهُ لِلْحَوَادِثِ يَعْرُبُ)
 ٩ (وَأَهْدَى إِلَى نَهْجِ الْهَدَى مِنْ مَعَاشِرِ
 نَوَاضِحِ تَسْنُوْ أَوْ عَوَامِلِ تَكْرُبُ)

حَقٌّ : وَجِبَ ، ومثلها حَقٌّ ، ولكنك إذا قلت : حَقٌّ ، قلت لك ؛ وإذا
 قلت : حَقٌّ ، قلت : عليك . وإذا عَبَّرُوا بِالْمُضَارِعِ جَعَلُوهُ مِنَ الْمَعْلُومِ ، فقالوا :
 يَحِقُّ عَلَيْكَ . و « بَكَوْهُ » فاعل الفعل « يحق » . ولاح النجم ونحوه : بدا .
 فإذا أومض وتلاأ ، قلت : ألأح . وقال ابن السكيت . ويقال للشئ إذا تلاأ :
 لآح يلوح لَوْحًا وَلَوْحًا . وقرن الشمس : أو لها عِنْدَ طُلُوعِهَا وَأَعْلَاهَا . وقيل :
 أوّل شعاعها . وقيل : ناحيتها .

والنفس : هو خروج الرّيح من الأنف والشم ، وما الحياة إلا أنفاس . وسهيل :
 كوكب . زعموا أنه كان عشاراً على طريق اليمّن ظلوماً فمسخه الله كوكباً ،
 ومعدّ ، هو ابن عدنان ، أبو العرب ؛ من « عدّ » . أو الميم فيه أصلية ، لقولهم :
 تَمَّعِدِد ، أى تزيّياً بزى معدّ في تكشّفهم . أو تصبّر على عيشهم . ويعرّب :
 هو ابن قحطان ، أبو اليمّن .

يُشير إلى هذا الزعم . أى هل بعيد أن العرب تنصر سهيلاً بعد أن لم تدفع
 عنه اليمّن ، وهو منهم ! وجعله مثلاً للإنسان لا يملك حولاً من صديق بله غيره .

والنهج : الطريق المستقيم . والمعاشر : جماعات : الناس . والنواضح : جمع
 ناضحة ، وهى الناقة يُسْتَقَى عليها الماء . وتَسْنُو : تَسْقَى . يقال : سَنَتِ النَّاقَةُ تَسْنُو ،
 إذا سقت الأرض ، والقومُ يَسْنُونُ لأنفسهم ، إذا استقوا .

والعوامل : بَقْر الحَرْث والِدْيَاسَة ؛ وقيل : هي من البقر التي يُسْتَقَى عليها
وَيُحْرَث ، وَتُسْتَعْمَل في الأَشْغَال ؛ الواحدة : عاملة . وَتَكْرُبُ : تَحْرَث ؛ يُقَالُ :
كَرَبَ الأَرْضَ يَكْرُبُهَا كَرْبًا وَكِرَابًا : قَلَبَهَا لِلحَرْث ، وَأَنَارَهَا لِلزَّرْع .

يقول : أَيُّهَا الكَلَفُ بالحياة ، المشغوف بالبقاء ، لقد تيممتك هذه الدنيا
وَأُسْتَأْتَرَتْ بِلَيْتِكَ ، فَهَمَّتْ بِهَا مِنْ حَيْثُ يَنْبَغِي أَنْ تَصُدَّ عَنْهَا ، وَأَنْ تَسْتَبْدَلَ
بِبُكَاءِ الرَّغْبَةِ فِيهَا بُكَاءَ الرَّهْمَةِ مِنْهَا .

إِنَّكَ لَتَهْوَى العَلَّةَ المُهْلِكَةَ والِدَاءَ المُمِيتَ ، إِنَّ حَرَكَةَ الشَّمْسِ مِنَ المَشْرِقِ
إِلَى المَغْرِبِ لَيْسَتْ إِلَّا مَقْرَبَةً لِأَجْلِكَ ، وَمُقَصَّرَةٌ لِحَيَاتِكَ . فَكَّرْ فِي أَمْرِكَ ،
وَأَحْسِنْ تَدْبِيرَ نَفْسِكَ ، تَجِدْ أَنَّ أَنْفَاسَكَ الَّتِي تَتَنَفَّسُهَا ، وَحَرَكَاتِكَ الَّتِي تَتَحَرَّكُهَا ،
مُسْتَلْذَأُهَا ذَوْقُ الحَيَاةِ ، مُسْتَعْدَبًا بِهَا طَعْمُ العَيْشِ ، لَيْسَتْ إِلَّا مُضْهِبَةً لَكَ ،
تُبَاعِدُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ المَهْدِ ، وَتُقَارِبُ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّحْدِ . ذَلِكَ قَضَاءُ وَاقِعٍ ،
وَحُكْمٌ نَافِذٌ ، لَيْسَ لَكَ مِنْهُ عَاصِمٌ وَلَا نَصِيرٌ .

أَتُرَى أَنْ سُهَيْلًا ، هَذَا النَجْمُ المِتْلَأِي فِي السَّمَاءِ ، الَّذِي هُوَ أَحْرَى مِنْكَ
بِالْبَقَاءِ ، وَأَذْنَى مِنْكَ إِلَى طُولِ المَدَّةِ ، وَاجِدْ لَهُ مِنَ الحَوَادِثِ نَصِيرًا ، وَمِنَ
الْكَوَارِثِ مَلْجَأً ؟ كَلَّا ! وَلَكِنَّهَا عُقُولٌ ضَالَّةٌ ، وَأَنْظَارٌ قَصِيرَةٌ ، وَنُفُوسٌ
سَبَقَتْهَا إِلَى المَهْدَى تِلْكَ الإِبِلُ الجَادَّةُ فِي سَقَى الأَرْضِ ، وَالبَقَرُ العَامِلَةُ فِي حَرْمِهَا .

١٠ (أَلَا تَفَرِّقُ الأَحْيَاءُ مِمَّا بَدَأَ لَهَا

وَقَدْ عَمَّهَا بِالفَجْرِ أَزْرَقُ مُغْرَبٌ)

١١ (وَشَفَّ بَقَاءَ صِرْتُ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِ

أَهْشُ إِلَى المَوْتِ الزَّوَامِ وَأَطْرَبُ)

تَفَرَّقَ : تَفَزَّعَ وَتَجَزَّعَ ؛ فَرَّقَ مِنْهُ فَرَقًا : جَزَع . وَحَكَى سَيَبُويَه : فَرَّقَهُ ، عَلَى حَذْفِ « مِنْ » . وَحَكَى اللّٰحِيَانِي : فَرَّقَ عَلَيْهِ : فَزَعٌ وَأَشْفَقَ .

وَالْأَزْرَقُ : الْأَبْيَضُ . قَالَ أَبُو بِنُ سَيْدِهِ . الزُّرْقَةُ : الْبَيَاضُ حَيْثَا كَانَ . وَالْأَزْرَقُ أَيْضًا : الشَّدِيدُ الصَّفَاءِ .

وَالْمَغْرَبُ ، عَلَى صِيغَةِ اسْمِ الْمَفْعُولِ : الصَّبْحُ لِبَيَاضِهِ . أَرَادَ « مَغْرِبُ أَزْرَقٍ » فَقَدَّمَ وَأَخَّرَ . وَعَلَى صِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ : مَا لَفَّ وَوَارَى مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

وَيُرِيدُ « بَازْرَقَ مَغْرِبًا » صُبْحًا صَافِيًا قَدْ لَفَّ بَيَاضَهُ كُلِّ شَيْءٍ . وَشَفَّ ، أَيْ رَقَّ وَحَلَّ وَضَعُفَ ، هَذَا عَلَى الزُّومِ . وَ« بَقَاءٌ » يُرِيدُ حَيَاةً هَذِهِ صِفَتَهَا : هُزَالًا وَرَقَّةً وَضَعْفًا لَا غِنَاءَ عِنْدَهَا .

وَقَدْ يَكُونُ الْفِعْلُ عَلَى الْخُرُوجِ ، أَيْ وَشَفَّنِي بَقَاءً . وَحَذْفُ الْمَفْعُولِ لِلْعِلْمِ بِهِ . وَهَشٌّ لِلشَّيْءِ يَهْشُ ، مِنْ بَابِ فَرَحٍ : ارْتَاحَ لَهُ وَاشْتَهَاهُ .

وَالزُّوَامُ : الْعَاجِلُ السَّرِيعُ الْمُجْهَزُ ، وَقِيلَ : الْكُرْيَةُ ، وَهُوَ أَصَحُّ .

يَقُولُ : مَجْبَأً لَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ، لَقَدْ أَطْمَأْنَنْتُمْ إِلَى الْحَيَاةِ وَأَسْتَنْدَمْتُمْ إِلَى لَدَاتِهَا ، فَمَا مِنْكُمْ إِلَّا مَفْرُورٌ يَمْلُؤُهُ الْأَمَلُ وَيَحْدُوهُ الرَّجَاءُ . لَقَدْ أَمِنْتُمْ سَطْوَةَ لَا تُؤْمَنُ ، وَرَكَنْتُمْ إِلَى مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ تَرْكَنُوا إِلَيْهِ . لَقَدْ كَانَ حَقًّا عَلَيْكُمْ أَنْ تَفَرَّقُوا مِنْ مَطْمَعِ النَّهَارِ وَمَقْدَمِ اللَّيْلِ ، وَأَنْ تُسَيِّئُوا الظَّنَّ بِحَيَاةِ مَا أَرَاهَا إِلَّا مُرْغَبَةً فِي الْمَوْتِ ، مُغْرِبَةً بِحُبِّهِ ، مُحَرِّضَةً عَلَيْهِ . قَصَّرُوا مِنْ آمَالِكُمْ وَأَثَرُوا أَنْفُسَكُمْ بِالذَّعَةِ وَالرَّاحَةِ ، حَتَّى تَنْقُضِيَ أَيَّامَكُمْ الْقَلِيلَةَ .

- ١٢ (فَشِمُّ صَارِمًا وَارَكُزُ قَنَاءً فَلِرِدَى
يَدُ هِيَ أَوْلَى بِالْحِمَامِ وَأَدْرَبُ)
- ١٣ (أَفْضُ لَهُامَاتٍ وَأَرَمَى بِأَسْهُمٍ
وَأَطَعَنُ فِي قَلْبِ الْخَمِيسِ وَأَضْرَبُ)
- ١٤ (أَرَى مُطْعِمَ الرَّمَسِ اللَّهُمَّ خَلِيلَهُ
سَيُؤْكَلُ مِنْ بَعْدِ الْخَلِيلِ وَيُشْرَبُ)

شام السيف : سلّه وأغمده ، من الأضداد . وشك أبو عبيد في « شمته »
بمعنى : سلته .

قال شمر : ولا أعرفه . وشاهده في « السل » قول الفرزوق :
إذا هي شيمت فالقوائم تحتها وإن لم تُشم يوماً علتها القوائم
وشاهده في الغمد قول الطرمّاح :
وقد كنت شمتُ السيفَ بعد استلاله وحاذرتُ يوم الوعد ما قيل في الوعد
والمراد هنا « الغمد » بقرينة « ركز القناة » بعده .
والصّارم : السيف القاطع . والركز : غرزك شيئاً مُنتصباً كالرّمح .
وأدرب : أكثرُ جرأةً وضراوةً .

وأفضّ : أقوى تكسيراً وتفريقاً . والهامات : جمع هامة ، وهي الرأس ،
وتُجمع على هام أيضاً . والخميس : الجيش الجرار . وقيل : سُمي بذلك لأنه خمس
فرق : المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساق .

والرَّمْس: القبر؛ والجمع: أرماس ورُموس واللَّهْم، مثل خَضَمَ: العظيم الكثير
الابتلاع. وَصَفُ المضاف إليه، وهو «الرَّمْس». واللَّهْمَ أيضاً: الكثير العطاء،
فيكون وصفاً للمُضَاف، وهو «المُطْعَم» أى السخىّ فى القتل. «وخليله»
مفعول لـ «مطعم». و«سيؤكل ويُشرب» على ما لم يُسم فاعله، أى إنه نازلٌ
به مثل ما نزل بخليله، شارب بالقدر الذى شرب منه.

وفى بعض النسخ: «سَيَأْكُل». أى إن الناس بعد أن يُواروا خلائهم
التراب عائدون إلى لهوهم ومجونهم.

يقول: أُنغِدُوا سِيُوفَكُمْ وَأَرْكُزُوا رِمَاحَكُمْ، وَلَا يَبْلُغُ مِنْكُمْ حُبُّ الْحَيَاةِ
وَالشَّغْفُ بِهَا أَنْ يَتَعَجَّلَ بَعْضُكُمْ مَنَائِبًا بَعْضًا. أَرِيحُوا أَنْفُسَكُمْ، لَا يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ
بَعْضًا؛ فَإِنَّ لِمَوْتِ الْفِطْرَى يَدًا أَمْرًا مِنْ أَيْدِيكُمْ فِي الْقَتْلِ، وَحُسَامًا أَمْضَى
مِنْ سِيُوفِكُمْ فِي الْهَامِ، وَسِنَانًا أَثَقَبَ مِنْ أَسْنَنَتِكُمْ لِلصُّدُورِ.

أَرِيحُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ هَذَا الْعَنَاءِ، فَإِنَّ الْمَوْتَ سَيُرِيحُ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ.
كُلُّكُمْ مَيِّتٌ، وَكُلُّكُمْ تَارِكٌ أَصْدِقَاءَهُ وَأَخِلَاءَهُ، لَا يَحْفَلُونَ بِهِ وَلَا يَأْسِفُونَ عَلَيْهِ،
وَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ وَدَاعَةٌ ثُمَّ يَمُودُونَ مِنَ الْهَوِّ وَاللَّعْبِ، وَمِنَ الْغَيِّ وَالْمُجُونِ، إِلَى
مَا كَانُوا فِيهِ.

اللزومية السادسة والأربعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الذال :

١ (إِذَا أَقْبَلَ الْإِنْسَانُ فِي الدَّهْرِ صُدِّقَتْ
أَحَادِيثُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَهُوَ كَاذِبٌ)

الإقبال : ضد الإدبار . يريد : إذا مضى قدماً إلى الرِّفْعَة والعَلْيَاء ، وأصَاب
حَظًّا من مَنزلةٍ سامية .

يقول : ما أحرصَ النَّاسَ على تَصْدِيقِ الغَنِيِّ والثِّمَّةِ بصاحب الثِّراء ، قد
أقبلت عليه الأيامُ فَاسْتَبَغَتْ عليه من النِّعمَةِ ثوباً ضافياً خَلَاباً ، لم يَكْدَ يظهر
فيه صاحبه حتى خَلَبَ العُقُولَ والألبابَ ، فَخَيَّلَ إليها أن باطله حقٌّ ، وكذبه
صِدْقٌ ، وضلاله هُدًى .

٢ (أَتَوْهُمُنِي بِالْمَسْكَرِ أَنْكَ نَافِعِي وَمَا أَنْتَ إِلَّا فِي حَبَالِكَ جَاذِبٌ)
٣ (وَتَأْكُلُ لَحْمَ الْخَيْلِ مُسْتَعْذِبًا لَهُ وَتَزْعُمُ لِلْأَقْوَامِ أَنْكَ عَاذِبٌ)

وَهَمَّتْ في الشِّئءِ ، بالفتح ، أَمِّمٌ وَهَمَّ ، إذا ذهبَ وَهْمُكَ إليه وأنت تُرِيدُ
غيرَه ؛ وأَهَمَّتْ غيرِي إِيهاماً . وبالمسكِر ، أى خادعاً مُحْتالاً في خُفِيَّةِ . والحبال :
جمع حَبَلٍ ، ما يُصَاد به . قال الأزهريّ : والحبالَة . جمع الحَبَلِ ؛ يقال : حَبَل
وحِبَالٌ وحِبَالَةٌ ، مثل : جملٌ وجمالٌ وجمالةٌ . وقيل : الحبالَة ، التي يصاد بها ، جمعها :
حِبَالٌ . والجذب : اللد . أى موسع لى فى وسائل الإغواء لتصيب منى مقتلا .

وقد تكون الحبال : جمع حَبَل ، بمعنى العهد والذمة والتواصل . ويكون « الجذب » هنا بمعنى القطع ، ويكون المعنى : أنه يُحْتَمَلُ له أنه على عهده ووده ، وهو يكيد له ويمكر به .

والخِل : الصديق المُخْتَص . والجمع : أخلال . والأنتى : خِل ، أيضاً . ويجوز فيه الضم ، والكسر أكثر . ومستعذباً له : تعده عذباً مستساغاً ، وظاهر أنه يشير إلى قوله تعالى في سورة الحجرات : (ولا يفتب بعضهم بعضاً . أئحِب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً) . وقد تكون الرواية « الخَل ، بالفتح ، وهو المهزول ، والسمين ضد ، يكون في الناس والإبل . والمراد هنا : الإبل . وكأنه ملتفت إلى ما أخذ نفسه به من المُذوف عن أكل لحوم الحيوان . وكأنه هنا يُعَدُّ فاعل ذلك على نقيصة ، لا يوثق به ولا يؤمن جانبه .

والعاذب ، من جميع الحيوان : الذى لا يطعم شيئاً . وقد غلب على الخيل والإبل . والجمع : عُذوب ، كساجد وسُجود . وقيل : هو الذى يبئس ليله لا يطعم شيئاً ؛ أى إنه نهم شرس ، ويدعى أنه عَفٌّ عَلَى زهادة .

يقول : حدثنى بما شئت من تضليل وتغريير ، وأوهمنى بما أستطعت من سَطْوَة وسُلْطَة ، وخيّل إلى أنك تملك نفعى وضرى ، وتقدر على خيرى وشرى ؛ فإنك عندى كاذبٌ غير صادق ، ومائنٌ غير أمين . لقد فقدت القدرة فما تستطيع عملاً وما تقدر على شيء ، إن أنت فى الحياة إلاَّ عبدٌ مَقْهُورٌ مُسْتَدَلٌّ ، قد خيّل إليه أنه قادرٌ مُخْتَارٌ فَعَال . لقد خدعك الخيالُ وكذبك المنى .

أظهِر النَّسْكَ والعبادة ، وأعلن الهدى والطاعة ، وتجاوب بين أيدى الناس عن نعيم الحياة ولذاتها ، وحدثنا أنك وفى بالعهود ، حافظٌ لغيب الصديق ، فما أنت فى ذلك إلاَّ مُخْتَلِقٌ مُنْتَحَل . إنك لتترهّد بين أيدينا عن لحم الحيوان ، ولكننا نكاد نلّس بأيدينا قرمك إلى لحم الإنسان ، ولا سيما إن كان صديقاً أو خليلاً .

اللزومية السابعة والأربعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الجيم :

١ (لَا يُغْبَطَنَّ أَخُو نَعْمَىٰ بِنِعْمَتِهِ بِئْسَ الْحَيَاةُ حَيَاةً بَعْدَهَا الشَّجَبُ)

الغَبَطُ : أن تَتَمَنَّى مثل حال المَغْبُوط ، من غير أن تُرِيد زوالها ولا أن تتحوَّل عنه . والنَعْمَى كالنَّعْمَة ، وإن فَتَحْتَ النُّونَ مَدَدْتَ ، فقلت : النِّعَاء . وبيئس : كلمة دَمَمٌ . فعل ماض لا يتصرف ، لأنه أزيل عن موضعه ، منقول من « بيئس » إذا أصاب بؤساً . وهي تكون لذم الجِنْس ، والمقصود بالذات فردٌ من ذلك الجنس ، ويُسمَّى ذلك الفرد : المخصوص بالذم . و « حياة » هي المخصوصة بالذم ، وهي خبر لمبتدأ محذوف ، تقديره « هي » .

والشَّجَبُ : الهلاك ، والحُزْنُ أيضاً ؛ فعله : شَجَبَ يَشْجَبُ ؛ وأما شَجَبَ يَشْجُبُ ، فالمصدر منه شُجُوبٌ ، وهو بمعناه . هذا على الأوزم ، فإذا عدَّيْتَهُ ، فالمصدر : الشَّجَبُ ، وكان معناه الإهلاك .

يقول : أَلَا لَا تَغْبَطُ مُنْعَمًا بِنِعْمَتِهِ ، وَلَا تَحْسُدُ سَعِيدًا عَلَى سَعَادَتِهِ ؛ فليس في الحياة ما يُغْبَطُ به ، ولا في العَيْشِ ما يُحْسَدُ عليه . بيئست الحياةُ تَمَلُّوْهَا اللَّذَّةَ ، وَتُقْعِمُهَا النَّعْمَةَ ، ثُمَّ يَعْقُبُهَا الْمَوْتُ وَالْمُهْلَاكُ !

٢ (وَالْحِسُّ أَوْقَعَ حَيًّا فِي مَسَاءَتِهِ وَلِلزَّمَانِ جِيُوشٌ مَا لَهَا لَجْبٌ)

الحس : الإدراك ، وأدواته في الإنسان حواسه الخمس ؛ أو هو التصرف من تصرفات المرء ؛ تقول : « جئني من حسك وبيسك » ، أي من حيث تدركه

حاسة من حواسك ، أو يدركه تصرف من تصرفك . والمعنى على التأويلين جائز، فحواس الإنسان ، وهى وسائله ، أو تصرفه وما يأتیه ، جارة عليه ، فيما تجرّ ، العطب والمؤبقات .

وفى مساءته ، أى ما يسوءه ، والضمير للحىّ والمساءة ، من مصادر : ساءه يسوءه . وجيوش الزمان : مغوياته ومغرياته التى هى أسباب للفناء . واللجب : الصوّت والصياح ؛ وقيل : هو ارتفاع الأصوات والجلبة مع اختلاط ، وصوت العسكر . ونفى « اللجب » عنها ، ووصف لها بالمخاللة تدبّ له الضراء ، وتمشى الخمر .

يقول : أجل ! ليس فى الحياة شىءٌ يُحمد ، فما أجد الحسّ . الذى هو أخصّ مميزاتهما وأوضح الدلائل عليها ، إلاّ موقعاً لصاحبه فى السوء ، ومُنتهياً به إلى المكروه . وكيف تُحمد الحياة أو يُرغب فيها ! وما أرى صاحبها إلاّ غرضاً مُستهدفاً لجيش من الزمان ، يعمل ويجدّ فى عمله للفناء ، من غير أن يُسمع له لَجَبٌ ولا صَخَب .

٣ (لَوْ تَعَلَّمُ الْأَرْضُ مَا أَفْعَالُ مَا كَانَتْهَا لَسَكَانَ مِنْهَا لِمَا يَأْتِي بِهِ الْعَجَبُ)

لو ، تدل على ثلاثة أمور : الشرطية ، أعنى عقْد السببية والمسببية بين الجملتين بعدها ، وتقيد الشرطيّة بالماضى ، وامتناع السبب .

وهى بالشرطين الثانى والثالث تخالف « إن » فإنّ هذه لعقد السببية والمسببية فى المستقبل .

وقد تجيء « لو » بمعنى « إن » وذلك فى نحو « وما أنتَ بمؤمنٍ لنا ولو كُنَّا صَادِقِينَ » . غير أنها هنا ليست من هذا . والمضارع « تعلم » مراد به المضى . ثم إن الشرط متى كان مستقبلاً محتملاً ، وليس المقصود فرضه الآن أو فيما

مضى ، فهي بمعنى « إن » . ومتى كان ماضياً أو حالاً أو مستقبلاً ، ولكن قصد فرضه الآن أو فيما مضى ، فهي الامتناعية .

و « ما » في « ما أفعال » استفهامية مضمنة معنى الحرف ، ومعناها : أى شىء . وهى هنا معلّقة ، أى قد عاقت الفعل « تعلم » عن العمل ، والتعليق إبطال العمل لفظاً لا محلاً .

واللام في « لكان » لام الجواب . وتكون جواب « لو » و « لولا » وجواباً لقسم . و « يأتى به » : يفعله . وفي بعض الأصول « يؤتى » .

يقول : أفٍ لِقَصْرِ العُقُولِ ، وَسَفَهِ الأَحْلَامِ ! لقد أغرقنا فى الغُرُورِ ، وتعلّقنا بصغار الأمور ، حتى لو عقلت الأرض أو فهمت ، فرأت ما نحن فيه من تركٍ للنافع ، وتشبّث بالضرار ، ومن عدولٍ عن كبار الأمور إلى صغارها ، لتقتضى العجب مما نحن فيه من تحقّق وسُخْفِ .

٤ (بَدَأَ السَّعَادَةَ أَنْ لَمْ تُخْلَقِ امْرَأَةٌ فَهَلْ تَوَدُّ مُجَادَى أَنَّهَا رَجَبٌ)

مُجَادَى : أحدُ مُجَادِيَيْنِ ، أُسْمِنُ لَشَهْرَيْنِ . إِذَا أَضْفَتِ قُلْتَ : شهر مُجَادَى ، وشَهْرُ اِجْمَادَى . وَسُمِّيَتِ الأُولَى : مُجَادَى خَمْسَةَ ، أَى الخَامِسَةَ مِنْ أَوَّلِ شُهُورِ السَّنَةِ . وَالآخِرَةُ : جِمَادَى سِتَّةَ . قَالَ لَبِيدٌ :

* حَتَّى إِذَا سَلَخْنَا مُجَادَى سِتَّةَ *

وُسِّمِيَ « جِمَادَى » لِحُجُودِ المَاءِ فِيهِ ، وَهُوَ الشِّتَاءُ عِنْدَ العَرَبِ . قَالَ الفَرَّاءُ : والشهور كلها مذكرة إلا مُجَادِيَيْنِ ، فإنهما مؤنثان . قَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا جِمَادَى مَنَعَتْ قَطْرَهَا زَانَ جِنَانِي عَطَنٌ مُغْضِفٌ

ورجب: شهر، سمّوه بذلك لتعظيمهم إياه في الجاهلية عن القتال، ولا يستحلونه

فيه . وفي الحديث : « رجب مُضَرّ الذى بين جُمادى وشعبان » . قوله : « بين جمادى وشعبان » تأكيد للبيان وإيضاح له ؛ لأنهم كانوا يُؤخّرونه من شهر إلى شهر ، فيتحول عن موضعه الذى يختصّ به . وقيل له : رجب مُضَرّ ، إضافة إليهم ؛ لأنهم كانوا أشدّ تعظيماً له من غيرهم ، فكأنهم اُختصّوا به .

وفى التمثيل بمؤنث من أسماء الشهور ومذكر التفتات لما هو آخذ فيه . وكأنه قاطع بأن النساء لن يرغبن فى النزول عن أنوثتهن ، إبقاءً لهذا الشقاء الذى ادعاه ، وهو لامتداد النسل ، فضرب لذلك مستحيلاً .

يقول : نرجو السعادة ونكاف بها ، وإنما نرجو متعذراً ونكاف بمُحال ؛ وإنما السعادة ألاّ نوجد ، وقد وجدنا ؛ والألّا مخلّق ، وقد خلّقنا . فما حرّصنا على ما لا سبيل إليه ! وما رغبنا فيما لا قدرّة عليه ! وهل رأيت شهراً من الشهور قد ضاق بنفسه ، وأحبّ أن يستبدل به غيره ، فودّت جُمادى لو أنّها رجب .

٥ (وَلَمْ تَتَّبِعْ لِخِيَارِكَ مَتَجَبّاً لَكِنَّكَ الْعُودُ إِذْ يُلْحَى وَيُنْتَجَبُ)
٦ (وَمَا اخْتَجَبْتَ عَنِ الْأَقْوَامِ مِنْ نُسُكٍ وَإِنَّمَا أَنْتَ لِلنَّكْرَاءِ مُخْتَجِبٌ)

التَّوْبَةُ : الإِنَابَةُ والرجوع عن المعصية إلى الطاعة . تاب إلى الله تَوْباً وتوبةً ومتاباً . والخيار : الاسم من الاختيار . والمُنتَجَبُ : المختار من كل شيء ؛ ومنه : انتجب فلان فلاناً ، إذا استخلصه واصطفاه اختياراً على غيره . أى لم تكن توبتك لاختيارِ اخترته وأثرته . وكأنه يشير إلى زمن الفتوة والصِّبَا ، حين الإقلاع عن اللهوم مع القدرة عليه ، لا يكون اضطراراً وإنما يكون اختياراً .

والعود ، معروف ، وهو ما جرى فيه الماء من الشجر ، يكون للرطب واليابس ،

دقّ أو غلظ . وخصّ به الليثُ ما دقّ .

ولعل هذا الأخير بالسياق أجمل ، إذ مراد أبي العلاء أن يقابل بين الشباب والشيخوخة ، والقوة والضعف .

ويُلحَى : يُنزع عنه لحاؤه ، وهو قشره ، لحاه يلحوه ، ومثلها : الحاه . ويُنتجب ، أى يؤخذ قشره بعد أن يُعرّس عنه . ومجيئه بالفعل الثانى ، لمزيد معنى أراداه ، وهو تأكيد التعرية ، وأنه لا أمل معها فى عودة .

يصف حال الشيخوخة التى لارجاء معها فى عودة إلى صبا . وعندها تكون التوبة ، إن كانت ، عن وهن وقلة حيلة .

أو لعله جعل «لحو العود وانتجابه» مثلاً للشئ يُقسر عليه المرء ولا يملكه . واحتجب : اكتن من وراء حجاب ، هذا أصله . والمراد : العُزلة على أى لون كانت . والنسك ، بالضم وبضمّتين : العبادة والطاعة . وكل ما تقربت به إلى الله تعالى . والفرق بينه وبين الورع ، أن النسك فيما أمرت به الشريعة ، والورع عما نهت عنه . والنكراء : المنكر المُستقْبَح ، إمّا أن يريد ما صار إليه من حال لا صلاح معها للمعاشرة والمخادنة ، استتر من أجلها يتنسك حيث لم يجد إلى غير ذلك سبيلاً ؛ وتكون اللام فى «للكراء» للصيرورة ، وهى لام العاقبة ، ولام المأل ؛ وإما أن تكون للتعليل ، ويكون المراد : لفعل النكراء للعبادة احتجب . وإما أن تكون «للكراء» بمعنى الدهاء ، ومنه : فلان ذو نكراء ، أى داهياً . يريد أن ذلك النسك دهاء منه ومواربة . وكثيراً ما يُشير أبو العلاء إلى هذا المعنى .

يقول : ألا إن الشقاء محتوم لا مفرّ منه ، والشّر موجود لا مندوحة عنه ، وكلّ ما أظهر الناس من حُب للخير أو حرص على المعروف ، وكلّ ما أعلنوا من نسك وطاعة ، أو زهد وعبادة ، فليس إلا ضروباً من الرّياء ، وألواناً من

الخدمة ، ساقطتهم إليها غرائزهم ، وأكرهتهم عليها طبائعهم ؛ فهم كالعود لا يلجوه
نفسه ، وإنما يلجوه الناس .

لم يرغبوا في الخير وإنما اضطروا إلى إظهاره ، ولم يكلفوا بالبرِّ وإنما ألجئوا
إلى انتحاله .

لقد يبهرك نسك الناسك فتحسبه إنما تنسك للطاعة ، و يُعجبك أختجابُ
المُحتجب فتظنه إنما أحتجب للعبادة . كلاً ! ما تنسك من تنسك إلا
للخداع ، وما أحتجب من أحتجب إلا ليخلو بالنسكراء .

٧ (قَالَتْ لِي النَّفْسُ إِنِّي فِي أَذَى وَقَدَى

فَقُلْتُ صَبْرًا وَتَسْلِيمًا كَذَا يَجِبُ)

القَدَى : ما يقع في العين ، وما يسقط في الشراب من ذباب وغيره ، وما
يلجأ إلى نواحي الإناء فيتعلق به ، وما هراقت الناقة والشاة من ماء ودم قبل
الولد وبعده . وكله مما يمض ويُعاف ويكره . ولعله أقام « الأذى » لكل ما هو
معنوي ، و « القذى » للحسى . وظاهر أنه يشير إلى ملابسة الروح الجسم وعنائها
بهذا الجوار . أو هو مشير إلى وجوده في الحياة ، وما يتبع هذا الوجود من ضر
وإثم . وهو ما ينهه أبو العلاء على الآباء ، ولم يرد أن يُعنى به الأبناء .

يقول : أيتها النفس الضيقة بما في هذه الحياة من شرور ، المتبرمة بما في هذا
الناس من آثام ، خفصي عنك ورَفِّي عليك ؛ فتلك طبيعة الحياة ، وهذه
غرزة الناس ، لا سبيل إلى تغييرها ، ولا قدرة على إصلاحهما ، ولا حزم
إلا الصبر على أحتملها ، والتجملد على ما يأتينا من جرائم وسيئات .

اللزومية الثامنة والأربعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الجيم :

- ١ (أَعْيَبُونِي حَيًّا ثُمَّ قَامَ لَهُمْ مُنِّنٌ وَقَدْ غَيَّبُونِي إِنْ ذَا عَجَبُ)
 ٢ (نَحْنُ الْبَرِيَّةَ أَمْسَى كُلُّنَا دَنَفًا يُحِبُّ دُنْيَاهُ حُبًّا فَوْقَ مَا يَحِبُّ)

عَيْبُهُ : نَسَبُهُ إِلَى الْعَيْبِ ، وَجَعَلَهُ ذَا عَيْبٍ . وَالْإِثْنَاءُ وَالثَنَاءُ ، يُسْتَعْمَلَانِ فِي الْقَبِيحِ مِنَ الذِّكْرِ فِي الْمَخْلُوقِينَ وَضَدَّهُ ؛ يُقَالُ : أَثْنَيْتُ ، إِذَا قَالَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا . وَالْمُرَادُ هُنَا الْخَيْرِ . يَرِيدُ ذَلِكَ الَّذِي يَنْدُبُ الْمَيِّتَ وَيُرِثِيهِ وَيُؤَبِّنُهُ . وَغَيَّبُوهُ : دَفَنُوهُ . وَيَقُولُونَ : غَيَّبَهُ غَيْابُهُ ، أَيْ دُفِنَ فِي قَبْرِهِ .

وَالْبَرِيَّةُ : الْخَلْقُ ، وَأَصْلُهُ الْهَمْزُ . وَقِيلَ : إِنْ أَخَذْتَ مِنْ « الْبَرَى » وَهُوَ التُّرَابُ ، فَأَصْلُهُ غَيْرُ الْهَمْزِ ؛ وَمَنْ ذَهَبَ إِلَى أَنْ أَصْلُهُ الْهَمْزُ ، أَخَذَهُ مِنْ : بَرَأَ اللَّهُ الْخَلْقَ ، أَيْ خَلَقَهُمْ . وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : وَلَمْ تَسْتَعْمَلْ مَهْمُوزَةً ، وَهِيَ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الْإِخْتِصَاصِ . وَالدَّنِفُ : الَّذِي بَرَاهُ الْمَرَضُ الْمُلْزِمُ الْمُخَامِرُ ؛ وَقِيلَ : هُوَ الْمَرَضُ مَا كَانَ . يَرِيدُ مِنْ شَفَقَةِ جَوْىِ الْحُبِّ وَتَيِّمِهِ .

يَقُولُ : عَجِبْتُ لِلنَّاسِ يَعْيبُونِي حَيًّا ، وَيُثْنُونَ عَلَيَّ مَيِّتًا ، لَا يَمْحَدُونَ صَاحِبَ الرَّأْيِ إِلَّا حِينَ يَغِيبُ عَنْهُمْ شَخْصُهُ ، فَلَا يَسْرُرُهُ مِنْهُمْ حَمْدٌ ، وَلَا يُرْضِيهِ مِنْهُمْ ثَنَاءٌ . وَلَوْ أَنَّهُمْ أَدَّوْا إِلَيْهِ حَقَّهُ وَعَرَفُوا لَهُ صَنْعِيهِ ، لَسَكَانَ لَهُ مِنْ رِضَاهُمْ عَنْهُ ، وَثَنَانَهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَسْتَجَابَتْهُمْ لِدَعَائِهِ فِي حَيَاتِهِ ، مُشَجِّعٌ عَلَى النَّصِيحِ لَهُمْ ، وَمُرْغَبٌ لَهُ فِي هِدَايَتِهِمْ . وَلَكِنَّا جَمِيعًا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ مَرَضَى مَعْتَلُونَ ، دَاوْنَا حُبَّ النَّفْسِ ، وَعَلَّتْنَا الْحَرَصَ عَلَى الْحَيَاةِ ، وَهَذِهِ الْعَلَّةُ وَذَلِكَ الدَّاءُ هُمَا اللَّذَانِ يُوقِعَانِنَا فِيمَا نَكْرَهُ مِنْ كُفْرِ النِّعْمَةِ ، وَجُحُودِ الْجَمِيلِ .

اللزومية التاسعة والأربعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الذال :

١ (أَخْلَاقُ سُكَّانِ دُنْيَانَا مُعَذِّبَةٌ وَإِنْ أَتَيْتَكَ بِمَا تَسْتَعْذِبُ الْعَذَابُ)

مُعَذِّبَةٌ : منفرة . عَذَّبْتَهُ عَنِ الشَّيْءِ وَأَعَذَّبْتَهُ : منعتَه وكففتَه . وأستعذب
الشَّيْءَ : عَدَّه عَذَابًا سَائِعًا . وفي بعض النسخ : « بِمَا يُسْتَعْذَبُ » . وَالْعَذَابُ : جمع
عَذَابَةٍ ، وهى من اللسان : طرفه الدقيق . وهى كذلك من السَّوْطِ وَالسَّيْفِ . ولَمَّا
كَانَ الطَّرْفُ مِنْهَا أَوَّلَ مَا يَبْدُو وَيَمَسُّ ، جُعِلَ الْفِعْلُ لَهُ . أو هو من إطلاق الجزء
على الكل .

يقول : لا يَخْدَعَنَّكَ مِنَ النَّاسِ عُدُوبَةُ الْحَدِيثِ ، وَحَلَاوَةُ الْمَنْطِقِ ، فَإِنَّكَ
تُعَانِي مِنَ أَخْلَاقِهِمْ دُونَ ذَلِكَ عِشْرَةَ مَرَّةً ، وَعَذَابًا أَلِيمًا . إِنَّمَا أَخْلَاقُهُمْ شَرٌّ
لَا خَيْرَ فِيهِ ، وَإِنَّمَا أَلْفَاظُهُمْ زِينَةٌ كَاذِبَةٌ تَتِمُّ عَمَّا دُونَهَا مِنْ كَذِبٍ وَرِيَاءٍ .

٢ (سَمَّوْا هِلَالًا وَبَدْرًا وَالنَّدَى وَضُحَى

وَفَرَقَدًا وَسِمَاكَأَ شَدَّ مَا كَذَبُوا)

٣ (وَلَمْ يُنْطَبِحْ بِجِبَالِ الشَّمْسِ مِنْ نَظَرٍ

إِلَّا لَهُ فِي جِبَالِ الشَّرِّ مُجْتَذَبٌ)

الفرقد : ولد البقرة . وهو أيضاً أحد نجمين يسميان الفرقدين ، لا يعرفان
ولكنهما يطوفان بالجدى . وقيل : هما قريبان من القطب . كما قيل : إنهما كوكبان

في بنات نَءَش الصُّغرى^(١) . والسماك : أحد نجمين ، وقد مرَّ^(٢) .

يريد بها كلها مسمياتها بين الناس . وَيَتَعَى عليهم ما تَمَسَّوه للتسمية من علة .
وناط الشيء ، ينوطه نوطاً : علَّقه ووصله . وحبال الشمس : شبه نسيج
العنكبوت ، تُرى في الهواجر عند اشتداد الحر . ويسميه العرب : ريق الشمس ،
وأعابها ، والخَيْشُور . ومن نظر ، أى مقابلة ومناظرة . هذا ينظر إلى هذا ، أى
يقابله وينظره . أى من يناظر بينه وبين الشمس فيصل بينه وبينها ؛ يريد :
يخلع على نفسه اسمها أو وصفاً من أوصافها . وجعل ذلك بمنزلة حبالها ، سبباً واهياً ،
ووصلة لامرّة لها .

وحبال الشرّ : أى حبالاته ومصايدَه . وقد مر مزيد عن الحبال^(٣) .

ومجتذب : أى تعلق وممِل . جعل هؤلاء الحريصين على أن يخلعوا على
أنفسهم صفات البر والتقى ، وما إليها من الصفات الطيبة ، أقربهم إلى الشر وأدناهم
من السيئات .

يقول : إنهم لعشاق أسماء وأخلاء أفاظ ، ليس لهم في المعاني والحقائق
نظر صحيح . فهم كذبة مناقفون ؛ يسمون النجم والهلل والفرقد والسماك ، وما
لهم في هذه التسمية علة مفهومة ، ولا باعث معقول . قد عظمت آمالهم ، وصغرت
أعمالهم ، فتملقوا بأهداب الشمس ، يبتغون الخير ، وإنما يتعلقون في الحقيقة
بأسباب الشر والإفك ، ووسائل الغي والفجور .

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ١٦ ص ١٢٠ من هذا الجزء .

(٢) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ٢٥ ص ١٦٩ من هذا الجزء .

(٣) انظر شرح البيت الثاني من اللزومية ٤٦ ص ٢٨١ من هذا الجزء .

اللزومية الممتمة الخمسين

وقال أيضاً في الرأ المضمومة مع الباء :

١ (لَا تَسْأَلِ الضَّيْفَ إِنْ أَطْعَمْتَهُ ظَهْرًا

بِاللَّيْلِ : هَلْ لَكَ فِي بَعْضِ الْقَرَى أَرْبٌ)

٢ (فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ قَوْلٍ يُبْلَقُهُ

لَا أَشْتَهِي الزَّادَ وَهُوَ السَّاعِبُ الْحَرْبُ)

القرى : ما تعدّه للضيف تقريه به وتحسن إليه . وأرب : حاجة . وفيه لغات : إربٌ ، وإرْبَةٌ ، ومأرْبَةٌ ، ومأرْبَةٌ . وفي حديث عائشة رضی الله عنها : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أملاككم لإرْبِهِ » ، أى لحاجته . تعنى أنه صلى الله عليه وسلم كان أغلبكم لهواه وحاجته ، أى كان يملك نفسه وهواه .

و « من » فى قوله « من قول » لبيان الجنس . يريد : فإن مثل هذا القول ، وهو سؤالك له : « هل لك فى بعض القرى أرب » . ويقلنه : يُفْهَمُهُ . وهو من ذوات المفعولين . الهاء المتصلة به أولها ، وثانيتها الجملة المحكيّة : « لا أشتهى الزاد » التى سدت مسدّه ، وكان التقدير والمعنى : يقلنه ويوحى إليه أن يقول : إني لا أشتهى الزاد .

والساعب : الجائع . وقيل : لا يكون السعْب إلا مع التعب . والحرب : الذى نزل به الحرب ، وهو الذى ليس معه شيء قد سبب ماله كله . أى إنه مع جوعه مُعْدَم لا ملجأ له إلا إليك ، ولا شيء معه مما يقوته .

يقول: لقد أشتعل الضعف على الناس ، حتى إنَّ أحدهم لتعرض له الحاجة هو إليها مضطراً وعليها حريص ، وقد سنحت لنيئها الفرصة ، ولكن الحياء ، وهو لون من ألوان الضعف ، يمنعه ويجول بينه وبين ما يريد .

ذلك الضَّيْفُ يُلَمُّ بك فتقرِّبه ظهراً ، حتى إذا أمسى الليل فسألته عن مَيْلِهِ إلى الطعام ورغَبَتَهُ فِيهِ ، أنكر ذلك وزعم أنه شعبان ممتلئٌ . وإنه في الحق لساغب حَرِب ، وجائع لغب .

فإن كنت من أهل الإحسان إلى الناس والبرِّ بهم ، فأزلف إليهم إحسانك وبرِّك من غير أن تشاورهم فيه ، فإن مشاورتك إياهم في ذلك ضارَّةٌ لك ولهم ، تضرك لأنها تمنعك شيئاً تشتميه ، وتضرهم لأنها تحملهم من الحياء والضعف على الحرمان وسوء الحال .

٣ (قَدِّمُ لَهُ مَا تَأْتِي لَا تُؤَاْمِرُهُ فِيهِ وَوَلَوْ أَنَّهُ الطَّرْثُوثُ وَالصَّرْبُ)

تَأْتِي: تَهَيَّأ. وآمره: شاوره. والطَّرْثُوثُ: نَبْتٌ يُؤْكَل، وهو رَمْلِيٌّ طَوِيلٌ مُسْتَدِقٌ، كالفطر يضرب إلى الحُمْرَةِ يَبْسُ، وهو دِبَاغٌ للمعدة. واحدته: طرثوثة . وقال أبو حنيفة: وليس فيه شيء أطيبَ من سُوْقَتِهِ ولا أخلَى، وربما طال وربما قصر، ولا يخرج إلا في الحمض . وهو ضربان ، فمنه حُلُو، وهو الأحمر ، ومنه مُرٌّ، وهو الأبيض .

وقال أبو زياد: الطرائث تُتخذ للأدوية ولا يأكلها إلا الجائع لمرارتها . والصَّرْبُ ، بالفتح ، والتحرريك: اللَّبَنُ الحَمِيقُ الحامض . وقيل: هو الذي قد حُقِنَ أَيْمَانًا فِي السَّقَاءِ حَتَّى اشْتَدَّ حَمَضُهُ ؛ واحدته: صَرْبَةٌ ، وصَرْبَةٌ .

يقول: أحسن إليهم ما أستطعت ، وقدّم إليهم ما وجدت ؛ لا تُضغِر على الإحسان حقيراً، ولا تزدِرِ هَيِّنًا ؛ فحسبك من الإحسان إلى الجائع أنك أخذتَ جُوعه ، وأطفأت سَعْبَه . فأما إذا ذه بألوان الطعام المختلفة الطيِّبة فشيء فوق الحاجة ، تُتَحَيَّن له الفرصة ، وتُترَبص به الطاقة والمقدرة .

اللزومية الواحدة والخمسون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الباء :

١ (قَدْ أَسْرَفَ الْإِنْسُ فِي الدَّعْوَى بِجَهْلِهِمْ
حَتَّى أَدَّعَوْا أَنَّهُمْ لِلْخَلْقِ أَرْبَابُ)

٢ (إِبَابُهُمْ كَانِ بِاللذَّاتِ مُتَّصِلًا
طُولَ الْحَيَاةِ وَمَا لِلْقَوْمِ أَلْبَابُ)

الإسراف: مُجَاوِزَةُ الْقَصْدِ، ومثله: السَّرْفُ. وقيل: السَّرْفُ: ضِدُّ الْقَصْدِ.
وحكى ابن الأعرابي: أسرف الرجلُ، إذا جاوزَ الحدَّ؛ وأسرف، إذا أخطأ؛
وأسرف، إذا غفل؛ وأسرف، إذا جهل. وبكُلِّ يَسْتَقِيمُ الْمَعْنَى.
والإنس: جماعةُ الناس؛ وجمعها: أناس، وهم الأنس أيضاً. وقيل:
الأنس: الحىُّ المُتَقِيمُونَ؛ كما قيل: إن «الأنس» لغة في «الإنس».
والدَّعْوَى: اسم لما تَدَّعِيهِ، وتكون بمعنى «الدَّعَاءِ» وليس مراداً هنا.
والباء في «بجهلهم» للسببية، أى بسبب جهلهم. و«حتى» هنا، إما للغاية،
أى إلى أن ادعوا. وإما للابتداء، وهذه كما تدخل على الجملة الاسمية، تدخل
على الفعلية، فعلاها مضارع أو ماض.

وأرباب: جمع رَبِّ. ولا يُقال في غير الله إلا بالإضافة. وقد جاء في الشعر
مطلقاً على غير الله تعالى، وليس بالكثير، ولم يُذكر في غير الشعر. وقيل:
يقال: الربِّ، بالألف واللام لغير الله. وقد قالوه في الجاهلية للملك. قال
الحارثُ بن حلزة:

وهو الربُّ والشَّهيدُ على يَوْ مِ الحَيَارِينِ والبَلَاءِ بلاءِ
 وربُّ كلِّ شيءٍ : مالكه وصاحبه ومستحقّه . والتَّخْفِيفُ فيه لغة . قال الشاعر:
 وقد عَلِمَ الأَقْوَامُ أن ليس فوقه رَبٌّ غير من يُعْطَى الحُظوظَ وَيَرْزُقُ
 وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه : « لا يُقَلُّ المملوكُ لسيدِهِ رَبِّي » . وأما
 قوله تعالى : (اذْ كُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ) فإنه خاطبهم على التعارف عندهم ، وعلى
 ما كانوا يسمونهم به .

وأما الحديث في ضالة الإبل « حتى يلقاها ربها » فإن البهائم غير متعبدة
 ولا مخاطبة ، فهي بمنزلة الأموال التي تجوز إضافة مالكها إليها ، وجعلهم
 أرباباً لها .

وَأَلْبَ على الأمرِ إلباباً : لزمه فلم يفارقه . وبالمكان : أقام به ولزمه .
 والألباب : العقول ؛ الواحد : لب ؛ ويُجمع على : ألْبَب ، وألْب ، أيضاً .

يقول : ما أجهلَ الناسَ وأشدَّهم بجهلهم غروراً ! وما أغباهم وأعظمهم
 بعباوتهم افتناناً ! لقد جهلوا كلَّ شيءٍ حتى أنفسهم ، فما زالوا لها مُكبرين
 وبها مفتونين ؛ حتى وضعوها موضع الآلهة ، وأنزلوها منزل الأرباب . وإنهم
 مع ذلك لمُكَبِّونَ على الالذة ، مُقيمون على الإنثم ، لا يمنعهم من ذلك عقل ،
 ولا يردعهم عنه لب ، ولا تُزهدهم فيه بصيرة .

٣ (أَجْرَى مِنَ الحَيْلِ آمَالٌ أُصْرَفُهَا

لَهَا بِحَيِّ تَقْرِيْبُ وَإِخْبَابُ)

٤ (فِي طَاقَةِ النَّفْسِ أَنْ تَعْنَى بِمَنْزِلِهَا

حَتَّى يَحَافَ عَلَيْهَا لِلثَّرَى بَابُ)

« أُجْرَى » تفضيل . أى خير من الخليل جَرِيًّا ، خبر مقدم ، و « آمال » مبتدأ مؤخر . وتصريف الآمال : إعمالها في غير وجه ، كأنه يصرفها عن وجه إلى وَجْه . يشير بالجمع إلى كثرة أطعاه ، وبتصرفها إلى تشعب رغباته واختلاف أمانيه . و بوصفها بالجرى السريع إلى أنه لا يكاد ينفذ يده من تحقيق أمل إلا إلى أمل .

والحَثُّ : الإعجال في اتصال . وقيل : هو الاستعجال ما كان . والتقريب : ضربٌ من العدو ، وهو أن يرفع الفرس يديه معاً ويضعهما معاً . وهو دون الحُضْر . وفي حديث الهجرة : « أتيتُ فرسى فركبْتُها ، فرفعتها تُقَرَّبُ بى » . والإخباب ، من : أخبَّ الفرسَ صاحبُها ، إذ جعلها تجرى الخلب ، وهو ضرب من العدو سريع . وقيل : هو أن ينقلَ الفرسُ أيامه جميعاً وأياسره جميعاً . وقيل : هو أن يراوح بين يديه ورجليه .

وكان السياق يقضى أن يقول : تقريب وخبب . إلا أنه وضع « الإخباب » مكان « الخلب » . ولعله مما أهملته المعاجم . أو لعله على تأويل : أن حَثَّه لها جعلها تلهب نفسها . فكان ذلك منها إخباباً .

والطاقة : القدرة . طاقه طوقاً ، وأطاقه إطاقه . والطاقة ، اسم وُضع موضع المصدر . وقال ابن بَرِّى : الطاقة : أقصى غاية الإنسان ، وهو اسم لمقدار ما يمكن أن يفعله بمشقة منه . وتغنى : تستغنى . وأجاف الباب : رده . قال الشاعر :

فَجئنا من الباب الجُفَّاء تواتراً وإن تَقعدا بالخلف فآخلف واسعُ
وفي الحديث : « أجيئوا أبوابكم » أى رُدُّوها . واللام في « للثرى » موافقة « من » . ويريد « بباب من الثرى » ما يُهال عليه من التراب حين يُوارى في قبره .

يقول : آمالهم أعدى من الخليل ، وأمضى من العاقيب . ولكنهما إنما تعدو

بهم إلى يأس ، وتُسرع بهم إلى قنوط . ما لهم لو قنعوا بما ينالهم من رزق فقَبَعُوا في كسر بيوتهم ، مرتقبين زيارة الموت لهم وإمامه بهم ! إنهم لأحرياء أن يحتجبوا في الحياة كما سيحتجبون في الموت ؛ فذلك أبقى لهم من الشر ، وأوفى لهم من المكروه .

٥ (فَأَجْعَلُ نِسَاءَكَ إِنْ أُعْطِيتَ مَقْدِرَةً
كَذَلِكَ وَأَحْذَرُ فَلَمَقِدَارِ أَسْبَابُ)

كذلك ، أى على مثل تلك الحال التي أوصيك بها . والقدر : القدر . وقد مر^(١) . ويريد به : ما يتعرض له من الغواية . والأسباب : كل ما يتوصل به إلى الغرض ، الواحد : سبب . يريد : وسائل الإغراء والفتنة . يقول : الجدّد الجدّد في أن تحمل نساءك على هذه الخطّة ، مُسدلاً عليهن في الحياة حجاباً ، ليس أقلّ متانةً وشفافةً من حجاب الموت ؛ فإن الشرّ إليهن أسرع ، وبضعفهن أكلف ؛ وللإثم عليهن سلطان نافذ الكلمة ، مبسوط الظلّ ، لا يعصمن منه إلا حُبسهن عنه .

٦ (وَكَمْ جَنَّتْ مِنْ هَجُولٍ جُجِبَتْ وَوَفَّتْ
مِنْ حُرَّةٍ مَا لَهَا فِي الْعَيْنِ جِلْبَابُ)

كم ، هنا : خبريّة ، بمعنى كثير . وتشارك مع الاستفهامية في : الاسميّة ، والإبهام ، والافتقار إلى التمييز ، والبناء ، ولزوم التصدير . ويفترقان في خمسة

(١) انظر شرح البيت السادس من اللزومية ٢٧ ص ١٨٠ من هذا الجزء .

وشرح البيت الثالث من اللزومية الأولى ص ٦٠

أمور . الأول : أن الكلام مع الخبرية محتمل للتصديق والتكذيب . الثاني : أن المتكلم مع الخبرية لا يستدعى من مخاطبه جواباً ؛ لأنه مُخبر ، والمتكلم بالاستفهامية يستدعيه ، لأنه مستخبر . الثالث : أن الاسم المبدل من الخبرية لا يقترن بالهمزة ، بخلاف المبدل من الاستفهامية . الرابع : أن تمييز « كم » الخبرية مفرداً أو مجموع ، ولا يكون تمييز الاستفهامية إلا مفرداً ، خلافاً للكوفيين . والخامس : أن تمييز الخبرية واجب الخفض ، وتمييز الاستفهامية منصوب ، ولا يجوز جره مطلقاً . خلافاً لبعضهم .

و « من » هنا ، لبيان الجنس ، وذلك لإبهام « كم » .

والجلباب : ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء ، تغطي به المرأة رأسها وصدرها . وظاهر أنه ملتنفث إلى قوله تعالى في سورة الأحزاب : (يَدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) . وإلى قوله تعالى في سورة النور : (وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ) .

يقول : على أئى لا أكذبك ، لا أستطيع أن أثق بفناء الحجاب أو نفعه . فكم جرى خَلْفَ الحجاب من آثام ! وكم وقع دون الستر من مُنكر ! وكم خانت المحجوبة المقصورة زوجها بغمز العيون وأحظها ! وكم وفّت له تلك الحرة السافرة ، تنالها العيون وتلتهمها الأنظار !

٧ (أَذَى مِنَ الدَّهْرِ مَشْفُوعٌ لَنَا بِأَذَى

هَذَا المَحَلِّ بِمَا تَخْشَاهُ مِرْبَابٌ)

٨ (يَزُورُنَا الخَيْرُ غِيَابًا أَوْ يُجَانِبُنَا

فَهَلْ لِمَا يَكْرَهُ الإنسانُ إغْبَابٌ)

هذا المحل ، أى الدنيا . والمرباب من الأرضين : التى كثر نبتُها .

و « بما تخشاه » متعلق بـ « مراباب » أي مراباب بما تخشى وتخاف . يشير إلى كثرة شرور الحياة .

والغيب ، في الأصل : من ورود الماء ، وهو أن تشرب يوماً ويوماً لا . وهو في الزيارة ، أن تزور يوماً وتدع يوماً أو أياماً . ومنه : زُرْ غَيْبًا تَزِدُّ حُبًّا . وقال الحسن : الغيب في الزيارة : في كل أسبوع .

وجانبه : بعد عنه . و « هل » مما يُراد بالاستفهام بها التثني ، فكأن المعنى : لا إغباب لما يكره الإنسان . والإغباب : ألا تأتي كل يوم . ومنه : أغب عطاؤه ، إذا لم يأت كل يوم . وأغبت الإبل ، إذا لم تأت كل يوم بلبن . يشير إلى اتصال الأذى ، وأنه ليس كالخير في زوراته .

وفي الحديث : « أَعْبُوا فِي عِيَادَةِ الْمَرِيضِ وَأَرْبَعُوا » أي عُدُّ يوماً ودع يوماً ، أودعَ يومين وعدَّ اليوم الثالث .

يقول : لا أخفى عليك ما أرى ، إلا أن هذا الدهر علينا حرب ، قد أحاطنا بالأذى من كل وجه ، ورصدنا بالشر من كل سبيل ، فليس لنا حيلة في التخلص من شباكه ، ولا مندوحة عن الوقوع في أشراكه . لقد أخضبت الأرض بالشر فما فيها موضع قدم إلا وهو بالإثم مليء ، فأجذبت من الخير فما يزورها إلا غيباً . ويح الإنسان ! يود أنه حين لم يقدر له أن يكون الخير له حليفاً ، والصلاح له أليفاً ، قدر له أن يكون نصيبه من الشر ونصيبه من الخير متعادلين ، ليس لأحدهما على الآخر رُجحان ، لكان احتمال الحياة عليه ميسوراً ؛ ولكنه شرٌّ غالب ، وسوءٌ محيط .

- ٩ (وَقَدْ أَسَاءَ رَجَالٌ أَحْسَنُوا قُلُوبًا وَأَجَلُّوا فَإِذَا الْأَعْدَاءُ أَحْبَابٌ)
 ١٠ (فَانْفَعْ أَخَاكَ عَلَى ضَعْفِ تُحْسِنُ بِهِ إِنَّ النَّسِيمَ بِنَفْعِ الرُّوحِ هَبَّابٌ)

قلوا: أبغضوا وكرهوا غاية الكراهية . قلاه يَقلِيه ، قَلَى وقَلَاء ؛ وَيَقْلَاهُ ، لغة طي . وأنشد ثعلب :

أَيَّامَ أُمَّ الْعَمْرِ لَا تَقْلَاهَا ولو نَشَاءُ قُبِّلَتْ عَيْنَاهَا
وأَجْمَلُوا : أَعْتَدَلُوا وَأَتَادُوا وَأَحْسَنُوا .

و « على » في « على ضعف » للمصاحبة . أى مصاحباً ضعفاً ، في موضع الحال من الضمير المستكن في « فانفع » .

وهبَّاب : صيغة مبالغة من « هبَّ » . ولا تنقاس في اللازم ، وقد تجيء منه . يقول : تلك هي كلمة الحق ، ولكن قائلها مُبغض منبوذ ، لأنه يكشف للناس عن باطلهم ، ويباعد بينهم وبين غُرورهم . والناس أعداء القول الشَّدِيد عليهم ، ولو كان لهم نافعاً . فخالق بك إن كنت للإنسان مُحِبِّباً ، وعليه مُشْفِقاً ، أن تَجْتَهِدَ في نفعه والبرِّ به ما استطعت ، لا يمتنعك من ذلك ضعف ، ولا يصرفك عنه فُتور ؛ فإن رِقَّةَ النَّسِيمِ وفُتوره لا يمتعانه أن يحمل إلى الرُّوح ، من سقمه ونُحوه ، حجةً وعافية ، يمتعانه بالحياة ، وينعمانه بطيب العيش .

اللزومية الثانية والخمسون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الجيم :

١ (يَا صَاحِبَ مَا أَلِفَ الْإِعْجَابَ مِنْ نَفَرٍ
إِلَّا وَهُمْ لِرُءُوسِ الْقَوْمِ أَعْجَابُ)

يا صاحب ، أى يا صاحب ، مُنادى مرخّم ، ولك فى الحاء الضّم ، على لغة من لا يلاحظ الحرف الأخير ، أو الكسر على لغة من يلاحظه .

وألف الشيء يألفه : لزمه . و « من » فى « من نفر » مزيدة لتوكيد العموم . وشرطها أن يتقدمها نفي أو نهى أو استفهام بهل ، وأن يكون مجرورها منكراً ، وأن يكون فاعلاً أو مفعولاً به أو مبتدأ . و « نفر » قاعل . والنفر : ما دون العشرة . ومنهم من خصّص فقال : للرجال دون النساء . وقيل : النفر : الناس كلهم . وقيل : النفر والقوم والرهط ، هؤلاء معانهم : الجمع ، لا واحد لهم من لفظهم . وقيل : النفر : هم رهط الإنسان وعشيرته ، اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خاصة ما بين الثلاثة إلى العشرة .

وأعجاب : جمع عُجِب ، وهو من كل دابة : ما انضم عليه الورك من أصل الذنب كله . وقال اللحياني : هو أصل الذنب وعظمه .

يقول : إياك أن تفتتن بنفسك ، أو تفتتر بما أوتيت من فضيلة ، فيدفعك ذلك إلى التيه والخال ، وإلى الصلف والكبرياء . فما أرى أصحاب الإعجاب إلا أعجاب الناس وأذنانهم ، وما أعرف أهل التيه إلا أصغر خلق الله عقولا وأقلهم فضلاً .

٢ (مَالِي أَرَى الْمَلِكَ الْمَحْجُوبَ يَمْنَعُهُ

أَنْ يَفْعَلَ الْخَيْرَ مُنَّاعٌ وَحُجَّابٌ)

« أن يفعل » في موضع النصب على المفعولية. ومُنَّاعٌ : جمع مانع ، والمسموع : مَنَعَةٌ ، والقصد المشاكلة بـ « حُجَّابٌ » .

يقول : لا يصدُّنك عن الخير صادٌ ، ولا يردُّنك عنه رادٌ ، فإن الرجل خَلِيقٌ أن يَمْضِيَ إلى غَرَضِهِ مُضِيَّ السَّهْمِ ، لا يعترضه حائل إلا اخترقه ونفذ منه . لقد عجبْتُ من أمر هؤلاء الناس ، يقدِّرون على الخير فلا يأتونه ، ويُتاح لهم البرُّ فلا ينفذون إليه . هل رأيت أفدر من الملوك على نافلةٍ من فضلٍ ! وهل رأيت أفنذ منهم إلى عارفةٍ من نعمةٍ ! وهل رأيت بعد ذلك أبعدَ منهم عن الإحسان ، وأعصى منهم للمعروف ، وأطوعَ منهم لحُجَّابِ السَّوءِ !

٣ (قَدْ يَنْجُبُ الْوَالِدُ النَّاسِيَّ وَالْوَالِدَةُ وَالْآبَاءُ أَنْجَابٌ)

يَنْجُبُ : يَفْضُلُ وَيَكْرُمُ . وَالنَّاسِيُّ : النَّابِتُ النَّاشِئُ . وَالْفَسْلُ : الرَّذْلُ النَّذْلُ الَّذِي لَا مَرْوَةَ لَهُ وَلَا جَلَدَ . وَالْجَمْعُ : أَفْسُلٌ ، وَفُسُولٌ ، وَفِسَالٌ ، وَفُسُلٌ . قَالَ سِيبَوِيهٌ : وَالْأَكْثَرُ فِيهِ « فِعَالٌ » وَأَمَّا « فُعُولٌ » فَمُرْعٌ دَاخِلٌ عَلَيْهِ ، أَجْرَوهُ مُجْرَى الْأَسْمَاءِ ؛ لِأَنَّ « فِعَالًا » وَ« فُعُولًا » يَمْتَقِنَانِ عَلَى « فَعَلٌ » فِي الْأَسْمَاءِ كَثِيرًا ، فَحُمِلَتْ الصِّفَةُ عَلَيْهِ . وَالْفِعْلُ مِنْهُ « فَسِلٌ » بِالضَّمِّ ، وَ« فَسِيلٌ » وَزَانَ فَرَحَ . وَحِكَى سِيبَوِيهٌ : فُسَيْلٌ ، عَلَى صِيغَةِ مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ ، وَقَالَ : كَأَنَّهُ وَضَعَ ذَلِكَ فِيهِ .

وَأَنْجَابٌ : جَمْعُ نَجِيبٍ ، وَهُوَ الْكَرِيمُ الْحَسِيبُ ، وَيَجْمَعُ أَيْضًا عَلَى : نَجْبَاءَ ، وَنَجْبٌ .

يقول : عليك نفسك فأصلحها مجتهداً ، وطبَّ لها ناصحاً ، وتعهدها بالإرشاد ؛ لا يَقْعُدَنَّ بك عن طلب الخير أن حَظَّ آبائك منه موفور ، ولا يمنعتك من حُبِّ الإحسان أن أيدى آبائك منه صِفْرَةٌ ؛ قَرُبَّ أبٍ خَامِلٍ أَعْجَبَ ، ورُبَّ أبٍ نَجِيبٍ أَسَاءَ النَّسْلِ .

٤ (فَرَجَّبِ اللَّهَ صِيفِرًا مِنْ مَحَارِمِهِ فَكَمْ مَضَتْ بِكَ أَصْفَارٌ وَأَرْجَابٌ)

رَجَّبَ اللَّهُ ، وأرجبه ، ورَجَّبَهُ رَجَبًا ، ورَجَّبَهُ رَجَبًا : هابه وعظَّمه . قال
الراجز :

* أَحْمَدُ رَبِّي فَرَقًا وَأَرْجَبُهُ *

وصِيفِرًا ، مثلثة الصاد : خاليًا . وكذلك الجميع والمذكر والمؤنث سواء . قال
الشاعر :

تري أن ما أنفقتُ لم يكُ ضَرَّتني وأنَّ يدي مما بَخَلتُ به صِيفِرُ

وقالوا : الجمع من كل ذلك : أصفار . قال الشاعر :

لَيْسَتْ بِأَصْفَارٍ لِمَنْ يَعْفُو وَلَا رُحَّ رَحَارِحِ

وقالوا : إناء أصفار : لا شيء فيه .

وأصفار : جمع « صَفَر » ، وهو الشهر الذي بعد المُحَرَّم ، سُمِّيَ صِفْرًا ، لأنَّهم كانوا يمتارون الطَّعام فيه من المواضع . وقيل : لإصْفار مكة من أهلها إذا سافروا . وقيل : لأنَّهم كانوا يَفْزُونَ فيه القبائل فيتركون من لَقُوا صِفْرًا من المتاع . وذلك أن « صِفْرًا » بعد « المحرم » ، فقالوا : صِفِرَ النَّاسُ مِنَّا صِفْرًا .

قال ثعلب : كلهم يَصْرِفُونَ « صِفْرًا » إلا أبا عبيدة . وإذا جمعه مع « المُحَرَّم » قالوا : صَفْرَان .

وأرجاب : جمع « رَجَب » ، الشهر المعروف . وقد مرَّ (١) .

يقول : عليك رَبِّكَ فَرَجَبَهُ مُعْظَمًا لَهُ ، مُقِيمًا لَشَعَائِرِهِ ، مُتَجَنِّبًا لِحَارِمِهِ .
لَا تُؤَمِّلُ بِذَلِكَ اِمْتِدَادَ الْأَجْلِ ، وَلَا تَتَرَبَّصُ بِهِ فُسْحَةَ الْعُمُرِ ؛ فَإِنَّ مَرُورَ الْأَيَّامِ
وَكُرُورَ الدُّهُورِ خَلِيقٌ أَنْ يُدْنِيَكَ مِنَ الْمَوْتِ ، وَيُنْتَهِي بِكَ إِلَى الْحِمَامِ .

٥ (وَيَعْتَرِي النَّفْسَ اِنْكَارٌ وَمَعْرِفَةٌ وَكُلُّ مَعْنَى لَهُ نَفْيٌ وَإِيْجَابٌ)
٦ (وَالْمَوْتُ نَوْمٌ طَوِيلٌ مَالَهُ أَمَدٌ وَالنَّوْمُ مَوْتُ قَصِيرٌ فَهُوَ مُنْجَابٌ)

يعتري : يغشى وينتاب . و « إنكار ومعرفة » : أى شك و يقين .

والإيجاب : الإثبات . يريد ما تتعرض له كل دعوة من بطلان وإثبات .

والأمد : الغاية . وقال شعير : الأمد : أمدان ، أحدهما ابتداء خلقه ، والثاني
الموت . ومن الأوّل حديث الحجاج حين سأل الحسن فقال : ما أمدك ؟ قال :
سنتان من خلافة عمر . أراد أنه وُلد لسنتين بَقِيَّتَا من خلافة عمر .

ومنجاب : منكشف . وما أشبه هذا البيت ببيته قبل (٢) :

وَنَوْمِي مَوْتُ قَرِيبٌ النَّشُورِ وَمَوْتِي نَوْمٌ طَوِيلٌ الْكَرْمِيِّ

يقول : لَا يُفَزِّعَنَّكَ هَذَا الْاسْمُ ، وَلَا يَرَوْعَنَّكَ هَذَا الْلَفْظُ ؛ فَمَا أَعْرَفَ خَوْفَ
النَّاسِ مِنْهُ وَارْتِيَاعَهُمْ لَهُ إِلَّا وَهًا بَاطِلًا ، وَضَعْفًا شَامِلًا ؛ وَمَا أَرَى أَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا نَوْمَ
طَوِيلٍ ، كَمَا أَنَّ النَّوْمَ مَوْتُ قَصِيرٍ .

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ٤٧ ص ٢٨٥ من هذا الجزء .

(٢) انظر شرح البيت ٢٩ من اللزومية ٣٤ ص ٢١٩ من هذا الجزء .

اللزومية الثالثة والخمسون^(١)

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع العين :

١ (مَاقَرَّ طَاسُكَ فِي كَفِّ الْمُدِيرِ لَهُ إِلاَّ وَقَرَّ طَاسُكَ الْمَرْعُوبُ مَرْعُوبٌ)

قَرَّ ، على ما سُمِّيَ فاعله : استقرَّ وثبت . والمضارع فيه بكسر العين وفتحها .
والأول أعلى . ويكون على ما لم يُسَمَّ فاعله ، بمعنى : صَبَّ وهُرِّيق . يقال : قَرَّ
يَقَرُّ ، بضم العين في المضارع : صَبَّ . وعلى الثانية فالجار والمجرور « في كف »
في موضع الحال . « والمدير له » ، أى الذى يدور به على الشرب . « وقَرَّ طَاسُكَ » ،
أى جِسمك الأملس الفَتَى ؛ ومنه : القِرْطاس ، للجارية البيضاء المديدة القامة ؛
وللنَّاقَة إذا كانت فَنِيَّةً شابة . وفي البيت جناس غير تام .

والمَرْعُوبُ : البض الممتلئ . و« مَرْعُوبٌ » ، أى قد أصابته نَفْضَةٌ ورِغْدَةٌ وانخزال .

يقول : القَصْدَ القَصْدَ فَمَا تُحِبُّ مِنْ لَذَّةٍ ، وَمَا تَسْتَوِي مِنْ مُتَعَةٍ ؛ فَإِنْ عُكُوفَكَ
عَلَى اللَّذَاتِ ، وَاسْتِجَابَتِكَ لِلشَّهَوَاتِ ؛ لَنْ يَزِيدَكَ إِلاَّ خَبَالًا ، وَلَنْ يُفِيدَكَ إِلاَّ
وَبَالًا . إِنَّ هَذِهِ الكَأْسَ الْجَمِيلَةَ الْمُتْرَعَةَ لَتَمَلَأُ عَيْنَكَ جَمَالًا وَبَهْجَةً ، حِينَ تَنْظُرُ
إِلَيْهَا مُسْتَقَرَّةً فِي كَفِّ سَاقِيهَا الْحَسَنِ الْجَمِيلِ ، وَلَكِنَّكَ لَا تَكَادُ تَحْسُوهَا حَتَّى تَمَلَأُ
جِسْمَكَ سَقَمًا وَاعْتِلَالًا ، فَتُرْعَبُ مِنْهُ سَاكِنًا ، وَتُرْعِزُ مِنْهُ هَادِنًا ، وَتَهْزِلُ
مِنْهُ مُمْتَلِنًا .

(١) جاءت هذه اللزومية في بعض الأصول بعد التي تليها .

٢ (تَضْحِي وَبَطْنُكَ مِثْلُ الْكَعْبِ أَبْرَزَهُ

رِيٌّ وَرَأْسُكَ مِثْلُ الْقَعْبِ مَشْعُوبٌ)

الكعب : الكتلة من السمن . وكلّ شيء علا وارتفع ، فهو كعب أيضاً .
وأبرزه ، أى أخرجه عن حاله الأولى . والقعب : القدح الضخم الغليظ الجافى .
وقد مره (١) .

ومشعوب : أى قد تصدّع وتفرّق . يريد: العقل ، ومقره الرأس ، وقد توزّع
وتشتّت .

يقول : إنك لتضحى وقد روتك الصبوحُ فبرز بطنك بين يديك ، وبان
ممتلئاً ، ولكن ضع يدك على رأسك فقد أصابه الصداع ، وعبث به الدوار ،
فانشعب كما يانشعب الإناء المشلوم .

(١) انظر شرح البيت الرابع من اللزومية ٣٧ ص ٢٤٦ من هذا الجزء .

اللزومية الرابعة والخمسون^(١)

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الراء :

١ (في البدوِ خُرَابٌ أذْوَادٍ مُسَوِّمَةٍ وفي الجوامعِ والأسواقِ خُرَابٌ)

٢ (فهوَلَاءُ تَسْمَوُا بِالْعُدُولِ أَوْ التَّجَارِ واسمُ أَلَاكَ الْقَوْمِ أَعْرَابٌ)

البدو : خلاف الحَصْر ، ومثله : البادية والبدأة .

وخُرَابٌ : جمع خارب ، وهو سارق الإبل خاصة ، ثم نُقِلَ إلى غيرها اتساعاً . وقيل : هو اللص ، ولم يُخصَّص به سارق الإبل ولا غيرها . وأذواد : جمع ذود ، وهو القطيع من الإبل ، الثلاث إلى التسع ، وقيل : إلى العشر ، أو خمس عشرة ، أو عشرين ، أو ثلاثين . والذود : جمع لا واحد له من لفظه . وقيل : هو واحد وجمع .

والمُسَوِّمَةُ : المرسلة ترعى حيث تشاء . وقد مرَّت^(٢) و « العُدُول » : الذين يعدلون ولا يميل بهم الهوى ؛ الواحد : عادل و « أَلَى » جمع لا واحد له من لفظه ، واحده « ذا » للمذكر ، و « ذِه » للمؤنث ، ويمدّ و يُقَصِّر ، فإن قَصَرْتَه كَتَبْتَه بالياء ، وإن مددته بنيتته على الكسر ، ويستوى فيه المذكر والمؤنث ، وتزاد في « ألى » اللام ، فيقال : ألاك . قال الشاعر :

أَلَاكَ قَوْمِي لَمْ يَكُونُوا أَشَابَةً وَهَلْ يَعْظُ الضَّلِيلَ إِلَّا أَوْلَا لِكَا
والأعراب : كل من نزل البادية أو جاوَرَ البادين ، أو ظنَّ بظنهم وانتوى

(١) جاءت هذه اللزومية في بعض الأصول قبل سابقها .

(٢) انظر شرح البيت الأول من اللزومية التاسعة ص ٩٠ من هذا الجزء .

بأنتوائهم ؛ الواحد : أعرابي . وأمّا من نزل بلاد الرّيف واستوطن المدن والقرى العربية وغيرها ، ممّن ينتمى إلى العرب ، فهم عرب ، وإن لم يكونوا فصحاء . والأعرابي إذا قيل له : يا عربيّ ، فرح بذلك وهشّ له . والعربيّ إذا قيل له : يا أعرابي ، غضب له .

يقول : لا يخذعك ما أكثر الناس فيه من تفرقة بين البدو والحضر ، ومن حمد لهذا وذمّ لذاك . فما رأيت لأحدهما على صاحبه فضلاً ، وما عرفت بينهما فرقاً ، إلاّ الأسماء والألفاظ .

هنالك في البادية قام الأعرابُ يُفسِدُونَ وَيَعِيدُونَ ، وَيَسْلُبُونَ وَيُنْهَبُونَ ، فسمّوهم لوصفاً وأشراراً ، وهنالك في الحاضرة قام الحضريّون يفعلون الأفاعيل ، من غشٍّ وختل ، ومن خداع ومسكر ، ومن كذب وزور ، ومن غيٍّ وفجور . يفعلون ذلك في الأسواق والمساجد ، تحت ستار شفاف من النّسك والتجارة ، ويسمّون أنفسهم تجاراً ونساکا ، وما أجد لأختلاف الأسماء قيمة ، وإنما أعرف أنه الشرّ قد رُكّب في جميع الطبائع ، واشتمل على جميع الأخلاق .

اللزومية الخامسة والخمسون

وقال أيضاً في الباء المشددة :

- ١ (نَفُوسٌ لِلْقِيَامَةِ تَشْرَبُ وَغَىٌّ فِي الْبَطَالَةِ مُتَلَبٌ)
 ٢ (تَأْتِي أَنْ تَجِيءَ الْخَيْرَ يَوْمًا وَأَنْتَ لِيَوْمِ غُفْرَانٍ تَتَبُّ)

اشْرَابٌ : رفع رأسه ومدّ عنقه . وفي حديث : « ينادى منادٍ يوم القيامة :
 يا أهل الجنة ، ويا أهل النار . فيشرئبون لصوته » . أى يرفعون رؤوسهم
 لينظروا إليه .

وغىٌّ ، أى رجل غوىٌّ مُفسد ، وصف بالمصدر ، اجتزأ به عن الموصوف .
 والبطالة ، بالفتح : اللهو والجهالة .

وقال ابن الأعرابي : هى التعطل . ثم قال : بَطَلُ الأَجِيرِ ، بالفتح ، يبطلُ بطالةً ،
 بالفتح والكسر ، أى تعطل ، فهو بَطَالٌ .

وهى أيضاً بمعنى الشجاعة ، تقول : فلان بين البطالة : أى شجاع . وهى من
 هذا . كأن الأَشْدَاءَ يبطلون عنده ؛ أو كأن دماء الأقران تبطل عنده فلا يدرك
 عنده ثأر ؛ أو كأنه يبطل العظام بسيفه . والفعل : بَطُلٌ يبطلُ ، إذا صار
 شجاعاً . وجعلها أبو عبيد « أى البطالة » من المصادر التى لا أفعال لها .

ومتلئب : ماضٍ لا ينثنى . والأصل فى الفعل : الاستقامة والاستواء . ومنه :
 اتلأب الفرس : إذا أقام صدره ورأسه . قال لبيد يصف حماراً :

فأوردها مسجورةً تحت غابَةٍ من القُرْنَتَيْنِ واتلأبَّ يحومُ

والهمزة فى الفعل أصل ، وهو من الرباعى « تلأب » . وهم الجوهري فذكره

فى « تلأب » .

وتأبى، أى تتأبى . حذف تاء المضارعة . والتأبى : الامتناع . و«أن تجيء الخير» : أن تفعله . و«تئب» : تتهياً وتتعجز . أب ، يئب ، ويؤب ، أباً ، وأبيباً ، وأبابةً . وقال أبو عبيد : أب يؤب أباً : إذا عزم على المسير وتهياً . والمعنى على الوجهين واضح .

يتول : فقدتكم أيها الناس ! ما أكثر ما أنتم فيه من تناقض ! وما أشد ما أنتم عليه من تضارب ! تنتظرون الحساب وترجون المعاد ، وتعتقدون لكل عمل جزاءً من خير أو شر ، ثم لا يمنعكم ذلك أن تكونوا آلاف الغيِّ وأحلاف الفجور . أعدمتم أيها الناس ! ما أكثر ما أنتم فيه من غفلة ! وما أشد ما أنتم عليه من بله ! أترجون من ربكم الثواب ولا تقدّمون بين يدي رجائكم الخير ! تحرصون على مغفرته وجنته ، ولا تحفلون برضائه وطاعته ! لقد طمعت فيه مغرورين . وأيا ستموه منكم مفتوتين .

٣ (فَلَا يَغْرُرُكَ بَشْرٌ مِنْ صَدِيقٍ فَإِنَّ ضَمِيرَهُ إِحْنٌ وَخَبٌ)
٤ (وَإِنَّ النَّاسَ طِفْلٌ أَوْ كَبِيرٌ يَشِيبُ عَلَى الْغَوَايَةِ أَوْ يَشِبُّ)

إحْن : جمع إحنة ، وهى الحقد فى الصدر؛ وقد يُقال فيها: حِنَّة . ومنه الحديث: « لا تجوز شهادة ذى الظنّة والحِنَّة » . والخَبُّ : الخداع والخُبث والنُّكر ؛ خَبٌّ يَخْبُ خَبًّا .

والغَوَايَةِ : الانهماك فى الغيِّ . وفى البيت لفٌّ ونشر غير مُرتَّب .

يقول : ألا لا يغرركم ما يخذعكم به الزمان من ابتسام يستهوى عقولكم ، وخفض يُغريكم بالفساد ؛ فإن هذا المُتَبَسِّم لکم المُتَطِّف بكم ، لا يُضمر لکم إلا الشرّ ، ولا يُريد بكم إلا الشؤء .

أَسِيئُوا الظَّنَّ بِهِ وَبِكُلِّ مَا تَجِدُونَ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ ، لَا تَمَّخَدَعُوا بِمَا يَجْلُو لَكُمْ مِنْ مَظَاهِرٍ ، وَمَا يَضَعُ لَكُمْ مِنْ أَسْمَاءٍ ؛ فَإِنَّمَا هِيَ بُرُوقُ خَلَائِبَةِ تُوْهَمُكُمُ الْغَيْثُ نَمَّ لَا تُمَطَّرُكُمْ إِلَّا الْعَذَابُ ؛ إِنَّمَا أَصْدَقَاؤُكُمْ لَكُمْ أَعْدَاءُ ، وَلَكِنَّهُمْ فِي الرِّيَاءِ مَهْرَةٌ وَبِالْخِدَاعِ أُمْلِيَاءُ ؛ إِنَّمَا الشَّرْفُ فِي النَّاسِ طَبِيعَةٌ لَازِمَةٌ ، يَنْشَأُ فِيهِ النَّاشِئُ ، وَيَشُبُّ فِيهِ الشَّابُّ ، وَيَهْرَمُ فِيهِ الشَّيْخُ .

٥ (تُمِحُّ حَيَاتَكَ الدُّنْيَا سَفَاهًا وَمَا جَادَتْ عَلَيْكَ بِمَا تُحِبُّ)

السفاهُ والسفاهة : خِفَّةُ الْحِلْمِ ؛ وَقِيلَ : نَقِيضُهُ ؛ وَقِيلَ : الْجَهْلُ . وَأَصْلُهُ : الْخَفَّةُ وَالْحَرَكَةُ . وَهُوَ قَرِيبٌ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ . يُقَالُ : سَفِهَ حِلْمَهُ وَرَأْيَهُ وَنَفْسَهُ ، سَفِهَهَا وَسَفَاهَا : حَمَلَهُ عَلَى السَّفْهِ . قَالَ اللَّحْيَانِيُّ : هَذَا هُوَ الْكَلَامُ الْعَالِي . قَالَ : وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : سَفِهَ ، وَهِيَ قَلِيلَةٌ .

يقول : إِنَّمَا تُحِبُّونَ دُنْيَاكُمْ حَسَنَاءَ فِتْنَانَةٍ ، وَلَكِنَّهَا كَاذِبَةُ الْوَعُودِ نَاقِضَةُ الْعَهْدِ ؛ تَعْدُوْا وَلَا تَفِي ، وَتُمَنِّي وَلَا تُبَيِّنُ ؛ إِنَّكُمْ لَتَشْتَاقُونَ إِلَيْهَا ، وَتَكْلِفُونَ بِهَا ، وَتَجْنُونَ مِنْ حُبِّهَا الْعَلَقُ وَالصَّابُ ، ثُمَّ لَا تُثَابُونَ بِهَذَا الشُّوقِ إِلَّا غَمًّا ، وَلَا تُجْزُونَ مِنْ هَذَا الْكَافِ إِلَّا حُزْنًا .

٦ (وَإِنَّكَ مُنْذُ كَوْنِ النَّفْسِ عَنَسًا لَتُوضِعُ فِي الضَّلَالَةِ أَوْ تَحْبُّ)

« مُنْذُ » وَ « مَذُ » لهُمَا ثَلَاثُ حَالَاتٍ : إِحْدَاهَا : أَنْ يَلِيَهُمَا اسْمٌ مَجْرُورٌ . فَتَقِيلُ : هُمَا اسْمَانِ مِضَافَانِ . وَالصَّحِيحُ أَنَّهُمَا حَرْفَا جَرٍّ بِمَعْنَى « مِنْ » إِنْ كَانَ الزَّمَانُ مَاضِيًا ، وَبِمَعْنَى « فِي » إِنْ كَانَ حَاضِرًا ، وَبِمَعْنَى « مِنْ » وَ « إِلَى » جَمِيعًا إِنْ كَانَ مَعْدُودًا .

والثانية : أَنْ يَلِيَهُمَا اسْمٌ مَرْفُوعٌ ، مُبْتَدَأٌ وَمَا بَعْدَهُمَا خَبَرٌ ، وَمَعْنَاهُمَا

الأمدان ، إن كان الزمان حاضراً أو معدوداً، وأول المدّة إن كان ماضياً . وقيل :
ظرفان مُخْبِرٌ بهما عمّاً بعدها . ومعناها : بين و بين ، مضافين ، فعنى : ما لقيته
مذ يومان ، أى بينى و بين لقاؤه يومان .

والثالثة : أن تليهما الجمل الفعلية أو الاسمية ، وهما حينئذ ظرفان مضافان ، إما
إلى الجملة ، أو إلى زمن مضاف إلى الجملة ، أو مبتدآن على تقدير زمان مضاف
للجملة يكون هو الخبر .

والعَنَسُ : الصخرة ، وبها شُبِّهت الناقة القوية ، فيقال للبازل الصُّلْبَةُ من
الثوق : عَنَسٌ . قال ابن الأعرابى : لا يقال لغيرها . وأراد به أبو العلاء هنا :
النَّفسُ الفتيّة القوية . والإيضاع : سير مثل الخلب ؛ وقيل : وضع البعيرُ ، إذا
عدا ؛ وأَوْضَعْتَهُ ، إذا حملته على العَدْوِ . وَخَبَّ يَخْبُ : عَدَا . وقد مر (١) .

يقول : لقد ملكتْ عليكم ألبابكم فما تعقلون ، إنكم لتتقضون أيامكم من
الفننة بها فى بحر لجئٍ أو صحراء شاسعة ، تخبّون وتوضعون . ليس لكم منها
تخلص ، ولا لشقائكم بها شفاء .

٧ (وإن طال الرقاد من البرايا فإن الرّاقدين لهم مهبٌ)

٨ (غرامك بالفتاة ضنى وغمٌ وليس يسرٌ من يشتاكُ غبٌ)

البرايا : جمع برية ، وهى الخلق . وقد مر الكلام عليها (٢) .

و «مهب» : هذه الصيغة يستوى فيها اسما الزمان المكان ، والمصدر الميعى ،
وعلى كلٍّ يستقيم المعنى . وهو من : هب من نومه ، إذا انتبه . قال الشاعر :
فحيت فحيها فهبّ فخلقت مع النجم رؤيا فى المنام كذوبٌ

(١) انظر شرح البيت الثالث من اللزومية ٥١ ص ٢٩٦ من هذا الجزء .

(٢) انظر شرح البيت ١٩ من اللزومية ١٦ ص ١٩ من هذا الجزء .

و «أل» في «الفتاة» للتعريف العهدي . والعهد هنا ، ذكرى ، إذ المراد بـ «الفتاة» الحياة الدنيا ، وقد مرّ لها ذكر في قوله قبل في هذه القصيدة «تحب حياتك الدنيا^(١)» . وشبهها بالفتاة بجامع التأنيث ، وهو محطّ الغرام ، ولما يصحب كلتيهما من بوار وتبار .

والغيب : أن تزور يوماً وتتخلف أياماً ، وقد مرّ^(٢) . وهو فاعل الفعل «يسر» . و «من» مفعوله . أقام «الغيب» لإقبال الدنيا وأزوارها ، وأنها مزورة أكثر منها مقبلة . وفي هذا من الضنى والغم ما فيه .

يقول : اغترّوا بها ما شئتم ، وأستنيموا إليها ما أحببتم ، فإن لكم من الموت موقظاً سيوقظكم ، حين لا ينفع ندم أو يفيد أسف ؛ إنه لنازل بكم ومتصرف فيكم ، لا ينجيكم منه حصن ولا تعصمكم منه درع .

- ٩ (لو أن سواد كيوان خضابٌ بكفكك والشها في الأذن حِبُّ)
 ١٠ (لما نجّاك من غير الليالي سنائك فارعٌ وغني مُربُّ)
 ١١ (وما يحميك عزٌّ أن تسبي ولو أن الظلام عليك سبُّ)

كيوان ، هو زحل ، وهو كوكب من الخنّس . وقد مرّ^(٣) . وسواده ، أي خضرته أو صفّته . والعرب تطلق السواد على الخضرة والصفرة . والشها : كوكب صغير خفيّ الضوء في بنات نعش الكبرى ، والناس يمتحنون به أبصارهم . وفي المثل : «أريها الشها وتريني القمر» . يضرب لمن يُغالط فيما لا يخفى .

(١) البيت الخامس (ص ٣١٢) .

(٢) انظر شرح البيت الثامن من اللزومية ٥١ ص ٢٩٩ من هذا الجزء .

(٣) انظر شرح البيت الثاني من اللزومية ٣٣ ص ٢٠٠ من هذا الجزء .

والحِبِّ ، بالكسر : القُرْطُ من حَبَّة واحدة . قال ابن دُرَيْد : أخبرنا أبو حاتم عن الأصمعيّ أنه سأل جَنْدَلَ بن عُبَيْد الرّاعي عن معنى قول أبيه الرّاعي :

تَبَيْت الحَبَّة النَّضْنَضُ منه مكان الحِبِّ يَسْتَمَع السَّرَارَا
ما الحِبِّ ؟ فقال : القُرْطُ . فقال : خذوا عن الشيخ فإنه عالم .
جعل هذا وذاك ، مثلين للمنة والبأس .

والغَيْرِ ، من تغيّر الحال ، وهو اسم بمنزلة « القِطْع » ويجوز أن يكون جمعاً .
واحدته : غَيْرَةٌ . والسَّاءُ ، بالمد : الرِّفْعَةُ ، فإذا قُصِرَ فعنائه : الضَّوءُ . وفي قراءة
من قرأ (يَكَادُ سَنَاهُ بَرَقِهِ) ممدوداً ، فليس لغة في « السنا » المقصور ، ولكن
إنما عني به : ارتفاع البرق ولموعه صُعداً .

والفَارِعُ : المرتفع العالی الهیّ الحسن . ومُرَبٌّ : لازم غير مفارق ، من أُرِبَّ
بالمكان ، إذا نَزِمَ . وفي الحديث : « اللهم إني أعوذ بك من غِنَى مُبْطَرٍ وقرَّرٍ
مُرَبٍّ » أي لازم غير مفارق . وثبوت الغنى دليل على أصالته وكثرته .

وتَسَبَّى ، أي تَبَعِدَ وتغرَّب . يريد : بُعِدَ الموت وغرَبَتَه . من : سَبَاهُ ، إذا
أبعده وغرَبَه ، فتَسَبَّى . والوارد المسموع : سباه يسببه ، مخففاً . والسبُّ ، بالكسر :
السُّتْرُ و « لو أن الظلام ... » . أي ولو كانت الأيام أهنأ لك تظلك بظلمتها .

يقول : اتخذوا من سواد زحل خضاباً لأيديكم ، واتخذوا من الشها أقرطاً في
آذانكم ، وابلغوا ما شئتم من الرِّفْعَةِ ، أو اسمعوا ما يُرَضِيكم من الثناء والحمد ؛
فذلك لن يردَّ عنكم بأس الموت ، ولن يدفع عنكم جيشه .

أين أتم من ذلك ! وهل بلغت من القوة وشدة الأيد ما بلغت هذه النجوم

الطالعة ، والكواكب المنيرة ؟ إنها لن تستطيع أن تمتنع على الحَيْن ، ولا أن تستعصى على الفناء ، أفقدرون أنتم على ما لا تقدر عليه ؟

١٢) (أَرَى جُنْحَ الدُّجَى أَوْفَى جَنَاحًا وَمَاتَ غُرَابُهُ الْجَوْنُ الْمُرِبُّ)

الدُّجَى : الظلمة ؛ واحدها : دُجِيَّة . وجنح الدُّجَى ، بالضم والكسر : جانبها وأوَّلُها ، وقيل : قطعة منها نحو النُّصْف . وأوفى : أتمّ وأكمل . وغراب الدجى : أى حلُكته . وفيه تورية مجردة . والجون : الأسود . والمُرِبُّ : أى المُسِفِّ المتداني لتكاثفه وثقله . ويريد « بموته » : انهزامه وفناءه ، أمام جيوش النهار ، أى إن ظلامه ، مهما اشتدت حلُكته ، فهو إلى انقشاع .

وقد يكون « الغراب » على الحقيقة . قال الجاحظ : « وغراب الليل غرابٌ ترك أخلاق الغربان وتشبّه بأخلاق اليوم ، فهو من طير الليل » . يريد أن الليل بدجنته ، وقد ضربها مثلا للجنة ، غير محمى ما أجنّ ، وإن أمعن في الخفاء .

يقول : أَرَأَيْتُمْ إِلَى ذَلِكُمُ اللَّيْلِ الْفَاحِمِ قَدْ ضَرَبَ عَلَى الْأَرْضِ بِجِرَانِهِ ، وَطَبَّقَ عَلَيْهَا بِأَقْطَارِهِ ، إِنَّهُ لَأَوْفَى مِنَ الْغُرَابِ جَنَاحًا ، وَأَشَدُّ مِنْهُ سَوَادًا ، وَأَرْحَبُ مِنْهُ بِالطَّيْرَانِ بَاعًا . ومع ذلك لم يَمْنَعَهُ وفاء جناحه ، وشدة سواده ، وقُوَّتُهُ عَلَى الطَّيْرَانِ ، أَنْ يَخْضَعَ لِلْقَدْرِ وَيُدْعَنَ لِلْقَضَاءِ ، فَيَمُوتَ كَمَا مَاتَتْ قَبْلَهُ اللَّيَالِي ، وَيَمْضَى كَمَا مَضَتِ السَّنُونُ .

١٣) (فَمَا لِلنَّسْرِ لَيْسَ يَطِيرُ فِيهِ وَعَقْرَبُهُ الْمُضِبَّةُ لَا تَدِبُ)

يريد بـ « النَّسْرِ » كوكبين في السماء معروفين ، على التشبيه بالنَّسْرِ الطائر . يُقال لكل واحد منهما : نَسْر . والعقرب : بُرْج من بُرُوجِ السَّمَاءِ ، وله من المنازل : الشَّوْلَةُ ،

والقَلْب ، والزبَانِي . وفيه يقول ساجع العرب : « إذا طلعت العقرب ، حَسَّ المِذْنَب ، وقرَّ الأَشْيَب ، ومات الجُنْدَب » . والمُضْبَة : اللازمة غير المفارقة .

وفي كل من « النَّسْر » و « العقرب » تورية مرشحة ، لذكره « يطير » مع الأول و « تدب » مع الثاني ، وهما من لوازم المورسي بهما . وضرب « النَّسْر » و « العقرب » مثلين لنجوم الليل . وفي إيراد « النَّسْر » و « العقرب » مع « الغراب » قبل ، مراعاة نظير .

وأراد « بطيران النَّسْر » ، « وديب العقرب » حركتهما في مداريهما . أى إنه مع أنقشاع الليل لا ترى النجوم . وكذلك الأمور إلى تبدل .

يقول : أرايتم إلى نَسره الواقع ، إنه لأزح من نَسركم جناحاً ، وأشدمنه أيداً ، ولكنّ الدهر قد أوقعه فما ينهض ، والقدر قد قص جناحه فما يطير . أرايتم إلى عقربه الثابتة ! إنها لأشدُّ من عقربكم قوّة ، وأولى أن تكون أقدر منها على الدّيب . ولكن القضاء قد وقفها فما تدب ، واستلّ حمتها فما تصيب .

١٤ (أَيْجَلُو الشَّمْسَ للرَّأْيِ نَهَارَهُ فَقَدْ شَرَقَتْ وَمَشَرَقُهَا مُضِبُّ)

شرقت ، بفتح الراء : طلعت ؛ وبكسرهما : غابت أو ضعفت . والمشرق كما يكون من الأول يكون من الثاني . ومُضِبٌّ . ذو ضباب . والاستفهام في البيت إمّا على التعجب ، يريد : كيف وقد جلا النهارُ الشمس للرأى ، قد طلعت والظلمة تكتنف مطلعها ! وإمّا على الإنكار ، ومعه تصح « شرقت » على المعنيين . فعلى الأول ، يُنكر أن النهار يجلو الشمس للرأى ، فهي مصحوبة بالضباب في مطلعها . وعلى الثاني ، فهو يُنكر أن الشمس يجلوها النهار ، فما هي ذى قد ذوت و غابت ، وغمها الظلام في مشرقها الذى هو كالمغيب .

يقول : أرايتم إلى هذه الشمس الطالعة ، يجلوها لكم النهار جميلةً وضَاءة الجبين ! إنها لأحسنُ منكم حُسناً ، وأجمل منكم جمالاً ، وأشد منكم قوة ، وأولى منكم بالبقاء ! ولكنّ القضاء كثيراً ما يُلجّ عليها فيخفي جمالها بما يسوق من ضباب كثيف .

١٥) وَلَمْ يَدْفَعْ رَدَى سُقْرَاطَ لَفْظُ وَلَا بُقْرَاطَ حَامَى عَنْهُ طِبُّ (

سقراط : من الفلاسفة المعدودين . ولد في أثينا سنة ٤٧٠ ق . م . وتوفي سنة ٤٠٠ ق . م .

وبقراط : من أئمة الطب ، وكانت له بالفلسفة معرفة . تزعم الطبيعيين في عصره ، وعاش قبل الإسكندر بنحو من مائة سنة .

يقول : أرايتم إلى أفصحكم لفظاً ! وأهداكم خلقاً ! وأصوبكم رأياً ! وأنفعكم حكمة ! كيف لم تنفعه فصاحته ولا هدايته ! ولم يدفع عنه صوابه ولا حكمته ! وهل أغنت عن سقراط فصاحة لسانه وثبات جنانه ؟ أو نفع بقراط طبه وحكمته ؟ أو علمه وفلسفته ؟ كلا ، إنه القضاء نازل لا مردّ له ، فلا تلتمسوا منه مخرجاً ، ولا تطلبوا منه مغرّاً .

١٦) إِذَا آسْتَنِي بِشَفَا صَرِيحًا فَدَعْنِي كُلُّ ذِي أَمَلٍ يَتَبُّ (

آنسه : رآه وأبصره . والشفا من كل شيء : حرّفه وحدّه . وهو أيضاً البقية من الهلال والنهار وما أشبههما . قال العجاج :

أَوْ مَرَبِّأِ عَالٍ لِمَنْ تَشَرَّفَا أَشْرَفْتُهُ بِلَا شَفَى أَوْ بِشَفَى (١)

(١) بلا شقى : أى وقد غابت الشمس ، أو بشقى ، أى وقد تغيب منها بقية .

وعلى المعنى الأول . فالباء في « بشفا » للظرفية . يريد : إذا أبصرتني عند نهايتي .
وعلى الثاني . فالباء للمصاحبة . يريد : إذا أبصرتني وبى رَمَق . وهو
من سابقه .

والصرع : الطرح بالأرض ، فهو مصروع وصريع . يريد مُعَيّاً لا أقوى على
النهوض . ويتب : يهلك . تب يَتَّب تَبّاً . وفي حديث أبي لهب : « تَبّاً لك
سائر اليوم ! ألهذا جمعتنا » . « وكل ذى أمل » ، يريد الناس عامة ، فما منهم إلا وله
أمل يحدوه . وأرادهم على هذا الوصف ، ليكون الموت أبلغ عظة ، وأصرف لهم
عن زينة الحياة .

يقول : إن ما أتم فيه لغرور لا ينفع ، وأمل لا يفيد . وإن ما تبذلونه من
جهد في اتقاء الموت ، والتماس الحياة ، لحركة ضائعة ليس لها نتيجة ، وإنكم لميتون
وصائرون إلى حيث لا تجدون حساً بلذة أو ألم ، ولا ارتياحاً لحمد أو ثناء ،
ولا أشياء من خير أو شر .

١٧) (وَلَا تَذُبُّ هُنَاكَ الطَّيْرَ عَنِّي وَلَا تَبْلُلُ يَدَاكَ فَمَا يَذِبُّ)

الذَّبُّ : الدَّفْعُ والطرْدُ . ذَبَّ يَذِبُّ . وهناك ، أى عند النَّزْعِ ، والموتُ
يصرعني . وهو ما سبق إليه في البيت السابق .

والذب ، أيضاً : الجفاف والذبول ، وفعله : ذَبَّ يَذِبُّ . وهو المراد في آخر
البيت . ومنه قول الشاعر :

وَمِ سَقُونِي عَلَلًّا بَعْدَ نَهَلٍ مِنْ بَعْدِ مَا ذَبَّ اللِّسَانُ وَذُبُلٌ

والغم ، مفتوح الفاء مخفف الميم ، في الرفع والنصب والخفض . ومنهم من يضم
الفاء في كل حال كما يفتحها في كل حال . وأما تشديد الميم ، فإنه يجوز في الشعر .

يقول : دعوا أجسامكم بعد الموت ، لا تحفلوا بها ولا تشفقوا عليها أن تتخطفها
الطير ، وتنوشها السباع ؛ فما ذلك بمؤذيها ، ولا بالغ منها .

اللزومية السادسة والخمسون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع التاء :

- ١ (أَقَرُّوا بِالْإِلَهِ وَأَثْبَتُوهُ وَقَالُوا لَا نَبِيَّ وَلَا كِتَابُ)
- ٢ (وَوَطْءُ بَنَاتِنَا حِلٌّ مُبَاحٌ رُوِيَ دِكْمٌ فَقَدْ بَطَلَ الْعِتَابُ)
- ٣ (تَعَادَوْا فِي الضَّلَالِ وَلَمْ يَتُوبُوا وَلَوْ سَمِعُوا صَلِيلَ السَّيْفِ تَأَبَّوْا)

الإقرار : الإذعان للحق والاعتراف به . يُقال : قرَّره بالحق ، فأقرَّ هو به .
و « أثبتوه » ، أى أقاموا الأدلة على وجوده . والواو في « وأثبتوه » عاطفة للشئ
على سابقه ؛ إذ الإثبات قبل الإقرار .

ويجوز في لام التبرئة ، وهي النافية للجنس على سبيل التنصيص ، إذا
تكررت ، إلغاؤها . ولك فتحة الاسمين ، ورفعهما ، والمغايرة بينهما . والأمر هنا
على الأخير .

وظاهر أنه يشير إلى ما عليه غلاة الخوارج من إنكار النبوات والكتب
الساوية والتشكيك فيها .

والوطء : النكاح . ولعله يريد ما عليه الباطنية من غلاة الخوارج ، من إباحة
نكاح البنات . وفي ذلك يقول عبد الله بن الحسين القيرواني ، من دعاتهم :
« وما العجب من شيء كالعجب من رجل يدعى العقل ثم يكون له أخت أو
بنت حسناء ، وليست له زوجة في حُسْنِهَا ، فيحرمها على نفسه ويُنكحها من
أجنبي . ولو عقل الجاهل لعلم أنه أحقُّ بأخته وبنته من الأجنبي » .

ورويدكم ، أى تمهلوا وترققوا . وقد مر^(١) . و«العتاب» : أن يذكر كل واحد من الصاحبين لصاحبه ما فرط منه إليه من الإساءة . وأما الإعتاب ، فهو رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضى العاتب . وبطلان العتاب ، دليل على أن الأمر جَلّ فلم يعد يُجدى فيه عتاب .

وتعادوا ، أى اختلفوا وترققوا ، فذهب كل قوم مذهبا ، من «التعادى» بمعنى «التباعد» . وقد يكون من : التوالى والتتابع . أى مضوا فى إثر بعضهم . و«صليل» السيف : طنبه عند المقارعة . ويريد به التلويح بالشر والعنف .

يقول : عجبتُ لطائفة من الناس يثبتون الإله ويُقرّون به ، ويعرفونه ويدّينون له ، ثم يُنكرون الكتب والنبوة ، ويحجدون الحِلَّ والحُرمة ، ويستبيحون الإثم والمعصية . لشدّ ما اختلطت عقولهم فما يُصلحها إرشاد ! ولشدّ ما سَقُت أحلامهم فما ينفعها عتاب ! إنهم ليدأبون على ذلك ويلجّون فيه . لا تُصلحهم حُجّة ، ولا يرُدُّهم إلى الحق بُرهان . فإذا سمعوا صليل السيف ، ورأوا بريقه الخاطف للعيون ، ورَوَّقه الآخذ للأبصار ، وحده الذى يبتسم فيه الموت ، وتقطر منه المنية ، عادوا إلى ما أنكروا مُقرِّين به ، راضين له .

عدمتُ هؤلاء الناس يخرجون على العقل ، ويخضعون للقوة ؛ وإنّ فى أحدهما للنفع ، وإنّ فى الأخرى للضرر الشديد .

(١) انظر شرح البيت الأول من اللزومية ١٧ ص ١٣٩ من هذا الجزء .

اللزومية السابعة والخمسون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الراء :

- ١ (تُرَابٌ جُسُومُنَا وَهِيَ التُّرَابُ إِذَا وَلَّى عَنِ الْآلِ اغْتِرَابٌ)
- ٢ (تُرَاعُ إِذَا تُحِسُّ إِلَى مَرَاهَا إِيَابًا وَهُوَ مَنْصِبُهُمُ الْقُرَابُ)
- ٣ (وَذَلِكَ أَقْلٌ لِلأَذْوَاءِ فِيهَا وَإِنْ صَحَّتْ كَمَا صَحَّ الْغُرَابُ)

تُرَابٌ جُسُومُنَا، على ما لم يُسَمَّ فاعله، أى يسوؤها ويضعها؛ من: رابه الأثر، وأرابه، إذا رأى منه ما يكره. والآل: الأهل والعيال، وألفه، إما أن تكون بدلاً من واو، أو عن هاء. وتصغيره: أويل، وأهيل. وقد يكون لما لا يعقل، ومنه قول الفرزدق:

نَجَوْتَ وَلَمْ يَمْنُنْ عَلَيْكَ طَلَاقَةً سِوَى رَبَّةِ التَّقْرِيْبِ مِنْ آلِ أَعْوَجَا
 وولّى عنه: أعرض ونأى. و«اغتراب»، مصدر واصفٌ لموصوفٍ مَحْذُوفٍ،
 أى راحِلٌ مُغْتَرَبٌ. أى إن الإنسان لَيَنْزَعُ عِنْدَ رُؤْيَةِ أَى نَازِحٍ مِنْ آلِهِ .
 وَحَصَّ «الآل» لأنهم به أُلْصِقُوا، والحزن عليهم أعمق. وهو يعلم أنه من التراب،
 وإلى التراب يَعُودُ .

هذا وَجْهٌ . وقد يكون «الاغتراب» بمعنى: فراق الموت. و« ولى » أى
 صَرَفَ وَنَحَّى، من « ولاء » عن الشيء، إذا أبعدته عنه وَصَرَفَهُ، حَذَفَ مَفْعُولَهُ
 للعلم به، والتقدير: إذا ولى الاغترابُ أحداً عن آله. يريد: إذا ذهب الموتُ
 بقریب .

ووجه ثالث، فتكون فيه « تُرَابٌ » من الرّيبة، وهى الشك، و« الآل »

مع هذا الوجه بمعنى الشخص أو السراب ، والجسم مشبّه به في أنه وهم .
و « إذا ولى . . . الخ » أى إذا أبطأ بالإنسان أجله . يريد أن النفس قد يُبْطِئُ
بها الأجل فتشكّ في الفناء ، ومصيرها إلى التراب متيقن ، أو أنها هباء لا تُعْبَى
القدر، وإن طال الأجل .

وتمّ وجه رابع ، وهو من الثالث . فأبو العلاء يُعَدُّ الحياة غربة ، فإذا ولّت
عاد الجسم إلى مادته وهى التراب ، وأن وجوده في الحياة عناء ، وهو ما أرادته
بقوله : « تراب جسومنا » أى تَضَى وَتَشْقَى .

وتراع : تُفْرَع . ونسّق الكلام : « وتراع — أى الجسوم — إذا تحسّ إياباً إلى
تراها » . وإلى تراها : أى إلى التراب الذى منه كانت ، وإليه تعود . و« المنصب » :
المرجع وحيث تَغِيب الشَّمْس . ويريد به : المصير والمآل . وهو الأصل أيضاً .
والقرب ، مثلثة : القريب ؛ فعلى الأول ، فالمراد : دنوّ الأجل ؛ وعلى الثانى .
فالمراد : أن الجسم لم يبعد بأصله عن التراب . « وذاك » أى الثرى ، أو الإياب
إليه . و« الأدوية » : جمع داء ، بمعنى السقم والمَرَض . و« إن صحت كما صح الغراب » ،
أى وإن بقيت شابة ولم تصر إلى شيب وهَرَم . فإنه يُحكى أن الغراب لا يشيب
أبدأ . ومن عبارات التأييد : لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب ، أى لا أفعله أبداً .

يقول : عجبتُ لهذه الحياة ما تَنفكّ بها كَلِيفين فى الأمن والخوف ، وما
تَبْرَحُ عليها حريصين فى الحرب والسلم . تتهم فيها الشدّة واللين ، والصّفو
والكدر ؛ ونخاف عليها الموت ، وإنما أعدت له ؛ ونحذر عليها الحمام ، وإنما
وقفت عليه . إنما الموتُ رجوعنا إلى طبيعتنا ، واستحالتنا إلى أصولنا . لقد كُنّا
تراباً ونحن إلى تراب عائدون . فما فَرَعُ الفَرَع من رُجوع لأصله ! وما حذر
الجسم من استحالة إلى جوهره ! ولو أننا بلونا من الحياة حُلواً يُرغّبنا فيها ، أو

تَمَرّاً يُحِبُّهَا إِلَيْنَا ، لَكَانَ لَنَا فِي ذَلِكَ الْعُذْرَ الْوَاضِحَ ، وَلَكِنَّمَا لَا نَبْلُو مِنْهَا إِلَّا الْمَرَّةَ ، وَلَا نَجْنِي مِنْهَا إِلَّا الشَّرَّ .

٤ (هُمُومٌ بِالْهَوَاءِ مُعَلَّقَاتٌ إِلَى التَّشْرِيفِ أَنْفُسُهَا طِرَابٌ)

هَمُومٌ : جَمْعُ هَمٍّ ، وَهُوَ هُنَا : الْعَزْمُ وَالطَّلَبُ ؛ مِنْ هَمَّ بِالْأَمْرِ ، إِذَا عَزَمَ عَلَيْهِ وَطَلَبَهُ . وَبِ«الْهَوَاءِ مُعَلَّقَاتٌ» يَرِيدُ الْإِبْعَادَ فِي الْأَمَلِ ، إِذَا هَوَاءَ مُضْعِدٌ . كَمَا يَرِيدُ أَنَّهَا لَنْ تَتَحَقَّقَ . وَالتَّشْرِيفُ : الْعُلُوءُ ، وَكَأَنَّهُ أَرَادَ التَّحْلِيْقَ فِي جَوِّ الْخِيَالِ ، وَهُوَ بِالْهَوَاءِ أَنْسَبُ . وَطِرَابٌ : تَزَاعَةٌ مُشْتَقَّةٌ ؛ الْوَاحِدُ : طَرَبٌ .

يَقُولُ : هُمُومٌ يَجْرِي بِهَا عَلَيْنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَآلَامٌ تَطْلَعُ بِهَا عَلَيْنَا الْكَوَاكِبُ وَالنُّجُومُ ، وَشُرُورٌ لَا يُرِيحُنَا مِنْهَا إِلَّا الْمَوْتُ . أَفَيَنْبَغِي بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ بِنَا فِي الْحَيَاةِ رَغْبَةٌ ، وَمِنْ الْمَوْتِ رَهْبَةٌ ؟ وَلَوْ أَنَّ الْحَيَاةَ كَانَتْ عَلَى شُرُورِهَا خَالِدَةً ، وَعَلَى آثَامِهَا بَاقِيَةً ، لِاحْتِمَلْنَاهَا مُحِبِّينَ لَهَا ، وَلَقَبَلْنَاهَا رَاضِينَ بِهَا . وَلَكِنَّهَا طَرِيقٌ مَتَمِّهِةٌ بِنَا إِلَى الْفَنَاءِ وَإِنْ لَمْ نَطْلُبْهَا ، وَإِلَى الْمَوْتِ وَإِنْ لَمْ نَحْرَسْ عَلَيْهَا .

٥ (قَارِمَاخٌ يُحَطِّمُهَا طِعَانٌ وَأَسْأِيْفٌ يُضَلِّلُهَا ضِرَابٌ)

الْأَرِمَاحُ : جَمْعُ رُمَحٍ ، مِنْ السَّلَاحِ مَعْرُوفٌ . وَإِذَا كَثُرَتْ قَلْتَ : رِمَاحٌ . وَالطِّعَانُ لِلرَّمْحِ ، فَعَلَهُ يَطْعُنُ ؛ وَلِلْقَوْلِ : يَطْعَنُ . وَقَالَ اللَّيْثُ : كِلَاهُمَا يَطْعُنُ . وَتَقْلِيلُ السَّيْفِ : انْتِلَامُهُ وَكُسُورٌ فِي حِدَّةٍ . فَلِ السَّيْفِ يَفْلَهُ فَلَا ؛ وَقَلَّلَهُ ، بِمَعْنَى . وَسَيْفٌ قَلِيلٌ ، وَأَقْلَلْتُ . وَ«الضَّرَابُ» : الْمَجَالِدَةُ وَالضَّرْبُ بِالسَّيْفِ فِي الْقِتَالِ .

يقول : حدّثني بالحياة ، أى شىء هى ؟ أليست الحياة أرماحاً يكسرها
الطّمن فى الصدور ! وأسيافاً يُفَلِّها الضربُ على الهام !

٦ (تَنَافَسُ فِي الحُطَامِ وَحَسْبُ شَاكٍ
طَوَى قُوْتُهُ وَحَلْفِ صَدَى شَرَابُ)

تنافس ، أى تتنافس . والتنافس : التراعِب على وجه المُباراة . وقيل : هو
التحاسُد والتسابق . تنافسنا ذلك الأمر ، وتنافسنا فيه . والحطام : ما تحطّم
وتكسّر من اليبيس وغيره . يريد : عرض الدنيا الهين . وحسب ، أى كافٍ
ومُعْنٍ ، من إضافة المصدر إلى معموله . والطوى : الجوع . طوى يطوى ، طوى
وطوى : حَمَص من الجوع ؛ فإذا تعمّد ذلك قيل : طوى يطوى . وفى الحديث :
« إنه كان يطوى يومين » أى لا يأكل فىهما ولا يشرب . و « طوى » هنا
مفعول لـ « شاكٍ » . والقوت : ما أمسك الرّمق ، أى : يكفى شاكى الطوى
قوت . و « الحلف » : العهد ، والمُحالف أيضاً ، والثانى هو المراد هنا ، جعل التلازم
بينهما فلا يفترقان عهداً . و « الصدى » : شدة العطش ؛ وقيل : هو العطش
ما كان . صدَى يصدَى صدَى ، فهو صدٍ ، وصادٍ . أى : ويكفى حلف الصدى
الشراب .

يقول : أليست الحياة تنافساً فى الحطام الهين الدنى ، تجمهه وتستكثر منه .
وإن جاعنا ليكفيه أن يجد القوت ، وإن صادينا ليُعْنيه أن يجد الرى .

٧ (وَأَفْسَدَ جَوْهَرَ الأَحْسَابِ أَشْبُ
كَمَا فَسَدَتْ مِنَ الخَيْلِ العَرَابُ)

جوهـر كل شـيء : ما خلقت عليه جبلته . والأحساب : جمع حَسَب ، وهو الشرف الثابت في الآباء ؛ وقيل : هو الشرف في الفعل . وظاهر أن مراد أبي العلاء على الأول . والأشب : الخلط ؛ أشب الشيء يَأشبهه أشباً : خلطه . ومنه : الأُشابة من الناس ، أى الأخلاط . ورجل مأشوب الحسب : غير محض . والعراب من الخيل : المَـرَبَة ، أى التى تصهل فيُعرف عتقها بصهيلها ، وكذلك يُعرف الفرس العربى من الهجين . والهجين من الخيل : الذى ولدته برذونة من حصان عربى . يشير إلى اختلاط أحساب الناس ، كما اختلطت في الخيل الأجناس .

يقول : أليست الحياة مزاجاً مختلطاً مضطرباً، لا يكاد يصلحه قليل الخير حتى يُفسده كثير الشرّ ، كما تفسد أنساب الخيل العراب من الخيل الهجان .

- ٨ (وَأَمَّا لَكَ تَبَجَّرُ فِي غِنَاهَا وَإِنْ وَرَدَ الْعُفَاةُ فَهَمْ سَرَابٌ)
 ٩ (وَقَدْ يُعْرِى أَسْوَدَ الْغَيْلِ حِرْصٌ فَتَحْوِيهَا الْحِطَّائِرُ وَالزَّرَابُ)

أملاك : جمع مَلِك ؛ وجمع « المَلِك » مُلوك ؛ وجمع « المليك » مُلكاء ؛ وجمع « المالك » مُلْك ومُلَّاك . والأملاك : اسم للجمع .

وتبجر ، أى تبجّر . والتبجر : الانبساط والسعة ، ومثله : الاستبحار . يقال : تبجر الرجل في العلم والمال ؛ واستبحر : إذا اتسع وكثر ماله . وكذلك : تبجر الراعى في رَعْيٍ كثير : اتسع . كل ذلك من البحر ، لسعته .

والعفاة : جمع عافٍ ، وهو الذى يأتيك يطلب معروفك . و « وَرَدَ » : جاء . والأصل فيه للماء . وقد راعى النظير بينه وبين « سراب » . والسراب : الآل . وقيل : السراب : الذى يكون نصفَ النهار لاطئاً بالأرض لاصقاً بها كأنه ماء

جارٍ . والآل : الذى يكون بالضحى يرفع الشخوص ويزهاها ، كالماء بين السماء والأرض . وبهما يُضرب المثل فى الشيء يُظنُّ عنده خير ، فإذا جثته كذبك الظنُّ فيه . جعل الغنى بما يفيض عنه من برٍّ وعون ، وإلا فهو سراب ، له بريق الماء وليس له إعطاؤه .

وأغرى يغرى : أُولع . ولا تقل « غرّى » . وحذف المعمول بحرفه ، للعلم به ، والتقدير : وقد يغرى بالحياة الحرصُ أُسودَ الغيل .

والغيل ، بالكسر : الأجمة ، والشجر الكثير الملتف . وموضع الأسد : غيل ، مثل : خيس . ولا تدخلها الهاء . والجمع : غيول .

وحَوَى الشيء يحويه ، حَيًّا وحَوَايَةً ، واحتواه ، واحتوى عليه : جمعه وضّمه وأحرزه . والحظائر : جمع حظيرة ، وهى ما أحاط بالشيء ، وتكون من قصب وخشب . وقيل : إنها تعمل للإبل لتقيها البرد والريح . والزراب : جمع زَرَب ، وهى كالزربية : الحظيرة من خشب ، تعد للغنم .

أقام الحظائر والزراب مثلين للامتهان ، فهذه للإبل وتلك للأغنام ، وهما دون السباع . ولعله يريد بهما ما يُعدّ لسباع الحيوان بعد صيدها . ويشير إلى أنها لو آتت الموتَ على الأسر ، ولم تحرص على الحياة ، ما انتهى بها المآل إلى هذا الموطن الذليل .

يقول : أليست الحياة بُخلاً وحرصاً ، وشرهاً وقرماً ! أليست الحياة أماناً كاذبة وآمالاً خادعة ، ومظاهرَ مَيّنٍ وزُورٍ ! ما الذى يُعجبك من الحياة ؟ يُعجبك منها أولئك الملوك للساميح ، يخذعك منهم على البُعد اسم العظمة والجود ، وبسطة العدل والإحسان ، حتى إذا جثتهم لم تجدهم إلا سرايا ؟

أُعجبك منها تلك الأسود الأبية ، ذات الأنف الحمى ، والقلب الذكى ، والمخالب النافذة ، والأظفار الحادة ، لا زال بها الحرص على الحياة والرغبة فى

لذاتها ، حتى يُبدّلها من العزة ذلاً ، ومن الحرية رقاً ، ومن القوة ضعفاً .
 ذلك مثل الرجل الحر ، ذى الحسب والنسب ، وذى الفضيلة والخلق ، تُفسده
 الأطماع حتى يعود حقيراً مهيناً .

١٠ (مَتَى لَمْ يَضْطَرْبْ مِنْ عُلُوِّ جَدِّهِ فَلَيْسَ بِنَافِعٍ مِنْكَ أَصْطِرَابٌ)

الاضطراب : التحرك . افتعال من « الضرب » والأصل فيه الحركة . وعلوُّ
 كل شيء : أرفعه . ومثله : علوه ، وعلوه ، وعلوته ، وعلايه ، وعليته .
 يتعدى إليها الفعل بحرف وبغير حرف . وتقول : أخذته من علٍ ، ومن علٍ ،
 ومن علًا ، ومن علوً ، ومن عالٍ ، ومن مُعالٍ . ويُروى : من علوً ،
 ومن علوٍ .

والجد : الحظ والرِّزق . وفي حديث القيامة : قال صلى الله عليه وسلم :
 « قمتُ على باب الجنة فإذا عامة من يدخلها الفقراء . وإذا أصحابُ الجدد
 محبوسون » . أى ذوو الحظِّ والغنى فى الدنيا . ويريد « بتحرك الجدد من علو » :
 نزول المقدار به . و « بنافع » خبر « ليس » والباء فيه مزيدة .

وكانَّ أبا العلاء هنا جبريًّا ، من الجبرية الذين يقولون بأنه لا قدرة للعباد
 أصلاً ، لا مؤثرة ولا كاسبة ، على خلاف ما تقول به القدرية .

يقول : أتعجبك من الحياة حركتها التى لا تقودها إلا المصادفة ، ولا يدبّرها
 إلا الحظُّ ؟ فأنت غنى إن صادفك الجدد ، وإن كنت أقل الناس للغنى
 استئمالاً . وأنت يائس إن اخطأك ، وإن كنت أرحب الناس بالجد ذراعاً .

١١ (كَأَنَّ السَّيْفَ لَمْ يَعْطَلْ زَمَانًا إِذَا حَلَى الْحَمَائِلُ وَالْقِرَابُ)

« كَأَنَّ » على أربعة معان : أحدها ، وهو الغالب عليها : التشبيه . وشرط بعضهم أنه لا يكون إلا إذا كان خبرها اسماً جامداً . والثاني : الشك والظن . والثالث : التحقيق . وأنشدوا عليه :

فأصبح بطنُ مكة مقشعراً
كأنَّ الأرضَ ليس بها هشامُ
والرابع : التقريب .

والمعنى هنا على الوجه الثالث ، أى التحقيق .

وَعَطِلَ يَعْطَلُ ، عَطَلًا وَعُطُولًا ، وَتَعَطَّلَ : إذا لم يكن عليه حَلْيٌ ولا زينة ، والمرأة عاطل ، من غير هاء . فإذا كان ذلك عادتِها ، فهي مِعْطَالٌ . هذا الأصل ؛ ويُريد بعطل السيف هنا : إهماله وعدم إعماله ، وكأنَّه لا غناء عنده .

والحمائل : جمع حمالة وحميلة ، وهى علاقة السيف . وهى السَّير الذى يُقلِّده المتقلِّد . وقال الأصمعى : حمائل السيف ، لا واحد لها من لفظها ، وإنما واحدها مَحْمَلٌ . وقال الأزهرى : جمع « الحمالة » : حمائل ، وجمع « المحمّل » : محامل . والقراب للسيف . شبه جراب من آدم يضع فيه الراكب سيفه بجفنه وسوطه وعصاه وأداته .

والمعنى : كان ينبغي ألا يعطل السيف وقد حليت حمائله وقرابه . وكأنَّه يشير إلى الحظ الكثير ، يُصيب غير جدير . وما ألفتَه إلى قول زهير ، وإن لم يكن فى مجراه :

رَأَيْتَ الْمَنَايَا حَبِطَ عَشْوَاءَ مِنْ نُصَبِ
تُمْتِئَتُهُ وَمِنْ تَخْطِئِ يَعْمَرِ فَيَهْرَمِ

يقول : أيعجبك أن ترى فى الحياة أولئك المجدودين من أصحاب الغنى والثروة ، وأبناء المصادفة والحظ : لم يسكِّد يَبْسَمُ لهم الدهر بعد عبوسه ، حتى

نَسُوا مَاضِيَهُمْ ، وَتَجَافَوْا عَنْ قَدِيمِهِمْ ، وَأَصْبَحُوا كَأَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا إِلَّا سَعْدَاءَ مُوقِفِينَ .

١٢) تَأَلَّفُ أَرْبَعٌ فِينَا فَتَدُّكِي
بِهَا مِمَّا ضَعَائِنُ وَأَحْتِرَابُ ()
١٣) وَلَوْ سَكَنْتُ جِبَالَ الْأَرْضِ رُوحٌ
لَمَّا خَلَدَتْ نَضَادٍ وَلَا إِرَابِ ()

تألف ، أى تتألف وتتجمع . ويريد بـ«الأربع» أى الطبائع الأربع ،
وهى : المائية ، والترابية ، والهوائية ، والنارية . وبعضها لبعض خَصْمٌ .

والضعائن : الأحقاد . الواحدة : ضعيفة . ومثلها : الضغن ، والضغن . والجمع
فيهما : أضغان . والاحتراب ، إمّا من «الحرب» التى هى نقيض السلم ؛ وإمّا من
«الحرب» الذى هو شدة الغضب . أى إن الشر من طبيعة المرء ، وتجمع هذه
العناصر فيه .

و«لو» حرف شرط يفيد الامتناع . وقد مر كلام عنه^(١) . ونضاد : جبل
بالعالية . ويبنى عند أهل الحجاز على الكسر . وعند تميم ينزلونه منزلة مالا
ينصرف . وإراب ، بالكسر : موضع ، أو جبل . وقيل : ماء لبني رباح بن
يربوع . وكان لهم به يوم من أيامهم .

وظاهر أن أبا العلاء أراد بهما مجرد التمثيل . جعل الروح علة الفناء والتحول ،
ونخلو الجمد منها خلد وبقى .

(١) انظر شرح البيت الثالث من اللزومية ٤٧ ص ٢٨٤ من هذا الجزء .

يقول : ما الذى يعجبك من الحياة ؟ أيعجبك أنها ليست إلا رهناً باتفاق هذه الغرائز المختلفة ، وائتلاف هذه الطباع ؟ واتفاق تلك الغرائز ما زال مصدر الشرّ ومنشأ الفساد .

أما إنك لو أنصفت نفسك لاستمعت لى وأصغيت إلى ، فما عذبنا إلا العيش ! وما أشقانا إلا الحياة ! وأقسم لو أن لهذه الجبال الراسية الشاخة أرواحاً كأرواحنا ، ونفوساً كنفوسنا ، ونصيماً من الحياة كنصيبنا ، لما كان لها أن تبقى إلا ريثما يُنبيخ عليها الشر بكلسكاه ، ثم يغير عليها الموت بجيشه اللّهام .

اللزومية الثامنة والخمسون

وقال في الباء المضمومة مع السين :

- ١ (دَنَا رَجُلٌ إِلَى عَرَسٍ لِأَمْرِ) وَذَلِكَ لِثَلَاثِ خُلُقٍ اِكْتِسَابُ
 ٢ (فَمَا زَالَتْ تُعَانِي الثَّقَلَ حَتَّى) أَتَاهَا الْوَضْعُ وَاتَّصَلَ الْحِسَابُ
 ٣ (نُرُدُّ إِلَى الْأُصُولِ وَكُلُّ حَيٍّ) لَهُ فِي الْأَرْبَعِ الْقَدَمِ اِنْتِسَابُ

عَرَسُ الرَّجُلِ : امْرَأَتُهُ ، وَهُوَ أَيْضاً عَرْسُهَا ؛ لِأَنَّهُمَا اشْتَرَكَا فِي الْاسْمِ ، لِمَوَاصَلَةِ
 كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبِهِ وَإِنْفِهِ إِيَّاهُ . قَالَ الْعَجَّاجُ :

أَزْهَرَ لَمْ يُوَلِّدْ بِنَجْمٍ نَحْسٍ أَنْجَبَ عَرَسٍ جُبَلًا وَعَرَسٍ^(١)

وَالْجَمْعُ أَعْرَاسٌ . وَالْاِكْتِسَابُ : الطَّلَبُ وَالسَّعْيُ . وَهُوَ خَبْرٌ لِمَبْتَدَأِ « وَذَلِكَ » .
 أَى : وَذَلِكَ الْأَمْرُ اِكْتِسَابُ لثَلَاثِ خُلُقٍ . وَالثَّلَاثُ : الْوَالِدُ ، الَّذِي هُوَ ثَمْرَةٌ بِنَاءِ
 الرَّجُلِ وَكَسْبِهِ . وَمِنْهُ الْحَدِيثُ : « أَطِيبَ مَا يَأْكُلُ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ ، وَوَلَدَهُ
 مِنْ كَسْبِهِ » . قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ : إِنَّمَا جَعَلَ الْوَالِدُ كَسْبِيًّا ؛ لِأَنَّ الْوَالِدَ طَلَبَهُ وَسَعَى
 فِي تَحْصِيلِهِ .

وَالْمَعَانَاةُ : الْمَقَاسَاةُ . عَانَى الشَّيْءَ وَتَعَنَّاهُ ، بِمَعْنَى . وَقِيلَ : الْمَعَانَاةُ : الْمُقَاسَاةُ
 وَحُسْنُ السِّيَاسَةِ ، وَالْمُبَاشَرَةُ ، وَالْقِيَامُ عَلَى الْأَمْرِ . وَالْمَعْنَى يَسْتَقِيمُ عَلَيْهَا أَيْضاً .
 وَالثَّقَلُ ، بِالْكَسْرِ : الْحَمْلُ الثَّقِيلُ . وَالْحِسَابُ : الْعَدَدُ . وَاتِّصَالَ الْعَدَدِ
 بِاتِّصَالِ النَّسْلِ .

(١) أَرَادَ : أَنْجَبَ عَرَسَ وَعَرَسَ جُبَلًا ، أَى أَنْجَبَ بَعْلَ وَامْرَأَةً .

ويريد « بالأصول » : العناصر الأربعة ، وهى الماء والهواء والنار والتراب ؛ وقد مرت^(١) . و « الرد إلى الأصول » معناه الموت والفناء ، فيستحيل الميت إلى تلك العناصر .

وجاز فى العدد التذكير ، وكان من حقه أن يخالف فيؤنث ، لأنه هنا وصف ، والتقدير : وكل حتى له فى الأصول الأربع . وانتساب : أى صلة وقربى .

يقول : لست أدري بما يزهى الإنسان ويتيه ! وعلام يكبر نفسه ويفالى بها ! وإنما هو ابن شهوة باطلة ولذة فانية ، لا يكاد يوجد حتى يناله الفناء ، فيستحيل إلى عناصره الأولى التى منها وُجد واثلتف أجزاءه .

لقد دنا زوج إلى زوجة ليرضى شهوة هائلة ، ويسكن هوى ثائراً ، فكان التقاؤهما علة ذلك الحمل الذى مازالت تعانى المرأة المسكينه ثقله . أخرجته إلى هذا والعالم ، فوصلت بينه وبين أبائه الأسباب ، ثم ما زال هذا الطفل يشبّ وينمو وتختلف عليه الغير والأحداث ، حتى أنى لأجزائه الملتئمة أن تتفرق ، ويعود كل منها إلى عنصره وجوهره .

فما الالتقاء لو حققت النظر ، إلا لذة يعقبها عناء ، ثم شر يتبعه فناء .

(١) انظر شرح البيت ١٢ من اللزومية ٥٧ ص ٣٣٠ من هذا الجزء .

اللزومية التاسعة والخمسون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الحاء وياء الردف :

١ (أَلَا عَدَى بُكَاءٌ أَوْ نَحِيْبًا فَمِنْ سَفَهٍ بُكَاءُكَ وَالنَّحِيْبُ)

«ألا»، هنا: للعرض أو التحضيض؛ والعرض: طلب بلين؛ والتحضيض: طلب بحث. وتختص بالفعلية. و«عدى»، أى اصرفى عنك. عداه عن الأمر، وعداه: صرفه. وكذلك: عدا الأمر عنه، وعداه. ومنه عدّيتُ عنى المهمّ، أى صرفته. والكلام هنا على تأول جار ومجرور محذوف، تقديره «عنك». و«البكاء»، يُقصر ويمد، فإذا مددت، أردت الصوت الذى يكون مع البكاء؛ وإذا قصّرت، أردت الدموع وخروجها.

والنحيب: رفع الصوت بالبكاء؛ وقيل: هو أشد البكاء. وعلى الأول، فالعطوف والمعطوف عليه بمنزلة ماجاء فى لفظ واحد، وهذا مما يدل عليه العطف بالواو؛ وعلى الثانى فالمعنى: أدنى البكاء وأشدّه.

يقول: رفّهى عليك وخفضى عنك أيتها النادبة المعولة، والثاكلة المحزونة؛ لا تبكى هالكا، ولا تأسى على ميت، ولا يشغلنك عن نفسك البكاء والنحيب، ولا الحزن والأسى؛ فليس ذلك بِنافع لك، ولا مُجدٍ عليك.

٢ (مَحَلُّ الْجِسْمِ فِي الْغَبْرَاءِ ضَنْكٌ وَلَكِنْ عَقْوُ خَالِقِنَا رَحِيْبٌ)

الغبراء: الأرض، لغبرة لونها، أو لما فيها من الغبار. ويريد بمحله فى الغبراء: تلك الأشبار التى يوارى فيها جسمه. والضنك: الضيق من كل شيء؛ الذكر والأُنثى فيه سواء.

« لكن » هنا ، مهمله غير عاملة ، لأنها مخففة . ورحيب : واسع . ومثله :
رَحْبٌ ، ورَحَابٌ . والفعل منه : رَحِبَ يَرْحُبُ .

يقول : ما أرى أن في الموت ما ينبغي البكاء منه أو التوجع له ؛ فلئن كان
موضع الجسم في بطن الأرض وعلى ظهرها ضيقاً ضنكاً ، أو مُظلماً مُستكرهاً ؛
فإن لعفو الله من السعة والضياء ، ما يذهب بضيقه وظلمته .

٣ (وسَيَّانِ ابْنِ آدَمَ حِينَ يُدْعَى بِهِ لِلْغَسْلِ وَالْهَيْدَمُ السَّحِيبُ)

السيَّان : المثَّلان . والواحد : سَيٌّ . والجمع : أسواء . وقيل : « سيان »
بمعنى سواء ، ولا يستعملان إلا بالواو ، فإذا جاءت بعدهما « أو » كانت في موضع
الواو . ومنه قول الشاعر :

فسيان حربٌ أو تبوءٌ بمثله وقد يقبلُ الضيمَ الدليلُ المسيرُ

وقول أبي العلاء هنا ، على الأول .

والغسل ، بالفتح والضم ، مصدران ، من : غَسَلَ يَغْسِلُ . وقيل : الغسل ، بالضم ؛
الاسم ، والماء القليل الذي يُغْتَسَلُ به ؛ وبالفتح : المصدر . والمعنى بهما لا يختلف .

والهدم ، بالكسر : الثوب الخلق المُرْقَع . وقيل : هو الكساء الذي وضوعفت
رِقَاعُهُ . والجمع : أهْدَامٌ وهَيْدَمٌ .

والسَّحِيبُ : المسحوب على الأرض المتعفَّرُ بترابها . قابل بين الميت وقد هِيلَ
عليه التراب ، وبين الثوب الخلق وقد تعفَّرَ به .

يقول : ما أعرف أن بين جسم الإنسان بعد الموت وبين الثوب البالي فرقاً ،
كلاهما قد فقد الحِسَّ ، وكلاهما قد جُرِّدَ من الحياة ، لا تُؤْذِيه خشونة المسِّ ،
ولا يُبْلِذُه لِينُه ورقته .

اللزومية المتممة الستين

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الراء ، وياء الرّدف :

١ (تَرِيْبٌ وَسَوْفَ يَفْتَرِقُ التَّرِيْبُ حَوَانًا وَالثَّرَى نَسَبٌ قَرِيْبٌ)

تريب ، بفتح تاء المضارعة ، من : رابه يَرِيبه ، ذات المفعول ، أى : أتريبك الحياة ، فتظن وتشك ؟ كما يجوز أن يكون بضم التاء ، من : أراب يُريب ، إذا صار ذارِيبٌ ، وهو بمعنى « راب » . وعلى الأول فالجناس بين « تريب » و« التريب » تام ؛ وعلى الثانى ، فالجناس ناقص .

والتريب : التراب . أراد به الجسم ، لأنه منه و « يفترق التريب » أى حين يفارق الجسد وتنفصل عنه الروح .

وحوانا : جمعنا وضمنا . وأراد بـ « النسب » اجتماعنا نحن والتراب على أصل واحد . وأشار بقربه ، إلى أننا لم نبعد عن الثرى ببنيّتنا كثيراً ، أو إلى قرب عودتنا إليه ، وأننا لا فكك لنا منه . ومجيئه بالفعل « حوانا » مما يزكى هذا المعنى الثانى .

يقول : لقد حقّ القضاء فما ينبغى لك الشك ، وتمت الكلمة فما يليق بك الرّيب : موت واقع ، وحمام محتوم ، وجسم سترجع أجزاءه إلى أصلها ، وتعود إلى عنصرها ؛ فإن بينها وبين الثرى نسباً قريباً ، وعروة موثقة .

٢ (جَرَى بِفِرَاقٍ جَيْرَتِنَا غُرَابٌ فَعَالَ مِنْ مَقَالَتِهِمْ غَرِيْبٌ)

الجيرة : جمع جار ، الذى يجاورك . وتُجمع أيضاً على ، أجوار ، وجيران . ولا نظير له إلا : قاع ، وأقواع ، وقيعان ، وقيعة . والغراب : طائر معروف . يشير إلى تطرّف

العرب بِنُعابه ، وأنه يصوت بالبين والبِعاد . و « جرى بفراق . . . » أى أَلَف ذلك ولزِمه .

و « الفعل » بالضم : ما تُصاغ عليه مصادر الثلاثى الدالة على صوت أو داء . جعل مقالتهم هذه وادعاءهم ما ادعوا على الغراب ، من التصويت والصریح والصراخ ، كأنهم فيها والغربان سواء .

يقول : أجل . لقد دعا بيننا عن هذه الحياة غراب صادق الدعوة ، محقق الشؤم ؛ فقطع الشك ، وأزال الرّيب . وما أحسب الناس أخطئوا فى شىء خطأهم فى تسميته واشتقاق لفظه من الغرابة أو الغربة . فما هو بالغريب ولا المغترب ، إنما هى حياتنا أنبات بموتنا ، ووجودنا تنبأ بفنائنا .

٣ (غَدَا يَتَوَكَّفُ الْأَخْبَارَ غِرًّا وَصَاحَ بَيْنَهُمْ دَاعٍ أَرِيبٌ)

غدا : بكر . والتوكف : التوقع والانتظار . وفى حديث ابن عمير : « أهل القبور يتوكفون الأخبار » أى ينتظرونها ويسألون عنها . وقيل : يتوقعونها ، فإذا مات الميت سأله ما فعل فلان وما فعل فلان . وتقول : ما زلت أتوكفه حتى لقيته .

والغر : الذى ينخدع عن انقياد ولين وقلة فطنة وتجربة . فتى غرّ ، وفناة غر . يريد به من جعل الغراب متطيره يلقن عنه النذر . والرواية فى بعض النسخ ، « غرا » بالنصب .

والبين : الفرفة والوصال ، من الأضداد . والمراد هنا الأول . والأريب : الداهية الفطن . أى : والحال أن غير الغراب ما يُعتمد به وتصدق نذره . وقد أخذ يفصله فى أبياته التالية .

يقول : لقد اهتدى الحكيم ، واستيقن الحازم ، ولبث الجاهل الأحق غرًّا

يتوكف الأخبار ، وينتسم الأنباء . ولقد جاءه النبأ ، وقرع أذنه الخبر الحق ،
لو يسمع أو يعقل .

- ٤ (طِعَانٌ كُلٌّ حِينَ أَوْ ضِرَابٌ يَمُوتُ بِهِ طَعِينٌ أَوْ ضَرِيبٌ)
٥ (وَأَرْضٌ لَا تُحْسُ بِمَنْ عَلَيْهَا وَلَا يَبْقَى بِهَا مِنْهُمْ عَرِيبٌ)
٦ (وَأَشْبَاحٌ يُخَالِطُهُنَّ غَدْرٌ فَأَيْرُوعَى الْأَكِيلُ وَلَا الشَّرِيبُ)

الطعان : بالرمح ؛ والضراب : بالسيوف ، بُنيتان للمشاركة . وقد أرادها
للحروب الدائرة . والطعين : المطعون بالرمح . والضريب : المضروب بالسيف .
يشير إلى اختلاف أسباب المنايا والضحايا .

و « لا تحس » يشير إلى هوان الإنسان على الأرض وأنه ليس شيئاً مذكوراً ،
فأم تمضى وأخرى تجيء ، وما الأرض بباكية من ذهب ، ولا آنسة بمن حل .
و « عريب » : أحد . ومثله : مُعرب ، الذكر والأنثى فيه سواء ، ولا يقال في غير
النفى . وكلام أبي العلاء يحتمل الإشارة إلى اليوم الآخر ، أو هو من الإغراق في
وصف الهلاك .

والأشباح : جمع شبح ، وهو ما بدالك شخصه من الناس وغيرهم من الخلق .
وقيل : أسماء الأشباح : ما أدركته الرؤية والحس . ويقال : هلك أشباح ماله ،
إذا هلك ما يعرف من إبله وغنمه وسائر مواشيه .

و « يخالطهن غدر » أى إن القدر لا ينفصل عنها ، فهو لها ممزج لا تفيق منه إلى
رُشد ، ولا ترعوى إلى صواب .

والأكيل : الذى يأكل معك . والأنثى : أكلة . وقال الأزهرى : يقال :
فلانة أكيلي ، للمرأة التى تؤاكلك . والشريب : الذى يصاحبك فى الشرب . وفى

الحديث : « فلان يمنعه في ذلك أن يكون أكيّله وشريبه » .

يقول : نعم لقد نبأ بجلية الأمر ما يرى في الحياة من سر و إثم ، وما يشهد فيها من غيّ و بغيّ ، وطعان و ضراب ، يمضيان بطعين و ضريب ؛ و غدر و خداع ، يذهبان بما بين الصديقين من حرمة ، و يخفزان ما بينهما من ذمة . و أرض لا تعقل ولا تحس ، ولا يخلد عليها شيء . فلست أدري بما يكون الاغترار ، و إلام يصح الاطمئنان ، إذا كان كل شيء إلى زوال ! أما إنا لو حققنا النظر لأخلق بأن نياس ، منا بأن نرجو .

اللزومية الواحدة والستون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع التّون وياء الرّدف :

- ١ (إِذَا هَبَّتْ جَنُوبٌ أَوْ شَمَالٌ فَأَنْتَ لِكُلِّ مُقْتَادٍ جَنِيبٌ)
 ٢ (رُوَيْدُكَ إِنْ ثَلَاثُونَ اسْتَقَلَّتْ وَلَمْ يَنْبِ الْفَتَى فَتَى يُنِيبٌ)

الجَنُوب من الرِّياح : حارّة ، وهى تهبّ فى كل وقت . ومههبا ما بين مهبيّ الصّبا والدّبور ممّا يلى مطلع سهيل . وقال الجَوْهرىّ : هى التى تُقابل الشمال ، والجمع : أَجْنُب . والشّمال : الرّيح التى تهب من ناحية القطب . وفيها لغات : شمّل ، بالتسكين ، وبالتحريك ، وشمال ؛ وشمال ، مهموز ؛ وشأمل ، مقلوب . وربما جاء بتشديد اللام .

ومُقْتاد ، من القَوْد ، وهو نقيض السّوق . فالقود ، من أمام ؛ والسّوق ، من خَلْف . والجَنِيب : الفرس يُقاد إلى جَنِب ، ومثله : الجنُوب .

و «رُوَيْد» ، بمعنى «أرود» أى أمهل وتأنّ وأرْفُق . إذا أردتَ بها الوعيد نَصَبْتها بلا تنوين . وإذا أردت المَهلة والإرواد فى الشىء فانصب ونوّن . وقد مرّ شىء عنها^(١) .

وأستقلّت : ذَهبتْ وأُنجلتْ . وأَناب ، وناب : بمعنى ؛ يُقال : ناب فلان إلى الله تعالى ، وَأَناب إليه : أَقبل وتاب ورَجع إلى الطاعة . وقيل : ناب : لَزِم الطاعة . وَأَناب : تاب ورَجع .

(١) انظر شرح البيت الأول من اللزومية ١٧ ص ١٣٩ من هذا الجزء .

يقول : أراك لا تسمع داعياً لشهوة ، ولا مُنادياً للذة ، ولا حاثاً على غشٍّ ،
 ولا باعثاً إلى فُجور ، إلاّ لبَيْتِه وأستجبت له ؛ مجتهداً لا تَأَلُو ، وغالياً لا تَنْتَنِي .
 وقد كُنْتَ حريّاً أن تقصر من لذّتك ، وتُنِيبَ إلى ربّك ، حين أنصرت
 عنك سنّ الفتوّة ، وأدر كُنْتَ سنّ الرجولة ، فإنك إن لم تُصَاح من نفسك في
 هذه السنّ ، كنتَ خليقاً ألاّ تجد للإصلاح وقتاً ، ولا إلى الهدى سبيلاً .

اللزومية الثانية والستون

وقال أيضاً في الباء المضمومة ، مع الصاد وياء الردف :

١ (لِسَانِكَ عَقْرَبٌ فَإِذَا أَصَابَتْ سِوَاكَ فَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ تُصِيبُ)

العقرب : واحدة العقارب ، من الهوام ، يكون للذكر والأنثى بلفظ واحد .
والغالب عليه التأنيث . وقد يقال للأنثى : عَقْرَبَةٌ وَعَقْرَبَاءٌ ، ممدود غير مصروف .
والعُقْرَبَانُ وَالْعُقْرَبَانُ ؛ الذَّكَرُ مِنْهَا ، بتشديد الباء في الثانية . قال ابن جني :
ولك فيه أمران : إن شئتَ قلتَ : إنه لا أعتد بالالف والنون فيه ، فيبقى حينئذ
كأنه عُقْرَبٌ ، بمنزلة طُرْطُبٌ . وإن شئتَ ذهبت مذهباً أصنع من هذا ، وذلك
أنه قد جرت الألف والنون من حيث ذكرنا في كثيرٍ من كلامهم مجرّي ما ليس
موجوداً ، على ما بيّنا . وإذا كان كذلك كانت الباء لذلك كأنها حرف إعراب ،
وحرف الإعراب قد يلحقه التثقيب في الوقف ، نحو : هذا خالدٌ ، وهو يجعل .
ثم إنه قد يطلق ويُقرّ بتثقيله عليه . نحو : الأضحماً ، وعيَّهَل . فكان « عُقْرَبَانًا »
لذلك « عُقْرَبٌ » ثم لحقها التثقيب ، لتصور معنى الوقف عليها عند اعتقاد حذف
الألف والنون من بعدها ، فصارت كأنها « عُقْرَبٌ » ثم لحقت الألف والنون ،
فبقى على تثقيله ، كما بقي « الأضحماً » عند انطلاقه على تثقيله ، إذا أجرى الوصل
مجرى الوقف ، فقليل : عقربان .

يقول : أمسك عليك لسانك ، لا تطلقه بالعيب ، ولا ترسله بالذنب ؛ فإنما
هو عقرب إن أرسلتها على الناس أصابتك قبل أن تصيهم ، وجنت عليك قبل
أن تجني عليهم .

٢ (أَثِمْتَ بِمَا جَنَّتَهُ فَفَنَ شَكَاهَا وَفَى لَكَ مِنْ شَكَيْتِهِ نَصِيبٌ)
 ٣ (أَتَى الرَّجُلَيْنِ عَنْهَا الشَّرُّ مَثْنَى كَلَا يَوْمَيْكَا شَرٌّ عَصِيبٌ)

أَثِمَ فلان ، من باب عَم . وقع في الإثم ، إِثْمًا وَمَأْتَمًا . وَأَثَمَهُ اللهُ يَأْتِمُهُ ، من بابى نصر وضرَب : عَدَّ عليه الإثم وعاقبه به وجازاه جزاءه . والمعْراد هنا الأول . وَجَنَّتَهُ : جَرَّتَهُ من إثم وجُرم . يُرِيدُ العَقْرَبُ ، التى أقامها مُقام اللسان . و « شكاها » : أخبر عنها بسوءِ فعلها . والشاكي حين يشكوها يَصْمُهَا بالأذى ، وصاحبها بالإثم . والشكِيَّة : المصدر ، ومثله الشَّكوى ، والشُّكَاية ، والشُّكَاة . والأسم : الشكوى .

وقد يكون « شكى » هنا بمعنى « أشتكى » أى أَلِمَ بما أصابه منها كما يَألم المريضُ من المرض . ومن أَلِمَ تحرك للأذى .

و « وفى » : تم وكل . وإذا تَمَّ الشئ أحصد وأدَّى ؛ وكذلك أتضح وبان . والمعنى الأول مع المعنى الأول فى « شكاها » . يريد : كأن الشاكي يكيل لك بالكيل الذى كَلَّتْ له به ، ويفيك جزاءك من الإساءة . والثانى من الثانى : أى كأن الشاكين حين يشكون يكشفون منها عن كُلوْمِ بالغة تثير الحنق بك ، والمغضبة عليك ، وتهيج الشر بينكم .

و « الرجلان » : الشاكي والمشكو . و « عن » هنا ، تُفِيدُ التَّعْيِيلَ . أى بسببها . ومَثْنَى : مَعْدُول من « اثنتين » وقد مر^(١) . يُشِيرُ إلى ما ينال المتخاصمين ، المُبْدَى منهما والمُعِيد .

وشَرٌّ : غليظ عاتٍ . وعَصِيبٌ : شديد . وكأنه أراد بـ « اليومين » : يوم أن تنال من غيرك ، ويوم أن ينال منك غيرك .

(١) انظر شرح البيت ١٢ من اللزومية ٣٥ ص ٢٣٥ من هذا الجزء .

يقول : إِنَّكَ لَتَنَال الرَّجُلَ بِالمَقَالَةِ السَّيِّئَةِ فَتَأْتُم بِهَا فِي نَفْسِكَ ، ثُمَّ لَا تَأْمَنُ
بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُصِيبَكَ مِنْهَا شَرٌّ يَتَقَدَّمُ بِهِ إِلَيْكَ غَيْرُكَ ، سِوَاءَ أَنْ كَانَ أَقْلًا مِنْ
ذَنْبِكَ أَوْ أَرْبَى مِنْهُ .

فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ كَلِيكًا ، مِنْ شَاتِمٍ وَمَشْتُمٍ ، وَمَنْ ذَامٍّ وَمَذْمُومٍ ، قَدْ أَصَابَهُ
الشَّرُّ وَنَالَ المَكْرُوهَ . فَمَا أَحْرَاكَ أَنْ تَتَّقَى شَيْئًا يَسْلُكُ بِكَ مِثْلَ هَذِهِ السَّبِيلِ !

اللزومية الثالثة والستون

وقال أيضاً في الباء المضمومة، مع الصاد وياء الردف :

١ (تَنَادَوْا ظَاعِنِينَ غَدَاةَ قَالُوا أَصَابَ الْأَرْضَ مِنْ مَطَرٍ مُصِيبٌ)

٢ (لَعَلَّ شَوَائِمًا رَمَقَتْ وَمِيضًا تَبِيدُ وَمَا لَهَا فِيهِ نَصِيبٌ)

تَنَادَوْا : نادى بعضهم بعضاً ، وأجتمعا . ومنه قولُ المُرْقَش :

لَا يُبْعَدُ اللَّهُ التَّلْبَبَ وَالْغَارَاتِ إِذْ قَالَ الْحَمِيسُ نَعْمُ

وَالْعَدْوُ بَيْنَ الْجَلِيسِينَ إِذَا آدَ الْعَشِيُّ وَتَنَادَى الْعَمُّ

وتجالسوا في النادى . وبكل يتتجه المعنى ؛ إذ المراد اجتماعهم للرأى والأهبة .

وَالظَّاعِنُ : الدَّاهِبُ السَّارَى . وَالْفِعْلُ مِنْهُ . ظَعَنَ يَظَعُنُ ظَعْنًا وَظَعْنًا .

وقيل : الظعن : سَيْرُ الْبَادِيَةِ لِنُجْعَةِ أَوْ حُضُورِ مَاءٍ أَوْ طَلَبِ مَرْبَعٍ ، أَوْ تَحْوِيلِ مِنْ

مَاءٍ إِلَى مَاءٍ ، أَوْ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ . هَذَا أَصْلُهُ . وَقَدْ يُقَالُ لِكُلِّ شَاخِصٍ لِسَفَرٍ فِي

حَجٍّ أَوْ غَزْوٍ أَوْ مَسِيرٍ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى أُخْرَى . وَمُرَادُ أَبِي الْعَلَاءِ عَلَى الْمَعْنَى الْأَصْلِي .

وَأَصَابَ الْأَرْضَ : صَابَهَا بِصَوْبٍ ، أَيْ جَادَهَا بِمَطَرٍ . وَاسْمُ الْفَاعِلِ مِنْ

« أَصَابَ » ، مُصِيبٌ ، وَمِنْ « صَابَ » : صَائِبٌ . وَالْمَسْمُوعُ : صَيْبٌ .

وَمِنْ « مَطَرَ » بَيَانٌ ، يُخَصِّصُ مَا فِي « يُصِيبُ » مِنْ عُمُومٍ .

وَالشَّوَائِمُ : جَمْعُ شَائِمٍ ، وَهُوَ النَّاطِرُ إِلَى السَّحَابِ وَالْبَرْقِ أَيْنَ يَقْصِدُ وَأَيْنَ

يُمِطِرُ . وَالرَّمَقُ : نَظْرُكَ إِلَى الشَّيْءِ تُتْبِعُهُ بَصْرُكَ وَتَتَعَدُّهُ ، الْفِعْلُ مِنْهُ مِنْ

بَابِ نَصَرَ .

وَالْوَمِيزُ : لَمَعَانُ الْبَرْقِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : « إِنَّهُ سَأَلَ عَنِ الْبَرْقِ فَقَالَ : أَخَفَوْا

أَمْ وَمِيضًا » . وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : الْوَمِيزُ : الْبَرْقُ إِيمَاضَةٌ ضَعِيفَةٌ ثُمَّ

يخفى ، ثم يومض ، وليس في هذا بأس من مطر قد يكون وقد لا يكون .
و « تبيد » : تفنى وتهلك .

يقول : جدوا فيما أنتم بسبيله من حرص على الآمال ، أو شره إلى تحقيق
الأطماع وتهالك على حطام الدنيا ؛ فما أرى إلا أن آمالكم هذه لكم مهلكة ،
وعليكم قاضية ، ما تثق لكم بالثَّجَّح ، وربما وثقت لكم بالقنوط .

إنما أنتم رؤاد غيث ، ومُنتجعو مرعى ، قد شتمم البرق فرجيتُموه ،
وأملتم المطر فتدبعتم مواقعه . وربما أعياكم السحاب فلم تدر كوه . وربما أخطاكم
الظن فكان برقكم خلباً ، وسحابكم جهاماً .

اظفروا بما شتمت من آمالكم ، وحصلوا ما أحببتُم من أمانيتكم . فما أخاف
عليكم شيئاً ، كما أخاف عليكم هذه الآمال والأمانى .

٣ (وقد تنجوا النفوس بأرضٍ جذبٍ ويهلك أهلك أهلك المعنى الخصب)

الجذب : المجل ، نقيض الخصب . تقول : أرضٌ جذبٌ ، على الوصف ؛
وأرضٌ جذبٌ ، على الإضافة . ولك مع الوصف أن تقول : أرضٌ جذبَةٌ ،
وجُدوب ؛ كأنهم جعلوا الأرض أجزاء ، فتخرج عن صورة الواحد .
و « المعنى » أى المكان الكافى بما فيه . والخصب : الكثير العشب فى سعة
عيش ولين .

يقول : الأرب بلدٌ مجذب قاحل قد سعد أهله بجذبه وقحولته ، لم يُصيهم
أذى ولم يمسسهم ضرٌّ . وربّ وادٍ خصب نضر ، قد كان خصبه على أهله
وبآلا ، وكانت نُضرته لهم مَورِدَ هلكة وشرعة فناء .

اللزومية الرابعة والستون

وقال أيضاً في الباء المضمومة ، مع الغين وياء الرّدْف :

١ (رَغِبْنَا فِي الْحَيَاةِ لِفِرْطِ جَهْلٍ . وَقَقَدُ حَيَاتِنَا حَظًّا رَغِيبٌ)

رغب في الشيء : أَرَادَهُ ، رَغْبًا ورَغْبَةً ، ورُغْبِي ، ورُغْبًا . وعن الشيء : كرهه وزهد فيه ، واللام في «لفرط» للتعليل ، أى من أجل فرط جهل . والفرط: الغلبة ومجاورة الحد وفرط جهل ، أى جهل غالب قد جاوز الحد . والرغيب : الواسع ، ومنه : واد رغيب ، أى ضخم واسع كثير الأخذ للماء .

يقول : نَزَعَبُ فِي الْحَيَاةِ وَنَحْرُصُ عَلَيْهَا ، وَإِنَّ الْمَوْتَ لَأَحَقُّ أَنْ نَزْعَبُ فِيهِ وَنَحْرُصُ عَلَيْهِ .

٢ (شَكَأَ خُزْزٌ حَوَادِثَهَا وَلَيْثٌ فَمَارِحِمَ الزَّيْبِ وَالضَّغِيبُ)

٣ (شَهَدْتُ فَلَمْ أَشَاهِدْ غَيْرَ نُكْرٍ وَغَيْبِي الْمُنَى فَمَتَى أَغِيبُ)

الخُزْزُ : ولد الأرنب ؛ وقيل : هو الذكر من الأرنب ؛ والجمع أُخْزَزَةٌ ، وخِرْزَانٌ . وزَيْبٌ اللَّيْثُ : صِيَاخُهُ وَغَضَبُهُ ؛ وقيل : صَوْتُهُ فِي صَدْرِهِ . وَالضَّغِيبُ : صوت الأرنب ، والذئب أيضاً . والمراد الأول . وقيل : هو تَضَوُّرُ الأرنب عند أخذها . وقد أَسْتَعَارَهُ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ لِلْبَيْنِ فَقَالَ :

كَأَنَّ ضَغِيبَ الْمَحْضِ فِي حَاوِيَايِهِ مَعَ التَّمْرِ أَحْيَانًا ضَغِيبَ الأَرْنَبِ

وشهدت : حضرت ، ويعنى بحضوره ، وجوده في الحياة . والمشاهدة : المعاينة .

والنُّكْرُ : بِالضَّمِّ ، كَالنُّكْرَاءِ : الْمُنْكَرِ . وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ : (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا نُكْرًا) .

وقد يجرّك ، مثل : عُسر ، وعُسُر . ومنه قولُ الأسود بن يَغْفِرُ :

أَتَوْنِي فَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّتُوا وَكَانُوا أَتَوْنِي بِشَيْءٍ نُسَكُرُ

والمنى ، بالفتح : القدر . وبالضم والكسر : جمع مُنية ، ومِنِيّة ، بالضم والكسر أيضاً : بمعنى الأمانة . فعلى الأول ، فالمعنى : أن القدر قد قضى عليه بأن يوجد فى هذا الوجود ذى النُّسكر . وجعل الوجود فيه تَغْيِيباً ، لأنه حَبَسَ للأرواح ، أولأن الأحياء فيه مغمورون بشُروه وآثامه ، وهذا وذاك طالما يُشير إليهما أبو العلاء .

وعلى الثانى ، فالمعنى أن الأمانى غشّت على الأفئدة والألباب ، وضربت عليها الحجاب . و « أغيب » أى تَضَمَّنِي غِيَابَةُ الأَرْضِ وَتَنْطَوِي عَلَى ، يريد الموت . وكلُّ ما غاب فقد تَبَطَّنَ وأخْتَفَى .

يقول : إنما الحياة شر قد آذى القوى والضعيف . وأصاب العزيز والذليل ؛ فَضَعَبَ الأرنبُ بِشَكَاتِهِ ، وزَارَ الأسدُ بِتَأَلَّمِهِ ، فما أغنى عن الأولِ ضَعِيفٌ ، ولا دَفَعَ عن الثانى زَيْرٌ . نُكْرُ لا يُخَلِّصُنَا مِنْهُ إِلا الْمَوْتُ ، فهل لنا إليه من سبيل ؟

الزومية الخامسة والستون

وقال أيضاً في الباء المضمومة ، مع الياء وواو الرّدْف :

- ١ (عُيُوبِي إِنْ سَأَلْتَ بِهَا كَثِيرٌ وَأَيُّ النَّاسِ لَيْسَ لَهُ عُيُوبٌ)
 ٢ (وَلِلْإِنْسَانِ ظَاهِرٌ مَا يَرَاهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا تُخْفِي الْعُيُوبُ)

كثير ، للمذكر والمؤنث . وقد يقال في التأنيث : كثيرة . وعن يونس : رجال كثير ، ونساء كثير ، ورجال كثيرة ، ونساء كثيرة ؛ سوى بينهما . والغُيوب . جمع غَيْب ، وهو كل ما غاب عنك .

يقول : لا تُحدِّثْكَ نَفْسُكَ أَنْ تَرَى فِي النَّاسِ بَرِيئًا مِنْ عَيْبٍ ، أَوْ مُنْزَهًا مِنْ مَعْرَةٍ ؛ فَإِنَّ الْخَطَأَ وَالْخَطْلَ ، مِنْ طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ وَفِطْرَتِهِ . وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْمَلَكَ عَلَى اسْتِقْرَاءِ عُيُوبِ النَّاسِ وَاسْتِقْصَاءِ سَيِّئَاتِهِمْ ، فَرَبَّمَا كَلَّفَكَ الْاسْتِقْرَاءَ وَالْاسْتِقْصَاءَ مَا يَضُرُّكَ وَلَا يَنْفَعُكَ ، وَيُوْذِيكَ وَلَا يُرْضِيكَ . إِنَّمَا لَكَ مِنَ النَّاسِ ظَاهِرُ أُمُورِهِمْ ، وَجَلِيٌّ أَعْمَالِهِمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ بَاطِنِهِمْ ، وَخَفِيٌّ غَيْبِهِمْ .

- ٣ (يَجْرُونَ الذُّيُولَ عَلَى الْمَخَازِي وَقَدْ مَلِئَتْ مِنَ الْغَشِّ الْجُيُوبُ)

الذيول : جمع ذيل ، وهو من الرّداء ما أسبل فأصاب الأرض . وجَرَّ الذيول : كناية عن التَّبَخُّرِ والعُجْبِ . والمَخَازِي : ما لا يُسْتَحْسَنُ مما يُسْتَحْي منه ويُعَاب . والجُيُوبُ : جمع جَيْبٍ ، للقميص والدَّرْعِ ، وَيُطْلَقُ مَجَازًا عَلَى الْقَلْبِ والصدر ، وهو المراد هنا . فتقول : فلان ناصح الجَيْبِ ؛ وأنت تعنى قلبه

وصدزه ، أى أمين ، وكما يقال فى الأمانة يقال فى ضِدِّها ، ومنه قولُ
أبى العلاء هنا .

يقول : إنهم ليُظهرون التقى والذسك ، والفضيلة والبرّ ، وإن ذلك ليملؤهم كبراً
وتبهاً ، فيجرون الأذيال ، بالصِّلف والخال ؛ وإنما يجرونها على الخزى ،
ويُسدِّلونها على الغى ؛ وإن قلوبهم بالشر كمُفعمة ، وإن نفوسهم من النُّكر
لمُمثلة .

٤ (وَكَيْفَ يَصُولُ فِي الْأَيَّامِ لَيْتَ إِذَا وَهَتِ الْمَخَالِبُ وَالنُّيُوبُ)

الصَّوْلُ : السَّطْوُ والتَّطَاوُلُ . وفى الأيَّامِ ، أى مع الأيَّامِ . ووهت : ضَعُفَتْ .
والنُّيُوبُ ، جمع ناب : السنُّ التى خَلْفَ الرُّبَاعِيَّةِ . ويُجمع أيضاً على : أنياب
وأنايب ؛ الثانية عن سيبويه ، جمع الجمع ، كأبيات وأبايت .

يقول : ولكنى أنصح لك ألا تُحاول لهم إصلاحاً ، ولا تُكَلِّمهم لذلك
تغيباً ؛ فهاهم بمُجيبك إلى ما تُريد ، ولا أنت بقاهرهم عليه . وأنى يكون لك
الأمر والنهى ، أو البأس والبُطْشُ ، وقد أخطأتك القوَّة والسَّطْوَةُ ، وحُرمتَ
النُّفُوذَ والسُّلْطَانَ !

اللزومية السادسة والستون

وقال أيضاً في الباء المضمومة ، مع الراء وألف التأسيس :

١ (لَدَاتِنَا إِبِلُ الزَّمَانِ يِنَالِهَا مِنِنَّا أَخُو الْفَتَكِ الَّذِي هُوَ خَارِبٌ)

الإبل ، بكسرتين ، وتسكن الباء للتخفيف ، لا واحد له من لفظه . قال الجوهري : وهي مؤنثة ، لأن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها ، إذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم ، وإذا صغرتها دخلتها التاء ، فقلت : أُبَيْلَة .

وحكى سيبويه : إبلان . وقال أبو الحسن : إنما ذهب سيبويه إلى الإيناس بثنية الأسماء الدالة على الجمع ، فهو يُوجَّهها إلى لفظ الآحاد ، يريد قطيعين .

وأقل ما يقع عليه اسم الإبل : الصرمة ، وهي التي جاوزت الذود — من الثلاث إلى خمس عشرة ، وقيل : إلى عشرين — إلى الثلاثين .

وقال الأزهرى : ويجمع « الإبل » على آبال .

وجعل اللدات « إبالاً » بجامع القطع في كل ، فكما تقطع الإبل الأقطار ، تقطع تلك الأعمار . كما يصح أن يكون الجامع الرغبة في كل . فأشهى شيء إلى البدوى ناقةً يفتنيتها ، واللذة مرغوب فيها .

والفتك : رُكوب ما هم من الأمور ودعت إليه النفس . وقيل : الفتك : أن يأتي الرجل صاحبه وهو غارغافل حتى يشد عليه فيقتله . ومثل « الفتك » : الفِتْكَ ، والفتك ، والفتوك . والفعل من بابي : ضرب ، ونصر .

والخارب : اللص ؛ وقيل : هو سارق الإبل خاصة ثم نقل إلى غيرها آساعاً . والفعل منه : خَرَبَ يَخْرُبُ ، يُقال : خَرَبَ فلان بإبل فلان خرابه ، إذا سرقها ، يتعدى بالباء . وحكى اللحياني : خَرَبَ فلان ، أى صار لصاً .

جعل اغتصاب اللذات كالخِرابَةِ مما لا يَحِلُّ ولا يُقَدِّمُ عليه إلا الفاتكُ
الغادر، وأن العُقْبِي مع كُلِّ الخُسْرانِ والتَّبَارِ .

يقول : ما أرى أنا تنوفى لذاتنا من الأيام إلا مختلسين لها كما يختلس اللص
السارق المتاع من صاحبه ، وما أرى أن لنا من هذه اللذات خيراً محققاً ، أو نفعاً
متوهماً ، وإنما هو الشر الذي لا شك فيه .

٢ (وَأَرَمِي عَنَاءً قَيْدَ يَعْنِي الْمَرْءَ مِنْ بِنْتِ الْعَنَاقِيدِ الَّذِي هُوَ شَارِبٌ)
٣ (وَالسَيِّدِ الْأَقْوَامِ عِنْدَ حِجَابِهِ طَبَعٌ يُقَاتِلُهُ الْحِجْبِيُّ وَيُحَارِبُ)

العناء : التعب والنَّصَب . وَعَنَى فلان يَعْنِي ، وَتَعْنَى : تعبٍ وَنَصَبٍ .
وَعْنَيْتُهُ أَنَا ، وَتَعْنَيْتُهُ أَيضاً . وَتَعْنَى هُوَ الْعِنَاءُ : تَجَسَّمَهُ .

وقيد : من « القود » الذي هو ضدَّ السَّوْقِ ، وَقَدَمَرٌ (١) . وفي استعمال
« القود » هنا إشارةٌ إلى أن المرءَ يَجْرُ هذا إلى نفسه بفعله . وَيَعْنَى : يُعْطَى .
هذا أصله . وهو إما يريد ما يَعْمُ الْجِسْمَ من ضُرِّ ، فلا تَخْصِيصَ . أو يُريد لَعِبَ
الخر بالْعُقُولِ وَحَجَبَهَا فَكَأَنَّهُ أَطْلَقَ « المرء » وأراد مكانَ الْعَقْلِ منه .

والعناقيد : من النَّخْلِ وَالْعِنَبِ وَنَحْوِهَا . الْوَاحِدُ : عُنْقُودٌ ، وَعِنْقَادٌ . وَبِنْتُ
العناقيد : الْخَمْرُ ، لِأَنَّهَا عُصَارَةٌ مَا تَحْمَلُ . وَلَا يَخْفَى مَا بَيْنَ « عِنَاءٍ قَيْدٍ »
وَ « عِنَايِدٍ » مِنْ صَنْعَةِ الْجِنَاسِ .

وفي استخدامه « الذي » مُلْتَفِتاً إِلَى « الْعِنَاءِ » دُونَ « بِنْتِ الْعَنَاقِيدِ »
نُكْتَةً مَجَازِيَةً ، وَالْعِلَاقَةُ الْمُسَبِّبَةُ .

والسيد : يُطْلَقُ عَلَى الْمَالِكِ ، وَالشَّرِيفِ ، وَالْفَاضِلِ ، وَالكَرِيمِ ، وَالْحَلِيمِ ، وَمَحْتَمَلٌ أَدْنَى

(١) انظر شرح البيت الثاني من اللزومية ٦ ص ٣٤٠ من هذا الجزء .

قومه ، والرئيس ، والمقدم ، ويريد به هنا : المالك أمر قومه المقدم عليهم . وأصله من : ساد يسود ، فهو مَسِيود . فقلبت الواو ياء ، لأجل الياء الساكنة قبلها ، ثم أُذغمت .

و « عند » كما تكون اسماً لمكان الحضور ، فإنها تأتي أيضاً لزمانه .

والحِجَاب : اسم ما احتُجِب به ، وكلُّ ما حال بين شيئين فهو حجاب .

والحِجَا ، مقصور : العَقْل والفِطْنَة ، لأنه يمنع الإنسان من الفساد ويحفظه من التعرض للهلاك . والجمع : أحجاء .

يقول : دونك الخمر التي تشربها صارفاً بها عن نفسك الحزن والغم ، أليست تجلبهما عليك بعد حين ! دونك لذة العزة والسطة التي يتمتع بها السادة المحجّبون ، أليست مصدر الشقاء والنقمة ، وسبيل الأذى والمكروه !

٤ (وَالشَّرُّ فِي الْجَدِّ الْقَدِيمِ غَرِيْزَةٌ فَبِكُلِّ نَفْسٍ مِنْهُ عِرْقٌ ضَارِبٌ)

لعله يُشير « بالجد القديم » إلى ما كان بين ولدي آدم : هابيل وقايل ، حين قتل أحدهما الآخر . وقد يكون أراد ما رُكِب في طبيعة الإنسان من شر ، وهذا بعجز البيت أوفق .

والعِرْقُ : الأصل . والجمع أعراق وعُرُوق . والضارب : الناشب الذي قد تمسك وأوغل .

يقول : لا أحد الإنسان فإنه شرير ، ولا ألومه فإنه قد ورث الشر عن أبيه ، وأخذه عن جده القديم .

اللزومية السابعة والستون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع السين :

١ (عَلِمَ الْإِمَامُ - وَلَا أَقُولُ بِظَنِّهِ -
أَنَّ الدُّعَاةَ بِسَعِيهَا تَتَكَسَّبُ)

الإمامُ ، عند المتكلمين : هو خليفة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إقامة الدين ، ويجب على كافة الأمة أتباعه .

وعند المحدثين : المحدث والشيخ .

وعند القراء والمفسرين وغيرهم : كلُّ مُصْحَفٍ مِنَ الْمَصَاحِفِ الَّتِي نَسَخَهَا الصَّحَابَةُ بِأَمْرِ عُمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَأُرْسِلَتْ إِلَى الْأَمْصَارِ .

والمُرَادُ مِنْ بَيْنَ هَذِهِ كُلِّهَا الْأَوَّلُ . وَلَعَلَّهُ يُشِيرُ إِلَى مَا كَانَ مِنْ اخْتِلَافِ الْأُمَّةِ بَعْدَ وِفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْإِمَامَةِ ، وَمَا أَعْقَبَ ذَلِكَ مِنْ انْقِسَامِ ، وَمَا كَانَ مِنْ قَوْلِ الْبَعْضِ بِإِمَامَةِ عَلِيٍّ وَحَصْرُهَا فِي عَقِبِهِ . ثُمَّ ظَهَرَ طَوَائِفُ الْإِمَامِيَّةِ ؛ كَالزَيْدِيَّةِ ، الَّتِي قَالَتْ بِإِمَامَةِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ ؛ وَالْكَيْسَانِيَّةِ ، الَّتِي قَالَتْ بِإِمَامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ ؛ وَالْبَاقِرِيَّةِ ، الَّتِي قَالَتْ بِإِمَامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، الْمَعْرُوفِ بِالْبَاقِرِ ؛ وَالنَّائِوَسِيَّةِ ، الَّتِي قَالَتْ بِإِمَامَةِ جَعْفَرِ الصَّادِقِ ؛ وَالشَّمِيطِيَّةِ ، الَّتِي قَالَتْ بِإِمَامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ ؛ وَالْإِسْمَاعِيلِيَّةِ ، الَّتِي تَنْتَظِرُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ جَعْفَرِ ، وَالْمُوسَوِيَّةِ الَّتِي سَاقَتِ الْإِمَامَةَ بَعْدَ جَعْفَرٍ إِلَى ابْنِهِ مُوسَى ، وَالْمُبَارِكِيَّةِ ، الَّتِي سَاقَتِ الْإِمَامَةَ إِلَى أَوْلَادِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ جَعْفَرِ .

وقد أدعوا لبعض أئمتهم الحياة بعد الموت . ومنهم من يعيشون في أنتظارهم .

وأدَّعوا لبعضهم أنه المهدي المنتظر . وإلى ذلك يُشير قولُ كثيرٍ :
 الأَ إنَّ الأئمَّةَ من قُرَيشٍ وِلَاةُ الحَقِّ أربعةٌ سِوَاهُ
 عَلِيٌّ وَالثَّلَاثَةُ من بَنِيهِ هُمُ الأَسْبَاطُ لَيسَ بِهِم خَفَاءُ
 فَسَبَطُ سَبَطِ إِيمَانٍ وَبِرٍّ وَسَبَطُ غَيْبَتِهِ كَرَّ بِلَاءُ
 وَسَبَطُ لا يَذُوقُ المَوتَ حَتَّى يَقُودَ الخَيلَ يَقدُمُهَا اللُّوَاءُ
 تَغِيَّبَ لا يَرى فِيهِم زَمَانًا بَرَضوى عِنده عَسَلٌ وَمَاءُ
 وقد سَبَقَ بعضُ هذا (١) .

والظنُّ : شَكٌّ ، وَيَقِينُ ، إلاَّ أَنه لَيسَ يَيقِنُ عَيَانًا ، إِنما هُوَ يَيقِنُ تَدَبُّرًا .
 فَأَمَّا يَيقِنُ العَيَانَ ، فلا يُقالُ فِيهِ إلاَّ « عَلمٌ » . والعِبارَةُ « ولا أَقولُ بظَنِّهِ »
 إطنابٌ للتوكيدِ ودفعُ الإيهامِ .

والدُّعَاةُ : مَنْ يَدْعُونَ إلى هُدًى أو ضَلالةٍ ، الواحدُ : دَاعٍ . وهم ، مع
 ما ذهبنا إليه ، تلكَ الفرقُ الإماميةُ .

وتتكَسَّبُ : تتكَلَّفُ الكَسْبَ وتَنالُهُ من غيرِ وَجْهِهِ .

وقد يكونُ المرادُ بلفظِ « الإمام » عَومُهُ . وكأَنه يُشيرُ إلى ما يحاطُ بِهِ الأئمَّةُ
 من زُورٍ يُدعى بِهِ لَهُم ، وبُهتانٍ يَمكِنُ بِهِ لسلطانِهِم .

يقولُ : ما رأيتُ كالنَّاسِ يَعلمُ بعضُهُم منَ بعضِ السَّوءِ فيَفضُّونَ عَنهُ
 وَيُفضُّونَ عَلَيهِ ، التماسًا لمَنافعِهِم ، واحتفاظًا بمصالحِهِم . فقد عَلمَ الأئمَّةُ غيرَ
 شاكِّينَ ، وأستيقنوا غيرَ ظانِّينَ ، أن دُعائِهِم الذينَ يَدْعُونَ إِلَيْهِم ، ويرغَبونَ
 فِيهِم ، لا يَنشُرُونَ طَريقَتَهُم مُخلصينَ ، ولا يسعَوْنَ في ذلكَ سَعياً مصدرُهُ
 نَصِيحَةٌ أو دِينٌ ، وإِنما هُوَ كَسْبُ العيشِ وَتَحصيلُ اللذاتِ يَدفعُهُم إلى ذلكِ

(١) انظر شرح البيت الثالث من اللزومية ٢٤ ص ١٦٣ من هذا الجزء .

وغيرهم به ، من حيث يحتاج إليه الأئمة . فقامت بذلك منفعة الفريقين على الفسّ والخديعة ، وعلى المكر والنفاق ، وكل منهم راضٍ بها مُحبِّد لها .

٢ (هَذَا الْهَوَاءُ يَلُوحُ فِيهِ لِناظِرٍ
صُورٌ وَلَكِنْ عَنْ قَلِيلٍ تَرَسَّبُ)

٣ (وَالنَّاسُ جِنْسٌ مَا تَمَيَّزَ وَاحِدٌ
كُلُّ الْجُسُومِ إِلَى التُّرَابِ تَنَسَّبُ)

لعله يُشير بقوله « هذا الهواء . . إلخ » إلى زعم السَّبئية من الشيعة أن على بن أبي طالب حيٌّ لم يمِت ، وأنه يُرى في السَّحاب .

أو أنه جعل مقال هؤلاء وهؤلاء صوراً مُتوهِّمة لا حقيقة لها .

والرُّسُوب : الذهاب إلى أسفل . يريد أنها تَغيب وتُخفي ولا يَبقى لها أثر . وكأنه يُشير إلى مصير الحياة بزُخرفها إلى التراب .

وتَمَيَّز : أنفصل وأنفرد . وقد مرَّ شيء عنه ^(١) . وتَنَسَّب : أى تَنَسَّب ؛ والتَنَسَّب : ادعاء النَّسب . وفي المثل : القريب من تَقَرَّب لا من تَنَسَّب .

يقول : أجل ، إنهم لكذلك ، وما أراهم مُلِمين . فعلى هذه الصُّورة صاعَتهم الطَّبيعة ، وبهذه الصَّبغة صَبَّغتهم الحياة . وهل تَرى في الحياة إلا صُوراً تَبْدو للعَيْن جميلة جَدَّابة ، ثم لا يكون إلا مرُّ النهار وكرُّ الليل ، حتى يَظهر باطلها ، ويبدو فسادها ، ويعود كل شيء إلى أصله الذى تفرَّع منه .

(١) انظر شرح البيت الأول من الزومية الثامنة ص ٨٦ من هذا الجزء .

فسادُه بعد الكون ! وعدم بعد الوجود ! كذلك الإنسان ، ما أراه إلا مُشبهًا لما يُحيط به من الطائشات ، فهو يَقْضِي أَيَّامَهُ مُعْتَرِجًا بِحَيَاتِهِ ، مَفْتُونًا بِقُوَّتِهِ ، ثم لَا يَلْبَثُ أَنْ يَعُودَ إِلَى التُّرَابِ الَّذِي مِنْهُ خُلِقَ .

٤ (وَالْأَرْضُ بِأَطْنُفِهِ مَتَى مَا ذُقْتَهُ

شَرِيٌّ فَإِذَا — لَا أَبَالَكَ — تَلَسَّبُ)

الأرضى : ما تجتمع النحل من العسل في أجوافها ثم تلتفزه ، وهو أيضاً ما ألتزق من العسل في جوانب العسالة . ضربه مثلاً للذائد الحياة .

والشرمى : الحنظل ، وقيل : شجره ، وقيل : ورقة . وهو معروف بمرارته . ضربه مثلاً لما يعقب اللذة من أسى وضرر .

و « أبالك » : كلام جرى مجرى المثل . وذلك أنك إذا قلتَ هذا فإنك لا تنفي في الحقيقة أباه ، وإنما تُخرجه سَخْرَج الدُّعَاءِ عَلَيْهِ ، أى أنتَ عِنْدِي مَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُدْعَى عَلَيْهِ بِقَدْرِ أَبِيهِ . وأكثر ما يُذكر في المدح ، أى لا كافي لك غيرُ نفسك . وقد يُذكر في الذمِّ ، كما يُذكر في مَعْرِضِ التَّعَجُّبِ ، ودفعاً للعين ، كقولهم : لله دَرُكٌ . وقد يُذكر بمعنى : جدّ في أمرك وشمر له ؛ لأن من له أب اتكل عليه في بعض شأنه . وقد تُحذف اللام فيقال : لا أباك .

وتلسب : تلعق . فعله من باب « فرح » . يقال : لسب العسل والسمن ونحوهما ، يلسب لَسْبًا . وأما اللَّسْبُ الَّذِي هُوَ لَدْنِغِ الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ ، فبأبه : ضَرَبَ وَفَتَحَ .

يقول : ليس شيء من ذلك بعجيب ، وإنما العجيب أن يفهم الإنسان حياته

كما هي ، فسيعلم أن حلاوتها الظاهرة ، إنما تستبطن مرارة خميئة ، كالعسل ، إن حلا للدّوق فإنه لا يخلو من مرارةٍ يُحسُّها المُدقِّق المتدوّق . ثم هو بعد ذلك بالحياة مَعْرور وعليها حريص ، يخدعه ظاهرُ حلاوتها عن خفيّ مرارتها .

هـ (وَسَيُفْقِرُ الْمِصْرُ الْحَرِيحُ بِأَهْلِهِ وَيَعْصُ بِالْإِنْسِ الْفِضَاءُ السَّبَّابُ)

أَفْقَرَ الْمَكَانُ مِنَ الْكَلَاءِ وَالنَّاسِ : خَلَا . أَرْضٌ قَفْرٌ . وَأَرْضٌ قِفَارٌ . تُجْمَعُ عَلَى سَعْتِهَا لِتَوْهْمِ الْمَوَاضِعِ .

كلُّ مَوْضِعٍ عَلَى حِيَالِهِ قَفْرٌ . وَإِذَا سَمَّيْتَ أَرْضًا بِهَذَا الْاسْمِ أَنْتَتْ ، فَيُقَالُ : دَارُ قَفْرَةٍ ، وَمَنْزِلُ قَفْرٍ ، فَإِذَا أُفْرِدَتْ قَلْتِ : انْتَهَيْنَا إِلَى قَفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ .

وَالْمِصْرُ : وَاحِدُ الْأَمْصَارِ . وَهُوَ كُلُّ كَوْرَةٍ تُقَامُ فِيهَا الْحُدُودُ وَيُقَسَّمُ فِيهَا الْقَيْءُ وَالصَّدَقَاتُ ، مِنْ غَيْرِ مُؤَامَرَةِ لِلْخَلِيفَةِ .

وَحَرِيحٌ : ضَيِّقٌ . وَمِثْلُهُ : حَرِيحٌ وَحَرَجٌ . إِلَّا أَنَّ هَذِهِ الْأَخِيرَةَ تُفْرَدُ ، لِأَنَّهَا مَصْدَرٌ .

وَعَصَّ الْمَكَانُ بِأَهْلِهِ يَعْصُ : ضَاقَ وَأَمْتَلَأَ . وَالْإِنْسُ : الْبَشَرُ ، الْوَاحِدُ : إِنْسِيٌّ ، وَأَنْسِيٌّ ، بِالْتَحْرِيكِ . وَالسَّبَّابُ : الْقَفْرُ وَالْمَقَازَةُ . بَلَدٌ سَبَّابٌ ، وَبِلَادٌ سَبَّابٌ ، كَأَنَّهُمْ جَعَلُوا كُلَّ جِزءٍ مِنْهَا سَبَّابًا ، ثُمَّ جَعَلُوهُ عَلَى هَذَا . يُرِيدُ : حَيْثُ الْقُبُورُ .

يَقُولُ : أَلَا أَفَيْقُوا أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ هَذَا الْفُرُورِ ، فَإِنَّ مَا شَيَّدْتُمْ مِنْ قُصُورٍ ، وَمَا أَقْتُمُ مِنْ صُرُوحٍ ، وَمَا رَفَعْتُمْ مِنْ بُرُوجٍ ، وَمَا عَمَّرْتُمْ مِنْ أَمْصَارٍ ، كُلُّ ذَلِكَ سَيُصْبِحُ مِنْكُمْ خَلَاءً ، وَسَيُدْسَلُكُمْ إِلَى هَذِهِ الصَّحْرَاءِ الْمُقْفَرَةِ فَتَعْمُرُونَ بِهَا الْقَفْرَ ، وَتُؤَنِّسُونَ فِيهَا الْوَحْشَ ، وَتَمَلِّثُونَ مِنْهَا الْخِلَاءَ .

اللزومية الشامنة والستون

وقال أيضاً في الباء المضمومة ، مع الذال وياء الرّدف :

١ (سَمِيَ ابْنَهُ أَسَدًا وَلَيْسَ بِأَمِينٍ ذَيْبًا عَلَيْهِ إِذَا أَطَلَّ الذَّيْبُ)

أَطَلَّ : أشرف وأوفى بطله ، أى شخصه . والذئب ، معروف . يُهْمَز ولا يُهْمَز ، وأصله المهمز .

يقول : ما أشدَّ حُصْقَ الإنسان ! يتفاهل بالأسماء والألقاب ، لا تجلب إليه خيراً ولا تزدود عنه شراً ، فيسمى ابنه أسداً ، وما كان لهذا الاسم أن يردَّ عنه عادية ذئب ، أو يدفع عنه غائلة مكروه . وإنما هو الغرور وضلالُ العقول ، يُوقعان الناس في السُّخْفِ ، ويقذفان بهم في الأباطيل !

٢ (وَاللَّهُ حَقٌّ وَأَبْنُ آدَمَ جَاهِلٌ مِنْ شَأْنِهِ التَّفْرِيطُ وَالتَّكْذِيبُ)

فَرَطَ فِي الشَّيْءِ ، وَفَرَطَهُ : ضَيَعَهُ وَقَدَّمَ الْعَجْزَ فِيهِ .

يقول : آمنتُ بأنَّ اللهَ حَقٌّ لَا شَكَّ فِيهِ ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ عَلَى سَخْفِهِ وَجَهْلِهِ ، وَعَلَى غُرُورِهِ وَبَاطِلِهِ ، وَعَلَى ضَعْفِهِ وَانْحِلَالِ قُوَّتِهِ ، مُفَرِّطٌ فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِ ، مَكْذِبٌ لِمَا يُبَلِّغُهُ إِلَيْهِ ، غُرُورًا مِنْهُ وَاسْتِكْبَارًا .

٣ (وَاللَّبُّ حَاوِلٌ أَنْ يَهْدِبَ أَهْلَهُ فَإِذَا الْبَرِيَّةُ مَا لَهَا تَهْدِيبٌ)

اللَّبُّ ، الْعَقْلُ ، وَيُجْمَعُ عَلَى : أَلْبَابٍ ، وَأَلْبُوبٍ ، وَأَلْبٍ . وَالْفِعْلُ مِنْهُ :

كَبِيتُ أَلْبُ ، وَلَبِيتَ تَلَبٌ . والبرية : الخلق ، وأصله الهمز ، وقد تركت العرب كهمزه ؛ وقد مر^(١) .

يقول : لقد حاول العقلُ إصلاحه ، وأجتهد اللبُ في تهذيبه ، فلم يكن له أن يُفلح ، لأنه إنما حاول تغيير الطبيعة ، وتحويل العريضة ، فتكاف بذلك محالاً .

٤ (مَنْ رَامَ إِنْقَاءَ الْغُرَابِ لِكَيْ يَرَى
وَوَضَحَ الْجَنَاحَ أَصَابَهُ تَعْذِيبٌ)
٥ (وَالذَّهْرُ يَقْدُمُ وَالْمَلِكُ مُخَالَفٌ
دَوْلًا فَفَنَهَا مُجْمِدٌ وَمُذِيبٌ)

أنقى الشيء إنقائه : نقى عنه ما يشينه وأستصفاه . والوضح : البياضُ من كل شيء . ويقدم ، من القدم ، الذى هو نقيض الحدوث . الماضى مثله مضموم العين . والمليك : ذو الملك . يريد الله سبحانه وتعالى .

ومخالف دولاً ، أى مخالف بينها ومغاير . والدؤل : جمع دؤلة ، والدولة : العقبة فى المال والحرب سواء . وقيل : الدؤلة ، بالضم : فى المال . والدؤلة ، بالفتح : فى الحرب . وقيل : هما لغتان فيها . يريد ما عليه الناس فى الحياة .

والجمود : ضدّ الذوب . ضربهما مثلين للتغاير والتخالف . والفاعل لهما هو المللك ، أى الله تعالى . يُشير إلى تباين ما فى الوجود مع كثر الأيام . ويكون معنى البيت توكيداً لما ساقه فى البيت قبله .

(١) انظر شرح البيت ١٩ من اللزومية ١٦ ص ١٩ من هذا الجزء .

أو لعله يريد وَصَفَ ما عليه الحياةُ من تعاقبِ العواقبِ ، يأتي بها القَدَرُ ويَذْهَبُ . وهو ما يُريده بالجمودِ والذَّوْبُ .

يقول : أفترى العقلَ يَسْتَطِيعُ أن يُحِيلَ سوادَ الغُرابِ القاتمِ إلى بياضِ ناصعٍ ! أما إنّه إن أراد ذلك لأحقُّ جاهلٌ . ولن يكون أقلَّ منه مُحِقًّا وجهلاً إن أراد صَرْفَ الإنسانِ عن سَجِيَّةِ ، فكذلك خُلِقَ محبًّا للشرِّ ، مفرقًا فيه ، يسلكُ إليه السُّبُلَ المختلفةَ ، وينهج له المناهجَ المُتباينةَ .

اللزومية التاسعة والستون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الذال :

١ (إِنْ عَذَبَ الْمَيْنُ بِأَفْوَاهِهِمْ فَإِنَّ صِدْقِي بِفَمِي أَعَذِبُ)

عَذِبَ يَعَذِبُ : طاب وحلأ . والمين : الكذب . مان يمين ، فهو مائن .
ورجل ميون وميآن .

يقول : أغرقوا في المين والكذب ماشاء حُبِّكم له ، وحِرْصُكم عليه ،
واستعذابكم طَعْمَه ، واستجادتكم ذَوْقَه ؛ فلستُ بمائلٍ عن الصِّدْقِ ، ولا مائل
عن قَوْلِ الْحَقِّ ، وهو في فَمِي أَعَذِبُ من الكذب في أفواهكم ، وهو على
لساني أيسرُ من الزُّورِ على ألسنتكم ، وهو في قلبي أجملُ من الإثمِ في قلوبكم .

٢ (طَلَبْتُ لِلْعَالَمِ تَهْدِيَتَهُمْ وَالنَّاسُ مَا صُفُّوا وَلَا هُدُّبُوا)

الطَّلَبُ : مُحاوَلَةٌ وَجِدَانُ الشَّيْءِ وَأَخْذُهُ . وَصَفَّيْتَ الشَّيْءَ : خَلَصْتَهُ مِمَّا
يَشُوْبُهُ مِنْ كَدَرٍ .

يقول : أغرقوا في الضلال والفساد، وأوضعوا في النى والفجور، فلذلك خُلِقْتُمْ،
وله بُرْتَمٌ ، لا يُحاوَلُ تَغْيِيرَكُمْ إِلَّا أَحَقُّ ، ولا يُرِيدُ تَحْوِيلَكُمْ إِلَّا أَبْلَه . لقد أردتُ
بكم ذلك ، فلم ألبث أن تبينتُ من نفسي خَطْلَ الرَّأْيِ ، وَخَيْبَةَ الْمَسْعَى .

٣ (سَأَلْتُ مَنْ خَالَفَ عَن دِينِهِ فَأَعُوَزَ الْمُخْبِرُ لَا يَكْذِبُ)

٤ (وَأَكْثَرُوا الدَّعْوَى بِلا حُجَّةٍ كُلُّ إِلَى حَايِزِهِ يَجْذِبُ)

خالف عن دينه : تغير عنه . وأعوز ، أى لم يجد جواباً ولم يملك حديثاً .
و « لا يكذب » أى حين يصدق فلا يمين . وإلا فهو مع الكذب واجد في
ميدان القول سعة . وهذا ما سيذكره في البيت التالى .

والدعوى : الاسم من « ادعى » ومثلها : الدعوة . وادعيت الشيء :
زعمته لى ، حقاً كان أو باطلاً .

والحيز : كل ناحية على حدة . وأصله من الواو . ويقال فيه : حيز ،
بالتخفيف ، مثل هين ، وهين .

ويجذب ، على ما سُمي فاعله : يستميل ويُغري . أى إنهم بدعواهم يريدون
أن يلفتوا الناس إليهم .

يقول : انتحلوا ما شئتم من الأديان ، وابتدعوا ما أحببتم من المذاهب ، ثم
ليُنكر بعضكم فيها بعضاً . لا تتفقوا منها على شيء ، ولا تنتهوا بها إلى قياس ،
فإنما هو تراث أخذتموه عن آبائكم ، فلصقتم به وجدتم عليه ؛ وما أنتم بقادرين
على أن تنصرفوا عنه ، ولا على أن تستبدلوا منه خيراً ، وما أجد عجزكم عن ذلك
أقل من عجزكم عن تأييد مذاهبكم بالبرهان ، وعضدها بأدلة العقل . إنما اختلفت
أديانكم وافتقرت مذاهبكم بحكم التقليد القبيح ، لا بحكم النظر الصحيح . لقد
أعوزنى منكم الصادق لا يكذب ، والمُنصف لا يجور ، والأمين لا يخون .

اللزومية المتممة السبعين

وقال في الباء المضمومة مع الذال :

١ (يَحْسُنُ مَرَأَى لِبَنِي آدَمِ وَكُلُّهُمْ فِي الذَّوْقِ لَا يَعْذِبُ)

٢ (مَا فِيهِمْ بَرٌّ وَلَا نَاسِكٌ إِلَّا إِلَى نَفْعٍ لَهُ يُجْذِبُ)

الذَّوْقُ ، أى الاختبار والامتحان . ولا يَعْذِبُ ، أى لا يُسْتَسَاغُ ولا يُرْتَضَى .

والبَرُّ : الصادق البار .

يقول : عدمتكم أيها الناس ! لقد حَسُنَ مَنْظَرُكُمْ وساءَ مَحْبَرُكُمْ ، لقد جَلَّ مِنْكُمْ الظاهر وَقَبِحَ مِنْكُمْ الباطن : وَجْهٌ وَسِيمٌ ، وَخُلُقٌ ذَمِيمٌ : مَنْطِقٌ عَذْبٌ ، وَرِيَاءٌ وَخِبٌ ؛ تَظْهَرُونَ البر والنسك ، وَتَكْتُمُونَ الدين والطاعة .

وما أعرف منكم بَرًّا نَاسِكًا ، ولا أرى فيكم دينًا مُطِيعًا ؛ إنما أنتم فَجْرَةٌ مَكْرَةٌ ، وَفَسَقَةٌ خَوْنَةٌ ، أَهْلُ غِشٍّ وَرِيَاءٍ ، وَأَصْحَابُ خَبٍّ وَخَدِيعَةٍ ، وَطُلَّابُ مَالٍ وَدُنْيَا ، لَا طُلَّابُ طَاعَةٍ وَدِينٍ . أَفِ لِأَرْوَاحِكُمُ الخبيثة ونُفُوسِكُمُ الشريرة ! لقد دَنَسَتْ أَجْسَامِكُمْ وَإِنهَا لَظَاهِرَةٌ ، وَأَفْسَدَتْهَا وَإِنهَا لَصَالِحَةٌ .

٣ (أَفْضَلُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ صَخْرَةٌ لَا تَظْلِمُ النَّاسَ وَلَا تَكْذِبُ)

يقول : عَدِمْتُكُمْ ! مَا أرى إِلَّا أَنَّ الصِّفَاةَ الصِّلَّةَ ، وَالصَّخْرَةَ الصَّمَاءَ ، أَنْتِ صَفْحَةٌ وَأَطْهَرُ جَوْهَرًا مِنْ أَشَدِّكُمْ لِلدِّينِ اتِّحَالًا ، وَأَعْظَمُكُمْ لِلنَّسِكِ إِظْهَارًا ؛ ذَلِكَ لِأَنَّهَا بَرِيئَةٌ مِنَ الظُّلْمِ وَالجَوْرِ ، وَمِنَ الكَذْبِ وَالزُّورِ ، وَإِنَّكُمْ لَمُغْرِقُونَ فِي هَذِهِ الرِّذَالِ ، لَا تَرِيدُونَ عَنْهَا عُدُولًا ، وَلَا تَبْغُونَ بِهَا بَدِيلًا .

اللزومية الواحدة والسبعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع الحاء :

١ (هَذَا طَرِيقٌ لِلْهُدَى لِأَجِبُ

يَرْضَى بِهِ الْمَصْحُوبُ وَالصَّاحِبُ)

٢ (أَهْرَبُ مِنَ النَّاسِ فَإِنْ جِئْتَهُمْ

فَمِثْلُ سَابِ جَرَّهُ السَّاحِبُ)

الطريق ، يذُكَّرُ ويؤنَّثُ . وجمعه على التذكير : أطرقه ، كـرغيف وأرغفة .
وعلى التأنيث : أطرق . كيمين وأيمن .

ولاجِبُ : واضح ؛ وقيل : هو الواسع المنقاد الذي لا ينقطع ، فاعل بمعنى
مفعول ، أى مَلْحُوبٌ . لَحِبْتُ الطَّرِيقَ أَلْحَبَهُ لَحَبًا ، إذا وطئته ومررت فيه
فأوضحته وبينته . ومنه قولُ أم سلمة لعثمان رضى الله عنه : « لا تُعَفِّ طَرِيقًا
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لَحِبَهَا » .

وقد يكون على فاعليته ، من لَحِبِ الطَّرِيقُ يَأْحِبُ لُحُوبًا ، إذا وَصَحَ ،
كأنه قَشَّرَ الأرض .

والمَصْحُوبُ : مَنْ تَصَحَّبَهُ وتعاشره . والصاحب : المُعَاشِرُ ، لا يتعدى تعديَّ
الفِعْلِ ، فلا تقول : زيدٌ صاحبٌ عمرًا ، لأنهم إنما أَسْتَعْمَلُوهُ أَسْتَعْمَالَ الْأَسْمَاءِ ،
ولو أَسْتَعْمَلُوهُ أَسْتَعْمَالَ الصِّفَاتِ لجاز . والجمع : أصحاب ، وأصحاب ، وصُحْبَانُ ،
وصِحَابٌ ، وصَحْبٌ ، وصَحَابَةٌ ، وصِحَابَةٌ . ويريد بالصاحب والمصحوب :
الدَّاعِي والمدْعُو .

والهرب : الفرار . هَرَبَ يَهْرُبُ هَرَبًا . يكون للإنسان وغيره . وأهرب : جَدَّ في الذَّهَابِ مَذْعُورًا أو غير مَذْعُور . وهَرَبَ غيره تَهْرَبًا . ومثلها في ذلك أيضًا : أهربه ، إلا أنها لا تكون إلا حين يَضْطَرُّه إلى الهرب .

والسَّابُ : الزق للخمر ، أو للعسل . وقيل : هو الزق أيًّا كان . وجره : جذبته . يقول : أيها الحكيم الحازم ، والذكيُّ المُستبصر ، لقد وضحت لك طريقُ الهدى فأنت حريٌّ أن تطرُقها ؛ وظهرت لعينك أعلامُ الرشد ، فأنت حجيٌّ أن تهتدي بها . طريقُ آمنةٍ ليس للذعر فيها مصدر ، وسبيل واضحه ليس للظلم فيها موضع . تلك هي العزلة عن الناس ، والخلوة إلى نفسك ، فاحرص عليها واحذر أن تُفَرِّطَ فيها . وأعلم أن تقربك من الناس وتنزلك إليهم يؤذيك ولا يرضيك ، ويسوؤك ولا يسرك .

٣ (يَنْتَفِعُ النَّاسُ بِمَا عِنْدَهُ وَهُوَ لَقِيَ بَيْنَهُمْ شَاحِبٌ)

اللقى : الشيء المُلْتَقِ الطَّرْحُ المَتْرُوك . وفي حديث أبي ذرٍّ : مالى أراك لقي بتي^(١) .

والشاحب : المهزول المتغير اللون . يصف الزق بعد اطراحه وقد يدبس جلده وكلح لونه .

يقول : فأنت بينهم في عَقْلِكَ الناقب ، وقلبك المنير ، وفي عملك النافع ، وجدك المفيد ! وفيما تُصيب منهم بعد ذلك من ضرر ، وما تلقى بينهم من مكروه ، أشبه شيء بالزق يحمل إليهم وفيه لهم الغذاء الذي يُنقذهم من الجوع ، أو الشراب الذي يُخلصهم من الظمأ ، فيشتفون ما فيه من خير ، ثم يتركونه لقي مهينًا ، وحقيرًا ذريًا .

(١) بقى : إتباع له .

اللزومية الثانية والسبعون

وقال أيضاً في الباء المضمومه مع التاء :

١ (أَصْفَحَ وَجَاهِرُ بِالْمُرَادِ الْفَتَى وَلَا يَقُولُوا هُوَ مُغْتَابٌ)

الصَّفَحُ: الإِعْرَاضُ عَنِ الذَّنْبِ . صَفَحَ عَنْهُ يَصْفَحُ صَفْحًا . وجاهره بالأمر : عالته .

والواو في « ولا » للتعليل ، وكذلك الواو الداخلة على الأفعال المنصوبة ، والمعنى : لئلا يقولوا . ومثله : (يَا لَيْدَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَدِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ) . وقيل : إنَّ الصَّوَابَ أَنَّهَا لِلْمَعِيَّةِ . وشرطوا أن يتقدّمها نفي أو طلب . ويسمّيها الكوفيون « واو الصّرف »

والمغتاب : الذي يقع في غائب فيتكلم خلفه بسوء ، أو بما يغمه لو سمعه وإن كان فيه فإن كان صدقاً فهو غيبية ، وإن كان كذباً فهو البهت والبهتان .

يقول : أما إنى أرى لك أن توطئن نفسك على هذه الحياة وما فيها من حسن وقبيح ، مجتهداً ما استطعت في إصلاح نفسك وتهذيبها ، صاحفاً عن الخطى ، جاهرّاً برأيك عند الحاجة ، منصرفاً عن عيب الناس والنّعى عليهم ؛ فإن قليل هذه الفضائل أنفع لك ، وأرّبى عليك من كثير من أضدادها .

٢ (إِنْ رَابِنَا الدَّهْرُ بِأَفْعَالِهِ فَكُنَّا بالدَّهْرِ مَرْتَابٌ)

٣ (فَاعْفُ وَلَا تَعْتَبْ عَلَيْهِ فَكَمْ أَوْدَى بِهِ عَوْفٌ وَعَتَابٌ)

الرَّيْبُ : الشَّكُّ وَالظَّنُّ وَالتُّهْمَةُ . رابه الأمرُ رَيْباً وَرَيْبَةً : رأى منه ما يريبه ويكرهه .

وارتاب فيه : شكّ ، فهو مُرتاب .

وعتّب عليه : يعتبّ : وجدّ .

وأودى : هلك . و « به » أى فى الدهر ، أو بسببه وما يجلب .

وعوف ، هو عوف بن مُحلم بن ذهل بن شيبان ، كان أبيضاً مانعاً لما فى جواره .
وفيه المثل : لا حرّاً بوادى عوف .

وذلك أن عمرو بن هند الملك كان طلب منه مروان القرظ ، وكان قد أجاره ،
فمنعه عوف وأبى أن يسلمه . فقال الملك هذا المثل . أى إنه يُقهر من حلّ
بواديه . و«عتاب» لعله ابنُ ورّقاء الرياحى ، كان من أبطال العرب وقادتها ،
انتدبه الحجاج لقتال شبيب بن زيد ، بعد أن عجز عنه . وسميت الحرب بينه وبين
شبيب ، وكان أن قُتل فى وقعة له معه سنة ٧٧ هـ .

ضربهما مثلين للعنف والإباء . ولا يخفى ما فى اختيار اللفظين من صنعة
الجناس ، فأولهما من حروف « العفو » مع مغايرة ؛ والثانى من « العتب »
مع زيادة .

يقول : عليك بالاطمئنان والتبلد لما يأتى به الدهر من الأحداث ، وما تنوب
به الأيام من النوائب ، فليس بنافع لك ضيقُ بها ، أو كُرّه لها ، أو عتّب عليها .
إنك لخليق أن تطمئنّ إلى كل ما فى هذه الحياة من خير وشر ، لا تعجب منه
ولا تضق به ؛ فإنّ طول الاختبار خليقٌ أن ينفى عنك العجب ، وعدم القدرة
على الإصلاح جديرٌ أن ينفى عنك السامة .

٤ (لَوْضُرِبَ الْغَاوُونَ بِالسَّيْفِ لَا

بِالسَّوْطِ حَدَّ الْخُمْرِ مَا تَابُوا)

٥ (تِلْكَ مَنْ أَجْتَابَتْ لَهُ صُورَةٌ

فَهُوَ لِسُخْطِ اللَّهِ مُجْتَابٌ)

الفاوون : الضالون ؛ الواحد : غاوٍ . ومثله : غوي ، وغوي ، وغيان .
والفعل منه : غوى غيًّا ، وغوى غوايةً . الأخيرة عن أبي عبيد .

والحدُّ ، عند الفقهاء : عقوبةٌ مقدّرةٌ شرعاً .

والحدّ في الخمر أربعون جلدَةً . وبه يقول الشافعي . وقالوا : ثمانين . ثم اختلفوا
فيمين أقيم عليه الحدُّ ثلاثاً ثم لم يتب . فقالوا : يُقتل . وقالوا : لا يُقتل . وعلى
الثاني مالك والشافعي وأبو حنيفة .

و «تلك» ، أي الخمر . وأجتاب : لبس . يقال : أجتاب القميصَ والظلامَ ،
إذا دخل فيهما . قال كميّد :

فبتلك إذ رقص اللوامعُ بالضحى وأجتاب أروية السرابِ إكاهها^(١)

ويريد بالصورة : هيكل الإنسان ، أي من دخلت جوفه فكان جسمه لها
كالقميص .

ومجتاب : لا لبس ومتسرّب . أي فقد شمله سخط الله كما يشمل الثوبُ الجسم .
يقول : أفترى إلى الخمر كيف أقيم على المُدمن لها من حُدود ! وكيف أُعدّ
لشاربها من عذاب ! فلم تُغن تلك ، ولم يمنع هذا ؛ بل ما زال الشربُ عليها
عاكفين ، لا يصرفهم عنها السيِّفُ بله السَّوط ! وكيف وهم يعلمون حقَّ العِلْمِ
أن الميلَ إليها مدعاةٌ لسُخط الله ومقتته ، ومع ذلك لم يدعُوها ولم يتحوّلوا عنها .

٦ (نَمْنَا عَلَى الشَّيْبِ فَهَلْ زَارَنَا طَيْفٌ لِأَصْلِ الشَّرِيحِ مُنْتَابٌ)

٧ (هَيْهَاتَ لَا تَحْمِلُهُ نَحْوَنَا سُرُوجٌ أَفْرَاسٍ وَأَخْشَابٌ)

(١) فبتلك ، يعني ناقة . وما أشبه صدر البيت بصدر بيت أبي العلاء .

نمنا على الشيب : أى سكننا إليه وألّفناه . وجعله نومًا ، لأن مع الشيب الخلود إلى الراحة ، وكذلك مع النوم . والطّيف : الخيال يخيء في النوم . والشّرخ : أول الشباب . و « لأصل الشرخ » أى حقيقته وجوهه لا عارض من عوارضه . ومنتاب : قاصد . يقال : انتاب الرجلُ القومَ ، إذا قصدهم وأتاهم مرة بعد مرة . وكذلك الطيف لا يُلم حتى يولّى .

وهيات : كلمة معناها البُعد . وقيل : هى كلمة تَبْعِيد . والتاء ، مفتوحة ، وناسٌ يكسرونها على كل حال ، بمنزلة نون التثنية . فمن كسر التاء جعلها جمعًا ، واحدهُ : هَيْهَة ؛ ومن فتح التاء جعلها كلمة واحدة .

وانفق أهلُ اللغة على أن التاء من «هيات» ، ليست بأصليةً ، أصلها هاء . وقال أبو عمرو بن العلاء : إذا وصلت «هيات» فدع التاء على حالها ، وإذا وقفت فقل : هيهاه .

والشّروج : جمع سرج ، وهو رَحْلُ الدابة . وأقْتاب : جمع قَتَب ، وهو إكاف البعير ، يريد الدواب والإبل . ولم يكن غيرها وسيلة .

يقول : ولستُ أنصح لك بالابتعاد عن شيء كالسامة ، فإنها حق . ولو صبر هذا السَّمُّ الملول لا أنصرف عنه ما يكره ، ولما يؤذ نفسه بألم الضّجر والضيق ؛ فإن الدهر مُسرّع في حركته لا يبطلُ ، وماضٍ في طريقه لا يعود . ها أنت ذا قد وخطك الشيب ، أفترك تستقبل الشباب ؟ كلا ! إنك لتعلم أن لا سبيل لك إليه . فحريّ بك أن تعلم أن غير الشباب مثله ، يمضى به الدهر فلا يردّه ولا يُبقى عليه .

اللزومية الثالثة والسبعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة مع اللام :

- ١ (إِيَّاكَ وَالْحَمْرَ فَهِيَ خَالِبَةٌ غَالِبَةٌ خَابَ ذَلِكَ الْغَلْبُ)
- ٢ (خَائِبَةُ الرَّاحِ نَاقَةٌ حَفَلَتْ لَيْسَ لَهَا غَيْرٌ بَاطِلٌ حَابٌ)
- ٣ (أَشَّامٌ مِنْ نَاقَةِ الْبَسُوسِ عَلَى النَّاسِ وَإِنْ يُنَلِّعِنَدَهَا الطَّلَبُ)

إِيَّاكَ وَالْحَمْرَ ، من صيغ التحذير ، والأول من اللفظين على النصب بعاملٍ واجب الحذف ، والثاني معطوف عليه ، ويكون الكلام جملة واحدة ، والتقدير : إِيَّاكَ باعد من الشر والشرّ منك . فكلُّ منهما مُبَاعِدٌ مِنَ الْآخِرِ . وبه قال السيرافي وابن مالك وابن عصفور . وذهب ابن خروف إلى أن الثاني منصوب بفعل آخر مُضْمَرٌ ، والتقدير : إِيَّاكَ باعد من الشر وأحذر الشر ، ويكون الكلام جملتين .
وخالِبَةٌ : سالبة للعقل ذاهبة به . فَعَلَهُ مِنْ بَائِيٍّ : نَصَرَ وَضَرَبَ . وَالْغَلْبُ : الْقَهْرُ ، وَمِثْلُهُ : الْقَلْبُ ، وَأَوْلَاهُمَا أَفْصَحُ . وَيَقُولُونَ : لِمَنِ الْغَلْبُ وَالْقَلْبَةُ ؟ وَلَمْ يَقُولُوا : لِمَنِ الْقَلْبُ ؟

والخالِبِيَّةُ : الْحَبُّ — الْجُرَّةُ — وَأَصْلُهُ الْهَمَزُ ، لِأَنَّهُ مِنْ « خَبَأَ » إِلَّا أَنَّهُ تَرِكَ هَمْزَهُ . وَالرَّاحُ : الْحَمْرُ ، اسْمُهَا .

وَالْحَفْلُ : أَجْتِمَاعُ اللَّبَنِ فِي الضَّرْعِ . حَفَلَتِ النَّاقَةُ تَحْفَلُ ، حَفُولًا وَحَفْلًا .
وَالْحَلْبُ ، بِالتَّحْرِيكِ : اللَّبَنِ الْمَحْلُوبِ ، سُمِّيَ بِالمَصْدَرِ . وَالبَاطِلُ : اللِّهْوُ وَالْجَهَالَةُ .

والبَسُوسُ ، هِيَ بِنْتُ مُنْقَذِ التَّمِيمِيَّةِ ، خَالَةُ جَسَّاسِ بْنِ مَرْثَةَ بْنِ ذُهْلِ الشَّيْبَانِيِّ .

نزلت بجسّاس ، وكانت لها ناقة يقال لها : سَرَاب . فرعت في حَمَى كُليب .
فرماها بسهم . فنهض جسّاس إلى كُليب فقتله . فهاجت الحربُ بين بكر وتغلب
وبقيت أربعين عاماً . فضُرب بها المثل فقيل : أشأم من البسوس .

والضمير في « عندها » للراح . ويشير إلى ما يتصف به الشرب من بدّل
وإسماح وعطاء ، وقد قالوا : إنما سميت الخمر : راحاً ؛ لأن شاربها يرتاح للعطاء
ويخف . وقد تردّد ذلك على السنة الشعراء . من ذلك قول مُتّم بن نُويرة :

ولقد سبقتُ العاذلاتِ بشربةٍ رياً وراووقٍ عظيمٍ مُترَعٍ^(١)

وقال الشاعر :

* والخمر مشتقة المعنى من الكرم *

يقول : إياك والخمر فإنها خالبة للعقول ، غالبية للألباب . ساء ذلك الغلب !
وساء ما يلقى الناس منه !

إنما خابيةُ الخمر ناقةٌ قد حَمَلت ولكن بالباطل ، ودَرّت ولكن بالزور ،
وأنجبت ولكن الشرّ ، فهي أشأم على الناس من حَرَب البسوس ، وإن أنالتك
في أول أمرها لذةً ، وأشعرتك عند مُعاقرتها براحة .

٤ (يَا صَالَ خَفْ إِنْ حَلَبْتَ دَرَّتْهَا أَنْ تَتَرَامَى بِدَائِهَا حَلْبُ)
٥ (أَفْضَلُ مِمَّا تَضُمُّ أَكْوَسُهَا مَا ضَمِنَتْهُ الْعِيسَانُ وَالْعَلْبُ)

يا صالٍ ؛ يريد : يا صالح ، فرخّم . ولك في اللام الكسْرُ ، على لغة من
ينظرُ إلى الحرف المحذوف ؛ أو الضم على لغة من لا ينظرُ إليه . وهذا من لعب
أبي العلاء بالألفاظ والمعاني . فإنه لما ذكر الناقة استطرّد . وقصة صالح عليه السلام

(١) الراووق : ناجود الشراب الذي يروق به فيصنى .

وناقته مع قومه ثمود وعقرهم لها معروفة . وأراد أبو العلاء أن يُشاكل باللفظ لتوفر المألوبات، ولم يُرد إلى القصة ذاتها . ثم لا يخفى ما في هذا الاختيار من نكتة لما في معنى « صالح » من الصلاح وهو إلى الامتثال بالأمر أسرع وأطوع .
والدرّة : اللبن إذا كثُر وسال . والضمير هنا في « درّتها » يعود إلى « الناقة » التي أقامها مقام الخاوية .

وترامى ، أى تترامى . وذلك أن يرْمى بعضهم بعضاً . ولعله يريد شُيوع شُرْبها الذى هو داء ، فيُعدى الناسُ بعضهم بعضاً . أو لعله يريد ما يكون لها من سَوْرَة فشرّ يتقاذف به الناس .

وحَلَب : المدينة المعروفة بالشّام ، وبينها وبين « حلب » في البيت السابق جناس تام . قال ياقوت : « وهو بلد قليل الفواكه والنَّبِيذ إلا ما يأتيه من بلاد الرُّوم » . ومعرّة النعمان ، بلد أبي العلاء ، منه قريب .
وقد يكون أبو العلاء خصّ « حلب » لِمَا ذكر ياقوت ، فَضَرَبها مثلاً لقلّه ما يُحمل من الحمر إليها .

والعِساس : جمع عُسّ ، وهو القَدَح الضخّم يُروى الثلاثة والأربعة والعدّة ، ويجمع على : عِساسَة ، أيضاً .

والعَلْب : جمع عَلْبَة ، وهو القَدَح الضخّم من جلود الإبل ؛ وقيل : من الخشب خصته كتب اللغة بالحلب . وكان « العس » للشرب .

يقول : الحذرَ الحذرَ أن تحلب هذا الضرع الحافلَ أو تمرّيه ؛ فإنى أخاف عليك أن ينالك داؤه ، ويصيبك شره الذى لا شفاء له .

إنّ ما أعطتك الطبيعة من شراب نقيّ مُفيد ، خيرٌ لك منها ، وأجدى عليك من سَوْرَتها . وإن في اللبن تفيض به الأقداحُ والعَلْب ، للذة في الذوق ، وصِحّة للجسم ، وبُعداً عن الضرر . ليس للخمر منه شيء . فارغب فيه واحرص عليه .

اللزومية الرابعة والسبعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة ، مع الجيم :

١ (مَنْ لِيَ إِلَّا أُقِيمَ فِي بَلَدٍ أذْ كَرُّ فِيهِ بَغَيْرِ مَا يَجِبُ)

٢ (يُظَنُّ بِي الْيُسْرُ وَالِدِيَانَةُ وَالْعِلْمُ وَيَنبَأُ حُجْبُ)

حُجْبُ : جمع حِجَاب ، وهو كل ما حال بين شيئين ؛ ولا يجمع غيره .

يقول : لقد ضِغْتُ بالناس وكرهت الإقامة فيهم والثواء بينهم ، حين أحسنوا بي الظنَّ ، وكان خليقاً أن يسوء ، وأجادوا في الرأي ، وكان جديراً أن يفسد .

ظنُّوا بي العلم ، وما أدري أئني منه على شيء ؛ وظنُّوا بي الدين ، وما أجد أن لي منه حظاً ؛ وظنُّوا بي اليسر ، وإن بيني وبينه لحجاباً مستوراً .

٣ (كَلُّ شُهْرِي عَلَى وَاحِدَةٍ لَا صَفْرٌ يُتَّقَى وَلَا رَجَبٌ)

صفر : الشهر الذي بعد المحرم . قيل : سمي بذلك لأنهم كانوا يغزون فيه القبائل فيتركون من لقوا صفرأ من المتاع . قال ثعلب : كلهم يصرفون « صفرأ » إلا أبا عبيدة ، فإنه قال : لا ينصرف . وإذا جمعه مع « المحرم » قالوا : صَفْرَان . والجمع : أصفار .

ويتقى ، على ما لم يسم فاعله : يُحْذَرُ ويصان منه . وأصله : « اوتقى » والتاء فيه تاء الافتعال ، فأدغمت الواو في التاء وشدَّدت .

ورَجَب ، سموه بذلك لتعظيمهم إياه في الجاهلية عن القتال فيه . والجمع : أَرْجَاب . وإذا ضمُّوا له « شعبان » . قالوا : رَجَبَان .

يقول : أجل لقد سئمت الإقامة في هؤلاء الناس ، وتمنيت لو بُدلت منهم
قوماً آخرين ينسوني ولا ينكرونني ، وينكرونني ولا يعرفونني .

٤ (أَقْرَرْتُ بِالْجَهْلِ وَادَّعَى فَهْمِي قَوْمٌ فَأَمْرِي وَأَمْرُهُمْ عَجَبٌ)

العَجَبُ : إنكار ما يَرِدُ عليك لقلّة اعتياده ؛ وجمعه : أعجاب . وقال
الجوهريُّ : لا يُجمع « عَجَبٌ » .

يقول : لقد أقررت بالجهل واعترفتُ به ، فأبوا إلا أن يكذبوا هذا الإقرار ،
ويُذبذبوا هذا الاعتراف ، ويعتقدوا فيّ الفهم والمعرفة ، كأنهم أعلمُ بي من
نَفْسِي ، وأدري بِدَخِيلَتِي مني .

٥ (وَالْحَقُّ أَنِّي وَأَنْهُمْ هَدَرٌ لَسْتُ نَجِيبًا وَلَا هُمْ نُجَبٌ)

الهدَرُ : ما يبطل من دمٍ وغيره . هَدَرَ يَهْدِرُ ، بالكسر ؛ ويَهْدُرُ ، بالضم ،
هدراً وهدراً .

والنَّجِيبُ : الفاضل النَّفِيسُ ، والكَرِيمُ الحَسِيبُ أيضاً . والأول بالمعنى
ألصق .

يقول : لو أنهم عرفوا الحق أو طلبوه لاعترفوا بأنني لستُ شيئاً ، وبأنهم مثلي
ليسوا شيئاً ، كُلُّنَا هَدَرٌ ليس لنا من العِلْمِ حظ ، ولا من المعرفة نصيب .

٦ (وَالْحَالُ ضَاقَتْ عَنْ ضَمِّهَا جَسَدِي فَكَيْفَ لِي أَنْ يَضُمَّهُ الشَّجَبُ)

٧ (مَا أَوْسَعَ الْمَوْتَ يَسْتَرِيحُ بِهِ إِذْ جِسْمُ الْمَعْنَى وَيَخْفَتُ اللَّجَبُ)

الحال : الساعة التي هو فيها . يريد : الحياة ؛ يذكر و يُؤنث . و « كيف لي » ،
أى كيف السبيل إلى ما أريد .

وَالشَّجَب : الهلاك ؛ شَجِبَ يَشْجَبُ شَجَبًا ؛ إذا هلك .

و « ما أوسع الموت » إحدى صيغتي التعجب . وثانيتها : « أوسع بالموت »
والمعنى : المحبوس المضيق عليه . جعل الحياة قيداً له وأسراً . وكثيراً
ما يشير أبو العلاء إلى هذا .

وَيَخْفَتُ : يسكتُ وَيَنْقَطِعُ . وَاللَّجَبُ : الصوت والصياح والجلبة .

يقول : لقد ضاقت بي الحياة ، على ما فيها من خير وشر ، أن تضم هذا الجسد
الضعيف الزرى . فن لي بالموت ، فما أراه إلا أقدر على الاستئثار به
والاستيلاء عليه .

أجل ، لقد كرهتُ هذه الحياة حين اختلفتُ على أجزاءها مُتشابهةً ،
وتقادفتنى آناؤها متماثلةً ؛ فما أعرف بين أيامها فرقاً ، ولا أجد بين شهورها فضلاً ؛
وما أرى من شرّها خلاصاً إلا الموت ، فإنه أرحبُ لنا داراً ، وأوسعُ لنا منزلاً ،
وأضمن لأجسامنا المُتعبة بالراحة ، ولأصواتنا الصاخبة بالخفوت .

اللزومية الخامسة والسبعون

وقال أيضاً في الباء المضمومة ، مع الباء وياء الرُّدْف :

١ (مَا الثَّرِيَاءُ عُقُودُ كَرَمٍ مُلَاحِيٌّ وَلَا اللَّيْلُ يَأْنَعُ غَزِيْبٌ)

٢ (وَنَأَى عَن مَّدَامَةٍ شَفَقُ التَّغْرِيبِ فَلَيْتَقِ الْمَلِيكُ اللَّيْبُ)

الثريا : من الكواكب ، سُمِّيت لغزارة نوبها ؛ وقيل : لكثرة كواكبها ، مع صغر مرآتها ، فكانت ككثيرة العدد بالإضافة إلى ضيق المحل . وقد مرت (١) .

والكَرَمُ : شَجَر العِنْب ؛ الواحدة : كَرْمَةٌ . وقيل : الكَرْمَةُ : الطَّاقَةُ الواحدةُ من الكَرَمِ ؛ وجمعها : كُرُوم . وفي حديث أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ : « لَا تُسْمُوا العِنْبَ الكَرَمَ ، فَإِنَّمَا الكَرَمُ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ » . قال الأزهري : وتفسير هذا والله أعلم : أَنَّ الكَرَمَ الحَقِيقِيَّ هُوَ مِنْ صِفَةِ اللهِ تَعَالَى . ثُمَّ هُوَ مِنْ صِفَةِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَأَسْلَمَ لِأَمْرِهِ . وَهُوَ مَصْدَرٌ يُقَامُ مَقَامَ الموصوف ، فيقال : رَجُلٌ كَرَمٌ ، وَرَجُلَانِ كَرَمٌ ، وَأَمْرَأَةٌ كَرَمٌ . لَا يُثَنَّى وَلَا يُجْمَعُ وَلَا يُوْتَتْ ؛ لِأَنَّهُ مَصْدَرٌ أُقِيمَ مَقَامَ المَعْوَتِ ، فَخَفَّفَتِ الْعَرَبُ « الكَرَمَ » وَهُمْ يُرِيدُونَ كَرَمَ شَجَرَةِ العِنْبِ ، لَمَّا ذُلَّ مِنْ قُطُوفِهِ وَكَثُرَ مِنْ خَيْرِهِ فِي كُلِّ حَالٍ ، وَأَنَّهُ لَا شَوْكَ فِيهِ يُؤْذِي القَاطِفَ . فَهَرِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَسْمِيَتِهِ بِهَذَا الاسْمِ ، لِأَنَّهُ يُعْتَصَرُ مِنْهُ المُسْكِرُ المَنْهِيٌّ عَنْ شُرْبِهِ .

قال أبو بكر : وَيُسَمَّى الكَرَمَ كَرَمًا ، لِأَنَّ الحِمْرَةَ المَتَّخِذَةَ مِنْهُ تَمُتُّ عَلَى

(١) انظر شرح البيت الخامس من اللزومية ١٦ ص ١٢٠ من هذا الجزء .

السَّخَاءُ وَالسَّكْرَمُ . وَالْمَلَّاحِيُّ : العِنَبُ الأَبْيَضُ فِي حَبِّهِ طَوَّلٌ . قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَنْ تَعَاجِبُ خَلَقَ اللهُ غَاطِيَةً يُعَصَّرُ مِنْهَا مُلَّاحِيٌّ وَغَرَبِيْبٌ

وَقَالَ الجَوْهَرِيُّ : الْمَلَّاحِيُّ ، بِالضَّمِّ وَتَشْدِيدِ اللَّامِ . قَالَ أَبُو حَنِيْفَةَ : وَهِيَ قَلِيْلَةٌ .
قَالَ ابْنُ سَيْدِهِ . إِنَّمَا نَسَبَهُ إِلَى الْمَلَّاحِ ، وَإِنَّمَا الْمَلَّاحُ فِي الطَّعْمِ .

وَالْيَانَعُ : النَّاضِجُ ، وَهُوَ أَيْضًا : الأَحْمَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، وَثَمَرُ يَانَعٍ ، إِذَا لَوَّنَ
وَبِالْمَعْنِيْنَ يَتَجَمَّعُ السَّكْرَامُ . وَالْجَمْعُ : يَنْعُ . مِثْلُ : صَاحِبٌ ، وَصَحْبٌ .

وَالغَرَبِيْبُ : ضَرْبٌ مِنَ العِنَبِ بِأَطْوَافِ شَدِيدِ السَّوَادِ ، وَهُوَ أَرْقُ العِنَبِ
وَأَجْوَدُهُ وَأَشَدُّهُ سَوَادًا .

وَنَأَى : بَعُدَ . وَالمُدَامَةُ : الخمر ؛ قِيلَ : سُمِّيَتْ مُدَامَةً ، لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُسْتَطَاعُ
إِدَامَةُ شُرْبِهِ إِلَّا هِيَ . وَقِيلَ : لِإِدَامَتِهَا فِي الدَّنِّ زَمَانًا حَتَّى سَكَنَتْ بَعْدَ
مَا فَارَقَتْ .

وَالشَّقَقُ : بَقِيَّةُ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَحُمْرَتِهَا فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ ، تُرَى فِي المَغْرِبِ إِلَى
وَقْتِ العِشَاءِ الأَخِيرَةِ . وَيَقُولُ بَعْضُ الفُقَهَاءِ : الشَّقَقُ : البِياضُ ، لِأَنَّ الحِمْرَةَ
تَذْهَبُ إِذَا أَظْلَمَتْ ، وَإِنَّمَا الشَّقَقُ البِياضُ الَّذِي إِذَا ذَهَبَ صُلِّيَتْ العِشَاءُ الأَخِيرَةُ .
وَمَرَادُ أَبِي العَلَاءِ عَلَى الوَجْهِينِ جَائِزٌ . فَكَمَا تُوصَفُ الخمرُ بِهَذَا تُوصَفُ بِذَلِكَ .

وَالتَّغْرِيْبُ : المَيْلُ إِلَى نَاحِيَةِ المَغْرِبِ ، يَرِيدُ : العُرُوبُ .

يَقُولُ : أَغْرَقُوا أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ أَكْذِيبِ التَّشْبِيهِ وَأَبَاطِيلِ
الخِيَالِ ؛ فَمَا ذَلِكَ إِلَّا ضَرْبٌ مِنَ سَخْفِ العُقُولِ ، وَلَوْنٌ مِنَ طَغْيَانِ النُّفُوسِ
وَفَسَادِ القُلُوبِ .

لَقَدْ شَبِهَ شَعْرَاؤُكُمْ الثَّرِيًّا بَعْنُقُودِ المَلَّاحِيَةِ ، وَاللَّيْلَ بِالعِنَاقِيدِ السَّوْدِ ؛ وَشَبَّهُوا
أَصْفَرَارَ الشَّقَقِ بِأَصْفَرَارِ المُدَامِ . وَمَا صَدَّقُوا فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا وُقِفُوا ، وَإِنَّمَا

هم كذبة مزللون . وما أحرى ذا اللب أن يدع طريقهم ، ويعدل عن نهجهم ،
ويتقى الله الذي أحق الحق وأبطل الباطل !

٣ (طَالَ لَيْلٌ كَأَنَّمَا قَتَلَ الْعُقَدَ رَبَّ سَاطٍ فَعَابَ عَنْهَا الدَّيْبُ)

العقرب : بُرج من بُروج السماء وقد مرَّ (١) . و « ساطٍ » ، من : سَطَا
يسطو ، إذا بَطَشَ .

والدَّيْبُ : المَشَى على هَيْبَةٍ ، وهو بالعقرب أنسب . وعلى مثل هذا المعنى
دار الشعراء .

يقول : لقد طال على ليل هذه الحياة المظلمة ، فليس بمُصْبِحٍ ولا مُنْجِلٍ ،
كأن كواكبه قد مُنعت من الحركة ، ووقفت عن السير ، وكأن عاديًا عدا على
عقر به قفتلها ، فهي لا تجد على الدَّيْبِ قُوَّةً ، ولا على المَسِيرِ أَيْدًا .

٤ (سَلَكَ النَّجْدَ فِي قِطَارِ الْمَنَائِيَا قَطْرِيٌّ وَنَجْدَةٌ وَشَيْبٌ)

النَّجْدُ : قِفَافُ الْأَرْضِ وما غَلِظَ مِنْهَا وَأَشْرَفَ وَأَرْتَفَعَ وَأَسْتَوَى . شَبَّهَ بِهِ
الْحَيَاةَ ، وَجَعَلَ سُلُوكَهُ كَسُلُوكِهَا عِنَاءً وَوُعُورَةً وَكَدًّا .

والقِطَارُ : أَنْ تَشَدَّ الْإِبِلُ عَلَى نَسَقٍ ، وَاحِدًا خَلْفَ وَاحِدٍ . وَكَذَلِكَ الْمَنَائِيَا
مَوْصُولَةُ الْحَبْلِ يَمْضَى مَيْتٌ فِي إِثْرِ مَيْتٍ .

وَقَطْرِيٌّ : هُوَ ابْنُ الْفُجَاءَةِ الْمَازِنِي أَبُو نَعَامَةَ ، مِنْ رُءُوسِ الْأَزَارِقَةِ . كَانَ
طَامَةً كُبْرَى ، وَصَاعِقَةً مِنْ صَوَاعِقِ الدُّنْيَا فِي الشَّجَاعَةِ وَالْقُوَّةِ . وَهُوَ فِي الْمَهَابَةِ

(١) انظر شرح البيت ١٣ من الزومية ٥٥ ص ٣١٦ من هذا الجزء .

وقائع ، وكان شاعراً مَفْوَّهاً . ومن شعره البيت السائر :
أقول لها وقد طارت شِعاعاً من الأبطال وَنُحْكَ لَاترَاعِي
وكانت وفاته سنة ٥٧٨ هـ .

ونجدة هو ابن عامر الحروري الحنفي ، من بني حنيفة . كان رأس
الحرورية . وإليه تنسب الفرقة المسماة بالنجدية . وكان مقتله سنة ٦٨ هـ .
وشبيب ، هو ابن يزيد بن نعيم بن قيس ، أبو الضحاك الخارجي . من
النائرين على بني أمية . قال الجاحظ في وصفه : كان يصيح في جنبات الجيش
إذا أتاه فلا يُلوى أحدٌ على أحد . وإليه تنسب الفرقة الشدبية ، مات غرقاً
سنة ٥٧٧ هـ .

يقول : أجل ، لقد طال هذا الليلُ وإني إلى انكشافه بالموت لَشِيقٌ ، وعلى
انجلاته بالحين لحريص ، وكيف لا أشتاق إلى شيء له خلقتُ ، وإليه مضى
الناسُ من قبلي ، ولا سبيل إلى اتقائه ، ولا طريق إلى الاعتصام منه .
فهل مضى قطري بن الفجاءة ، ونجدة بن عامر ، وشبيب بن يزيد ،
وغيرهم من ذوى البطش والقوة ، وأهل اليأس والسطوة إلا إليه !

٥ (شَبَّ فِكْرُ الْخَصِيفِ نَارًا فَمَا يَحْ سُنُّ يَوْمًا بِعَاقِلٍ تَشِيبُ)
٦ (أَيْنَ مُبْقِرَاتُ وَالْمُقَلَّدُ جَالِينُو سُنُّ هِيَهَاتَ أَنْ يَعِيشَ طَيْبُ)

شَبَّ : اتَّقَدَ واشتعل . لازمٌ ومُتَمَدٌّ : شَبَّتِ النَّارُ ، وشَبَّها هو . وَالْخَصِيفُ :
الْجَيْدُ الرَّأْيُ الْمُحْكَمُ الْفِعْلُ . وَالْفِعْلُ : حَصَفَ حَصَافَةً . وَالتَّشْيِيبُ : النَّسِيبُ
بِالنِّسَاءِ فِي الشَّعْرِ ، وَذَلِكَ أَنْ تُرَقِّقَ أَوَّلَهُ بِذِكْرِ النَّسَاءِ .
وَبِقِرَاتُ : طَيْبٌ فَيَلْسُوفُ . وَقَدِ مَرَّ التَّعْرِيفُ بِهِ (١) .

(١) انظر شرح البيت ١٥ من اللزومية ٥٥ ص ٣١٨ من هذا الجزء .

وجالينوس ، حكيم فيلسوف ، كان إمامَ الأطباء في عصره . قال المسعودي :
كان جالينوس بعد المسيح عليه السلام بنحو مائتي سنة .

يقول : ما أكثر غفلتنا عن الحق ! وما أجدرنا أن نُشغل بحق هذا الوجود
عن باطله ! لقد شبَّ فكرُ العاقل الخفيف ناراً تتوقّد ، ولظى يستقر ، وما
مادّة هذه النار وهذا اللظى إلا هذه المخلوقات يتمخنها ويتقصاها ، فما يظهر له من
أمرها إلا ما يصرفه عمّا في هذه الحياة من لذّة باطلة ، وما في العيش من
نعمة كاذبة .

أجل ، لقد استأثر الموتُ بأهل القوة والبطش ، كما استأثر بأهل الحكمة
والطبّ ، فلم يسلم عليه بقراط ، ولم ينج منه جالينوس . وكيف ينجو من
الموت طيبٌ ! أو يسلم عليه حكيم !

٧ (سُبُّبَ الرِّزْقِ لِلْأَنَامِ فَأَيُّ قَطْعٍ بِالْعَجْزِ ذَلِكَ التَّسْبِيبُ)

يقال : هو يَقْطَعُ بهذا الأمر ، أى قد انتهى إلى صوابه فهو يَجْزُمُ به .
و « ما يقطع بالعجز ذلك التَّسْبِيبُ » أى لا يصح أن يكون هذا التَّسْبِيبُ مما
يجعلنا نستكن ونرضى بالحياة عجزاً وخنوعاً .

يقول : إِنَّا نَعْتَذِرُ عَنْ حُبِّنَا لِلْحَيَاةِ بَعْدَ اسْتِيقَانِنَا بِالْمَوْتِ ، وَسَعَيْنَا إِلَيْهَا بَعْدَ
سَعْيِهِ إِلَيْنَا ، بَأَنَّا لَمْ نَجِدْ وَلَمْ نَتَّعِبْ ، وَلَمْ تَتَّجِسْ أَلْخَطُوبُ وَالْأَهْوَالُ إِلَّا لِنَحْصُلَ
لِلرِّزْقِ ، فَتَقْصَى بِهِ حَظَّنَا مِنْ حَيَاةٍ لَا بُدَّ مِنْ احْتِمَالِهَا ، وَعَيْشٍ لَا بُدَّ مِنْ
الصَّبْرِ عَلَيْهِ .

٨ (وَجَرَى الْحَتْفُ بِالْقَضَاءِ فَمَا يَسْدُ لَمْ لَيْثٌ وَلَا غَزَالٌ رَيْبٌ)

الحتف: الموت. وجمعه: حتوف. ولا يبنى منه فعل. وقول العرب: مات فلان حتف أنفه. أى بلا ضرب ولا قتل. وقيل: إذا مات فجأة. نصب على المصدر، كأنهم توهمو «حتف» وإن لم يكن له فعل. و«بالقضاء» أى بما قدر. والرَّيب: مرَّبوب مُرَبِّي. يريد وصفه باللين والضعف، فهو فى كَنَفٍ من يُرَبِّيهِ.

يقول: كلا لقد جرى القضاء بالحياة كما جرى بالموت، فضمن لنا أرزاقاً مقدَّرة، كما عين لنا آجالاً مكتوبة، فليس فى الوجود ما يقطع رزقاً موصولاً، كما ليس ما يؤخر آجالاً محتوماً. كل مرزوق ليس لرزقه عنه أنصراف؟ وكل هالك ليس لهلاكه عنه عدول. لن يفقد الحياة من الجوع غنى ولا فقير، كما لن يمتنع عن الموت ليثٌ كاسر أو غزال ناعم.

٩ (يَطْلُعُ الْوَاغِدُ الْمُبَغِّضُ وَالْعَيْدُ شُ إِلَى هَذِهِ النَّفُوسِ حَبِيبٌ)
١٠ (خَبَيْتَهَا عَلَيْهِ نَكْدُ الرَّزَايَا فَنَبَأَ عَنْ قُلُوبِهَا التَّخْيِيبُ)

يُرِيدُ بـ «الواغد» اليوم، وجعله مُبَغِّضًا لما يَحْمِلُ من أرزاء ومتاعب. وخبَّب: أفسد. يقال: خبَّب فلان على فلان صديقَه: إذا أفسده عليه وخدعه.

والضَّيْرُ فى «خبَّبتُها» للحياة، أو الأيام واللَّيَالَى، للملحوظة من السِّياق. و«عليه» أى على الإنسان، وهو كذلك ملحوظ.

والضَّيْرُ فى «قلوبها» للنفوس أى الأشخاص. والتخْيِيبُ: الخداع والغش. يصف الناس بأنهم أغرار مخدوعون

يقول : لقد غَلَوْنَا فِي الْغُرُورِ ، وَأَغْرَقْنَا فِي الْعَجْزِ وَالْبَلَهِ ؛ حَتَّى إِنَّ الدَّهْرَ
لِيُقَدِّمَ إِلَيْنَا كُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِهِ مَا يُبْغِضُنَا فِي الْعَيْشِ ، وَيُنْفِرُنَا مِنْهُ ، فَمَا يَزِيدُنَا
ذَلِكَ إِلَّا حُبًّا لَهُ ، وَرَغْبَةً فِيهِ ، غَافِلِينَ عَمَّا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْغَيْبِ وَالْإِنْخِدَاعِ .

إلى هنا ينتهى الجزء الأول

من

شرح لزوم ما لا يلزم

يتلوه إن شاء الله

الجزء الثانى وأوله : « الباء المفتوحة »

فهرست القصائد

الجزء الأول

صفحة

- ١ الزومية الأولى :
أولو الفضل في أوطانهم غرباء تشذ وتنأى عنهم القرباء ٥٣
- ٢ الزومية الثانية :
تكرم أوصال الفتى بعد موته وهن إذا طال الزمان هباء ٦٥
- ٣ الزومية الثالثة :
أرائيك فليغفر لى الله زلتى بذلك ودين العالمين رياء ٧٤
- ٤ الزومية الرابعة :
سألت رجالا عن معد ورهطه وعن سبأ ما كان يسي ويسبأ ٧٥
- ٥ الزومية الخامسة :
بنى الدهر مهلا إن ذمت فعالكم فإنى بنفسى لا محالة أبدأ ٧٨
- ٦ الزومية السادسة :
يأتى على الخلق إصباح وإمساء وكلنا لصروف الدهر نساء ٨٠
- ٧ الزومية السابعة :
إن الأعملاء إن كانوا ذرى رشد بما يعانون من داء أطباء ٨٥
- ٨ الزومية الثامنة :
إن مازت الناس أخلاق يعاش بها فإنهم عند سوء الطبع أسواء ٨٦
- ٩ الزومية التاسعة :
أكفء سوامك فى الدنيا مياسرة وأعرضن عن قوافى الشعر تكفها ٩٠
- ١٠ الزومية العاشرة :
قد حجب النور والضياء وإنما ديننا رياء ٩٢
- ١١ الزومية الحادية عشرة :
تعالى رازق الأحياء طرا لقد وهت المروءة والحياء ٩٤

صفحة

- ١٢ اللزومية الثانية عشرة :
أراهم يضحكون إلى غشا
وتغشاني المشاقص والحظاء ٩٩
- ١٣ اللزومية الثالثة عشرة :
أسيت على الذوائب أن علاها
نهارى القميص له ارتقاء ١٠٠
- ١٤ اللزومية الرابعة عشرة :
مالى غلوت كتماف رؤبة قيادت
فى الدهر لم يقدر لها إجراؤها ١٠٥
- ١٥ اللزومية الخامسة عشرة :
دنياك ماوية لها نوب
شقى سماوية وأنباء ١١٥
- ١٦ اللزومية السادسة عشرة :
فقدت فى أيامك العلماء
وادهمت عليهم الظلماء ١١٩
- ١٧ اللزومية السابعة عشرة :
رويدك قد غرت وأنت حر
بصاحب حيلة يعظ النساء ١٣٩
- ١٨ اللزومية الثامنة عشرة :
نرجو الحياة فإن همت هواجسنا
بالخير قال رجاء النفس لإرجاء ١٤٢
- ١٩ اللزومية التاسعة عشرة :
قد نال خيراً فى المعاشر ظاهراً
من كان تحت لسانه مخبواً ١٤٣
- ٢٠ اللزومية العاشرة عشرة :
علموهن النزل والنسج والرد
ن وخلوا كتابة وقراه ١٤٨
- ٢١ اللزومية الواحدة والعشرون :
توحد فإن الله ربك واحد
ولا ترغبين فى عشرة الروساء ١٥٠
- ٢٢ اللزومية الثانية والعشرون :
إذا كان علم الناس ليس بنافع
ولا دافع فالخسر للعلماء ١٥٣
- ٢٣ اللزومية الثالثة والعشرون :
إذا صاحبت فى أيام بؤس
فلا تنسى المودة فى الرخاء ١٦٠
- ٢٤ اللزومية الرابعة والعشرون :
يا ملوك البلاد فزتم بنسء ال
عمر والجور شأنكم فى النساء ١٦٢

صفحة

- ٢٥ اللزومية الخامسة والعشرون :
أوصيت نفسي وعن ود نصحت لها
فما أجابت على نصحي وإيصائي ١٦٩
- ٢٦ اللزومية السادسة والعشرون :
القلب كالماء والأهواء طافية
عليه مثل حباب الماء في الماء ١٧١
- ٢٧ اللزومية السابعة والعشرون :
الساع آتية الحوادث ما حوت
لم يبسد إلا بعد كشف غطاؤها ١٧٥
- ٢٨ اللزومية الثامنة والعشرون :
ما خص مصر وبأ وحدها
بل كائن في كل أرض وبأ ١٧٩
- ٢٩ اللزومية التاسعة والعشرون :
تقواك زاد فاعتقد أنه
أفضل ما أودعته في السقاء ١٨٣
- ٣٠ اللزومية العاشرة والثلاثين :
انفرد الله بسلطانه
فما له في كل حال كفاء ١٨٦
- ٣١ اللزومية الواحدة والثلاثون :
قضى الله أن الآدمي معذب
إلى أن يقول العالمون به قضى ١٩١
- ٣٢ اللزومية الثانية والثلاثون :
أقيمي لا أعد الحج فرضاً
على عجز النساء ولا العذارى ١٩٣
- ٣٣ اللزومية الثالثة والثلاثون :
إذا قيل لك اخش الله مولاك فقل آرى ٢٠٠
- ٣٤ اللزومية الرابعة والثلاثون :
سرينا وطالبنا هاجع
وعند الصباح حمدنا السرى ٢٠٥
- ٣٥ اللزومية الخامسة والثلاثون :
حياة عناء وموت عنى
فليت بهيد حمام دنا ٢٢٩
- ٣٦ اللزومية السادسة والثلاثون :
بعلم إلهي يوجد الضعف شيمتى
فلست مطيقاً للعدو ولا المسرى ٢٤١
- ٣٧ اللزومية السابعة والثلاثون :
يدل على فضل المات وكونه
إراحة جسم أن مسلكه صعب ٢٤٥

صفحة

- ٣٨ اللزومية الثامنة والثلاثون :
ليشغلك ما أصبحت مرتقباً له
- ٣٩ اللزومية التاسعة والثلاثون :
نقمت على الدنيا ولا ذنب أسلفت
- ٤٠ اللزومية المئمة الأربعين :
لعمرك ما بي نجعة فأرومها
- ٤١ اللزومية الواحدة والأربعون :
لعل أناساً في المحاريب خوفوا
- ٤٢ اللزومية الثانية والأربعون :
إذا كان إكراى صديقى واجباً
- ٤٣ اللزومية الثالثة والأربعون :
بقيت وما أدرى بما هو غائب
- ٤٤ اللزومية الرابعة والأربعون :
أتذهب دار بالنضار وربها
- ٤٥ اللزومية الخامسة والأربعون :
غدوت على نفسى أثرب جاهداً
- ٤٦ اللزومية السادسة والأربعون :
إذا أقبل الإنسان في الدهر صدقت
- ٤٧ اللزومية السابعة والأربعون :
لا يغبطن أخو نعى بنعمته
- ٤٨ اللزومية الثامنة والأربعون :
أعيبوني حيا ثم قام لهم
- ٤٩ اللزومية التاسعة والأربعون :
أخلاق سكان دنيانا معذبة
- ٥٠ اللزومية المئمة الخمسين :
لا تسأل الضيف إن أطمته ظهراً
- ٢٤٩ عن الغيب يبدى والخليل يؤنب
- ٢٥٥ إليك فأنت الظالم المتكذب
- ٢٥٩ وإني على طول الزمان لمجدب
- ٢٦٢ بآى كناس فى المشارب أطربوا
- ٢٦٦ فإكرام نفسى لا محالة أوجب
- ٢٦٩ لعل الذى يمضى إلى الله أقرب
- ٢٧٢ يخلفها عما قليل ويذهب
- ٢٧٣ وأمشأها لام اللبيب المشرب
- ٢٨١ أحاديثه عن نفسه وهو كاذب
- ٢٨٣ بش الحياة حياة بعدها الشجب
- ٢٨٩ من وقد غيبوفى إن ذا عجب
- ٢٩٠ وإن أتتك بما تستعذب العذب
- ٢٩٢ بالليل : هل لك فى بعض القرى أرب

- ٥١ اللزومية الواحدة والخمسون :
قد أسرف الإنس في الدعوى بجهلهم حتى ادعوا أنهم للخلق أرباب ٢٩٥
- ٥٢ اللزومية الثانية والخمسون :
يا صاح ما ألفت الإعجاب من نفر إلا وهم لرهوس القوم أعجاب ٣٠٢
- ٥٣ اللزومية الثالثة والخمسون :
ما قرطاسك في كف المدير له إلا وقرطاسك المرعوب مرعوب ٣٠٦
- ٥٤ اللزومية الرابعة والخمسون :
في البدو خراب أذواد مسومة وفي الجوامع والأسواق خراب ٣٠٨
- ٥٥ اللزومية الخامسة والخمسون :
نفوس للقيامه تشرئب وغى في البطالة متلئب ٣١٠
- ٥٦ اللزومية السادسة والخمسون :
أقروا بالإله وأثبتوه وقالوا لا نبي ولا كتاب ٣٢٠
- ٥٧ اللزومية السابعة والخمسون :
تراب جسوننا وهي التراب إذا ولي عن الآل اغتراب ٣٢٢
- ٥٨ اللزومية الثامنة والخمسون :
دنا رجل إلى عرس لأمر وذلك لثالث خلق اكتساب ٣٣٢
- ٥٩ اللزومية التاسعة والخمسون :
ألا عدى بكاء أو نحيباً فن سفه بكائك والنحيب ٣٣٤
- ٦٠ اللزومية المتمة الستين :
تريب وسوف يفترق التريب حوانا والثرى نسب قريب ٣٣٦
- ٦١ اللزومية الواحدة والستون :
إذا هبت جنوب أو شمال فأنت لكل مقتاد جنيب ٣٤٠
- ٦٢ اللزومية الثانية والستون :
لسانك عقرب فإذا أصابت سواك فأنت أول من تصيب ٣٤٢
- ٦٣ اللزومية الثالثة والستون :
تنادوا ظاعنين غداة قالوا أصاب الأرض من مطر مصيب ٣٤٥

الصفحة

- ٦٤ اللزومية الرابعة والستون :
 ٣٤٧ وفقد حياتنا حظ رغب
 رغبتنا في الحياة لفرط جهل
- ٦٥ اللزومية الخامسة والستون :
 ٣٤٩ وأى الناس ليس له عيوب
 عيوب إن سألت بها كثير
- ٦٦ اللزومية السادسة والستون :
 ٣٥١ منا أخو الفتك الذى هو خارب
 لذاتنا إبل الزمان ينالها
- ٦٧ اللزومية السابعة والستون :
 ٣٥٤ أن الدعاة بسميها تتكسب
 علم الإمام - ولا أقول بظنه -
- ٦٨ اللزومية الثامنة والستون :
 ٣٥٩ ذنباً عليه إذا أطل الذيب
 سمى ابنه أسداً وليس بأمن
- ٦٩ اللزومية التاسعة والستون :
 ٣٦٢ فإن صدق بقمى أعذب
 إن عذب المين بأفواهكم
- ٧٠ اللزومية العاشرة والستون :
 ٣٦٤ وكلهم في النوق لا يعذب
 يحسن مرأى لبني آدم
- ٧١ اللزومية الواحدة والسبعون :
 ٣٦٥ يرضى به المصحوب والصاحب
 هذا طريق الهدى لا حب
- ٧٢ اللزومية الثانية والسبعون :
 ٣٦٧ ولا يقولوا هو مغتاب
 اصفح وجاهر بالمراد الفتى
- ٧٣ اللزومية الثالثة والسبعون :
 ٣٧١ غالبية خاب ذلك القلب
 إيأك والخمر فهى خالبة
- ٧٤ اللزومية الرابعة والسبعون :
 ٣٧٤ أذكر فيه بغير ما يجب
 من لى ألا أقسم فى بلد
- ٧٥ اللزومية الخامسة والسبعون :
 ٣٧٧ فى ولا الليل يانع غريب
 ما الثريا عنقود كرم ملاح